

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية

ألفية الترجمة وشروط إحيائها

الجزائر 2004

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية

أهمية الترجمة وشروط إحيائها

الندوة الوطنية للترجمة

الجزائر يومي 17 - 18 جوان 2001

الجزائر، 2004

المجلس الأعلى للغة العربية

06، شارع العقيد أحمد بوقرة - الأبيار - الجزائر

ص.ب 575 ديدوش مراد - الجزائر

الهاتف: 00 213 21 23 07 24 / 25

الفاكس: 00 213 21 23 07 07

الإيداع القانوني 2004-1922 Dépôt Légal

ردمك 9961-9560-2-8 ISBN

**الندوة الوطنية للترجمة
الجزائر يومي 17 - 18 جوان 2001**

هدف هذه الندوة التعرف على وضعية الترجمة في بلادنا وأهمية العناية بها وتطويرها باعتبارها علما وصنعة، يحتاج إليها الباحثون والطلبة، ولا تستغني عنها دواوين الوزارات والشركات، في عالم ينتقل فيه رجال الأعمال والسواح بالآلاف، وتجتاز فيه الفضائيات والمعلوماتية كل الحواجز ولا تنتظر التأشيرات ...

وقد يكون من المفيد التأكيد على أن غيرتنا واعتزازنا بلغتنا العربية الوطنية والرسمية، لا يتعارض مطلقا مع احترام اللغات الأخرى، والحث على تعلمها، فإن " زيادة الألسنة تزيد من إنسانية الإنسان " ...

فإذا اقتنعنا بأن من تعلم لغة قوم أمن شرهم، فإنه بالإمكان أن نضيف، بأنه قد يستفيد مما عندهم من خير، في عصر الأقمار الصناعية والذكاء الاصطناعي، وشبكات الاتصال العابرة للقارات، وما وصلت إليه العلوم والآداب والفنون الجميلة من تقدم مذهل، يحدث معظمه خارج حدودنا ...

فقرة من كلمة د. محمد

العربي ولد خليفة

رئيس المجلس الأعلى للغة

العربية

في افتتاح الندوة

الفهرس

- 09 مقدمة
كلمة رئيس المجلس في افتتاح الندوة
- 21 الترجمة في الوطن العربي
د. محمد زرمان
- 65 واقع الترجمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
د. محسن عقون
- 77 ترجمة النص النقدي وغياب المرجعية
أ. حليلة الشيخ
- 87 الترجمة في اللغة التركية في الجزائر
أ. خليفة حماس
- 107 ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية
د. الطيب بودريالة
- 127 مسألة المصطلح في الترجمة العلمية والتقنية
أ. النوي لمنور
- 135 تقنيات وضع المصطلح العلمي والتقني

د. محمد طيبي

149 الترجمة والسميائيات
أ. حسين خمري

171 المصطلح في اللسان العربي
د. عمار الساسي

189 نحو دليل تشريعي عربي لترجمة المصطلح العلمي
د. حلام الجبالي

203 بين المفهوم والمصطلح
أ. بوعناني سعاد آمنة

اللسانيات
والترجمة
225
أ. عمر لحسن

الترجمة
الآلية
243
أ. بن حمادي عبد القادر

مساهمة في تطوير تحويل المصطلحات
251
د. شيباني عبد الوهاب

- حياة المصطلح العلمي
257 أ. عبد السلام شقروش
- الفعل الترجمي بين الممارسة اللسانية والتلقي
.....
275 أ. نصر الدين خليل
- ترجمة المصطلح في العلوم الإنسانية
.....
283 د. الشيخ بوقرية
- إشكالية المصطلح في الترجمة اللسانية
.....
295 د. أحمد حساني
- إشكالية ترجمة السوابق واللواحق
.....
335 أ. أمّنة بلعلي
- المقابل الدلالي في المعجم الثنائي وأثره في الترجمة
357 د. أحمد عزوز
- في رحاب المصطلح العلمي العربي
.....
385

أ. محمد حازي

شروط
بعث
حركة
الترجمة

399

أ. عيلان نسيمة

مختبر
اللغات
والترجمة
بقسنطينة

411

أ. يحي بعيطيش - أ. حسن بوساحة - أ. نور الدين مباركي - أ.
عمر عيلا

انعكاس تكوين المترجم على نص لغة الهدف

425

أ. حفصة نعماني

المترجم بين الواجبات والحقوق

439

أ. الأزهر بوغنبور

دور المترجم بين تقنيات الترجمة وواجبات الحضارة

445

أ. محمد الأمين بحري

تكوين المترجم

أ. ناصر الجيلالي

455

المترجم

ثقافة

حول

.....

أ. شعيب مقنونيف

479

النص

وخصوصية

الترجمة

.....

507

أ. قادة محمد

..... معضلات تكوين المترجم

د. محمد البشير الهاشمي مغلي

517

التاريخية

الدراسات

في

الترجمة

دور

.....

543

أ. محمد الشريف سيدي موسى

..... الترجمة والدلالة

أ. مطهري صفية

561

الفهرس

- 09 مقدمة
كلمة رئيس المجلس في افتتاح الندوة
- 21 الترجمة في الوطن العربي
د. محمد زرمان
- 65 واقع الترجمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
د. محسن عقون
- 77 ترجمة النص النقدي وغياب المرجعية
أ. حليلة الشيخ
- 87 الترجمة في اللغة التركية في الجزائر
أ. خليفة حماس
- 107 ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية
د. الطيب بودريالة
- 127 مسألة المصطلح في الترجمة العلمية والتقنية
أ. النوي لمنور

- 135 تقنيات وضع المصطلح العلمي والتقني
د.محمد طبي
- 149 الترجمة والسميات
أ. حسين خمري
- 171 المصطلح في اللسان العربي
د. عمار الساسي
- نحو دليل تشريعي عربي لترجمة المصطلح العلمي
189 د. حلام الجبالي
- بين المفهوم والمصطلح
203 أ. بوعناني سعاد أمينة
- اللسانيات والترجمة
أ. عمر لحسن
- 225 الترجمة الآلية
أ. بن حمادي عبد القادر
- 243 مساهمة في تطوير تحويل المصطلحات
د. شيباني عبد الوهاب

- 251 حياة المصطلح العلمي
أ. عبد السلام شقروش
- 257 الفعل الترجمي بين الممارسة اللسانية والتلقي
أ. نصر الدين خليل
- 275 ترجمة المصطلح في العلوم الإنسانية
د. الشيخ بوقرية
- 283 إشكالية المصطلح في الترجمة اللسانية
د. أحمد حساني
- 295 إشكالية ترجمة السوابق واللواحق
أ. آمنة بلعلي
- 335 المقابل الدلالي في المعجم الثنائي وأثره في الترجمة
د. أحمد عزوز
- 335 في رحاب المصطلح العلمي العربي
أ. محمد حازي
- 357 شروط بعث حركة الترجمة
أ. عيلان نسيمية

- مختبر اللغات والترجمة بقسنطينة
 385 أ. يحي بعبطيش - أ. حسن بوساحة - أ. نور الدين مباركى - أ.
 عمر عيلا
- انعكاس تكوين المترجم على نص لغة الهدف
 399 أ. حفصة نعماني
- 411 المترجم بين الواجبات والحقوق
 أ. الأزهر بوغنيور
- دور المترجم بين تقنيات الترجمة وواجبات الحضارة
 425 أ. محمد الأمين بحري
- تكوين المترجم
 أ. ناصر الجيلالي
- حول ثقافة المترجم
 439 أ. شعيب مقنونيف
- الترجمة وخصوصية النص
 445 أ. قادة محمد

..... معضلات تكوين المترجم

د. محمد البشير الهاشمي مغلي

455 دور الترجمة في الدراسات التاريخية

أ. محمد الشريف سيدي موسى

..... الترجمة والدلالة

479

أ. مطهري صفية

507

517

543

561

كلمة رئيس المجلس في افتتاح الندوة

د. محمد العربي ولد خليفة

أُتقدم في البداية بالشكر والتقدير إلى السادة المختصين في فنون الترجمة، من الأساتذة وأهل المهنة المقيمين بالعاصمة أو الذين شدوا إليها الرحال من جامعات الوطن، ومختلف الولايات.

هدف هذه الندوة التعرف على وضعية الترجمة في بلادنا وأفاق العناية بها وتطويرها باعتبارها علما وصنعة يحتاج إليها الباحثون والطلبة، ولا تستغني عنها دواوين الوزارات والشركات، في عالم يتنقل فيه رجال الأعمال والسواح بالآلاف، وتجتاز فيه الفضائيات والمعلوماتية كل الحواجز ولا تنتظر التأشيرات.

من السهل أن نلاحظ التبادل بين اللغات، أو الانتقال من لسان إلى آخر في كثير من الندوات والملتقيات، ومجامع الأمم المتحدة وهيئاتها في مختلف القارات، حيث تُحرر الوثائق في كثير من الأحيان على الأقل، بخمس لغات، ويعمل البارعون في الترجمة الفورية مع قادة الدول والحكومات، وعن طريقهم

ومن شرفاتهم يُنصت ويفهم الحاضرون ما يدور من حوار بمختلف الألسن واللجات.

يعرف أهل الذكر والفكر من الساسة والعلماء أن ترقية اللغة - أية لغة - وتطويرها لا يتوقف عند المساجلات والمرافعات الخطابية، بل يتطلب إثراء اللغة بالإبداع في العلوم والفنون والآداب، وتحبيب الناس في منتوجها الراقى، ونشرها واستعمالها على أوسع نطاق. وفي الأوضاع العادية تدافع اللغة عن نفسها بنفسها، ليس داخل حدودها الإقليمية فحسب، بل حتى خارجها أيضا.

لغرض الاستشهاد فقط، نذكر مثالين أولهما من أوروبا اللاتينية ويتمثل في فرنسا، فإن لغتها لم تعرف التطور والانتشار إلا على يد الموسوعيين، وفي مقدمتهم دريس ديدرو (D.Diderot) 1713-1784 الذي أسس الموسوعة، وأشرف عليها لمدة 20 عاما، وقبل ذلك كان أحد كبار فلاسفتها وهو ديكارت (1596-1650) يكتب مؤلفاته الشهيرة باللاتينية، ثم تنقل إلى الفرنسية باعتبارها لغة هزيلة ومحلية.

أما المثال الثاني فنقتبسه من أوروبا السكسونية التي تأسست فيها أول أكاديمية تجمع بين الفلسفة وفقه اللغة والتاريخ وذلك سنة 1901، ثم تلاها تأسيس المجلس البريطاني (British council) سنة 1934 المكلف بنشر اللغة الإنكليزية، وتدويلها في شتى أنحاء العالم، ولا حاجة إلى التأكيد على أن مكانة وأهمية اللغتين السابقتين، وغيرهما من اللغات العالمية، تتمثل أولا في قوة الدولة، ولا قوة للدولة بدون علماء ومفكرين يبدعون ويخترعون بلغاتهم الأصلية أو القومية.

وفي البلاد العربية والإسلامية تعمل المؤسسات المشابهة منذ 50 أو 70 عاما، في حقل اللغة وفقهها ولسانياتها، وأشهرها كما هو معروف، يوجد في دمشق والقاهرة وبغداد، وهي تجتهد منذ أمد طويل في الاشتقاق والوضع والتعريب، وقدمت للعربية وعلومها خدمات جليلة، ولكنها مع الأسف تعكس واقع الفرقة والتشتت الذي يسود المنطقة العربية، منذ أمد بعيد. فهي لا تُتَسَّق إلا في لقاءات عابرة ضمن مؤتمرات اتحاد الجامعات، وفي كثير من الأحيان تبقى توصياتها ومقترحاتها حبرا على ورق، وصدق الإمام علي بن أبي طالب عندما قال: "لا رأي لمن لا يطاع".

وفي الجزائر ينبغي أن نتذكّر بإجلال وعرفان ما قام به المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، من جهد وجهاد في ميدان تأصيل الثقافة الوطنية، والتفاني في خدمة اللغة العربية، وتحريك الهمم وبداية العمل المؤسسي في منتصف الثمانينيات لإنشاء المجمع الجزائري للغة العربية، ولم يمهل الأجل الأستاذ مولود ليرى مولوده يبدأ خطواته الأولى في دروب يتطلب عبورها الكثير من الصبر والعزيمة، والتعاون بين الكفاءات المخلصة.

وسوف نخصص السطور التالية لملاحظات حول الأهمية التاريخية والراهنة للترجمة باعتبارها علما وصنعة:

1- الترجمة علم وصنعة وإبداع

إن العناية بالترجمة الفنية والمتخصصة في العلوم والفنون والآداب، هي مواصلة لتقاليد حضارية عريقة، ترجع إلى أكثر من ألف عام، كانت من أسباب الإشعاع الحضاري في مشرق الأمة العربية والإسلامية ومغربها. فهي اقتداء بخطى سلفنا الصالح، وهم أولئك التراجم الرواد الذين أنقذوا نفائس الفلسفة

والعلم، ونقلوها إلى العربية، من لغات الهند وفارس والصين والإغريق، لولاهم لفقدت الإنسانية ذخائر أفلاطن (أفلاطون)، وأرسطو طاليس (أرسطو)، ورائعة كلية ودمنة، وهندسة إقليدس، وطب أبو قراط وجالينوس، وغيرها من كنوز العلم والحكمة.

هل ننسى إشعاع الحضارة العربية في بيت الحكمة في بغداد لأكثر من ثلاثة قرون؟ وهل ننسى أن العلماء والتراجمة في غربنا الإسلامي كانوا ينتقلون مع مكتباتهم على ظهور مئات من الخيل والجمال؟ وهل ننسى أحد عظماء عصر الأنوار الأول الخليفة المأمون؟

نصف هذا القائد الفذ بالعظيم، لأن مجلسه كان يغصّ بأشهر فلاسفة وعلماء عصره، بعضهم من الموسوعيين في مختلف المعارف والفنون والآداب، ولا يتسع للطفيليين من الجهلة والسطحيين.

في مجلس المأمون التقى تراجمة من المسلمين والنصارى النسطوريين واليعقوبيين واليهود يُعدّون بالعشرات، ومن أعلى طراز نذكر منهم: حنين بن إسحاق وابنه إسحاق بن حنين وسهل بن هارون وعالم الرياضيات والمترجم ثابت ابن قرّة وقسطا بن لوقا وأبناء موسى المنجم الثلاثة (أحمد، محمد، الحسن) الذين كانوا ينفقون على الترجمة من أموالهم الخاصة.

في هذا الزمن المتقدم (نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري) أو (التاسع والعاشر الميلادي)، كان الخليفة العباسي المأمون يفتدي أسرى الروم بمقابل، هو عشرات وأحيانا مئات المجلدات، مما سماه المسلمون "علوم الأوائل"، أي الفلسفة والرياضيات والفيزياء والفلك والطب...، بل إن ذلك الخليفة الفذ كان يكافئ حنين بن إسحاق على كل كتاب يترجمه مكافأة هي، وزن الكتاب ذهباً،

كما يقول المترجم حنين نفسه، ولنتخيل أثر ذلك في المترجم البارع، وفي سمعته ومكانته بين الناس.

لم يكن الغرب الإسلامي أقل اهتماما وشغفا وتقديرا للترجمة والمترجمين في طليطلة وقرطبة وغرناطة...، حيث إنه من الصعب وضع قائمة لهم، أو المفاضلة بينهم، ولغرض التأمل والعبرة، نلاحظ أن الترجمة أخذت اتجاها معاكسا، أي من المسلمين إلى أوروبا اللاتينية، ابتداء من نهاية القرن الثاني عشر، وهو أمر قلما حظي بالإقرار، فضلا عن التقدير والعرفان. بل إن الترجمة النصرى وحكامهم عمدوا إلى إتلاف الأصول، أو انتحال البعض منها، كما يتبين ذلك في مؤلف "ف.بيكون" "F.Bacon" الضخم عن عظمة الممالك.

(The Greatness of Kingdoms)

2- الترجمة اختصاص وتقنية

لم تعد الترجمة مجرد نقل من لغة إلى أخرى، أو مجرد هواية، بل هي علم وفن ودراية، يسمى علم الترجمة (Traductologie)، له فروع ومباحث واختصاصات، وتوليه البلدان الواعية برهانات العصر كل الرعاية والعناية، وتوفر له الدولة وأصحاب رؤوس الأموال شروط الازدهار والانتشار، ويحظى النابغون فيه بجوائز لا تقل قيمة عن تلك التي تقدم للعباقرة من الفلاسفة والعلماء والأدباء والفنانين.

وفيما يخص النقل من العربية، يذكر الأستاذ حميد الله أن القرآن، وهو النص الديني الوحيد الموجود في لغته الأصلية، أي بدون تبديل أو تحوير، قد ترجم 175 مرة إلى الإنكليزية، و70 مرة إلى الفرنسية، و60 مرة إلى الألمانية.

وعلى أي حال تقدم الترجمة الآلية تسهيلات لم يسبق لها مثيل، لاختصار الوقت والجهد والوصول إلى درجة عالية من الدقة والوفاء للنصوص الأصلية، وأما المعاني فإنه من الصعب كما يقول: " أبو سعيد الصيرافي " الإحاطة بها إحاطة السوار بالمعصم.

نظرا إلى التخصص المتزايد في العلوم والفنون والآداب، فإن المترجم، ليس هو من يتقن لغة أخرى، غير اللغة المنقول إليها فحسب، ولنفترض أنها العربية. بل من الضروري أن تكون للمترجم علاقة بالموضوع المترجم، إن لم يكن مختصا فيه، وعلى اطلاع على الخصائص اللسانية وفقه اللغتين : المترجم منها والمترجم إليها. أو على الأقل يعرض الترجمة الأولى على أهل الاختصاص، لتمحيص اللغة الوسيطة، أي اللغة الخاصة بذلك العلم. ولهذا السبب فإن الترجمة المتخصصة تتطلب وقتا طويلا ونفقات كبيرة لا تتوفر عليها إلا مؤسسات لها ميزانيات ضخمة.

إن الترجمة في دواوين الحكومة ومرافق الإدارة لا تقتصر على وضع مقابلات بالعربية لكلمات فنية، أو ما يسمى المسارد المصطلحية التي تُجمع في المعاجم والقواميس المتخصصة، لأنّ في ذلك غفلة عن أمر هام هو العلاقة بين الجمهور والجهات التي يتعامل معها ذلك الجمهور.

ولذلك من الضروري إشاعة الكلمات الفنية بين الطرفين بالإشهار لها، واستخدامها في الوسائط الإعلامية وفي مراحل التعليم الأساسي، ومن البديهي أن تلك العملية لا تعني شيئا إذا كان الجمهور من الأميين.

في مسألة المصطلح هناك مستويان ينبغي التمييز بينهما بوضوح.

يتعلق أولهما بالبحث العلمي، أو ترجمة الإنتاج الغزير في العلوم والآداب والتقانات (التكنولوجيات)، وتوفر المصطلحات والمفاهيم في هذا المستوى الأكاديمي يكون تاليا لازدهار البحث الأساسي والتطبيقي، وليس سابقا له، فالمصطلحات الفنية أو اللغة المقوعدة، هي أشبه بالعملة لا قيمة لها خارج رصيدها في بورصة البحث العلمي. وعلى الرغم من أن هذا المستوى ليس الآن من الأولويات، وهو أساسا من مهام المجامع والأكاديميات، فإننا نلاحظ أن تعريب مصطلحات العلوم والتقانات، أسهل من تعريب نظائرها في العلوم الإنسانية التي تحتاج إلى رصيد ضخم من اللغة، ويكاد يتفرد كل مختص فيها بقاموسه الخاص.

أما المستوى الثاني، فهو يتصل بالمصطلحات الشائعة في مرافق الحياة اليومية، وهنا ينبغي المحافظة على هامش من المرونة، ويتمثل في اقتراح مقابل بالعربية باستخدام الحوسبة، وجرد الحقول الدلالية وبرمجة الأوزان والجذور والاشتقاقات الصرفية، أو تعريب الكلمة أي: إخضاعها لمخارج الحروف العربية، وقد فعل القدماء والمحدثون ذلك، من كلمتي إيساغوجي وإصطرلاب إلى كلمات تلفزيون، إيديولوجيا، وبنك، وتلغراف، وأغلب الظن أنه من الأفضل أن تعفى أسماء الأعلام والأماكن الأعجمية من التعريب وتكتب فقط بحروف اللغة العربية، ومن المستعجل أن يتفق المختصون في الصوتيات على مقابل الحروف باللغات اللاتينية مثل **V--Gu--P** إلخ.

3- نحو مؤسسة وطنية للترجمة

بالإضافة إلى أهمية استخدام اللغة العربية في مدرجات الجامعة، والتحرير بها في أطروحات ما بعد التدرج، فإن تطوير اللغة العربية يتوقف على تنشيط

الأبحاث النظرية والمخبرية، في فقه اللغة واللسانيات والصوتيات، ووضع مسارد المفردات والسياقات، ومصفوفات الحقول الدلالية، والبرمجة الحاسوبية للرصيد اللغوي المتخصص، في مختلف المجالات المعرفية، ومرافق الحياة العامة الإدارية والاقتصادية والمالية وكل ما يتعلق بالإعلام والتوثيق.

ولا نملك في هذا المقام سوى أن نتمنى حدوث تنسيق وتعاون أكثر بين كل الجامعات العربية ضمن المؤسسات الموجودة، مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، ومجامع اللغة التي قدمت طيلة أكثر من نصف القرن جهداً جديراً بالتقدير، على الرغم من تضييع كثير من الوقت والجهد في معارك الألفاظ، والإجراءات الطقوسية. وقد اقترحنا في مداخلتين، قُدمت أولاهما في مؤتمر اتحاد الجامعات العربية بدمشق في نهاية 1999 وقدمت ثانيتهما في مؤتمر الاتحاد في القاهرة في شهر مارس من سنة 2000، أقول اقترحنا أن يتحول الاتحاد إلى ما يشبه البرلمان اللغوي يجمع الهيئات القطرية في كل البلدان العربية التي تنتمي إلى حضارة واحدة أنتجتها الأمة العربية الإسلامية بلغة موحدة وتشجيع نشأة مدارس للابتكار والاجتهاد توظف خصائص البيئة المحلية.

قد يكون من المفيد في هذا اللقاء الأول التأكيد على أن غيرتنا واعتزازنا بلغتنا العربية الوطنية والرسمية، لا يتعارض مطلقاً مع احترام اللغات الأخرى والحث على تعلمها، فإن "زيادة الألسنة تزيد من إنسانية الإنسان" على حد تعبير الدكتور يوسف الحاج أستاذ فلسفة اللغة، في جامعة بيروت. فإذا اقتنعنا بأن من تعلم لغة قوم أمن شرهم، فإنه بالإمكان أن نضيف، بأنه قد يستفيد أيضاً مما عندهم من خير، في عصر الأقمار الصناعية والذكاء الاصطناعي، وشبكات

الاتصال العابرة للقارات، وما وصلت إليه العلوم والآداب والفنون الجميلة، من تقدم مذل، يحدث معظمه خارج حدودنا.

4- نحو مؤسسة وطنية أو دار للترجمة

اقتناع أولى الأمر في بلادنا بأهمية الترجمة يبدأ بتوفير الإطار التشريعي، والميزانية المعتبرة التي نتمنى أن يساهم فيها الميسورون بالتبرعات، مقابل تخفيض الضرائب وإطلاق أسمائهم على منشآتها، وتمكين العلماء والخبراء من المختصين والترجمة من الإشراف الفعلي عليها، وانتقاء المصنفات، وإيجاد علاقة وظيفية مع جهات التشغيل ومع معاهد التكوين في سائر أنحاء القطر.

ومن الضروري والمستعجل، إعادة الاعتبار المادي والمعنوي للمبدعين في العلوم والفنون والآداب ومن بينهم الترجمة نافذتنا الكشافة على الثقافات الأخرى.

يعرف المترجمون، أهمية اللغة وعلاقتها بالثقافة، فمن النادر أن يتقن الشخص لغتين بثروتها الثقافية بدرجة متساوية، مما يجعل نقل المصنفات العلمية والأدبية والفكرية من لغة إلى أخرى عملية شاقة تتطلب الاطلاع على الثقافة المنقول منها والثقافة المنقول إليها. فهناك كلمات في لغة ليس لها مقابل في لغة أخرى وهناك كلمات تحمل شحنة تعبيرية خاصة لا وجود لها في نظيراتها من اللغات الأخرى.

أدى تزايد التبادل التجاري والمالي والسياحي في داخل الدول المصنعة، وبينها وبين بلدان العالم النامي، إلى تسابق الدول المتفوقة اقتصاديا على توسيع نفوذها الثقافي وبالتالي لغتها، إذ أن انتشار لغتها خارج حدودها الإقليمية يقدم لها تسهيلات كبيرة للسيطرة على الأسواق ولذلك يطلب من رجال المال والأعمال

المعنيين بالتجارة الخارجية وإطارات قطاع السياحة أن يكونوا مزدوجي أو "مثلثي" اللغة.

الملاحظ أن بعض المجموعات اللسانية تفقد الأعضاء الناطقين بها لعدة أسباب منها:

أ- إن وجود لغات كثيرة في مجموعات سكانية صغيرة (البلدان الإفريقية) يدفعها إلى اللجوء إلى لغة مُشتركة هي دائما لغة المستعمر السابق.

ب- إن الإنتاج العلمي والأدبي والإعلامي بلغة أخرى غير اللغة الأصلية، يحول بالترديد اللّغة الأصليّة إلى لهجة فقيرة معدومة الموارد والتجديد، وعندما تصل إلى نقطة التوقف، أي غلق قاموسها اللغوي، فإنها تصبح مقتصرة على التعبير على الحاجات اليومية الموروثة عن الأجداد، ويقبل أفرادها على مفردات من اللغة الثريّة المسيطرة للتعبير عن حاجات أخرى أكثر تعقيدا، والاستجابة الثقافية لمطالب لا يليها قاموسهم اللغوي.

نرجو أن تسفر هذه الندوة عن تعاون بين الجهات المختصة لتأسيس دار أو مؤسسة للترجمة بعد دراسة وافية تضمن مردوديتها على المديين المتوسط والبعيد وتجمع الأساتذة المختصين وممتهني الترجمة في الجزائر وحتى من المنطقة العربية وعلماء وباحثين في المهجر يتقنون أكثر من لغة أخرى مثل الفرنسية والإنكليزية والروسية والألمانية وغيرها...تنقل إلى لغتنا عيون الإبداع العالمي في الآداب والفنون والعلوم، وتثري مكتباتنا، وتعرف بمننوجنا الفكري وخصائص ثقافتنا الوطنية، وتنقلها من المحلية إلى العالمية.

سوف تتوج أشغال هذه الندوة بتكريم اثنين من رواد الترجمة المعاصرين هما الأستاذ الفاضل د.أبو العيد دودو، والمرحوم د.حنفي بن عيسى من مؤسسي

معهد الترجمة في الجزائر، تقديرا و عرفانا لجهودهما في ميادين الترجمة والتكوين الجامعي والإبداع الفكري والثقافي.

فيما يخص شخصنا المتواضع فإننا نستلهم مسعانا من الآية 29 من سورة الروم: [ومن آياته خلق السماوات والأرض، و اختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين].

الجزائر 21 جوان 2001

الترجمة في الوطن العربي إكراهات الواقع وتصورات المستقبل

د / محمد زرمان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة باتنة . الجزائر

مقدمة

الترجمة فعل ثقافي متطور يعبر عن إنجاز اجتماعي نشيط هادف وبناء، يرمي إلى توسيع دائرة الحوار والمعرفة في بيئته لشحن فعاليته باستيعابه لأكبر قدر من حصائد المعارف الإنسانية ، واكتساب خبرات الآخرين لتكون سلاحه في التطور والارتقاء والمنافسة ثم العطاء الحضاري الثري، وهي مفتاح الأمم لتلافي الانغلاق الفكري من جهة، والتخلص من التبعية المطلقة المفضية إلى الذوبان في الآخر من جهة أخرى .

ولا يمكن للترجمة أن تكون تواسلا م ستقرا و تفاعلا حيا إلا إذا كانت تعبيرا صادقا عن إرادة قوية لتغيير الواقع، واستعدادا للدخول في حوار عميق مع إنجازات و فتوحات العلم لتحويلها إلى وقود يغذي حركة التحول الشامل في المجتمع، ومن ثم تكون الكتب المترجمة دالة على المضمون الفكري للتطور الاجتماعي للذاتية الحضارية في اتصالها بالعالم الواسع واستجابة لقضايا المجتمع وإشباعا لقدرته على النهوض ، وقد أثبتت المسيرة التاريخية للإنسانية عبر العصور، أن ازدهار الترجمة كان دائما رديفا لحركة النهوض الاجتماعي، وملازما للتقدم المطرد للمجتمعات ، مما يكشف عن علاقة طردية واضحة وحاسمة بين النهضة من ناحية والترجمة من الناحية الأخرى¹.

وتكاد تكون مهنة الترجمة قديمة قدم المجتمع البشري وتعدد أممه ولغاته، فقد مارستها مختلف الحضارات الإنسانية ، وأفسحت لها مجالا واسعا في حركتها الحضارية ، وكانت إحدى الأسس التي استندت إليها منظومتها المعرفية، وتطوير ثقافتها الذاتية، وإليها يرجع الفضل في مد جسور الحوار بين الشعوب، وفتح مجالات التفاعل بين الحضارات المختلفة، فكانت بذلك القناة الفعالة التي تدفقت منها المعارف الإنسانية لتنتقل بين بني البشر وتتراكم، فيستفيد اللاحق من السابق، إلى أن ارتقى العقل البشري إلى المكانة التي انتهى إليها اليوم.

وقد عرفت الحضارة العربية الإسلامية حركة ترجمة نشيطة في العصر العباسي، عندما أقبل الخلفاء العباسيون . ابتداء من المنصور . على علوم الأوائل، وأمروا بنقلها، فبدأت بذلك أطول وأضخم عملية ترجمة عرفت الحضارات

¹ محمد ، شوقي جلال . تقرير المسح المبدائي " لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي " . بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية حول الترجمة في الوطن العربي . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . ط 1 . فبراير 2000 . ص 73 .

القديمة، انطلقت انطلاقاً محتشمة أواخر القرن الأول الهجري أيام الدولة الأموية، وعرفت أوج عزمها وازدهارها أيام هارون الرشيد ومن بعده ابنه المأمون ولم تتوقف إلا في منتصف القرن الخامس الهجري.

ولقيت اهتماماً خاصاً من الخلفاء الذين أفردوا لها مؤسسات رسمية مدعومة دعماً مباشراً من الدولة، لعل أشهرها وأوسعها ذكراً بيت الحكمة ببغداد والذي كان يضم عدداً: >> من القاعات والحجرات الواسعة موزعة في أقسام الدار تضم مجموعة من خزائن الكتب، في كل خزانة مجموعة من الأسفار العلمية التي تنسب في الغالب إلى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المأمون <<²، والنشاط العلمي به متواصل لا يفتقر، ففيه: >> تراجمة يقومون بترجمة الكتب المختلفة إلى العربية، ونساخون يشتغلون بنسخ الكتب التي تترجم والتي تؤلف للخزانة، ولها مجلدون يجلدون الكتب ويعنون بزخرفتها وتزيينها، وكان يدير بيت الحكمة مديرون وأمناء على الترجمة ومعهم كتاب حذاق، كما كان يشتغل فيه علماء ونساخون وخزان ومجلدون من مختلف الأديان والأجناس والثقافات، ومعهم الوراقون فصار بيت الحكمة دوائر متنوعة لكل منها علماءها وتراجمتها ومشرفون يتولون أمورها المختلفة <<³. وقد انتشرت مصانع الورق بالقرب من بيت الحكمة، كما وجد شارع طويل لدكاكين الوراقين في منطقة قريبة منه، وهو ما يقابل اليوم دور النشر، مما ساعد على نجاح حركة الترجمة، وبذل ثمارها لجميع الطبقات.

² معروف، د. ناجي. أصالة الحضارة العربية. ص 473. 438.

³ العبود، د. نافع توفيق. " من تاريخ الترجمة عند العرب ". مجلة المؤرخ العربي. ع 10. 1979. ص 163.

كما خصصوا لها . إلى جانب ذلك . ميزانية ضخمة ، كان يصرف منها على أجهزتها المختلفة ، ولعلنا لا نجد في التاريخ القديم مثالا للسخاء الذي حظي به قطاع الترجمة في العصر العباسي ، ويكفينا للتدليل على ذلك ما تناقلته مصادر التراث المختلفة من أن المأمون كان يكافئ على كل عمل مترجم ما وزنه ذهباً⁴ ، وأن أحد الخلفاء خصص له خراج الأردن بكامله .

ولم تكن الدولة هي الجانب الوحيد الذي اضطلع بعبء الترجمة ، بل آزرته جهود الوزراء والعلماء ، وعرف العصر العباسي عائلات بأكملها تفرغت للترجمة وأدت لها خدمات جليلة ، وأبدعت فيها أيما إبداع مثل أسرة بختيشوع وأسرته موسى بن شاعر⁵ . فقد شغف محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاعر بالترجمة ، وأنفقوا الأموال العظيمة في الحصول على العلوم القديمة : >> وبدلوا فيها الرغائب وأتعبوا نفوسهم فيها ، وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها إليهم ، فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبدل السني فأظهروا عجائب الحكمة <<⁶ ، واشتهر في هذا الميدان أيضاً أحمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب الذي كان يصل إلى النقلة من ماله وأفضاله شيء كثير ، وإبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب الذي كان : >> حريصاً على نقل كتب اليونانيين إلى لغة العرب ، مشتتلاً على أهل العلم والفضل وعلى النقلة خاصة <<⁷ . مما يدل

⁴ ابن أبي أصيبعة . عيون الأنبياء في طبقات الأطباء . تحقيق وشرح : نزار رضا . دار مكتبة الحياة . بيروت . 1965 . ص 257 وما بعدها .

⁵ راجع : ضيف ، د . شوقي . العصر العباسي الأول . دار المعارف . القاهرة . ط 9 . 1986 . ص 112 وما بعدها .

⁶ القفطي ، جمال الدين أبو الحسن القاضي الأشرف يوسف . إخبار العلماء بأخبار الحكماء . طبعة مصر . 1326 . ص 208 .

⁷ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنبياء . ص 284 .

على أن المجتمع العباسي كان يموج بالنشاط العلمي وأن الترجمة أصبحت هما عاما تتحمل مسئوليتها جميع فعاليات المجتمع وقواه العاملة.

ومما يجدر التنويه به هنا أن عملية النقل إلى العربية لم تنحصر في نسق ثقافي واحد، ولم تقتصر على تراث حضارة بعينها، بل إنها قد اتسعت لتشمل علوم حضارات متعددة: فارسية وهندية وصينية ومصرية ويونانية وبيزنطية وغيرها، وبذلك توفر للعرب مادة ثرية دسمة ومتنوعة مكنتهم من الاستفادة من خلاصة علوم أمم متعددة، مما دعم نهج النفتح، ومبدأ التعددية والتنوع، ورسخ معاني التسامح والإنسانية، وهو الأمر الذي أشار إليه كراوثر عندما اعتبر هذا الانفتاح الواسع على الحضارات القديمة سابقة هامة لتأسيس المعرفة الإنسانية التي تستبعد التعصب والانغلاق: >> كان من الطبيعي بعد أن اطمأنوا إلى قوتهم العسكرية ومعتقداتهم الإيمانية أن يتجهوا لتشييد المدن الرائعة ودراسة ثقافة الحضارات التي داننت لهم. وكان العرب المسلمون أمة جديدة بلا تراث علمي سابق، فقرأوا التراث الفكري للقدماء بعقول متفتحة بلا خلفيات تعوقهم، ولذلك وفتت الثقافات الإغريقية واللاتينية والهندية والصينية جميعا بالنسبة لهم على قدم المساواة، وكان من نتائج هذه العقلية المتعطشة للمعرفة عند المسلمين أنهم أصبحوا بالفعل المؤسسين الحقيقيين لمفهوم العالمية في المعرفة أو وحدة المعرفة الإنسانية، وهي إحدى السمات البالغة الأهمية بالنسبة للعلم الحديث <<⁸.

وقد تفاعلت هذه السيول من الثقافات والعلوم والخبرات الإنسانية الغنية التي صببتها الترجمة في أوعية اللغة العربية، بالعقل العربي فقدحت زناد فكره،

⁸ كراوثر، ج. قصة العلم. ترجمة: د. د. يحيى طريف الخولي، و د. د. بدوي عبد الفتاح. المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. 1998. ص 57.

واستنفرت طاقاته الذهنية، وحرضت ملكاته العقلية، فنجح في استيعابها وتمثلها، وتجاوز ذلك إلى الإبداع والابتكار، وحول جميع العلوم التي حازها إلى منظومة معرفية راقية جدا : نقحت علوم الأوائل، وخلصتها من الشوائب والأخطاء، وصححت مسيرتها، ثم أقامت عليها الأسس التي ارتكزت عليها الحضارة العربية الإسلامية التي كانت ثمرة إبداع علمائها الأفاضل في كل علم وفن.

وقد تكررت هذه التجربة بشكل آخر في عهد محمد علي (1805. 1849) الذي اعتلى سدة الحكم في مصر يراوده حلم الانفراد بحكمها وفصلها عن الخلافة العثمانية . وتزامن ظهوره مع تنبه العرب من سباتهم التاريخي الطويل، واكتشافهم المرير لوضعيتهم الدونية في التاريخ الحديث بعد احتكاكهم بالغرب عن طريق حملة نابليون على مصر. وكان مشروعه الطموح يتمثل في بناء دولة حديثة يحميها جيش قوي حديث العدة والعتاد، وأسطول قوي يضاهي أساطيل الدول الكبرى، وصناعة متطورة، وزراعة حديثة، وتعليم راق، وأدرك أن تحقيق ذلك يتطلب حتما الاستعانة بالخبرات الغربية والكفاءات الأوروبية، فحاول سد هذه الحاجة عن طريقين : الأول : استقدام الأساتذة الأوروبيين في كل فن للإشراف على الجيش والصناعة والتعليم والإدارة وغيرها، والثاني: إرسال البعثات لتكوين الطلبة العرب الذين سيتولون نقل العلوم التي أتقنوها إلى اللغة العربية لتكون المحرك الأساسي للنهضة.

وبذلك احتلت الترجمة في دولة محمد علي مكانة هامة، وكانت مرتكزا قويا من مرتكزات مشروعه النهضوي، وقد وجدت في رفاة رافع الطهطاوي (1801. 1873) الشخصية الفذة التي أدركت أبعاد هذا المشروع ووضعت كل طاقاتها وكفاءاتها في خدمته، حيث أدرك هذا الطالب الأزهري المتميز برؤيته الثاقبة زوايا المشكلة الحضارية التي تحيق بالعرب، فاستطاع . بعد احتكاكه

الفعلي والطويل بالفكر الغربي . أن يتجاوز صدمة الحداثة، وأن يطرح تصورا فكريا جديدا يمزج فيه بين الواقد والموروث⁹ ، وبصوغ مشروعا حضاريا يلبي مطالب المجتمع من خلال الاقتباس من الغرب ضمن الأنساق التقليدية المتوارثة ، بحيث يخضع هذا الاقتباس للاختيار والانتقاء بطريقة عقلانية رشيدة وهادفة .

وفي ضوء هذه الرؤية، جعل الطهطاوي من الترجمة مؤسسة اجتماعية:

>> تعمل على تنفيذ مشروع قومي اجتماعي لتحقيق نهضة في العلوم والصناعات <<¹⁰ وكانت تجري على أيدي رجال يتعاملون معها كعنصر في مشروع متعدد العناصر ، غايته الارتقاء الاجتماعي ، والتحرر من القديم الميت ، كما لو كان الواقع المعيش هو الذي يقترح الكتب ويترجمها، محولا الأعمال المترجمة إلى جزء من مشروع الثقافة الوطنية.

وقد تولى محمد علي بنفسه الإشراف على سير حركة الترجمة وتابع نموها وتطورها ودفعت خطواتها إلى الأمام بالدعم المستمر والاهتمام المتواصل، وتجلت عنايته بالترجمة في البعثات العلمية التي بلغت إحدى عشر بعثة آخرها سنة 1847 والتي أبدى اهتماما واضحا بأعضائها، إذ كان : >> يتقصى أبناءهم، ويشرف على دراستهم، و يكتب لهم من حين إلى آخر رسائل يستحثهم فيها على العمل والاجتهاد، وينبهم إلى واجباتهم، وذلك لشدة حاجته في نهضته إلى من يقف بجانبه و ينفذ مشروعاته الضخمة <<¹¹ . كما كان يرسل تعليماته إلى

⁹ حنفي ، د . حسن . " المشروع الحضاري الجديد : الماضي و الحاضر و المستقبل " مجلة الوحدة . س 10 . ع

15 . يناير . مارس 1994 . ص 15 .

¹⁰ محمد ، د . شوقي جلال . " تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي " . ص 77 .

¹¹ الدسوقي ، عمر . في الأدب الحديث . دار الفكر العربي . القاهرة . ط 7 . 1966 . ج 1 . ص 22 .

هؤلاء الطلبة يحثهم على ترجمة الكتب التي يدرسونها أولاً بأول، و يرسلونها مع الترجمة إلى مصر .

وبادر عام 1835 إلى إنشاء مدرسة الألسن على غرار مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وعين الطهطاوي مديراً لها، و كانت نموذجاً حياً للرؤية الحضارية المتميزة التي قامت عليها حركة الترجمة في عهد محمد علي إذ كانت >> تجمع بين دراسة ما عرفته مصر من اللغة و الفقه والأدب في كتب أزهريه يدرسها رجال الأزهر ، و بين دراسة اللغة الأجنبية والأدب والنحو والقصص والتاريخ الغربي <<. وتمخضت هذه الجهود الدؤوبة عن ترجمة أكثر من ألفي " (2000) كتاب في العلوم والصناعات المختلفة دون الأدب والفلسفة إلا بقدر ضئيل.

غير أن هذه الحركة الترجمية الفتية التي نمت و تطورت و بدأت تؤتي أكلها سائغاً لم يكتب لها الاستمرار ، إذ سرعان ما و جهت إليها ضربة قوية مباشرة بعد وفاة محمد علي، عندما أغلق خليفته عباس الأول معظم المدارس وألغى مدرسة الألسن بحجة الاقتصاد في النفقات، ونفى الطهطاوي إلى السودان مع جملة من كبار العلماء.

وعلى الرغم من المحاولات التي بذلها الولاة الذين جاءوا بعده (سعيد وإسماعيل) لإعادة المياه إلى مجاريها ، إلا أن الترجمة ظلت متعثرة مرتبكة لغياب القرار السياسي الحازم، و الهدف الموجه، و التشجيع اللازم. ثم خضعت الأمور بعد ذلك لمنطق الاستعمار البريطاني الذي بذل جهوداً مضنية لتغريب المجتمعات العربية، وقطع صلاتها بموروثها الثقافي، ولم تذهب جهوده سدى، فقد أسفرت سياسته عن ظهور جيل ما بعد الاستعمار الذي كان الانحياز إلى الغرب

و قطع الصلة بالتراث هو الطابع الغالب عليه ، و يمثل توجهه أصدق تمثيل طه حسين الذي دعا إلى اقتباس المدنية الغربية بخيرها و شرها و حلوها ومرها ، و على يد هذا الجيل انحرفت الترجمة عن مسارها الصحيح ، وألقت بكل ثقلها في ميدان الآداب والفنون الغربية كالقصة والمسرح والشعر والنقد، و قزمت التيار الذي يخدم ترجمة العلوم النظرية والتطبيقية.

ولم تستطع المجتمعات العربية . منذ أن نجحت في التخلص من الاستعمار الأوروبي . أن تضع مشروعا نهضويا واضح المعالم ، تسير على هداة لتتمكن من اللحاق بالركب الحضاري الغربي ، وكان طبيعيا أن يرافق هذا العجز عن الرؤية الواضحة للمستقبل فشل مواز في توجيه حركة الترجمة واستغلالها للعبور الآمن إلى خضم هذا العصر، فما هو واقع الترجمة في الوطن العربي ؟

الترجمة في الوطن العربي، الصورة والواقع:

إذا حاولنا تقييم مسيرة الترجمة في الوطن العربي . منذ نهاية عهد محمد علي الذي قوض الاستعمار أركان تجربته وفرغ البلاد العربية من إنجازاتها ومكاسبها . نجد أنها لم تتمكن . طوال مائة وخمسين عاما . من الإجابة عن التحديات التي يطرحها الواقع العربي ، ومازالت إلى حد الآن تتلمس طريقها إلى النور ، وتبحث عن المخرج الذي يمكنها من الإسهام بجدية وفعالية في بلورة مشروع النهضة العربي والانتقال به من مرحلة الشعارات إلى مرحلة الفعل الحضاري .

فمما لاشك فيه أن الترجمة في الوطن العربي تعيش أزمة خانقة لا تحتاج إلى تدليل لما نرى لها من مظاهر واضحة في حركة المجتمع ، وتعاني من مشكلات مختلفة على جميع الأصعدة انعكست سلبا على وضعيتها المزرية

مقارنة بحركة الترجمة في أرجاء العالم، سواء منها تلك التي تجري في الدول المتقدمة في شكل ممارسة آلية يومية لنقل إنجازات الآخرين إلى لغة العلماء والمتخصصين من أبنائها، أو تلك التي تتم في البلدان التي تزامنت انطلاقة نهضتها مع نهضتنا، والتي سبقتنا بأشواط بعيدة بينما لا نزال نراوح مكاننا .

وبالنظر إلى السرعة المذهلة في مظاهر التقدم العلمي والتقني على المستوى العالمي، وتقارب شعوب الأرض واشتباك مصالحها واتساع نطاق علاقاتها، برزت بوضوح المكانة المتدنية التي يقبع فيها الوطن العربي وسط عالم يموج بالحركة وبطفح بالنشاط، وتتنافس قواه لإحراز السبق الحضاري وتكوين قاعدة ثقافية عالمية تكون مرجعية لا غنى عنها للجميع.

وأصبح بديهياً أن الترجمة في العصر الحاضر هي الجسر الذي يصل العرب بالثقافات العالمية، واللبننة الأساسية في بناء ثقافتهم المعاصرة، والطريقة المثلى التي تمكنهم من المشاركة الفعالة في الحياة العصرية مع المحافظة على الأصالة والهوية العربية، لأن العصر عصر تفاعل مفروض وليس اختيارياً، وحيثما تفاعلت ثقافتان وكانت إحداهما قوية والأخرى ضعيفة، فإن الثقافة الأقوى تستوعب الأضعف وتمحوها مع الزمن¹²، لذلك كان خيار العرب الوحيد هو قبول التحدي والانتصار على الوافد باستيعاب أسرار قوته ومواكبته والسعي لتجاوزه بتوفير شروط الانتماء إلى العصر، ولا يختلف اثنان في أن الترجمة واحدة من أمتن الركائز التي يتم الاستناد إليها في هذه الحالة.

وتقديم عرض واف ودقيق لواقع الترجمة في الوطن العربي ليس أمراً يسيراً بسبب اتساع رقعته وتعدد أقطاره، وتفاوت حجم النشاط الثقافي بين قطر وآخر،

¹² محمد , شوقي جلال . " تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي " . ص 105

وعدم توفر مصادر رسمية وموثقة تعطينا معلومات إحصائية وافية عما يترجم وينشر في البلدان العربية، إلا أن هناك جملة من الوثائق التي ترسم لنا صورة قريبة نوعا ما من الحقيقة عن هذا الواقع.

ففي كتاب الخطة القومية للترجمة الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ورد أن إحصاء الكتب المترجمة من عام 1970 إلى 1975 في خمس دول عربية . هي الوحيدة المنتجة للكتب آنذاك . بلغ 872 كتابا بمعدل 175 عنوانا مترجما في السنة، وأن إحصاء الكتب المترجمة بداية من عام 1970 إلى غاية 1980 في ستة عشر دولة عربية بلغ 2840 عنوانا بمعدل 284 عنوانا مترجما في السنة¹³، بينما كانت اليابان في بداية القرن العشرين . على عتبة النهضة . تترجم سنويا حوالي 1700 عنوان ، وبلغ عدد الكتب التي ترجمتها عام 1989 م حوالي 270 000 كتاب¹⁴

وفي الكتاب السنوي الصادر عن اليونسكو عام 1992 أوضح أن عدد الكتب المترجمة في المملكة العربية السعودية عام 1985 بلغ 20 كتابا، وفي عام 1986 بلغ 13 كتابا، وفي الكويت بلغت أعداد الكتب المترجمة من عام 1984 إلى 1986 خمسة وخمسين كتابا، وفي مصر 276 كتابا ، وفي سوريا 143 كتابا وفي تونس 21 كتابا ، وفي المغرب 15 كتابا، هذا فضلا عن أن أكثر البلدان العربية حديثة العهد بنشاط إصدار الكتب، ناهيك عن الترجمة. بل

¹³ الخوري ، شحادة . " واقع حركة الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي " . مجلة الفيصل . ع 239 . سبتمبر / أكتوبر 1996 . ص 59 .

¹⁴ محمد ، شوقي جلال . " تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي " . ص 74

إن بعض هذه البلدان لاوجود لاسمها على خريطة صناعات الكتب لا تأليفها ولا ترجمة.¹⁵

وفي الكتاب السنوي الذي صدر عن منظمة اليونيسكو أيضا عام 1996 يظهر بوضوح الفرق الشاسع الذي يفصل العرب عن بلدان تشاركهم أو تتنافسهم في المسيرة الحضارية مادامت المقارنة مع البلدان الصناعية العظمى لا مجال لها هنا ، فهذا الكتاب يشير إلى أن مجموع بلدان الوطن العربي التي يبلغ تعداد سكانها أكثر من 250 مليون نسمة قد أصدرت عام 1992 ترجمة وتأليفا 6759 كتابا منها 548 في العلوم البحتة و 604 في العلوم التطبيقية تقابلها إسرائيل التي يبلغ تعداد سكانها 4.5 مليون نسمة ب 4608 كتابا منها 289 كتابا في العلوم البحتة ، و 231 كتابا في العلوم التطبيقية. وفي إسبانيا التي يبلغ تعداد سكانها أكثر من 39 مليون نسمة أصدرت 41816 كتابا منها 2512 في العلوم البحتة و 5873 في العلوم التطبيقية.¹⁶

وفي الكتاب نفسه ، تبين أن إجمالي الكتب المترجمة في الوطن العربي تمثل نسبة كتاب واحد لكل مليون نسمة ، بينما تمثل إسرائيل ما بين 93 و 76 كتابا لكل مليون نسمة مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق الشاسع في عدد السكان، وفي المجر تمثل هذه النسبة حوالي 108 كتاب لكل مليون نسمة وتعداد سكانها يفوق قليلا 10 ملايين نسمة، وفي إسبانيا حوالي 240 عنوانا لكل مليون نسمة في بلاد يبلغ عدد سكانها 39 مليون نسمة.¹⁷

¹⁵ المرجع نفسه، ص 78

¹⁶ المرجع نفسه ، ص 97

¹⁷ محمد ، شوقي جلال . " تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي " . ص 101

وتشير إحصاءات أخرى إلى أن إجمالي الترجمة في الوطن العربي لا يتجاوز عُشرَ 10/1 ما تنتجه البرازيل وهي دولة نامية يبلغ عدد سكانها نصف السكان العرب، ونصف 1/2 إنتاج إسرائيل ودولة صغيرة كبلجيكا، وعُشرُ ما تترجمه تركيا و 50/1 مما تترجمه اليابان.

وورد في كتاب الخطة القومية للترجمة الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن إجمالي الكتب المترجمة في الوطن العربي منذ عهد الخليفة المأمون وحتى يومنا هذا يصل إلى عشرة آلاف عنوان، وهو يساوي ما ترجمته إسرائيل في أقل من 25 سنة منذ قيامها، أو ما ترجمته البرازيل في أربع سنوات، أو ما ترجمته إسبانيا في سنة واحدة تقريبا.¹⁸

وعلى الرغم من الطرافة التي تحملها هذه الإشارة إلا أنها تعكس بصدق الواقع المعرفي البائس الذي يعيشه العرب في العصر الحاضر. ذلك أن أسلافنا في عهد المأمون قد توصلوا بوعيهم وجدهم واجتهادهم إلى إجراء مسح شامل للعلوم التي كانت بحوزة الأمم التي سبقتهم، وإذا كانت الكتب التي ترجموها قد بلغت المئات فإن المؤلفات التي وضعوها شرحا ونقدا وتمحيصا وإبداعا وابتكارا قد تجاوزت عشرات الآلاف. أما اليوم فإن الترجمة العربية مازالت تحبو في ميدان تتسابق فيه الأمم بسرعة الطائرات النفاثة.

ومما سبق، يتبين لنا أن الترجمة في الوطن العربي ضعيفة حتى في الأقطار التي كان لها فضل الريادة في هذا المجال، ومنعدمة تماما في دول أخرى مما يدل على عدم وجود وعي عربي بخطورة هذه القضية، وتأثيرها الواضح في عملية التغيير الحضاري التي ستنتقل الوطن العربي من حالة

¹⁸ المرجع نفسه . ص 102 .

الاستلاب الحضاري والتبعية الثقافية وما تجره من تبعية سياسية و اقتصادية إلى حالة الفعالية وإثبات الوجود.

الترجمة وإكراهات الواقع:

تعيش الترجمة في الوطن العربي مشكلات عديدة ناتجة عن حالة التعثر والارتباك التي تطغى عليها ، وتتعلق بجميع الميادين التي تتصل بها، يستوي في ذلك المترجم والمادة المترجمة ومن بين هذه المشكلات نذكر:

1 . غياب التخطيط والتنظيم:

تعاني الترجمة في الوطن العربي من ظاهرة الفوضى مع كل ما تحمل هذه الكلمة من معاني التفرق والارتجالية والعشوائية والفردية. فالكتاب المترجم لا يخضع لخطة واضحة في الانتقاء، بل غالبا ما يتم اختياره عن طريقين: الأول عن طريق المترجم الذي يكون قد اطلع عليه مصادفة، أو امتدح مضمونه أحد معارفه وأصدقائه، أو تكون له صلة باختصاصه أو هوايته، فيقرر ترجمته ليشركه غيره في الاستفادة منه، والثاني عن طريق الناشر الذي يتحمس لنشر كتاب مترجم، أو يكلف أحدا بترجمته بدافع جني الأرباح الوفيرة من ورائه، بعد أن يكون قد بلغه خبر رواجه في السوق، أو حاجة شريحة من القراء إليه، وغالبا ما يتحكم في هذه الاختيارات المقاييس التجارية التي تطغى على طبيعة عمل الناشرين، فتصبح نشاطات الترجمة خاضعة لذوق شخصي أو نفع مرتقب¹⁹.

¹⁹ الخوري , شحادة . " واقع الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي " . ص 58 .

والمترجمون الذين تتوجه إليهم سهام النقد، وتلقى على كاهلهم مسؤولية هذه الفوضى ، ليسوا هم دائما سببها المباشر، و لا يتحملون تبعاتها لوحدهم بل إن هذه الوضعية هي ثمرة طبيعية لحالة الضياع واللامبالاة التي تعيشها الترجمة في الوطن العربي. وإذا كان هناك من المترجمين من يستغلون مهنتهم هذه في الترويج للثقافة الاستهلاكية و كسب الأرباح من ورائها، فإن هناك إلى جانبهم شريحة من المبدعين المخلصين من ذوي الهمم العالية، الذين آلمهم واقعهم المتردي، وأحسوا بالالتزام نحو ثقافتهم ولغتهم فحاولوا جهدهم إثراءها من خلال الترجمة التي يمارسونها، علها تسد ثغرة أو ثغرات في الفراغ الهائل الذي تعاني منه المجتمعات العربية في هذا الميدان.

وعلى الرغم مما تحمله بعض الترجمات من قيمة علمية عالية، إلا أنها . في غياب الخطة الشاملة و الإطار المنظم الذي يدرجها في سياقها ويوجهها نحو غايتها . تذهب ضحية الفراغ المؤسساتي، وتبقى محرومة من أداء دورها المنوط بها في دعم مشروع النهضة العربية.

2 - قلة المترجمين المقتدرين:

إن الترجمة عمل شاق، تتطلب جهدا فكريا مركزا، ووقتا كافيا ومؤهلات ثقافية خاصة، وتضلعا في اللغة الأم و اللغات المترجم عنها، وذوقا فنيا مرهفا يلتمس مواطن البلاغة والسلاسة والجمال في كلتا اللغتين اللتين يتعامل معهما. وعلى الرغم من وجود مدارس ومعاهد تعلم فن الترجمة في عدد كبير من البلدان العربية إلا أن مستويات خريجها مازالت محل نظر، إذ يشتكي عدد من الباحثين من المستوى المتدني لبعض المترجمين والذي يتجلى في ضعفهم الثقافي ، وعدم تمكنهم من اللغة العربية مما جعل أعمالهم المترجمة تتميز بالركاكة

والضعف: >> لأن كثيرا مما يترجم يكتب بحروف عربية، ولكن روحه وصياغته ليسا بعريبتين<<²⁰، ويعبرون عن حاجة الوطن العربي الماسة إلى جيل جديد من المترجمين الخبراء المجيدين والمتخصصين ليخلف الجيل القديم الذي قدم ومازال يقدم نماذج مترجمة راقية وذات مستوى عال.

ويرى بعض الدارسين أن قلة الإطارات الكفؤة في مجال الترجمة لا تعود إلى قصور في التكوين العلمي فقط، بل هناك عوامل كثيرة تتسبب في استنزاف هذه الكفاءات، وحرمان ميدان الترجمة منها، مثل إسناد مناصب المسؤولية للمترجمين الحاذقين، فتمتص هذه المناصب كل جهودهم وأوقاتهم، ولا يجدون الوقت الكافي الذي يتيح لهم التفريغ للترجمة، وفي هذا خسارة كبرى للترجمة والثقافة العربية.

ومنها أيضا ميل كثير من المترجمين إلى تعاطي الترجمة الفورية عن طريق العمل في المؤتمرات الدولية، لأن ذلك يتيح لهم الحصول على مكافآت مغرية وبذلك أصبحت ترجمة الكتب التي تعد ضرورة حيوية وملحة تواجه منافسة شديدة من هذا الجانب الذي يكرس ضعفها وتأخرها: >> خاصة إذا علمنا أن البلاد العربية تجند كل ما لديها من كفاءات لغوية للعمل في المؤتمرات <<²¹. ومنها أيضا اضطرار المترجم بحكم عمله الإداري إلى أن يكون متعدد الخدمات: فهو مسؤول في الإدارة، وصحفي وكاتب ومحرر وفي الوقت نفسه مترجم، بل إنه قد يكلف بترجمة نصوص لا تمت إلى اختصاصه بصلة، فيجد نفسه مطالباً

²⁰ زيدان، يوسف. " الترجمة في التراث العربي: حركة الترجمة والنقل درس تاريخي ". بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية حول الترجمة في الوطن العربي. ص 59

²¹ بن عيسى، د. حنفي. " من أجل خطة عربية في الترجمة ". مجلة الثقافة. ع 55. ص 10، يناير. فبراير 1980. ص 81.

بترجمة نصوص سياسية وقانونية وأدبية وتقنية وعلمية فيخرج العمل المترجم رديئاً²². فهذه الأسباب وغيرها، تقف جميعاً وراء ضعف مستوى المترجمين بشكل عام، وندرة الأكفاء منهم بشكل خاص، لأنها تحول دونهم ودون تحسين مستواهم وترقية مداركهم، والارتفاع بنوعية العمل الذي يقدمونه.

وقد استطاع أسلافنا في العصر العباسي أن يتفادوا هذه المشكلة انطلاقاً من حرصهم الشديد على سلامة اللغة العربية، واعتنائهم بوضع المصطلحات المناسبة، وصياغة العبارات المترجمة في سياق عربي سلس، لا يتصادم مع الذوق ولا يخرج عن قواعد اللغة من خلال تضلع المترجمين في علوم اللغة التي ازدهرت في هذا العصر ازدهاراً كبيراً، وتمكنهم الواسع من المادة العلمية التي ينقلونها، مما أتاح لهم مجالاً واسعاً لوضع المصطلحات وإضفاء الثوب العربي الخالص على المادة المترجمة.

وكانت الترجمة في عهد محمد علي أيضاً نموذجاً حياً للترجمة الدقيقة والضبط العلمي والصحة اللغوية، لأنه اختار لها نخبة من رجال الأزهر المتمرسين في علوم اللغة وكلفهم بمراجعة النصوص المترجمة وتصحيحها، وإعادة كتابتها بلغة سهلة وواضحة: >> وكثيراً ما يجتمع المصححون مع المترجمين لمناقشة عبارات الكتاب الواحد، وفي مناقشتهم تلك يعتمدون إلى الرجوع إلى الأصل الأجنبي، وإلى ما بين أيديهم من معاجم قديمة حتى يتفقوا على الصورة النهائية... وبعد ذلك كله قد يطلب من المترجم نفسه أو من مترجم غيره أن يعيد ترجمة النص العربي إلى اللغة الأجنبية ثانية ليطلع عليه الأستاذ

²² المرجع نفسه، ص 81.

الأجنبي المتخصص في تدريس المادة ، فإذا وجد أن الأفكار سليمة، وأن المترجم متفهم للعبارات أجاز تحرير النص العربي وطبعه << .²³

وحل هذه المشكلة يكمن في انتقاء المترجمين انتقاء دقيقا يخضع لمراعاة المواهب والميول التي تعد الأساس الأول لتكوين المترجم الجيد، والعامل القوي الذي يعينه على تحمل مشاق الترجمة ومتاعبها.

3 . الاختلال في الأعمال المترجمة:

وتتجلى هذه المشكلة في أن أغلب الإنتاج المترجم في البلدان العربية تغلب عليه العلوم الاجتماعية والإنسانية في السياسة والأدب والتاريخ والنقد والدين، ويأتي بعدها في الترتيب كتب التسلية أو الكتب التعليمية التي تجلب الريح السريع لدور النشر، بينما الترجمة العلمية هزيلة جدا، وبعيدة عن أساسيات الفكر العلمي الذي يضع العرب على عتبة العصر، وكل ما يتصل بها هي كتب تتحدث عن نظم تشغيل أجهزة الكمبيوتر وإصلاح التلفزيون والفيديو والثلاجة²⁴، ولا أثر واضح للعلوم الطبية والبيولوجية والزراعية والعلوم الأساسية (علم الوراثة، الهندسة البيولوجية، المعلوماتية، علم الكمبيوتر والإلكترونيات)، وهي العلوم التي تشكل طليعة التكنولوجيا الحديثة وتصوغ ذهنية علمية إبداعية للإنسان، وتضعه في إطار معرفي لحضارة العصر على نحو يحفز إلى البحث.²⁵

²³ الشيال ، د . جمال الدين . تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي . دار الفكر العربي . القاهرة . ط 1

. 1951 . ص 20

²⁴ محمد ، شوقي جلال . " تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي " . ص 79 .

²⁵ المرجع نفسه ، ص 78 .

وقد صاحبت هذه الظاهرة حركة الترجمة العربية منذ أن قضي على مشروع محمد علي . كما أشرنا إلى ذلك سابقا . وظلت تلازمها إلى يومنا هذا، بل إنها قد ازدادت عمقا وتجذرا في الساحة الثقافية العربية، فالإحصاءات التي قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع اليونسكو عام 1976، بينت أن الكتب المترجمة ما بين سنوات 1970 و 1975 في خمس دول عربية بلغ مجموعها 872 كتابا، بلغت نسبة العلوم الاجتماعية والإنسانية والآداب منها 71.8 بالمائة، ونسبة العلوم الأساسية والتطبيقية 28.2 بالمائة مما يؤكد رجحان الاهتمام بالعلوم الاجتماعية والإنسانية والآداب على الاهتمام بالعلوم الأساسية والتطبيقية.²⁶

وفي عام 1986 قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أيضا بإحصاء ما ترجم إلى العربية خلال إحدى عشرة سنة من بداية 1970 إلى نهاية 1980 في ستة عشرة دولة عربية، فكانت النتيجة أن نسبة كتب الآداب والفلسفة والعلوم الاجتماعية والتاريخ والجغرافيا بلغت 70 بالمائة، في حين لم تتجاوز نسبة الكتب المتصلة بالعلوم الأساسية والتطبيقية 14 بالمائة.²⁷

ومازال هذا الواقع المختل، المضاد للتوجهات السليمة للترجمة العصرية، والمتناقض مع حاجات الوطن العربي يفرض نفسه إلى يومنا هذا، إذ تشير إحصاءات العشرية الأخيرة من القرن العشرين إلى أن الكتب التي تبشر بالأدب الغربي و الايديولوجيات الأجنبية والعلوم الإنسانية تبلغ نسبتها 87 بالمائة من مجموع ما ترجم إلى العربية في العصر الحديث.²⁸

²⁶ الخوري ، شحادة . " واقع حركة الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي " . ص 59 .

²⁷ المرجع نفسه ، ص 60 .

²⁸ زيدان ، يوسف . " الترجمة في التراث العربي : حركة الترجمة والنقل درس تاريخي " . ص 61 .

وليس هناك من تفسير منطقي لهذه الظاهرة الغريبة التي تطغى على حركة الترجمة في الوطن العربي سوى أنها تفتقر افتقارا شديدا للوعي الحضاري ، وتفتقد المنهج الهادي الذي يرسم لها سبيل الخلاص ، ذلك أن جميع التجارب التاريخية والحديثة على السواء أثبتت أن الأمم التي اقتحمت ميدان الترجمة لتبني كيانها الثقافي وتدعم وجودها الحضاري كلها ركزت . منذ بداية نهضتها . على العلوم البحتة والتطبيقية، ولم تكن العلوم الاجتماعية والإنسانية تجلب اهتمامها، أو تحظى منها بأهمية خاصة لارتباطها الوثيق بخصوصيات الشعوب وطبيعة تكوينها الاجتماعي .

والأمثلة على ذلك عديدة ، وأكثرها وضوحا حركة الترجمة العربية في العصر العباسي التي كانت مثلا يحتذى في الحس النقدي والعمل الانتقائي الحضاري، حيث تم التركيز بشكل أساسي على كتب الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والمنطق والفلسفة، ولم تترجم الإلياذة والأوديسة وعبون المسرح الاغريقي على الرغم من المكانة العظيمة التي كانت تحتلها هذه الآداب عند اليونان ، لأن العرب أدركوا أن هذه الآثار . مهما ارتقت في ذرى الإبداع . تخص اليونان وحدهم، وتعبير عن مكنوناتهم، ومنبثقة من أعماق تكوينهم النفسي والاجتماعي المتميز، والمخالف للتكوين العربي، و أن العلوم هي وقود التقدم وزاد الرقي. وقد تم . أثناء حركة الترجمة النشيطة . نقل بعض كتب العقائد المنحرفة والوثنية الضالة التي ترجمت في غفلة من أعين السلطة السياسية التي كانت توجه هذا العمل الحضاري، إلا أنها وجدت مقاومة جادة من المنقذين العرب لأنها تتعارض مع الأهداف العامة للترجمة ، ومنهم الجاحظ الذي انتقد بشدة بعض متكلمي النصارى وأطبائهم لأنهم ترجموا كتب المنانية والديصانية والمرفيونية فأفسدوا بها عقول العوام وفي ذلك يقول : >> لولا متكلمو النصارى

وأطبائهم ومنجموهم ما صار إلى أغبيائنا وظرفائنا ومجاننا وأحداثنا شيء من كتب المنانية والديصانية والمرقونية... ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها ومخبأة في أيدي ورثتها، فكل سخنة عين رأيناها في أحداثنا وأغبيائنا فمن قبلهم كان أولها <>.²⁹

ومثله في ذلك المسعودي الذي اتهم عبد الله بن المقفع بتسريب كتب العقائد الفاسدة إلى المسلمين لنشر الإلحاد بينهم حيث يقول : <> أمعن المهدي في قتل الملحدين والمداهنين في الدين لظهورهم في أيامه وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان ومرقيون مما نقله ابن المقفع وغيره وترجمه من الفارسية والفهلوية إلى العربية... <>³⁰ ، وهو الاتهام الذي أكده الخليفة المهدي في قوله: <> ما وجدت كتاب زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع <>.³¹

وهذا النهج نفسه هو الذي سلكه العلماء الغربيون حينما بدأوا بنقل كنوز المعارف الإسلامية التي أخرجتهم من نفق العصور الوسطى المظلمة فنقلوا علوم الطب والصيدلة والزراعة والحيوان، والحرف والصناعات والتجارة والمواصلات والمعادن والبصريات والكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافيا وعلوم البحار والملاحة، والفكر اليوناني الذي ترجمه العرب وشرحوه، والمنهج التجريبي الذي تجاوزوا به نطاق القياس الأرسطي والذي أحدث ثورة معرفية في صناعة الفكر، لكنهم وقفوا من خصائص الحضارة الإسلامية: <> موقف الحذر والشك، والرفض

²⁹ الجاحظ ، عمرو بن بحر . ثلاث رسائل للجاحظ . ص 20 .

³⁰ المسعودي ، مروج الذهب . ج 4 . ص 242 .

³¹ المرتضى ، أمالي المرتضى ، ج 1 . ص 134 .

والعداء, بعد أن عرضوه على خصوصيتهم الحضارية التي ميزت الحضارة الغربية وطبعتها بما ميزها, منذ تراثها اليوناني وحتى عصرها الحديث >>. ³²

وكذلك فعل محمد علي خلال العقود القليلة التي أتت له فيها أن يضع مشروعه النهضوي قيد التنفيذ. ويتوجيه منه عمل الطهطاوي على تنشيط:
>>حركة الترجمة العلمية التي أوجدتها الضرورة المدرسية, حتى يعرف المصريون العالم الأوربي, ثم أنشأ محمد علي مدرسة الألسن لتخدم هذه الحاجة, وعين رفاة ناظرا لها, ولم يلبث أن تأسس قلم للترجمة عام 1842 ... ولكن هذا كله كان في سبيل خدمة التيار العلمي الغربي, ولم تؤت الثمرة المرجوة من البعوث أكلها في ميادين الأدب والحياة الأدبية, بل ظلت مصر طوال النصف الأول من القرن الماضي (يقصد القرن التاسع عشر) لا تعنى إلا بالعلم الأوروبي سواء فيما تدرس أو فيما تترجم >>. ³³

وكان ذلك هو سبيل اليابان والاتحاد السوفياتي سابقا وغيرهما من النماذج العالمية التي أكدت أن قاطرة النهضة يجب أن توضع في سكة العلوم الأساسية والتطبيقية, ليتمكن المجتمع من صنع التاريخ, وأن العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب خصوصيات حضارية تتبع من أعماق الأمة لتعبر عن روحها التي تسري فيها وهويتها وشخصيتها ولا تستورد من الغير. وقد نبهت الشاعرة نازك الملائكة إلى ما تكتسيه التبعية العمياء في مجال الأدب والنقد من خطورة على مستقبل النقد العربي لغربة مصادر النقد الأوروبي عن البيئة العربية, وأكدت أنها كانت السبب الرئيسي وراء استسلام النقاد العرب للثقافة الأجنبية ومن ثم عجزهم

³² عمارة, د. محمد, الغزو الفكري وهم أم حقيقة. دار الشروق. بيروت, ط1. 1989. ص 249.

³³ ضيف, د. شوقي. الأدب العربي المعاصر في مصر. ص 23.

عن استغلال مواهبهم, واستنفار طاقاتهم الكامنة, وتفجير عبقرياتهم لإبداع نقد عربي أصيل: >> إن الناقد العربي اليوم يقف وقفة خشوع وتقديس أمام النقد الأوروبي ونظرياته الوافدة , وكأن ذلك النقد نموذج في الإبداع والعبقرية لا يمكن أن يصل إليه الفكر العربي إلا بالتقليد والاقْتباس والنقل. وفي غمرة هذه العقيدة الواهمة أغلق الناقد العربي الباب على منابع الفكر والخصوبة والموهبة في ذهنه, وراح يعترف من معين الأساتذة النقاد الأوروبيين دون أن يفتن إلى أن النقد الأوربي ينحدر من تاريخ منعزل انعزالا تاما عن تاريخنا <<³⁴.

وعندما اتخذت الترجمة في الوطن العربي اتجاها عكسيا, ولم تفرق تفريقا واضحا بين ما هو مشترك إنساني عام وما هو خصوصية حضارية, وقعت في أسر الآخر, وأجبرت الثقافة المحلية على تلقي ثقافة أجنبية عنها أفقدتها استقلاليتها وذاتيتها ولم تثمر سوى كائنات مشوهة لا هوية ولا انتماء لها : >> فمعظم ما يكتب في الدراسات الإنسانية أو غيرها عندنا لا يمكن اعتباره امتدادا لثقافتنا, بقدر ما يعد امتدادا بل تكرارا لهوامش الثقافة الغربية . فبعد كل ما ترجم منذ فجر النهضة العربية إلى الآن لا يمكننا الحديث مطلقا عن مدرسة عربية, لا في الفكر الفلسفي , ولا في الفكر الأدبي, ولا في الفكر الاجتماعي ولا في الفكر التربوي ولا في الفكر القانوني والسياسي ولا في الفكر الفني والجمالي, وكل ما هو متداول من أفكار في هذه المجالات المعرفية المختلفة ليس سوى انعكاس سريع للمعرفة الأجنبية <<³⁵.

4 - العجز عن ملاحقة التطور العلمي:

³⁴ الملائكة , نازك . قضايا الشعر المعاصر . مطبعة دار الكتب , بيروت , 1965 , ص 298 .

³⁵ العشي , د . عبد الله . " الترجمة إلى العربية من منظور حضاري " . مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية . جامعة باتنة . ع 2 , ديسمبر 1994 . ص 76 .

يكاد يتفق معظم الدارسين على أن الترجمة في الوطن العربي عاجزة عن ملاحقة الحركة العلمية العالمية التي تخطو في كل يوم أشواطاً واسعة، وتتجاوز معارف جديدة إلى أخرى أكثر جدة، وتتطور . في ظلها . الآليات والمناهج والنظريات تطوراً سريعاً مطرداً.

وفي غياب لجان عربية مختصة في رصد ما يصدر في العالم من كتب جديدة، تبقى حركة الترجمة خاضعة للمصادفة، ومتأخرة عن الركب العلمي، الأمر الذي يكرس حالة التخلف العام، ويربط العرب بالعصر على أساس أنه عصر أعاجيب ومعجزات، يستقبلون اختراعاته وابتكاراته في دهشة واستغراب، ثم يسارعون إلى استهلاكها في نشوة وحبور، لكنهم لا يحاولون إخضاعها للدراسة والتحليل .

وقد بينت الإحصاءات التي قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع اليونسكو، أن أغلب الكتب التي ترجمت إلى العربية بين سنوات 1970 . 1975 قد مرت عليها فترة زمنية هامة منذ ظهورها بلغتها إلى حين ترجمتها، تصل هذه الفترة أحياناً إلى 25 سنة كاملة، ولا تقل في أحسن الحالات عن خمس سنوات³⁶، مما يجعل القيمة العلمية لهذه الترجمات قليلة الفائدة نتيجة التطور السريع الجاري في هذه المجالات. وعلى الرغم من قدم هذه الإحصاءات إلا أن الأمور لم تتغير كثيراً خلال العقدين الماضيين.

5 - وقوع الترجمة تحت سلطة الآخر شكلاً ومضموناً:

³⁶ الحوري ، شحادة . " واقع حركة الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي " . ص 59 .

من الضروري أن تسبق حركة الترجمة إحساس لدى المجتمع بالحاجة إليها، وتحديد سابق لنوعية المادة التي ستترجم لتسد هذه الحاجة، ووعي تام بالمشاكل التي تعرقل مسيرة النهضة، والتي ستسهم حركة الترجمة في إزالتها لتسريع التنمية، ودعمها بكل جديد يثريها ويدفع بها إلى الأمام.

لذلك كانت الحاجة لدى العرب قديما دافعا قويا من دوافع الترجمة حيث استطاعوا أن يعوا أن حركتهم الحضارية بحاجة ماسة إلى مورد خارجي يغذيها لتتمكن من مواصلة العطاء الحضاري، وفي ضوء هذا الوعي حددوا بدقة ما تدعو الحاجة إلى ترجمته، على أساس أن >> ترجمة فكرة ما يعني محاولة حل مشكل ما <<. ³⁷

أما الترجمة في الوطن العربي اليوم فقد فقدت البوصلة الموجهة التي تستطيع بواسطتها أن تحدد ما هي في حاجة إليه فاختلفت عليها السبل وغلبت عليها الارتجالية والفوضى، لأن المشروع النهضوي العربي المتكامل الذي يرسم الخطوط العريضة للأسس التي يجب أن تركز عليها النهضة في انطلاقتها غائب، فغاب معه الدليل الموجه.

وبدل أن يحدد العرب نوعية العلوم والمعارف التي تضعهم في الطريق الصحيح المؤدي إلى التقدم. باعتبار أنهم أمة ذات تراث حضاري زاخر مكتفون ذاتيا في مجال الهوية والانتماء الذاتي. راحوا يتتبعون ما يثير اهتمام الغربيين ويشغل بالهم، فيتلقفونه ويحولونه إلى قضية شائكة تبحث عن حلول في أعمدة الصحف، وصفحات المجلات والكتب، ومنابر المؤتمرات تعبيراً عن مجازاة مزيفة للعصر، بينما المجتمع العربي مقطوع الصلة تماما بهذه القضايا التي تستنفذ

³⁷ العشي، د. عبد الله. " الترجمة إلى العربية من منظور حضاري ". ص 69 .

جهود مثقفية. وتحول الغرب . في ظل هذه الوضعية . إلى مركز بيدع, والعرب إلى طرف يستهلك, المركز يطلق فيضا من المعلومات التي تتدفق نحو الأطراف وهي تحصر همها كله في التعليق والتهميش والشرح والتلخيص .³⁸

وقد عبر حسن حنفي عن هذه الظاهرة تعبيراً واقعياً حين اعتبر أن إقحام المثقفين العرب لأنفسهم في قضايا أوروبية لا علاقة لمجتمعاتهم بها هي دخول في معارك خاسرة ليسوا أطرافاً فيها: >> كأن يتساءل المفكر العربي مثلاً: هل أنا عقلائي ضد الحسين ، أم حسي ضد العقلانيين ؟ هل أنا مثالي ضد الواقعيين أم واقعي ضد المثاليين؟... هل أنا ماركسي ضد الهيجليين أم هيجلي ضد الماركسيين ؟ ... معارك وهمية لا نهاية لها, طالما شغلنا أنفسنا بها ؟ ما علاقتنا بذلك ؟ ومن طلب رأينا في الموضوع ؟ ولماذا نحارب عن غيرنا وبسيوف غير سيوفنا ؟ <<³⁹ . ووجد العرب أنفسهم . في نهاية المطاف . يترجمون من موقف العاجز المتخلف الذي يسعى إلى معرفة ما يثير اهتمام الآخر⁴⁰ .

إن تجاوز الواقع والتحليق فوقه بترجمة ما لا تدعو الحاجة إليه يعيب حتماً نقلاً لمشاكل لا تواجهنا, والبحث عن مشاكل لطلول الآخرين, أو توهم مشاكل غير واقعية وهو دليل واضح على غياب الوعي : >> إذ لا معنى لمشكلة من

³⁸ حنفي , د. حسن . " علم الاستغراب .. ما هو ؟ " . مجلة الكرمل . ع 45 . 1992 . ص 134 . 135 .

³⁹ المرجع نفسه , ص 136 .

⁴⁰ الطويل , عبد السلام . " الأنا / الآخر : بعض مظاهر القصور في ميدان الترجمة " . مجلة فكر ونقد . س 3 ع22 . أكتوبر 1999 ص 75 .

المشاكل إلا داخل الحضارة التي نشأت فيها، أما خارج هذا الإطار فلا معنى لها على الإطلاق»⁴¹.

ولا يمكن للترجمة أن تكون رافدا ثقافيا مثمرا ما لم تكن قائمة على مشروع ثقافي يسعى إلى تطوير جوانب المجتمع وأشكال ثقافته، فإذا تمت في ظل التبعية وفي مجتمع يعيش على هامش التاريخ، يترجم ما يفرض عليه لا ما يريد هو، فإنها ستعمل على قذفه داخل تاريخ آخر هو تاريخ الثقافة المترجم عنها. وقد أشار العلامة الجزائري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى هذه المشكلة حينما تحدث عن أسلافنا العرب الذين وفقوا أيما توفيق في حلها فنقلوا: >> الفلسفة بجميع فروعها، والرياضيات بجميع أصنافها، والطب والهندسة والآداب والاجتماع وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة والحاضرة، وهذا هو التراث العقلي المشاع الذي لا يزال يأخذه الأخير عن الأول»⁴²، ولم يحاولوا أن ينتقلوا هم إلى خصائص هذه الحضارات بل نقلوها إليهم لتكون قوة لهم: >> ولو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية ولو وقع ذلك لتغير مجرى التاريخ الإسلامي برمته»⁴³.

لذلك فإن الترجمة لا تكتسب دلالتها متعددة المناحي إلا حين تكون مشروعا يفتش عن أسئلة طرحها عليه المجتمع الذي يعيش فيه، وفي هذه العلاقة لا تكون الترجمة ثقافة وافدة بل علاقة حميمة وتمتيزة في الثقافة الوطنية.

⁴¹ الخطيب، د. د. سليمان. فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي. منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي. بيروت . ط 1. 1993. ص 48.

⁴² الإبراهيمي، محمد البشير. آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط 1. 1978. ج 1. ص 261.

⁴³ المرجع نفسه. ج 1. ص 261.

عوامل تخلف الترجمة:

مما لا شك فيه أن هذه المشكلات التي تعاني منها حركة الترجمة في الوطن العربي تعود إلى جملة من الأسباب المختلفة والمتنوعة، والتي تضافرت فيما بينها لتسهم في عرقلة تطور الترجمة وفيما يلي محاولة لرصد أهمها :

1- غياب القرار السياسي: إن غياب القرار السياسي الذي يعطي للترجمة مكانة مركزية في المشروع الحضاري العربي يعتبر من أهم الأسباب التي تقف وراء تخلفها وتعثرها، لأن السلطة السياسية هي التي تملك في مثل هذه القضايا المصيرية حق التشريع والقدرة على التنفيذ، والصلاحيات الكاملة لرعاية هذه الحركة ومتابعتها وتقييمها، واستقطاب الإطارات الكفؤة التي تشرف عليها، واستصدار القوانين التي تحميها، ورصد الميزانيات التي تدعمها وتمولها.

وأجهزة الترجمة في البلدان المتقدمة أو تلك الطامحة إلى التقدم تابعة للدولة، تستمد منها مشروعية وجودها، وتتلقى منها التعليمات التي توجه النشاط الترجمي في السبيل الذي يخدم مشاريع التنمية في البلاد، ويغذي برامج النهوض بالمجتمع، وقد ثبت تاريخياً أن نجاح حركة الترجمة في أي مجتمع مرتبط إلى حد بعيد بالقرار السياسي الذي يضمن لها حداً معقولاً من الفعالية والاستمرارية.

ففي القرن الرابع قبل الميلاد جمع الاسكندر الأكبر ما وقع تحت يديه من معارف مدونة لمختلف الحضارات التي غزا بلادها وأمر بترجمتها إلى اليونانية ثم

أرسلها إلى أستاذه أر سطو في أثينا حتى أصبحت مكتبة أر سطو أضخم مكتبة في ذلك العصر.⁴⁴

وفي تاريخ الحضارة العربية الإسلامية لم تنشط حركة الترجمة وتؤدي أكلها الطيب إلا حين تبنها الخلفاء العباسيون، فعلى الرغم من أن بدايتها كانت في عهد بني أمية إلا أن فقدانها للدعم السياسي لم يعطها الزخم الذي عرفته فيما بعد وبقيت محصورة في دائرة ضيقة وفي حدود ما تسمح به إمكانيات الأمير خالد بن يزيد الذي كان فصيحاً، جيد الرأي كثير الأدب له همة ومحبة للعلوم.⁴⁵

غير أن الترجمة انتعشت واتسع نطاقها منذ أن تبنها الخليفة أبو جعفر المنصور: <<وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية، ومنها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السند هند، وترجمت له كتب أرسططاليس من المنطقيات وغيرها، وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الأثرماتيقي وكتاب أوقليدس >>.⁴⁶

وفي عهد هارون الرشيد ازداد نشاط هذه الحركة ازديادا مطردا بالنظر إلى الاهتمام الذي أولاه لها حين أنشأ <<بيت الحكمة >>، ووجد لها جيشا من

⁴⁴ إبراهيم ، أبو السعود . " الترجمة وحاجتنا إلى مركز عربي للترجمات العلمية والثقافية " . مجلة الفيصل . ع 167 . نوفمبر / ديسمبر 1990 ، ص 56 .

⁴⁵ ابن النديم ، الفهرست . تحقيق وتقديم : د. مصطفى الشومري ، دار التونسية للنشر . تونس . 1985 . ص

⁴⁶ المسعودي ، علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر . موفم للنشر . الجزائر . 1990 ، ج 5 ، ص

47 المترجمين والناسخين، وجلب لها الكتب من أنقرة و عمورية وبلاد الروم غيرها من البلدان التي فتحها المسلمون.

وبلغت هذه الموجة الحادة أبعد غاياتها في عهد المأمون، الذي شجع هذه الحركة أيما تشجيع. يقول ابن النديم: <>لما استظهر المأمون على ملك الروم كتب إليه يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وسلم صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل <> 48

وقد أشار أحد الدارسين إلى الدور الأساسي الذي يلعبه القرار السياسي في بعث الترجمة أو خمولها حين تحدث عن حنين بن إسحاق، فعلى الرغم من أنه كان عالما فذا، و مترجما بارعا إلا أن جهوده كانت تخضع لمدى استجابة الخليفة: <> وإذا نظرنا عن قرب إلى حنين بن إسحاق باعتباره أكبر مترجمي الحركة وأكثرهم إنتاجا في هذا الميدان، وجدنا المؤسسة الرسمية هي الخليفة التي تحرك الرجل خلالها... فإذا نشطت المؤسسة توالى المترجمات، وإذا ضعفت بيت الحكمة أو تغير قلب الخليفة على حنين توقفت الجهود <> 49

وفي عهد محمد علي أيضا كانت الترجمة تتم تحت إشرافه المباشر وبدعم قوي منه، وكان يتابع مسيرتها و يختار أنواع العلوم التي ستنترجم و

47 ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء. طبعة القاهرة. ص 65.

48 ابن النديم، الفهرست، ص 339

49 زيدان، يوسف. " الترجمة في التراث العربي: حركة الترجمة والنقل، درس تاريخي " . ص 45-46.

يحرص حرصاً شديداً على أن توضع قيد التطبيق فور انتقالها من لغتها إلى اللغة العربية، على أيدي الرجال الذين اختارهم لتنفيذ بنود مشروعه النهضوي.

وتذكر كتب التاريخ أن اليابان في بداية نهضتها الحديثة قد أوكلت حكومتها إلى مؤسسة هولندية مقيمة باليابان مهمة الاضطلاع بأعباء إنشاء حركة ترجمة واسعة النطاق تنقل إليهم إنجازات أعلام الفكر والعلم في أوروبا، وعقدت . في الوقت ذاته . إتفاقات عديدة مع كبرى دور النشر العالمية لإصدار طبعة باللغة اليابانية من إصدارات هذه الدور حال صدورها بلغتها الأصلية.⁵⁰

وحين ظهر الاتحاد السوفياتي سابقاً إلى الوجود وضع لينين استراتيجية شاملة للترجمة عن طريق إيجاد جهاز للترجمة يضم أكثر من مائة ألف مترجم لنقل علوم الغرب إلى اللغة الروسية، وكان يشرف بنفسه على هذا الجهاز الذي حقق المعجزة، فأصبح الاتحاد السوفياتي موطناً للإنجاز العلمي ، وكان يضم قبل انهياره قرابة مليوني مترجم عن جميع لغات العالم .⁵¹

أما الترجمة في الوطن العربي فإنها لا تجد الرعاية والحماية الكافيتين اللتين يوفرهما القرار السياسي، ويتيح لها الجو الملائم للنمو والتطور والاستمرارية لتتمكن من خدمة مشروع التنمية العربية.

2 - غياب الخطة الإستراتيجية حول وظيفة الترجمة: تفتقر الترجمة في الوطن العربي إلى رؤية واضحة وهادفة تستوعب الواقع العربي وتلم بقضاياه، وتضبط التحديات الماثلة أمامه من خلال الوعي التام بالواقع الإقليمي والعالمي من حوله. فهذه الرؤية الاستراتيجية هي التي ستحدد الوظيفة الحضارية التي ستقوم بها

⁵⁰ محمد ، شوقي جلال . " تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي " . ص 74

⁵¹ المرجع نفسه ، ص 74 .

الترجمة كركن هام من أركان النهضة، وستقدم أيضا الإجابة الشافية حول: ماذا نريد؟ وماذا سنترجم؟ ولماذا؟

وبغياب هذه الرؤية الاستراتيجية غابت معها الخطة الشاملة التي تتكفل برسم الأهداف القريبة والوسيلة والبعيدة لحركة الترجمة في الوطن العربي، ويتبنى منطق الأولويات، وباعتماد سياسة المراحل في إطار من الواقعية والأصالة والنفث، مما أوقع الترجمة في الاضطراب والفوضى فتفرقت بها السبل، وعجزت عن إيجاد نشاط اجتماعي هادف يسهم في الانتقال بالمجتمع من حال إلى حال، أي من طور التخلف إلى طور النهوض في ضوء رؤية مستقبلية مدروسة تعبر عن التوجه الفكري والتنموي للمجتمع.⁵²

3- ندرة المؤسسات: من خلال دراستنا لمشكلات الترجمة في الوطن العربي يتضح لنا أن من أهم الأسباب التي تقف وراء هذا التخلف هو قلة المؤسسات المهتمة بعملية الترجمة. وهذا السبب مرتبط إلى حد بعيد بالسببين الأولين. فعلى الرغم من وجود عدد من المؤسسات في الدول العربية المختلفة إلا أنها لم تستطع أن تغطي حاجة الوطن العربي إلى حركة ترجمة نشيطة بسبب قلتها مقارنة باتساع مساحته، وبسبب العوائق الكثيرة التي تعرض سبيلها وتحول دون أدائها لدورها المنوط بها.

ففي مصر مثلا هناك دار المعارف للطباعة والنشر، ولجنة التأليف والترجمة والنشر، ولجنة النشر للجامعيين، ودار الهلال، ولجنة الترجمة التابعة للمجلس الأعلى للثقافة والمجلس القومي للثقافة والفنون والإعلام، والمركز القومي

⁵² محمد، شوقي جلال، " تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي " . ص 81 .

لثقافة الطفل والهيئة المصرية العامة للكتاب⁵³، وكلها صاحبة مشاريع طموحة في مجال الترجمة، ولديها رصيد من الكتب المترجمة غير أنها ليست مقيدة بخطة عامة توجهها.

وفي سوريا هناك المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف الذي يعاني من ضعف الميزانية، واضطراب توزيع إنتاجه على الرغم من قلته، ومركز الدراسات والبحوث العلمية، والجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، ومديرية التأليف والترجمة التابعة لوزارة الثقافة السورية، ومعهد التراث العلمي العربي ومجمع اللغة العربية.⁵⁴

وفي تونس توجد الجمعية المعجمية العربية، والمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية، وبيت الحكمة التابع لوزارة الشؤون الثقافية. وفي المغرب توجد الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر التي تعنى بترجمة التراث المغربي، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة والتي تعنى بإعداد وتخريج مترجمين متخصصين، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط، ومؤسسة الملك عبد العزيز للعلوم والدراسات الإسلامية والإنسانية.⁵⁵

وفي الكويت مؤسسات نشيطة تعد نموذجا جيدا للمؤسسات الترجمة الناجحة، وخاصة منها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الذي تصدر عنه سلسلة " عالم المعرفة " شهريا وتتضمن أعمالا مترجمة علمية، ومجلة عالم

⁵³ المرجع نفسه ، ص 91 .

⁵⁴ المرجع نفسه ، ص 93 .

⁵⁵ المرجع نفسه ، ص 94 . 95 .

الفكر، وسلسلة كتاب " المسرح العالمي "، ومنها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي التي تضم إدارة الترجمة والتأليف والنشر، وتعمل على دعم المكتبة العربية بالمراجع والدراسات والمعاجم والمخطوطات والمجلات ويصدر عنها: كاتب وكتاب، قواميس علمية متخصصة، مجلة التقدم العلمي، كما تمنح جائزة سنوية لأفضل كتاب مترجم على المستوى العربي،⁵⁶ وقد أتاح لها الدعم المادي الجيد الاستمرارية، وضمن لها مردودا جيدا في مجال الترجمة.

وهناك دول عربية تتعدم فيها هذه المؤسسات، وهذا يعني غياب التنسيق بين الدول العربية وتفاوتها تفاوتا بينا في المجال المؤسسي، الأمر الذي يدفع حركة الترجمة دفعا إلى العمل الفردي الذي لا يغني شيئا في هذا المجال لأن مشروع الترجمة مشروع ضخم وعمل حضاري كبير لا يمكن أن يضطلع به فرد أو مجموعة أفراد أو حتى دولة عربية لوحدها، بل هو حاجة حضارية وموقف إيديولوجي يسعى إلى الإسهام الفعلي في رفع التحديات الثقافية التي تواجه المجتمعات العربية، وبالتالي لا بد له من مؤسسات قوية تتعاون وتتكامل فيما بينها وفق خطة شاملة لتحمل هذه المسؤولية التاريخية.

الترجمة وتصورات المستقبل:

لقد تبين لنا من خلال استعراضنا لواقع الترجمة في الوطن العربي والمشاكل العديدة التي تتخبط فيها أنها مازالت. بعد مرور أكثر من قرنين كاملين على بداية النهضة. تسير في طريق ملتوية كأنها متاهة لا بداية لها ولا نهاية. وقد انعكست هذه الحالة على الواقع العربي بشكل سلبي برز بوضوح في

⁵⁶ المرجع السابق، ص 89.

حالة التخلف العام التي تزداد حدة على مر الزمن، وتزداد معها الفجوة المعرفية اتساعا بيننا وبين العالم المتقدم .

ومادامت الترجمة هي خيارنا الوحيد لمد الجسور بيننا وبين العلوم العصرية حتى يتم لنا استيعابها وتهيئة سبل الإفادة منها على جميع المستويات لتعويض عقود التخلف ، والانتصار في صراعنا ضد الفقر والجهل والمرض، فإن الاهتمام بها بات أمرا حيويا ، وضرورة ملحة لا تحتل التأخير، إلا أنها تعتمد اعتمادا كبيرا على الوعي العام لدى جميع أفراد المجتمع، إذ يتحتم عليهم المشاركة مشاركة فعلية في دفع حركة الترجمة، وإعطائها زخما قويا لتكتسي الطابع الاجتماعي الذي يعبر عن إرادة المجتمع كله في السير نحو التقدم، وذلك بالقضاء على الكسل والخمول والتواكل، ونبذ السلوك الاستهلاكي، والعزم على التحدي لإثبات الذات، والاستعداد لإنتاج المعرفة والتغلب على عقدة النقص تجاه الآخر، مما يساعد على استنفار الطاقات الذاتية والإحساس بالاستقلالية ، ويوسع مجال الرؤية الواضحة ليتم في ضوئها تحديد الاحتياجات، وضبط الأولويات، ووضع الخطوة الأولى في الطريق الصحيح نحو مستقبل آمن ومزدهر .

إن المبادرات التي يشهدها الوطن العربي في مجال الترجمة تعبير عن القلق الدائم الذي ينتاب المثقفين العرب، والتوتر الذي يؤرقهم حيال الوضع الذي يعرفه هذا القطاع الثقافي الهام، وهي صرخة استغاثة لتدارك الأمر قبل فوات الأوان، وتهيئة للطريق الشائك الذي يتوجب على المجتمع أن يسير فيه ليردم الهوة السحيقة التي تفصله عن علوم العصر .

وحتى تؤتي هذه المبادرات أكلها، وتستنثمر هذه الجهود استثماراً عقلانياً

يلزم توفير جملة من العناصر والشروط الموضوعية لدعم الواقع الراهن وتجاوز سلبياته في انتظار أن تتكون جبهة عربية موحدة تتبنى مشروعاً ترجمياً رسمياً وهادفاً، يعمل على تعبئة الطاقات الاجتماعية والثقافية لخدمته وتحقيق أهدافه. ومن بين الحلول التي نرى أن بإمكانها تحسين وضعية الترجمة في الوطن العربي والارتقاء بنوعيتها ومضمونها نقترح ما يلي:

1 - اعتماد خطة إستراتيجية شاملة: إن أهم ما نستخلصه من الواقع المتردي الذي تعرفه الترجمة في الوطن العربي هو الشعور المتزايد لدى المثقفين بالحاجة إلى خطة استراتيجية شاملة ودقيقة تنظم الجهود التي تبذل لتطوير الترجمة. إذ يشتمل الباحثون والدارسون والمتخصصون في هذا المجال من مدى التخطيط الذي نجم عن فقدان هذه الخطة. وعلى الرغم من تقديرهم للجهود التي تبذلها مختلف الهيئات الثقافية و المؤسسات العلمية وبعض الأفاضل من العلماء لتطوير المستوى النوعي والكمي للترجمة، إلا أنهم ظلوا يؤكدون في مختلف المناسبات أن غياب هذه الخطة المدروسة على المستوى العربي العام هو السبب في عجز هذه الجهود عن إحداث نقلة نوعية وهامة في مسار الترجمة العربية بحيث ترقى إلى مستوى طموحات المجتمع العربي المعاصر وتطلعاته.

إن العكوف على إعداد خطة استراتيجية شاملة للترجمة العربية ذات محاور واضحة مؤسسة على بيان حالة الترجمة وموقعها من النهضة ودورها في التنمية الثقافية الشاملة، في ضوء التجارب العالمية الحديثة مع الاستفادة من دروس الماضي القريب لتجاوز سلبياته والانتفاع بإيجابياته، والتزام السلطة السياسية بتبني هذه الخطة وضمن التطبيق الصارم لها، سيزيح عقبة من أكبر العقبات التي تعرقل الترجمة في الوطن العربي، وسيلم شمل المترجمين وينظم

جهودهم ويوجهها نحو الأهداف المرسومة, ويغلق الأبواب في وجه الممارسات العابثة التي تجد متعتها في ترجمة الأعمال التافهة, الموجهة للتسلية وإزجاء الوقت والاستهلاك السريع , بينما المجتمع العربي يعيش تحت وطأة التبعية الثقيلة في جميع المجالات الاستراتيجية.

2 - اعتماد العمل المؤسسي: إن القصور السائد في الوطن العربي في مجال الترجمة, ومقتضيات النهضة التي تستلزم نقل أنواع مختلفة من المعارف التي ستجعلنا نقرب من العصر, واحتياجات المجتمعات العربية العسيرة والمعقدة, كلها تتطلب حركة ترجمة نشيطة تستوعب جزءا من فيض المعلومات والمعارف التي تتدفق كل يوم من العالم المتقدم, وهذه الحركة بحاجة حتما إلى أموال طائلة, وجيوش من المترجمين الأكفاء المؤهلين وعلاقات مميزة مع دور النشر والجامعات العالمية والهيئات الثقافية و السلطات العامة, ولا يمكن لفرد أو أفراد أو مجموعات بسيطة أن تحمل على كاهلها عبء هذه المسؤولية الجسيمة, فالمؤسسات وحدها هي التي بإمكانها الاضطلاع بهذه المهام لتقوم بواجبها على أحسن وجه, بما يتوفر لها من نظام إداري وتوزيع دقيق للأعمال, وصبغة رسمية تدعم موقفها واتصالاتها الكثيرة و الواسعة.

3 . ضرورة التنسيق العربي : وذلك بإنشاء هيئات خاصة بالترجمة في جميع الدول العربية تراجع النصوص, و لا تخرج إلا الصالح منها, وأن يتم التنسيق بين هذه الهيئات فلا يترجم النص أكثر من مرة في أكثر من دولة ويكفي ترجمة واحدة جيدة للنص الواحد تتداولها الدول العربية, وبذلك تتوحد الجهود وتتلاقى بعثرتها, وهذا يتطلب العمل على تمثين صور التنسيق بين الجامعات العربية والهيئات المختصة, كما يقع على كاهل هذه الهيئات جمع البيانات الكاملة عن الترجمات الجاهزة لبعض الكتب والدوريات والبحوث العلمية والنشرات, ووضعها في كشاف بطاقي يشتمل على اسم مؤلف البحث أو المقال الصلي والعنوان

الأصلي والعنوان المترجم وغيرها من البيانات البيبليوغرافية، وتوزيعها على المراكز المهتمة حتى تساعد الباحثين على معرفة الترجمات الجاهزة وأماكنها للرجوع إليها وقت الحاجة ويتم إعداد هذه القوائم سنويا، لأن غياب الإحصاءات الرقمية والبيبليوغرافية عن نشاط الترجمة إلى العربية، وغياب الأدلة عن المترجمين العرب يعد واحدا من المشكلات العويصة التي تقابل الباحثين والمختصين، وتقف حجر عثرة أمام العاملين في هذا الحقل لأنها تحرمهم من الحصول على الوثائق التي تصور لهم الواقع العربي، فتظل الصورة غامضة وضبابية في أذهانهم، بحيث يعجزون عن رسم خطة مستقبلية سليمة.

وهذا يستلزم أيضا إصدار ثبت بيبليوغرافي متكامل للأعمال المترجمة على مستوى الوطن العربي، مع إصدار كشافات له بالعنوان الأصلي للأعمال المترجمة، وكشاف بالمؤلفين، وكشاف بالموضوعات، وكشاف بالعناوين بالعربية، وكشاف بأسماء المترجمين، وسيكون هذا الثبوت بمثابة وثيقة حية عن حركة الترجمة العربية في مدة معينة، مما يتيح للمشرفين عليها والقائمين على مؤسساتها في مختلف أقطار الوطن العربي تقييم نوعية وكم الكتب المترجمة، ومدى مطابقتها للأهداف العامة لمشاريع التنمية العربية، وتحديد المجالات التي مازالت تعاني من القصور لسد النقص الحاصل فيها مستقبلا.

4 - حرية تنقل الكتاب المترجم: عن طريق تخفيض سعره باستعمال شتى التقانات الحديثة في كل مراحل العمل بدءا من عملية الترجمة إلى النشر بشتى الوسائل سواء بالنصوص المطبوعة أو المسجلة على أقراص صلبة أو في شبكة الأنترنت، والتوزيع على أوسع نطاق ليستفيد منه أكبر عدد ممكن من المهتمين في جميع أنحاء الوطن العربي

5 - إعداد وتكوين المترجمين الأكفاء: باستخدام أفضل الطرق الحديثة في تعليم اللغات ، وتشجيع الطلبة على ممارسة الترجمة الثقافية في المجالات التي يحسنونها. ويرى أحد الدارسين أن إعداد المترجم الكفاء لا يجب أن يترك للمصادفة والمجهود الشخصي في هذا العصر الذي يبني أموره كلها على التخطيط والإعداد المسبق ، وهو يقترح أن تتولى الجهات المسؤولة في مجال التعليم الاهتمام بالموهب اللغوية مباشرة بعد انتهاء المرحلة الثانوية لتوجيه الموهوبين إلى فرع اللغات وتدريبهم على أحسن الأساليب وأحدثها ثم توزيع الراغبين منهم في دخول ميدان الترجمة على التخصصات المختلفة حسب فروع المعرفة: الآداب، العلوم الاجتماعية، علوم الطب، التكنولوجيا وحسب ميولهم . كما شدد على عدم الاقتصار على فترة التكوين الأولى ، بل العمل على أن يستكمل المترجم تدريبه طوال حياته بالمشاركة في الدورات التدريبية وحضور الندوات مع زملائه في المهنة ، والاستعانة بأحدث المعاجم المتخصصة⁵⁷.

ذلك أن الترجمة في الوطن العربي يجب أن تكتسي طابع العمل الحضاري الراقى الذي يتناسب مع ضخامة المشروع الحضاري العربي وخطورته، وهذا يتطلب التدقيق في تجنيد الكفاءات التي ستسلم هذه المهمة الصعبة والنبيلة في الوقت ذاته، حتى لا ترتبك مسيرتها، ويشوبها القصور والضعف في المستوى .

6 - الاهتمام بحقوق المترجمين والحفاظ عليها ومكافأتهم على قدر جهودهم : ذلك أن المترجم العربي يعاني معاناة شديدة من الإهمال و غمط حقه، وعدم تقدير الجهد الذي يبذله، لأن الناس كانوا ولا يزالون يظنون أنه لا ينتج، بل هو ينقل الكلمة من لغة إلى أخرى بناء على معرفته باللغتين، بينما الترجمة نوع من أنواع الإنتاج الفكري الذي يتطلب جهدا نفسيا، وتفريغا تاما، وتوظيفا للقدرات

⁵⁷ابن عيسى ، حنفي . " من أجل خطة عربية في الترجمة " مجلة الثقافة . ص 86 - 88

العقلية المختلفة حتى يخرج النص المترجم صورة حية للنص الأصلي ، وليس شكلاً مشوهاً عنه، ولكي يتمكن المترجم من تجاوز الحدود التي تفصل بين لغة ولغة بنجاح فإنه يفرغ خلاصة فكره، ويستفرغ جهده حتى يصل إلى نتيجة مرضية: >> فالترجمة عمل شاق، لذا يستحق من يصرف جهده إليها وينفق وقته في ممارستها ، أن ينال ما يتكافأ مع جهده المبذول ، ووقته الذي قضاه باحثاً ومنقبا عن الألفاظ والعبارات التي تجعل النص بالإنجليزية أو الفرنسية أو بغيرهما من اللغات نصاً عربياً يستسيغه القارئ و يستجلي معانيه من دون صعوبة <<58.

ومادام المترجم مطالباً بالترجمة الجيدة ، فهو بحاجة للتفرغ لها ، الأمر الذي يستلزم تكفل الجهة المعنية بضمان رزقه ، ودفع أذى الحاجة عنه: >> إن الأجور التي تدفعها المؤسسات العامة والخاصة للمترجمين باسم تعويضات أو جوائز ما تزال حتى الآن غير مجزية ودون الحد المطلوب ولاسيما أن هؤلاء المترجمين إنما يؤدون عمل الترجمة في أوقات راحتهم، إذ أنهم في كثرتهم الغالبة يقومون بأعمال أخرى لأنهم غير متفرغين للترجمة <<59.

وإذا لم يجد المترجم الاعتراف الذي يتناسب مع ما يبذله من الجهد فسوف يضطر تحت ضغط الحاجة إلى بيع قلمه ، فيترجم ما يفرض عليه من جهات تجارية ، وهو يحس في أعماق نفسه أن هذه الترجمات للدعاية أو للشهرة وأنها من سقط المتاع ، ومن قبيل الثرثرة التي لا تجدي نفعاً⁶⁰.

⁵⁸ الخوري ، شحادة . " واقع حركة الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي " . مجلة الفيصل . ص 61

⁵⁹ المرجع نفسه ، ص 61

⁶⁰ ابن عيسى ، حنفي . " من أجل خطة عربية في الترجمة " مجلة الثقافة . ص 78

وبالحفاظ على حقوق المترجمين نكون قد قطعنا خطوة نحو انتقاء كوكبة من المترجمين القادرين من ذوي المؤهلات العالية للتفرغ للترجمة فقط وفي ذلك تشجيع لهؤلاء المنشطين الثقافيين لتستمر عجلة عملهم، وكسب كبير للثقافة العربية.

يجب أن نعي جميعاً أن المترجم يبذل جهوداً لا تقل عن إعداد بحث علمي أو تحقيق مخطوط، وأن الترجمة في الوطن العربي ما تزال قليلة الأجر، محدودة المكافآت لا تشجع الكثير على الاختصاص فيها وهذه ثغرة من الثغرات المتعددة التي تكرر ضعف الترجمة وتعرقل تقدمها.

7 - مساندة الركب العلمي العالمي: وذلك بتكوين لجان عربية تهتم برصد ما يصدر في العالم، وفرزه وتقييمه، ثم تقديم قوائم مقترحة عما يجب ترجمته بما يتناسب والخطة الشاملة المرسومة لخدمة توجهات الوطن العربي التنموية.

قائمة المصادر والمراجع:

1 . الكتب

. الإبراهيمي، محمد البشير

1. آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر . ط 1 . 1978. ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد بن القاسم,
2. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق وشرح: نزار رضا . دار مكتبة الحياة . بيروت. 1965
. الجاحظ, عمرو بن بحر
3. ثلاث رسائل للجاحظ. تحقيق ونشر فنكل ، المطبعة السلفية، القاهرة . 1344 هـ .
- . ابن جلجل، أبو داوود سليمان بن حسان.
- 4 . طبقات الأطباء والحكماء. طبعة القاهرة.
. الجندي, أنور
- 5 . خصائص الأدب العربي. دار الكتاب اللبناني . بيروت. د. ت .
. أبو حمدان, سمير .
- 6 . رفاة رافع الطهطاوي رائد التحديث الأوروبي في مصر. الشركة العالمية للكتاب دار الكتاب العالمي بيروت, ط 1 . 1993.
. خورشيد, إبراهيم زكي
- 7 . الترجمة ومشكلاتها . الهيئة المصرية للكتاب . القاهرة، 1985.
. الدسوقي، عمر .
- 8 . في الأدب الحديث . دار الفكر العربي . القاهرة ، ط7، 1966 .
. الشيال ، جمال الدين .
- 9 . تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط 1 ، 1951 .
. ضيف، شوقي .

- 10 . الأدب العربي المعاصر في مصر . دار المعارف القاهرة . ط 6 ،
1976.
- 11 . العصر العباسي الأول . سلسلة تاريخ الأدب العربي رقم 3 . دار
المعارف . القاهرة ، ط 9 ، 1986 .
. عمارة، محمد .
- 12 . الغزو الفكري وهم أم حقيقة . دار الشروق . بيروت، ط 1 ، 1989
. المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي .
- 13 . أمالي المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد . تحقيق: محمود أبو
الفضل إبراهيم . دار الكتاب العربي . بيروت ، ط 2، 1967 .
. مركز دراسات الوحدة العربية .
- 14 . الترجمة في الوطن العربي: نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة . مركز
دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط 1 ، فبراير 2000 .
. المسعودي، أبو الحسين بن علي .
- 15 . مروج الذهب ومعادن الجوهر . موفم للنشر . الجزائر، ط 1، 1990 .
. الملائكة ، نازك .
- 16 . قضايا الشعر المعاصر . مطبعة دار الكتاب . بيروت ، 1965 .
. ابن النديم ، محمد بن إسحاق .
- 17 . الفهرست . تحقيق وتقديم: مصطفى الشويمي . الدار التونسية للنشر .
تونس، 1985 .

2 . الدوريات

- 18 . الثقافة . س 10 . ع 55 . يناير . فبراير 1980 . الجزائر .
- 19 . عالم الفكر . مج 29 . ع 3 . يناير . مارس 2001 . الكويت .
- 20 . فكر ونقد . س 3 . ع 22 . أكتوبر 1999 . المغرب .

- 21 . الفیصل . ع 118 . ديسمبر 1986 الرياض السعودية .
ع 167 . نوفمبر ، ديسمبر 1990 .
ع 239 . سبتمبر ، أكتوبر . 1996 .
22 . الكرمل . ع 45 . . 1992 .
23 . مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية . ع 2 . ديسمبر 1994 . جامعة
باتنة .
24 . الوحدة . س 3 . ع 31 / 32 . أبريل ، مايو 1987 . المغرب .
س 6 . ع 61 / 62 ت أكتوبر ، نوفمبر 1989 .
س 10 . ع 105 . يناير ، مارس 1994 .

واقع الترجمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

د. محسن عقون

كلية الآداب واللغات قسم اللغات - جامعة منتوري قسنطينة

مقدمة

إن الاتجاه العالمي المعاصر اليوم ينهض على أساس تجاوز الحدود التقليدية التي كانت تفصل ما بين العلوم التي أصطلح على تسميتها بالاجتماعية وتلك التي أصطلح على تسميتها بالإنسانية، ويرتكز هذا المزج على أساس أن الظواهر الاجتماعية إنما تتوقف بالدرجة الأولى على الصفات الإنسانية وسلوكياتها، كما أن العلوم التي تدرس سلوكيات الإنسان هي بالضرورة اجتماعية، بحكم أن ذلك الإنسان يحيا و يتفاعل في مجتمع.

غير أن ما أريد التطرق إليه في مداخلتني المتواضعة هذه يندرج تحت محور واقع الترجمة في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية وبسبب جملة العلوم

التي يحويها كل من هذين العلمين /الإنساني/ والاجتماعي/ أود فقط التطرق إلى واقع الترجمة في العلوم الاجتماعية وبالخصوص في ميدان علم الاجتماع ، وذلك بصفتي متخصصا في هذا المجال، ولي بكل تواضع تجربة لا بأس بها في هذا الميدان وخاصة في ترجمة المصطلح في علم الاجتماع.

وتعتبر إشكالية المصطلح إحدى المشاكل القائمة والشائكة في واقع الفكر بصفة عامة وفي واقع الفكر العربي الحديث بصورة متميزة، وفي تصوري إن ما يلفت انتباهنا من كل ذلك على وجه الخصوص، هو أن قضية المصطلح العلمي الاجتماعي (السوسيولوجي) كثيرا ما اقترنت بجملة من الاعتبارات والتقديرات الموضوعية والذاتية التي أدت إلى غموض ولبس في الأمور على أصحاب الفكر العلمي الموضوعي.

إن مشكلة أو مشكل المصطلحات في الميدان الاجتماعي (السوسيولوجي) لما كان قرينا بمعضلة التعريب في حقل العلوم والمعارف قاطبة وخاصة العلوم الاجتماعية فقد التبست وتداخلت به أمور كثيرة وعديدة ، من قضايا الفكر ، وإن كانت في اعتقادي فقط من أشباه القضايا بل هي مشاكل زائفة ولدها وتسبب فيها سوء النظر وضعفه حيناً عند بعضهم ومضان السريرة والنية عند البعض الآخر من المهتمين بالقضية، الشيء الذي حسب وجهة نظري ما فتئت ترى معضلة المصطلحات في العلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع بالخصوص بمثابة مجمع تراكمت و تكدست فيه العقد النفسية والاتجاهات الإيديولوجية والتيارات السياسية والمركبات الحضارية والثقافية .(1)

مشكلة المصطلح

أرى أن من أقوى الأسباب التي حولت هذه المسألة أو المشكلة أو أن شئت سميتها بالظاهرة اللغوية إلى عقدة فكرية ثقافية علمية وحضارية هو أن المتطرقين إليها سواء من الدارسين أو الباحثين والمثييين إياها من المتحمسين المدافعين، بعضهم نصير لها مؤيد ومدافع شرس عليها ولحسابها والبعض الآخر خصم، عدو لها، رافضا إياها رفضا قاطعا. هؤلاء جميعا، الطرف الأول وأيضا الطرف الثاني، قلما يصدرن مواقفهم عن وعي عميق، وقلما أيضا كان لهم وعي بخلفيات القضية الاصطلاحية وبالتالي احتجبت الأسباب أو المواضيع الأساسية خلف أهواء ومزاج ومغالطة نتاج ثقافة وحضارة معينة طبعت كل واحد منهم فكره وسلوكه في مجمل الحالات بطابع التقليل من شأن العرب واللغة العربية، وطابع أن الثقافة والحضارة العربيين لا نسموان إلى مرتبة الاحترام والتقدير، والأمثلة في العلوم الاجتماعية والإنسانية على أصناف وأشكال هؤلاء العلماء كثيرة، والأغرب والأدهى من كل هذا هو محاولة هؤلاء العلماء يحاولون غرس أفكارهم والتي مفادها أن الكمال والكماليات لا توجد إلا في فكرهم وثقافتهم وحضارتهم ، أي حضارة وثقافة و علم الأجانب.(2)

إن الفرق بين ترجمة المصطلح وتعريبه يكمن في كون الترجمة هي نقل من لغة أجنبية إلى ما يقابل النص أو المصطلح العلمي باللغة العربية ونجاحها يعتمد على استيعاب المترجم للغتين وإجادته لفن الترجمة، وقد أصبحت الترجمة إحدى فروع اللغة التطبيقية والعلوم المتصلة بها مثل علم اللغة وعلم النفس الاجتماعي، ولذلك فإن إعداد المترجم لا يقتصر على تمكينه لغويا بل إعداده أيضا في ميادين المعرفة المختلفة. أما التعريب فإنه محاولة نقل الكلمات أو المصطلحات العلمية من لغة أجنبية إلى اللغة العربية مع تحويلها نطقا لتلائم النطق العربي ولغتنا في هذا المجال لا بأس بها ، ويمكن القول أن الترجمة

والتعريب أمران م تلازمان يتطلبان نمو اللغة العربية بشكل متطور لتواكب ركب الحضارة، وبناء نهضة عربية جديدة، وتحقيق البعد الوطني والقومي والإنساني للثقافة العربية، وهذا يؤكد أن حركة الترجمة وحركة التعريب لا ينفيان على الإطلاق أهمية دراسة وتعلم اللغات الأجنبية في الوطن العربي، خاصة وأن دراستهما تعتبر مطلباً أساسياً لإعداد المترجم الجيد.

واقع الترجمة

تتلخص أهداف ترجمة المصطلح في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي في التأكيد على وحدة اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن حاجات العصر والابتكار في اللغة العربية و إثرائها وتطويرها والحفاظ على بقائها، وإدخال اللغة العربية في قائمة اللغات العالمية من أجل استعادة هويتها الحضارية والإسهام في الحضارة العالمية.

إلا أن الملاحظ للواقع يجد أن الترجمة العربية بما فيها ترجمة المصطلح في العلوم الاجتماعية لا تزال تفتقر إلى البرامج على المستويين القطري والقومي، كما أنها لم تبين على دراسة الواقع الراهن بلغته التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، والآفاق المستقبلية في الوطن العربي، ولم تسع لتلبية متطلبات العصر، ودرجة النضج عند القارئ. ونتيجة لذلك فإن الترجمة ما تزال تعاني من قصور أنظمة التعلم عن تدريب المترجم المتخصص في فرع محدد من العلوم. ويكتسب هذا الموضوع أهميته من محاولته التغلب على الواقع العشوائي والمزاجي الذي تعاني منه الترجمة في الوطن العربي وخاصة ترجمة المصطلح.

المصطلح العلمي

إن مشكلة صياغة وترجمة المصطلح العلمي في العلوم الاجتماعية وتعميمه والاتفاق عليه مشكلة قائمة في جميع اللغات الحية، بل هي في الأمم المتقدمة أكثر وضوحاً وحدة منها في غيرها من البلاد.... إذ تقذف معاهد البحوث والدراسات في الدول المتقدمة كل يوم، بل كل ساعة ، سيلاً من المفاهيم العلمية الجديدة التي تحتاج إلى مصطلحات تعبر عنها بدقة وأمانة ونوعية ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بعد وعي تام للحقيقة العلمية الجديدة التي تبحث عن مصطلح يمثلها ثم إدراك عميق للأصول اللغوية وسائل نحوها وتطورها.

ورغم أن المصطلح يمثل الشكل فقط للمفاهيم العلمية الجديدة فإنه كثيراً ما يمس جوهر الحقيقة العلمية الاجتماعية المراد التعبير عنها بشكل أو بآخر حتى أصبح من الأمور المسلم بها اليوم أن من أهم العقبات التي تواجه نهوض تعريب التعليم العالي في شتى الأقطار العربية هي الـوصول إلى مصطلح اجتماعي سيولوجي عربي ملائم للكلمات والمفاهيم العلمية الجديدة القادمة من البلاد الأجنبية، فالمصطلح هو الوسيلة الرئيسية لتكوين وتنظيم وتطوير المعارف. وهو كإسم العلم للإنسان المتحضر في مجتمعه يدل بشكل نوعي وفريد ورسمي على مفهوم واحد.(3)

إن علم المصطلح بمفهومه الحديث علم معقد تشترك فيه جملة من العلوم مثل علم اللغة والمنطق وعلم الوجود وعلم المعلوماتية وحقول التخصص العلمي السوسولوجي الأدبي والفني كل على حدة أحياناً وبلاشتراك فيما بينها أحياناً أخرى، وكل ذلك الاشتراك يخدم تنظيم العلاقة بين المفاهيم العلمية وبين المصطلحات اللغوية التي تعبر عنها. ولعل كل التعريفات الحديثة والمعقدة للمصطلح لا تخرج عما أورده الريبيدي في "تاج العروس" في قوله أن "الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" (4)، وذلك إشارة إلى أهمية

"اتفاق" العلماء المشتغلين في الحقول العلمية وفي الدراسات اللغوية على إعطاء كلمة ما دلالة جديدة وأن اتفاقهم هذا يخلق على الكلمة معنى جديداً قد يغير إلى حد ما المعنى المعجمي.

فالمصطلح لفظ موضوعي تواضع عليه المختصون بقصد أدائه معنى معيناً بدقة ووضوح شديدين بحيث لا يقع أي لبس في ذهن القارئ أو السامع لسياق النص العلمي.

ومنذ بداية النهضة العربية أصبح الاهتمام بصياغة المصطلحات العلمية الشغل الشاغل للعلماء العرب في شتى أنحاء الوطن العربي ، إما على الصعيد الشخصي الفردي أو على الصعيد الرسمي المؤسسي، ولئن اتسمت تلك الجهود بالجدية فإنها كانت في غالب الأحيان ارتجالية ومتسرعة وبعيدة عن الوفاء لمنهجية واضحة ومحددة، الأمر الذي وسم الكثير من المصطلحات بسمه "شخصية" مستمدة من مصدر الثقافة العلمية التي ينهل منها صاحبها فرنسية كانت أو إسبانية أو إنجليزية أو ألمانية... ومما يزيد الأمر تعقيداً أن المصطلح في العلوم الاجتماعية كثيراً ما يكون في اللغة الأصلية غارقاً في ظلمات الإبهام المجازي أو التشبه التمثيلي، ولا عجب أن يتحدد رواج بعض المصطلحات في حدود القطر العربي التي ظهرت فيه ولا تتخطاه إلى أقطار عربية ولو كانت مجاورة له. فالاختلاف واضح في المصطلحات التي نسمعها في سورية وبين التي نسمعها في لبنان أو الأردن أو العراق أو الجزائر أو المغرب أو مصر مثلاً. ولعل أهم سبب لذلك الاختلاف هو تعدد مصادر النقل ، فالذين ينقلون عن الإنجليزية تختلف مصطلحاتهم عن أولئك الذين ينقلون عن الفرنسية أو الألمانية أو الروسية أو الإسبانية.

إن أهم الأبعاد وأخطرها مما تتلابس به قضية المصطلحات في أسسها النظرية البعد المعرفي والإدراكي المتصل بعلاقة كل علم بينيته الاصطلاحية من جهة وبالعلاقة الجهاز المصطلحي لعلم من العلوم بالرصيد المعجمي العام للغة من جهة أخرى . فمما لا شك فيه أن مفاتيح العلوم هي مصطلحاتها، إذ هي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه . وليس من مسلك أو طريق يتوسل به الإنسان إلى منطلق أو جوهر العلم غير ألفاظه الاصطلاحية حتى لكانها تقوم من كل علم مقام جهاز من المعادلات أو الدوال ليست مدلولاتها إلا محاور العلم ذاته . فإذا مثلا استبان خطر المصطلح في كل فن أو علم توضح أن السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم سوره الجامع وحصنه المانع فهو له كالسياج العقلي الذي يرسى حرمانه رادعا إياه أن يلبس غيره.

إن نشأة العلم مرتبطة وثيقا لارتباط بطبيعة أهدافه وخصائص ميدانه ومنهجه وموقع مقولاته النظرية في الخريطة الإبيستومولوجية للعلوم . كما أن الجهاز المصطلحي في كل علم هو بمثابة لغته الصورية بل قل هو رياضياته النوعية . وكل ذلك يفضي جدلا إلى اعتبار كل مصطلح في أي علم من العلوم ركنا يرتكز عليه البناء المعرفي فيكون للمصطلح الوظائف الصورية ما يكون للرمز في المعادلة الرياضية كلاهما التجريد الذهني.

إن الحاجة الملحة للشعوب للتخاطب فيما بينها من خلال أنظمة المصطلحات واقع فرضته العوامل الاقتصادية والاجتماعية وقضايا نقل الثقافة والحضارة والتكنولوجيا، وعدم اعتراف وازدراء العلوم والتقنيات بالحدود السياسية واللغوية.

لقد أحرز المصطلح في العلوم الاجتماعية هذه الأيام نصيبا وافرا من التطور السريع لأنظمة المصطلحات العلمية والتقنية من ناحية، وأيضا نتيجة للتداخل الحتمي بين الأنظمة المصطلحية المختلفة، بتعدد اللغات و اختلاف الميادين العلمية من ناحية أخرى.

إن ظاهرة احتكاك اللغات وظاهرة المثاقفة المتعلقة بنقل المصطلح أو المصطلحات تفرض على كل علم من العلوم وضع المصطلح المقابل في اللغات الأخرى التي لم يشهد متكلموها نشأة الواقع الذي يترجم عنه ذلك المصطلح ، فنشأت من صعوبة " النقل " هذه صعوبة الترجمة أحيانا كثيرة، وذلك لأن لكل لغة بنيتها الخاصة بها وقوانينها الداخلية إذ يعبر عن ن ظرة متكلميها وتصوراتهم لواقعهم الخاص. ونحن نعرف أن لكل علم أهله ومكانه رافضين بذلك المقولة المأثورة القائلة أن ليس للعلم مكان ولا جنسية، وهي مقولة تحوي الكثير من المغالطات إذ كلنا يعلم بأن في هذا العالم الواسع الطويل والعريض بأن للعلم أصحابه، منتجوه ومكتشفوه ومطوروه. وعندما أقول العلم أقول المصطلح لأن لكل علم مصطلحاته وتقنياته وفنياته ومناهجه وأساليبه وبنائه ومواضيعه وأهدافه وتنبؤاته.

لقد انطلق التخصص العلمي من الحاجات العلمية والممارسات لإخضاعها إلى قواعد محكمة، ومضبوطة منهجيا ونظريا حتى تتماشى مع طبيعة العلاقة بين أنظمة المعرفة والأنظمة المصطلحية معبرة عنها في مجال التوظيف المادي والمواضعة.

وفي تصوري لا يمكن تحديد موقع ومعنى للمصطلح إلا إذا اقترن تعريفه، وتقديم مضمونة بواقع مادي معين، كما لا يمكن تحديد المصطلح إلا في إطار

تحليل سياقي بين الوضع الاجتماعي الخاص بالاستعمال والعناصر الأساسية المكونة لبنيته المفهومية.

فالمصطلح كوحدة لسانية هو إذا علاقات لمجردات تشير من خلال مدلوله الاصطلاحي إلى تصنيف الأشياء وتمكن الإنسان من أدوات تحليل واقعه والسيطرة عليه. فهي إذا مقولات فكرية تتوسط الوحدة الشاملة والتنوع اللامتناهي، وتتشكل في دوال ضابطة لنظام المفاهيم باعتبارها حقولا تبوب داخلها المعرفة تنظيم حسب ما يختص به كل ميدان مرجعه لبعثباره جزءا من عالم الأشياء.

فمثلا القاموس المختص يعطي للمستعمل من خلال مصطلح ما وضعية معينة لاستعمال يمكن اعتبارها وثيقة أو مرجعا ولكن لاستعمال عادة ما يتعداها وهذا ما يعبر عنه أصحاب الاختصاص بـ "أهمية السياق القصوى"، وهذا السياق له أهمية خاصة وبالغة في ترجمة المصطلحات من لغة إلى لغة أخرى وما يسمى بالخيط المفهومي في علم المصطلح المقارن.

وتطرح قضية ترجمة المصطلح الاجتماعي إلى العربية مسألة إدخال بني مفهومية جديدة في الثقافة العربية من خلال استيعاب اللغة لمصطلحات جديدة، ولا بد في هذا الإطار من أن نعي تماما أن مسألة صياغة المصطلحات وخاصة ترجمتها ليست مجرد تقنية فلا بد أن يكون تعاملنا مع قضية المصطلح من داخل اللغة العربية كلغة الأم وكلغة قومية في إطار المنهج العلمي الصحيح.

وهذا في تصوري بمثابة قرار ثقافي، سياسي حضاري، ينطلق من خصوصية اللغة العربية وقدرتها على تلبية حاجات التنمية والعلم وتوفير كل المصطلحات وترجمتها إن أمكن ذلك والتي اقتضتها التحولات الحضارية والثقافية الراهنة. إن القول بعدم قدرة اللغة العربية على تلبية كل الحاجات المفهومية

وترجمتها هو قول إيديولوجي أدى أحيانا إلى اللجوء إلى الاقتراض والنحت بدل الاعتماد على الاشتقاق و هو من أهم الطرق و أخصبها.

وفي هذا السياق تقول المفكرة فاطمة مرهبي "وجب علينا نحن العرب في حلول هذه الألفية الجديدة وحتى نلتحق بركب الدول المتقدمة إما أن نشارك في صنع هذا العالم وإن لم نستطع فعلى الأقل أن نستوعب ما يجري فيه وذلك أضعف الأيمان، و استيعاب ما يجري في العالم في تصوري يكون بالترجمة وخاصة ترجمة المصطلح ". (5)

فالمصطلح في العلوم الاجتماعية وخاصة في علم الاجتماع غالبا ما يكون محيط وحامل لعدة تصورات أو مفاهيم أو سلوكيات. وهذه المفاهيم والسلوكيات في كثير من الأحيان لا تمت بصلة للمجتمع العربي الإسلامي الشيء الذي خلق كثيرا من الصعوبات والإشكالات في ترجمة المصطلح من لغة إلى لغة أخرى. مثلا : مصطلح طبقة اجتماعية، فرغم وجود هذه الظاهرة حقا في المجتمع العربي وهي ظاهرة للعامة والخاصة إلا أن النظم السياسية العربية على اختلافها ترفض استعمال مثل هذه المصطلحات ، كذلك مصطلح مثل "انقلاب" ورغم تواجد هذه الظاهرة في وسط النظام العربي إلا أن النظام السياسي العربي يرفض رفضا قاطعا استعماله إذ يضع في مكانه أو يفضل استعمال "التصحيح الثوري" مع العلم في حقيقة الأمر لا اختلاف بين هذا المصطلح والمصطلح الأول من حيث مفعولهما في المجتمع.

كذلك نرى أحيانا المغالاة في استعمال مصطلح دون آخر والمبالغة في تدوينه في كل كبيرة وصغيرة مثل هذا المصطلح مثلا "ثورة" ، فجّل الدول النامية تميل إلى استعمال هذا المصطلح دون استعمال مصطلح "إصلاح" وهو مصطلح

أقل حدة وأكثر دقة فمثلا تستعمل مصطلح ثورة صناعية، زراعية، ثقافية ، وهي في الحقيقة ليست ثورات بالمفهوم السوسولوجي للكلمة وإنما هي في حقيقة الأمر إصلاحات لأنه عندما تقف على هذه التي يسمونها ثورات فإنها لم تقض على كل شيء بل احتفظت بأشياء عديدة من النظام السابق و بالتالي ليست ثورات على أساس أن مصطلح الثورة هو تغيير جذري للأوضاع وإعادة البناء من درجة الصفر، بل هي إصلاحات لغير إلا.

كثيرا ما يرتبط المصطلح وترجمته بقوة الدولة والسلطة العلمية التي أنتجته، فمثلا، كتب التاريخ في المدرسة الإسبانية تكرر مصطلح "غزو إسلامي" بدلا من مصطلح "فتح إسلامي"، وتقدمت مجموعة من المفكرين العرب والمسلمين باعترضها على مصطلح "الغزو" ولكن فرض مصطلح على مصطلح الغزو قوة وجبرا في كل الميادين الثقافية والعلمية بالمجتمع الإسلامي الأسباني هنا ما يمكن قوله أن المتفوق حضاريا هو الذي يفرض المصطلح وما دام متفوق اقتصاديا وعلميا وعسكريا وسياسيا فدون شك يفرض المصطلح الذي أراد وما على البقية الضعيفة إلا الامتثال.

إننا نعيش في عصر تتطبق عليه المقولة التالية، الإمبراطورية تستطيع أن تعيش بدون القرية أما القرية فلا تستطيع أن تستغني عن الإمبراطورية . هذا يعني أن الدول التي تهيمن عسكريا و اقتصاديا فإنها تهيمن علميا ، وهي التي تخترع المصطلح وتفرضه ، وعلينا نحن في عصر العولمة أن نحاول ترجمة المصطلح السوسولوجي بعيدا عن كل الضغوطات الإيديولوجية والسياسية والسلطوية لأن علم الاجتماع إلى يومنا هذا ما زال يتطور تحت الغطاء الإيديولوجي السياسي .

هذه محاولة بسيطة أردت من خلالها لفت انتباه سيادتكم إلى حقيقة الترجمة في العلوم الاجتماعية وخاصة ترجمة المصطلح في علم الاجتماع.
الهوامش

1 – AMANDO DE MIGUEL / MANUAL DEL PERFECTO SOCIOLOGOED : ESPASA CALPE – MADRID – 1997 P.P. 26-27

2 – BERNARDO HOUSA / LA INVESTIGACIÓN SCIENTIFICA ED : TECNOS – MADRID – 1990 P.P. 51-52

3 – SALUSTIANO DE CAMPO URBANO / SOCIOLOGIA DE LA FAMILIA ED : MINISTERO DE CULTURA– ESPAÑOLA MADRID – 1998 P.P. 11-12

4 – مجموعة من الأساتذة / تأسيس القضية الاصطلاحية بيت الحكمة / قرطاج / تونس 1989 ص 70 – 71

5 – عالم الفكر – العدد 3 – المجلد 20، نوفمبر – ديسمبر 1989.

الألسنية / وزارة الإعلام الكويت ص 5 – 6

ترجمة النص النقدي وغياب المرجعية

أ. حليلة الشيخ

جامعة وهران - كلية الآداب، اللغات و الفنون - قسم الترجمة

لا خلاف بين الباحثين في كون الترجمة ظاهرة ثقافية مهمة تشكّل الجسر الرئيس لتبادل العلاقات التي تنشأ بين مختلف الآداب الإنسانية، و تقوم بدور التجديد المتواصل و من المعروف أنّ التجديد الذي عرفه الأدب العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما كان ليتم لولا الاطلاع على آداب الأمم الأخرى، ذلك الاطلاع الذي يعود الفضل فيه إلى الترجمة.

كان النقد الأدبي العربي في العصر الحديث أحد الميادين التي امتدت إليها عملية النقل من اللغات الأجنبية و خاصة الفرنسية والإنجليزية إلى اللغة العربية، و من المعروف أنه لم ينشأ نتيجة لتطورات فكرية تمت داخل النقد العربي القديم.

وتمخضت عن نقد أدبي جديد، بل نشأ كإحدى النتائج التي أسفرت عنها عمليات المتقافة الكبرى التي جرت بين ثقافة العربية والثقافة الأوروبية الغربية" (1) مما أدى إلى انفتاح النقد الأدبي و تفاعله مع مختلف النظريات والمناهج النقدية الغربية. وإعادة قراءة التراث النقدي العربي القديم من منظور معاصر بمعنى جعله معاصرا على صعيد الإشكالية والمحتوى المعرفي ارتكازا على أسس النقد الأدبي الغربي أي بناء فهم جديد للنقد العربي القديم انطلاقا من مرتكزات النقد الأجنبي؛ الأمر الذي يثبت النقد العربي في وضعية سلبية تقوم على الأخذ و تعجز عن العطاء.

وإذا كان للدور الذي تقوم به الترجمة في مجال النقد العربي أهمية لا يمكن نكرانها، فلا يمكن غض الطرف عن كونها مصدر سوء الفهم للكثير من القضايا النقدية ومصدر الاضطراب المصطلحي.

ومنشأ هذا في نظرنا غياب المرجعية، ونقص بغياب المرجعية إقدام المترجم على ترجمة النص النقدي في غياب مرجعيته أي عدم الإلمام بالسياق التاريخي، و بالأسس النظرية للنص المترجم مع العلم أنّ كلّ ما يعبر عنه النقد من أفكار ونظريات واتجاهات هو حلقة من حلقات السياق الثقافي والاجتماعي للغة المصدر، كما يرتبط ارتباطا شديدا بأداب هذه اللغة التي ينتمي إليها. وهذا الغياب الذي نخسه بالحديث هو السبب الرئيس في صعوبة وسوء استيعاب القارئ العربي للمناهج النقدية الغربية.

وإذا كان يُفترض في القارئ العربي الذي يترجم له النص النقدي الغربي أنه قارئ جاهل باللغة الأجنبية فهذا يستدعي أنه يجهل المرجعية التي يتأسس عليها ذلك النص مما يضيف إلى مهمة الترجمة مهمة أخرى يقوم بها مترجم

النقد، و هي وضع النص في سياقه المرجعي العام من أجل إنارة القارئ، وذلك باستثمار هوامش النص المترجم لتلك المهمة بمعنى أننا نرى أنّ للمترجم عمل مُزدوج هو ترجمة النص، و توضيحه لبعض الأفكار و القضايا التي يُبنى عليها النص في لغته الأصلية. فلو أخذنا مثالا على ذلك ترجمة الناقد السوري "منذر عياشي" للأعمال "رولان بارط" لوجدناها تُقدم إلى القارئ العربي دون استغلال الهوامش في التعليق الضروري لإنارة قارئ النص فترجمته للذة النص على سبيل الذكر مثال على ذلك يقول "رولان بارط": "يعمل دارميس ماسحا للأرض . و هو يحاكم في هذا الوقت، لأنه أطلق الرصاص على الملك. وإنه ليسجل أفكاره السياسية...فما يعود، في معظم الأحيان، على قلم دارمس، هو الأرستقراطية. و إنه ليكتب هذه الكلمة (Haristaukrassie). إنّ الكلمة المكتوبة بهذا الشكل، لهي كلمة رهيبة... و إن هيجو في "حجارة" ليُقدر أيما تقدير شذوذ الدال. و إنه ليعرف أيضا أن هذا الامتعاظ الإملائي، إنما يأتي من "أفكار" دارميس. إن أفكاره تعني قيمه، و إيمانه السياسي، و التثمين الذي يجعله بالحركة نفسها : يكتب، و يسمى، و يخطئ في الإملاء، و يتقياً. و مع ذلك. كم يجب أن تكون مملة، مذكرة دارميس السياسية" (2)

مما لاشك فيه أن القارئ العربي يجد نفسه ضائعا في رموز هذا النص الذي لم يُحاول "منذر عياشي" التسلسل إلى دخيلتها، و اختراق أبعادها الفكرية على الرغم من أنه يقف في ترجمته عند إحدى عشرة إحالة (3) ليوضح الأمور التالية:

_ لعبة باندور

Kamasutra_

_ الفصل

_ المانا (Mana)

_حجر الفلاسفة (pierre Philosophale)

_الاثنوغرافية

_الموله الجنسي (Fétichiste)

متكئاً في توضيح بعض منها على المنهل، و هنا نجد أنفسنا أمام سؤال وهو لابد مثار، لماذا يلجأ "منذر عياشي" إلى توضيح هذه المسائل البسيطة ويمر مرّ الكرام على النص المذكور؟ فمن "دارميس"؟ الذي يكتب بالياء مرة ومن دونها مرة أخرى "حجارة"؟ و ما علاقة "هيغو" بكل ذلك؟ (4)

إن طبيعة الإحالات التي يأتي "منذر عياشي" على ذكرها تدفعنا إلى القول إنه يجهل هذه القضايا و بالتالي لم يكلف نفسه عناء البحث. " إنّ دارميس هو "ماريوس إنموند دارميس" (Marius Ennemond Darmes) و لد في مرسيليا عام 1797 م، أعدم في باريس 13 أيار 1841م لأنه أطلق النار على الملك لويس فيليب (1830_1847م)

ولكنه لم ينجح في إصابته، و قد اتهم أنه عضو في جمعية الشيوعيين وغير ذلك و هو ما أنكره و كان يصر على أنه قد تصرف فردياً، وقد حكم وأعدم، ولكن قصته مملوءة بالمتناقضات، وكان يعمل في التنظيف بعد مغادرته مرسيليا إلى باريس. أمّا "حجارة Pierres" فهو كتاب لفكتور هيغو، فيه مجموعة من النصوص الشعرية و النظرية جمعها وقدمها للقراء "هنري غيللمان Henri Guillemin" ونشر في جنيف عام 1951، وقد اقتبس بارط نصاً من هذا الكتاب (ص 78)، و النص جاء بعنوان "أحداث معاصرة" والنص بتمامه نوره للمقارنة بنص بارط: يقول هيغو: "يُسجل دارميس وهو عامل تنظيف نحاكمه هذه الأيام لأنه أطلق النار على الملك، أفكاره السياسية، وقد حدثني البارحة السيد (E.Pelletan) الذي رأى وثائقه في قلم المحكمة عمّا يتردد غالباً على قلم

دارميس، وما كان يثيره غالبا هي الأرسقراطية التي يكتبها (Haristaukrassie) والكلمة مكتوبة بهذا الشكل مدهشة كل الدهشة حقا ". ويقول بارط: " إن فكتور هيغو يتذوق بإعجاب إسراف الدال اعتمادا على التعليق الذي علقه هيغو على كتابة كلمة الأرسقراطية في وثائق دارميس، وهو خطأ إملائي يعيده هيغو إلى حالة دارميس النفسية" (5)

وهذا التوضيح قام به مترجم آخر لكتاب "لذة النص" و هو الدكتور محمد خير البقاعي.

تجربة ترجمة أخرى قام بها د.منذر عياشي في إطار مشروعه لترجمة الأعمال الكاملة لرولان بارط هي ترجمته لكتاب "هسهسة اللغة" والتي صدرت عن مركز الإنماء الحضاري عام 1999. ومن المعروف أن جل كتب "بارط" هي في حقيقتها جمع لمختلف المقالات التي كان ينشرها بمجلات مختصة و متنوعة، و كتابه "هسهسة اللغة" هو واحد من تلك الكتب حيث يجمع بين دفتيه مجموعة من المقالات التي كتبت بمناسبة علمية مختلفة والتي تمتد من 1964 إلى 1980. و لكننا لا نجد عند منذر عياشي هذه الإحالات التاريخية الخاصة بنشر المقالات مع العلم أنها مسألة مهمة بالنسبة لقارئ رولان بارط، ذلك أن بارط كان يغيّر أفكاره ومواقفه من فترة إلى أخرى حيث كان يناضل في كل مسيرته الفكرية ضد الثبات و ضد ما هو مركزي.

وبعيدا عن تجربة "منذر عياشي"، هناك تجربة ترجمة مهمة في مجال النقد وهي ترجمة بعض الأقسام من كتاب "سيميوتيك" (SEMEIOTIKE- Recherches pour une sémanalyse). للناقدة المعروفة "جوليا كريستيفا"

(Julia Kristeva)، ترجمة قام بها "فريد الزاهي" و "مراجعة" عبد الجليل ناظم" التي صدرت عام 1991 عن دار توبقال بالمغرب

يقول "فريد الزاهي" عن أهمية الأقسام التي قام بترجمتها إنها " تلبّي منزعا راهنا نحو تجاوز وهم المحايثة النصية و انغلاقية النص الأدبي، إضافة إلى كونها تظل دعوة مفتوحة لإغناء البحث النقدي و النظري بما توفره المباحث الأدبية والفكرية والعلمية من معطيات كفيّلة بجعل الكتابة الأدبية بوتقة علم و إبداع معا " (6)

وعلى الرغم من هذه الأهمية التي يتحدث عنها "فريد الزاهي"، فإنه لم يُسائل نفسه إذا كانت ترجمته تقوم بالدور المنوط بها، و هو إيصال فكر "جوليا كريستيفا" إلى القارئ العربي الذي يُفترض فيه جهله للغة الفرنسية. فمن الأمثلة التي تقوم شاهدة على العجمة الشديدة التي تكتنف ترجمة "فريد الزاهي" ترجمته نقول " كريستيفا " :

Travailler la langue implique nécessairement une remontée au germe même ou pointent le sens et son sujet. C'est dire que le "producteur" de la langue (Mallarmé) est obligé à une naissance permanente ; ou mieux, qu'aux portes de la naissance il explore ce qui la précède. Sans être un "enfant" héraclitéen qui s'amuse à son jeu, il est ce vieillard qui revient avant sa naissance pour désigner à ceux qui parlent qu'ils sont parlés" (7).

ويتّرجم "فريد الزاهي" هذا الكلام كالاتي: "إنّ الاشتغال على اللسان يفترض ضرورة العودة إلى البذرة الأولى التي يتحدّد، انطلاقا منها، المعنى وذاته معا. وهذا يعني أن " مُنتج " اللسان (مالارمي) مضطر إلى الولادة المستمرة؛ أو بتعبير

أفضل، أنه وهو على أبواب الولادة، يعمل على اكتشاف ما سبقها. ليس مُنتج اللسان ذاك " الطفل " الهرقليطي الذي يمرح في لعبه، إنه ذاك الشيخ الذي يعود إلى ما قبل ولادته ليُنبيه أولئك الذين يتكلمون إلى أنهم مُتكلّمون" (8) نلاحظ هنا أن المترجم لم يبذل جهدا في نشر بعض الضوء على هذا النص بل اكتفى بالترجمة الحرفية، فلسنا ندري لماذا يترجم (Langue) باللسان عوض ترجمتها باللغة و لماذا يكتب اسم (Mallarmé) ب: مالارمي في حين اعتاد العرب منذ وقت بعيد بترجمته ب: "مالارميه".

ولنا هنا أن نتساءل عن دور الترجمة وسط هذا الضياع الذي يشعر به القارئ العربي خصوصا أنّ إشارات و رموز النص غريبة عنه: فما المقصود بالاشتغال على اللسان؟ و هل الشاعر الفرنسي "مالارميه" هو المقصود بكلام "كريستيفا"؟ و من هو الطفل الهرقليطي؟ هذه عينة من الأسئلة التي تتبادر إلى ذهن كل قارئ.

يقول الكاتب المصري الدكتور حامد أبو أحمد فيما يخص هذا النوع من الترجمات : " فيما يتعلق بالعُجْمَة هناك كثير من الكتب المترجمة يفضل المرء أن يتعلم اللغة الإنجليزية من جديد، بدلا من أن يتوقف عند هذا الكتاب أو ذاك" (9). يصدر هذا الكلام عن كاتب و ناقد و مترجم ، ترجم بعض الأعمال الإبداعية و الدراسات النقدية من الإسبانية إلى العربية،فما بالنا بالقارئ العادي.

وإذا كان الخطاب النقدي الأجنبي يتميز بعمق وثقل مرجعيته وبامتزاج لغته بلغة الإبداع، فإنّ هذا لا يمنع المترجم من أن يزاوج في ترجمته بين النقل والشرح ، ذلك أنّ كلّ نص هو عبارة عن مجموعة من العلاقات التي تجمع بين عناصر حاضرة وأخرى غائبة، ممّا يساعد القارئ على أن يستوعب النقد المترجم

كما لو أنه يقرأ النص الأصلي تماما. "و لابد للمترجم أن يتساءل أولا ماذا يعني النص الأصلي في لغته و حضارته، ثم ماذا يعني للقارئ في لغة الهدف؟" (10) و لا ينبغي أن ينسى في كل لحظة من لحظات عملية الترجمة أنه يتوجه إلى القارئ العربي الذي يجهل اللغة الأجنبية، و يحمل معرفة مختلفة محددة بمرجعية اجتماعية و ثقافية مختلفة.

وهنا يُثار سؤال، و هو لابد مثار، ما هو عمل المترجم، أيكنتفي بترجمة مضمون النص فقط أم يستثمر هوامش ترجمته لنشر أشعة الضوء على القضايا المُستعلقة في النص خصوصا أنه يُفترض في المترجم أن يتمتع بكفاءة لغوية مزدوجة، تساعده الأولى على تلقي النص في لغته المصدر، و تساعده الثانية على إنتاج النص بلغة الهدف.

يتبين لنا مما سبق أنّ عملية الترجمة لا تؤدي الدور المنوط بها في غياب مرجعية النص الأصلي، تلك المرجعية التي تكون غائبة و لكنها على قدر كبير من الحضور مما يتطلب عدم إغفال المترجم لها أثناء ترجمته، و بهذا تكون الترجمة في حقيقتها عملية فهم تهدف إلى نقل المعنى نفسه من لغة المصدر إلى لغة الهدف، و هذا الفهم لا يتحقق بدون القراءة التي هي أساسا فهم و تأويل، و لا يتم فهم النص إلا عند ربطه بسياق إنتاجه من جهة، نظرا لكون الصيغة التي كتب بها النص تُحيل على عناصر غائبة ويرتبط من جهة أخرى بسياق إعادة إنتاجه، نظرا لكون الترجمة منجزة في الحاضر.

وانطلاقا من هذا الاعتبار، تكون الترجمة عملية معقدة تقوم في كنهها على الفهم والتأويل، تجمع بين الاهتمام بعلاقات تشكيل وبناء النص وبالخطاب الغائب فيه، وبهذا يتضمن فعل الترجمة صوت الآخر ويدعمه بوصفه متلقيا

مشروطا بمحددات اجتماعية وثقافية مختلفة عن تلك التي يُبنى عليها النص في لغة المصدر.

الإحالات و الهوامش

- (1) د. عبده عبود: هجرة النصوص _دراسات في الترجمة الأدبية و التبادل الثقافي منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، 1995،ص: 219.
- (2) رولان بارط: لذة النص، ترجمة : د.منذر عياشي،مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، 1992، ص: 111.
- (3) أنظر الصفحات: 108_77_69_68_62_28_26_23_20.
- (4) د.محمد خير البقاعي: تلقي "رولان بارط"في الخطاب العربي النقدي واللساني و الترجمي _كتاب "لذة النص" نموذجاً، مجلة" عالم الفكر"، المجلد 27، العدد 1، الكويت، 1998.ص: 55.
- (5) المرجع نفسه،ص: 55.
- (6) جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي،مراجعة : عبد الجليل ناظم، دار توبقال،الدار البيضاء، المغرب، 1991. أنظر تقديم فريد الزاهي لترجمته.
- (7) Julia. Kristeva: SEMELOTIKE–Recherches pour une sémanalyse, éd.Seuil, Paris, 1969,p:10.

(8) جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، ص: 08

(9) د. حامد أبو أحمد: نقد الحداثة، كتاب الرياض، ردمك،

السودية، العدد 8، ط 1994، ص: 54

(10) الجلاي الكدية: الترجمة بين التأويل و التلقي ضمن الترجمة و التأويل،

منشورات كلية الآداب، الرياض، مطبعة فضالة، المحمدية، ط 1995، ص: 57.

الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر تاريخها وواقعها

أ. خليفة حماش

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

ترتبط حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر ارتباطا وثيقا بالعلاقات السياسية التي كانت قائمة بين الجزائر والدولة العثمانية منذ عام 1520 م. ومن ثمة فإن تلك الترجمة قد اقتصرت على الجانب التاريخي وما يتعلق به من وثائق ومؤلفات تخص تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية دون أن تتجاوز ذلك إلى ميادين ثقافية وعلمية أخرى. وحركة الترجمة تلك على الرغم من أن آثارها لا تلمس في واقعنا الثقافي، إلا أنها موجودة فعلا، وهي قديمة قدم العلاقات الجزائرية التركية، ومستمرة حتى عصرنا الحديث. ولكي أوضح مسيرة تلك الحركة وأبين واقعها اليوم، فإنني رأيت أن أتناولها في العنصرين الآتيين: التاريخ والواقع.

أولاً: التاريخ:

تعود حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر بجذورها التاريخية إلى العهد العثماني الذي يشكل **مرحلتها الأولى**، وبقيت مستمرة في عهد الاحتلال الفرنسي الذي يشكل مرحلتها الثانية، وتواصلت في عصرنا الحديث الذي يشكل مرحلتها الثالثة. وبخصوص المرحلة الأولى التي يمثلها العهد العثماني فقد تم فيها ترجمة أول عمل تاريخي يتعلق بالجزائر آنذاك وهو الكتاب المعروف باسم "غزوات عروج وخير الدين" الذي يذكر المؤرخون ويكادون يتفقون حول ذلك، بأن خير الدين باشا الملقب "بارباروسا" الذي تم على يديه إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية في عام 1520 م، هو الذي أملاه بنفسه باللغة التركية وبأمر من السلطان سليمان القانوني (1520 . 1566م)، على واحد من كتاب السير آنذاك وهو سنان جاووش. وقد كتبت تلك السيرة نثراً باسم "غزوات خير الدين باشا" ونسخت في نسخ عديدة ووزعت على مجالس القصاصين لروايتها (1)، كما كتبت شعراً أيضاً على يد سيد مرادي بالعنوان نفسه، أو باسم "فتحنامه"،⁽²⁾ ونشرت بإستانبول عام 1965 م(3). وبخصوص ترجمتها إلى اللغة العربية في الجزائر فإن ذلك تم على يد أحد كتاب الإدارة العثمانية آنذاك بطلب من المفتي الحنفي محمد بن علي قول أوغلي الذي كان لا يعرف اللغة التركية، كما ذكر الناسخ في الصفحة الأولى من المخطوط المحفوظة نسخة منه اليوم في المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 1622 (4)، لأن المفتي المذكور كان . كما يبدو . من مواليد الجزائر، ولا نعرف نحن اليوم متى تولى وظيفة الإفتاء، وبالتالي فإننا لا نعرف تاريخ إنجاز الترجمة المذكورة. ويبدو أن تلك الترجمة صارت متداولة بين بعض علماء مدينة الجزائر في تلك الفترة ، لأننا وجدناها ضمن قائمة من الكتب التي كانت تشكل مكتبة أحدهم(5). وكما يبدو فإن حركة الترجمة عن اللغة التركية في

الجزائر خلال هذه المرحلة قد اقتصر على السيرة المذكورة دون غيرها، وذلك لأسباب ترتبط بالظروف السياسية والثقافية التي كانت سائدة آنذاك، وهي ليست محل حديثنا هنا.

وأما في المرحلة الثانية التي يمثلها عهد الاستعمار الفرنسي ابتداء من عام 1830 م وحتى عام 1962 م، فإن حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر قد عرفت بعثا قويا، وذلك لأسباب رئيسية ثلاثة، أولها الفضول العلمي الذي امتاز به بعض رجال التاريخ الفرنسيين آنذاك والذي دفعهم إلى حب البحث في تاريخ الجزائر العثماني من خلال مصادره العثمانية، ثم مؤسسات النشر النشطة التي أسسها الفرنسيون في الجزائر، من مطابع وجمعيات تاريخية ومجلات علمية اهتمت بنشر الأبحاث المنجزة، وأخيرا وجود رصيد ثري من الوثائق والسجلات التي تعود إلى الإدارة الجزائرية في العهد العثماني، وهي التي كانت بمثابة المادة الخام لحركة الترجمة المذكورة.

ومن ثمة فقد كان من الطبيعي أن تنشأ حركة ترجمة أوسع مما كانت عليه في العهد العثماني، ولكن ليس إلى اللغة العربية، وإنما إلى اللغة الفرنسية. وكان الرائد الأول لتلك الحركة ألبير دوفو Albert Devoulx الذي عينته الإدارة الفرنسية في عام 1848 م محافظا للأرشيف الجزائري، فاستغل روحه العلمية وثقافته الشرقية التي ورثها عن والده الذي تعلم اللغة العربية في الجزائر من جهة، وكثافة الوثائق والسجلات الإدارية التي صارت بين يديه والمقدرة بعشرات الآلاف من جهة ثانية، وراح يخطط لمشاريعه العلمية المتعلقة بتاريخ الجزائر في العهد العثماني والقائمة على الترجمة والتأليف. وبخصوص تعامله مع الوثائق والسجلات التركية فإنه كان يوكل ترجمتها إلى اللغة العربية لبعض الجزائريين الذين كانوا يعملون في الإدارة الجزائرية في العهد العثماني أو كانوا على صلة

بها، ومنهم محمد بن مصطفى وابن عثمان خوجة كما وجد مسجلا في بعض أعمال دوفو، ومن الترجمة العربية تلك كان دوفو يقوم بإعداد الترجمة الفرنسية لتلك الأصول. وبذلك المنهج المزدوج قام بترجمة عدد من السجلات ومئات من الوثائق، وقد نشر بعضا منها وبقي بعضها الآخر، وهو الجزء الأكبر، محفوظا في مقر الأرشيف. وقد كان من حسن حظ المكتبة الوطنية في الجزائر أن ترسل إليها إحدى الفرنسيات قسما معتبرا من تلك الوثائق المترجمة، وتقدر ببضع مئات، وتتشكل من الترجمة العربية التي أعدها كل من محمد بن مصطفى وابن عثمان خوجة، ومعها الترجمة الفرنسية التي أعدها دوفو عن الترجمة العربية تلك. ولكن الأصول التركية لتلك الوثائق بقيت مفقودة (6). وظلت الترجمات التي أعدها دوفو لتلك الوثائق والسجلات التركية ونشر بعضها إما منفردة أو في المجلة الإفريقية، تشكل حتى عصرها الحديث مصادر مهمة للباحثين في تاريخ الجزائر العثماني. ومن تلك الترجمات:

.Tachrifat: recueil de notes historiques sur l'administration de l'acienne Régence d'Alger, Alger, imp. du gouvernement, 1852. B.N. Alg. 58.794.réserve.

وسجل التشريعات المذكور هو واحد من سجلات الإدارة العثمانية في الجزائر، وبه تسجيلات رسمية لعمليات التعيين والعزل في الوظائف، وأخبار عن الأحداث العسكرية والسياسية التي شهدتها الجزائر في ذلك العهد. ونظرا إلى تلك الأهمية التي يكتسبها ذلك السجل فإنه يعد من أبرز المصادر المعتمدة في كتابة تاريخ الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي. وقد احتفظت المكتبة الوطنية الجزائرية بالنسخة التركية الأصلية لهذا السجل، وهو موجود بها اليوم تحت رقم 1649. le registre des prises maritimes, tr. d'un document authentique et inédit concernant le partage des captures

amenés par les corsaires algériens, Alger, typographe A. Jurdan, 1872. B.N. Alg. 56.266.

وهذا العمل هو ترجمة لسجل الغنائم البحرية التي كان الجزائريون يأخذونها من الدول العدو لهم في عرض البحر، ويقومون باقتسامها وفق القوانين التي كانت سائدة آنذاك. والأصل التركي لهذا السجل يعد مفقودا.

Ahd Aman, in: R. A., vol. 47 / 1859 - 60.

وعهد الأمان المذكور هو وثيقة تشبه الميثاق تتعلق بالنظام العسكري في الجزائر.

Coopération de la Régence d'Alger à la guerre de l'indépendance grecque, in: R. A., vol. I et II / 1856 et 1857.

وهو بحث نشر دوفو ضمنه ستا وعشرين وثيقة تتعلق بدور الجزائر في الحرب اليونانية العثمانية التي اندلعت عام 1822 م، وكانت ثماني عشرة منها هي ذات أصول تركية، والوثائق الثماني الباقية ذات أصول عربية (7).

ذلك علاوة على أعمال أخرى نتجنب ذكرها مخافة الإطالة.

وأما الشخصية الفرنسية الثانية التي أسهمت بعد دوفو في دفع حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر في المرحلة التي نحن بصدها فهو عالم اللغويات والأكاديمي الشهير جان ديني Jean Deny الذي يعتبر واحدا من ألمع المستشرقين في القرن العشرين، وأبرز المختصين في الدراسات التركية بما كان يملكه من معرفة واسعة باللغة التركية ولهجاتها المختلفة، وما يتعلق بها من قواعد وأساليب ودلالات لفظية، فاستغل المعرفة تلك في البحث والتأليف في تاريخ الأتراك ولغتهم معتمدا على الأصول التاريخية من وثائق ومؤلفات،

واستطاع أن ينجز بخصوص ذلك أعمالاً رائدة ظلت إلى عصرنا هذا تشكل مصادر معرفية مهمة للباحثين (8).

وبخصوص حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر فإن أهم عمل أسهم به فيها هو ترجمته لأناشيد الجنود الإنكشارية التي عثر عليها مستنسخة في مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر. وقد أرفق تلك الترجمة بالنصوص الأصلية للأناشيد محققة ومصححة. وهي أناشيد تتطرق إلى حياة الجنود الإنكشارية وسط عائلاتهم وفي المجتمع وفي ميادين القتال أثناء المواجهات العسكرية ضد لأوروبيين. ويوجد ذلك المخطوط اليوم في المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 1817. وعنوان تلك الترجمة هو: *Chansons des janissaires turcs* d'Alger, in: *Mélanges René Basset*, Paris, Ernest Leroux, 1925.

وإلى جانب الترجمة المذكورة فقد أعد ديني دراستين حول وثائق الجزائر التركية هما في غاية الأهمية للباحثين، إحداهما حول سجلات رواتب الجنود الإنكشارية المحفوظة في المكتبة الوطنية، وهي ثمانية وعشرون دفترًا ضخماً. وتعد تلك الدراسة مفتاحاً لا غنى عنه لأي باحث في دراسة الموضوعات المتعلقة بالجيش الجزائري في العهد العثماني. وتلك الدراسة هي:

Les registres de solde des janissaires conservés à la bibliothèque nationale d'Alger; in: *R. A.*, vol. 61 / 1920.

وأما الدراسة الأخرى فتتعلق بأرشيف الجزائر في الفترة العثمانية بشكل عام، وهي :

A propos du fond arabo - turc des archives du gouvernement général de l'Algérie, in : *R. A.*, vol. 62 / 1921.

ومن الأساتذة الذين أسهموا في حركة الترجمة التي نحن بصددتها نذكر كذلك المستشرق غابرييل كولين Gabriel Colin (ولد عام 1893 م)، وكان مثل جون ديني، أستاذاً في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، كما كان عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق (9). وكان العمل الذي أسهم به في الموضوع محل حديثنا هنا هو:

Corpus des inscriptions arabes et turques d ' Algerie, Paris, Ernest Leroux; 1901

وهو مؤلف جمع فيه الكتابات الأثرية الموجودة في الجزائر من عربية وتركية وترجمها إلى اللغة الفرنسية.

والأستاذ الرابع الذي يجدر ذكره هنا هو أوتو كار دو شليكتا de Ottocar Schlehta ، وهو من جنسية لا نعرفها، وتمثل عمله في ترجمة تقرير للحاج أحمد أفندي الذي كان مفتياً في الجزائر قبل الاحتلال، حول أحداث النزاع بين فرنسا والجزائر والحملة العسكرية التي نتجت عن ذلك في عام 1830 م. وقد أرفق المترجم ترجمته بالنص التركي لذلك التقرير، كما فعل جون ديني بخصوص أناشيد الجنود الانكشارية، ونشر ترجمته تلك في المجلة الآسيوية، وهي:

La prise d 'Alger racontée par un algérien, in: J. A., vol. 20 / 1862.

وأما الأستاذ الخامس الذي أسهم في حركة الترجمة عن اللغة التركية بخصوص تاريخ الجزائر، فهو المؤرخ التركي أرجمند قوران Ercüment Kuran الذي ترجم رسالة من حسين باشا آخر ولاية الجزائر العثمانيين إلى الصدر الأعظم بإستانبول حول أحداث النزاع بين فرنسا والجزائر وأسبابه المباشرة، وقد أرفق

ترجمته الفرنسية بصورة للرسالة الأصلية المكتوبة باللغة التركية، ونشر عمله ذلك في المجلة الإفريقية، وذلك كما يأتي:

La lettre du dernier Dey d'Alger au Grand Vezir de l'Empire Ottoman; in: R. A . / 1952.

وأما المرحلة الثالثة التي تمثلها الفترة المعاصرة الممتدة بعد عام 1962 م فقد مثل حركة الترجمة عن اللغة التركية فيها بخصوص الجزائر مجموعة من الأساتذة أغلبهم ليسوا من فرنسا أو البلدان الأوروبية الأخرى كما كان الحال عليه في المرحلة الثانية، وإنما من البلاد العربية، ويأتي في مقدمة هؤلاء الأساتذة الباحث والعالم التونسي عبد الجليل التميمي الذي دفعه اهتمامه بتاريخ المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين على يد الحاج أحمد باي، إلى الاهتمام بوثائق الجزائر في العهد العثماني بشكل عام، والموجودة في الجزائر وفرنسا وإستانبول. ومما ميز أعمال هذ المؤرخ بخصوص وثائق الجزائر أنه لم يكتف بنشرها باللغة العربية أو الفرنسية فقط، وإنما بكلتا اللغتين. ونذكر من تلك الأعمال: موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر، تونس، منشورات المعهد الأعلى للتوثيق، 1983 .

وهو عمل رتب فيه أقسام السجلات الإدارية الموروثة عن الإدارة العثمانية بالجزائر، وبين أماكن حفظها، وشرح مضمونها.

. بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وطرابلس (1816 .

1871م)، تونس، الدار التونسية للنشر، 1972 م.

وهو كتاب تناول فيه أربعة موضوعات حول الجزائر، أحدها يتعلق بموقف الدولة العثمانية من ثورة الشرق الجزائري عام 1871، والثاني يتعلق بكتاب المرأة

لحمدان بن عثمان خوجة، والثالث بالعلاقات بين الأمير عبد القدر والباب العالي، والرابع بالحملة الأنكليزية على الجزائر عام 1816 م. وقد ألحق بتلك الدراسات الأربع جميعا سبعا وعشرين وثيقة، منها إحدى عشرة ذات أصول تركية قام بترجمتها إلى اللغة العربية والفرنسية.

. أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول، المجلة التاريخية المغربية، ع 6 / جويلية 1977 .

وهي الرسالة التي طلب فيها الجزائريون من السلطان العثماني إحاق بلادهم بالدولة العثمانية من أجل حمايتها من الاعتداءات الإسبانية. وقد كُتبت تلك الرسالة في أصلها باللغة العربية، ولكن عملية البحث لم تسفر سوى على العثور على ترجمتها التركية التي قُدمت للسلطان سليم. وقد ترجمها الدكتور عبد الجليل التميمي مرة آخر إلى العربية، وكذلك إلى الفرنسية، وألحق بها نص ترجمتها التركية. وتعد تلك الرسالة في غاية الأهمية لأنها تحدد لنا تاريخ إحاق الجزائر بالدولة العثمانية والدواعي التي كانت وراءه والطريقة التي تم بها ذلك. الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني على الأيالات المغربية في القرن السادس عشر، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع 10 . 11 / جانفي 1978، ص 44 . 5.

وبه نشر الباحث ثمانى عشرة وثيقة عثمانية مترجمة إلى اللغة العربية، أربعة منها تتعلق بالجزائر، وهي ذات الأرقام 5، 7، 8، 9 .
. السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1828 . 1848م)،
لمؤلفه المؤرخ التركي ارجمنت قوران الذي سبقت الإشارة إليه، ونشر الكتاب في تونس في طبعته الثانية عام 1974.

أما الأستاذ العربي الثاني الذي أسهم في حركة الترجمة عن اللغة التركية بخصوص الجزائر في هذه المرحلة من تاريخ الحركة فهو الجامعي السوري الدكتور محمود علي عامر أستاذ التاريخ بجامعة دمشق، وكان إسهامه ذلك بأن شارك في ترجمة واحد من أهم المؤلفات التركية الحديثة حول تاريخ الجزائر والبلاد المغاربية عامة في العهد العثماني، ونقصد به الكتاب الذي أنجزه عزيز سامح إتر Aziz Samih Iter بعنوان "الأترك في شمال أفريقيا Simali Afrika'da Türkler" الذي صدر في لغته التركية وجزئيه الأول والثاني، بإستانبول عامي 1936 . 1937 . ومما يمتاز به هذا الكتاب أن صاحبه اعتمد في إنجازهِ على الوثائق العثمانية المحفوظة بالأرشيف التركي بإستانبول، وقد أورد كثيرا منها بشكل كلي أو جزئي صمن فصول الكتاب، تارة في المتن، وتارة أخرى في الحواشي. كما اعتمد أيضا على مؤلفات حول الجزائر وبلاد المغرب عامة أنجزها فرنسيون وألمان. ويتعلق الجزء الأول من الكتاب بتونس وطرابلس، وقد ترجمه إلى العربية عبد السلام أدهم، ونشر في طرابلس عام 1969 م. أما الجزء الثاني منه فيتعلق بالجزائر والمغرب الأقصى، وهو الذي ترجمه الدكتور محمود علي عامر.

وأما الأستاذ العربي الثالث الذي أسهم في حركة الترجمة عن اللغة التركية في الجزائر فهو صاحب هذا العمل المتواضع، وذلك من خلال ثلاثة أبحاث أنجزتها الأستاذة التركية الدكتورة مينا أرول Mine Erol أستاذة التاريخ بجامعة قونيا، حول : العلاقات بين الأيالات المغاربية (الجزائر وتونس وطرابلس) وبين الولايات المتحدة الأمريكية في العهد العثماني، ونشرت لي تلك الترجمة في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، في عددها 11 . 12 / 1995 ، ص 43 . 123.

وما ميز البحث المتعلق بالجزائر أن به الترجمة العربية للنص التركي للمعاهدتين اللتين عقدتهما الجزائر مع الولايات المتحدة عامي 1795 و1816م. وهناك أستاذ آخر ينبغي ألا نغشط حقه هنا في موضوعنا وهو الأستاذ التركي فكري طونة المتخرج في كلية العلوم الدينية بجامعة إستانبول، والذي أحضره الشيخ توفيق المدني رحمه الله إلى مركز الدراسات التاريخية في عام 1978 م واسند إليه ترجمة الوثائق التركية التي تتعلق بالجزائر في العهد العثماني، وكان الشيخ قد أحضرها على شكل صور فوتوغرافية من الأرشيف التركي بإستانبول، وعددها 3300 وثيقة عبارة عن مراسلات بين ولاية الجزائر والباب العالي وتقارير مختلفة عن الجزائر قدمت من جهات متعددة للسلطان بإستانبول. وقد انكب الأستاذ المذكور على عمله مستغلا معرفته باللغتين العثمانية والعربية، واستطاع حتى عام 1985م أن يترجم ألف وثيقة (10). وقد رجع الأستاذ المذكور بعد ذلك إلى بلاده دون أن يكمل مهمته. وتوجد الوثائق المذكورة اليوم في الأرشيف الوطني بالجزائر، ويعتبر القسم المترجم منها مادة أولية ثمينة للباحثين في تاريخ الجزائر.

ثانيا . الواقع:

إن لفظة "الواقع" التي حددنا بها عنوان هذا العنصر هي واسعة المعنى، وهي تقترب في ذلك من كلمة: "التقويم". ولكي نتحدث عن واقع حركة الترجمة التي نحن بصدها أو تقويمها فإنه يتحتم علينا تحديد الجوانب التي يقوم عليها ذلك الحديث، وهي في جميع الحالات كثيرة وأكبر من أن يستوعبها عمل مختصر مثل عملنا هذا، ومن ثمة فقد اخترنا أن يكون حديثنا يهدف إلى توضيح عنصر واحد فقط هو إسهام الجزائريين في حركة الترجمة موضوع حديثنا وموقفهم منها في عصرنا الحديث ومدى الإمكانيات العلمية التي يتوفرون عليها

لكتابة تاريخ الجزائر العثماني، وفهم تاريخ العالم الإسلامي جملة في خلال القرون الستة الماضية.

ولكي أفصح في ذلك فإني رأيت أن يكون حديثي من خلال النقاط الآتية:

1. كما اتضح لنا من القسم الأول من هذا العمل فإن إسهام الجزائريين في حركة الترجمة المتعلقة ببلادهم هي قليلة جدا بحيث تكاد لا تذكر، ومرد ذلك إلى عوامل عديدة وفي مقدمتها قلة الاهتمام باللغة التركية في جامعاتنا، وهجرة العلماء المختصين من بلادنا (11). وضعف حركة التأليف والنشر عندنا.
2. إن الأعمال المترجمة التي أعدها دوفو، وهي أهم الأعمال جميعا حجما وقيمة علمية، على امتداد المراحل الثلاث، لا تزال تعد المصدر الأساس في حركة البحث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وذلك على الرغم من أن دوفو ثبت عنه بما لا يثير أي شك أن ترجمته كانت في كثير من الأحيان غير سليمة ولا تطابق نصوص الوثائق التركية الأصلية، بل أنه كان يضيف عبارات وينقص أخرى ويخطئ في فهم عبارات غيرها. وهو ما اكتشفه عنه الأكاديمي الفرنسي جون ديني الذي سبقت الإشارة إليه، فقل عنه في بحثه حول سجلات مرتبات الجنود الانكشارية:

"إنه كان مرغما [بسبب عدم معرفته اللغة التركية] على ترجمة الوثائق إلى العربية وبعدها إلى الفرنسية، ومن ثمة فإنه فتح المجال لنفسه لكي يقع في خطئين بدل خطأ واحد، ومن ثمة فقد جاءت الأخطاء كثيرة في أعماله المترجمة، ويمكن اكتشاف ذلك بسهولة عند مقارنة النص الأصلي من دفتر التشريفات المحفوظ في المكتبة الوطنية بالجزائر، بنص الترجمة التي أعدها له ونشرها بعنوان Tachrifat .

" ونحن نشعر بالحزن عندما نرى البعض يعتقدون بأن ذلك الكتيب [المترجم] يشكل مصدرا للبحث ويؤخذ على أنه مطابق للأصل.

"وعندما يتعلق الأمر بالكتاب المذكور فإنه بإمكاننا الرجوع إلى الأصل عندما نكون في الجزائر، ولكن في مقابل ذلك ما عسانا أن نفعل بخصوص الأعمال الأخرى التي أنجزها المؤلف المذكور ولم يذكر الوثائق الأصلية التي اقتبس منها المعلومات الواردة فيها"(12).

وقد التفت المستشرق الفرنسي هنري دو كاستري (1848 . 1927) إلى تلك الملاحظة التي أوردها جون ديني حول أعمال دوفو المترجمة عن اللغة التركية، عندما أراد أن ينقل ما ورد في دفتر التشريعات من معلومات عن الحرب التي اندلعت بين الجزائر وسلطنة فاس عام 1103 هـ / 1691 م بسبب الحدود بين البلدين، وقاد الجيشين فيها الداوي الحاج شعبان على الجانب الجزائري، والسلطان مولاي إسماعيل على الجانب المغربي. وهدف دو كاستري من ذلك أن يورد تلك المعلومات في الجزء الثالث من كتابه الشهير حول "مصادر المغرب الأقصى غير المنشورة" والذي صدر بباريس عام 1927. فقام بتصوير الفقرات التركية المتعلقة بتلك المعلومات من دفتر التشريعات الأصلي المحفوظ في المكتبة الوطنية بالجزائر، وحملها إلى جون ديني في باريس ليترجمها له رأساً إلى الفرنسية. ولكي يمكّن دو كاستري القارئ من المقارنة بين الترجمتين: ترجمة دوفو من جهة، وترجمة جون ديني من جهة أخرى، للفقرات المذكورة، فإنه أورد في كتابه المذكور الترجمتين معاً، علاوة على النص التركي للفقرات المترجم عنها (صورة ونسخاً). وبقراءة بسيطة للترجمتين ومقارنتهما بالنص التركي الأصلي، يمكن بسهولة معرفة الترجمة السليمة، وهي التي أعدها جون دوني، من الترجمة

غير السليمة، وهي التي أعدها دوفو. وذن أن نذكر ذلك هنا فليراجع في مصدره (13).

وعلاوة على ذلك كله فإنني شخصيا قمت في عملي المتواضع حول وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني المحفوظة في المكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، بمقارنة الترجمة العربية التي وضعت بطلب من دوفو للوثائق التركية، بالترجمة الفرنسية التي أعدها بعد ذلك دوفو عن تلك الترجمة العربية، وتمكنت من اكتشاف عدد كبير من الأخطاء التي ارتكبها دوفو في ترجمته الفرنسية لتلك الوثائق، وأشرت إلى ذلك في مقدمتي للعمل المذكور حتى أنبه الباحثين إلى مدى الحذر الواجب اتخاذه في أثناء تعاملهم مع أعمال دوفو (14).

ولكن مع ذلك كله فإن أعمال دوفو المترجمة بقيت وستبقى في مقدمة المصادر الأولية المعتمدة لدى باحثينا في تاريخ الجزائر العثماني، وذلك لسببين رئيسيين، أولهما عدم معرفة هؤلاء الباحثين باللغة التركية (15) التي تسمح لهم بالرجوع إلى المصادر التركية الأصلية وفي مقدمتها سجل التشريعات الأسير الآن بين جدران مخزن المخطوطات بالمكتبة الوطنية تحت وطأة تأثير العوامل الطبيعية، والسبب الثاني هو فقدان أغلب الأصول التركية أو ترجمتها العربية التي أعد عنها دوفو ترجمته الفرنسية.

3 . وقد كان ذلك بخصوص الترجمات التي أعدها دوفو، أما بخصوص الترجمات التي أعدها غيره ومنهم جون ديني، فإن ما تعكسه بخصوص واقع الترجمة عن اللغة التركية في بلادنا يتمثل في أن سجلات مرتبات الجنود الانكشارية التي أنجز حولها جون ديني دراسته، على الرغم من وجودها حاليا في المكتبة الوطنية الجزائرية ، فإن شأنها شأن دفتر التشريعات، هي حبيسة جدران أحد مخازن المكتبة، فلا أحد من الباحثين لجأ إليها في دراسته على الرغم من

أهميتها، خصوصا في الموضوعات المتعلقة بالجوانب العسكرية، وقد تأكلت أجزاء منها بفعل الأرضة والرطوبة والغبار وغيرها من عوامل الطبيعة المؤثرة.

4. إن الرسالة الأولى التي بعث بها سكان مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول وطلبوا منه فيها قبول انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية، لم تُعرف لدى باحثينا إلا بعدما ترجمها الدكتور عبد الجليل التميمي ونشرها في المجلة التاريخية المغربية عام 1977 م، مع أن اكتشافها في أرشيف طوب قابي سراي Top Kapi Sarayi بإستانبول قد حدث . كما يبدو لي . قبل ذلك بنحو أربعين سنة على يد المؤرخ التركي إسماعيل حقي أوزنجارشيلي الذي أشار إليها في الجزء الثاني من كتابه تاريخ الدولة العثمانية الذي صدر في طبعته الأولى عام 1943م (16). وفي ذلك دليل آخر على واقع الترجمة عن اللغة التركية في بلادنا.

5. إن الجامعات الكبرى بأوروبا وبعض البلاد العربية يُعتنى فيها بتعليم اللغة التركية والدراسات المتعلقة بها عناية فائقة، فيها أقسام متخصصة في ذلك، ولها أساتذة ذوو مستوى عال في معرفة اللغة التركية ولهم إلمام واسع بعناصر تراثها، من مصادر ومؤلفات تاريخية وأدبية، وواقفون على متابعة قضاياها في الساحات العلمية. ومن ثمة وجد بتلك الدول حركة ترجمة مستمرة من تلك اللغة (17)، ناهيك عما أنجز حولها من قواميس (18) وكتب قواعد (19) تسهلا لدراستها بشكليها القديم والحديث. أما في بلادنا فيكاد لا يوجد شيء من ذلك، ومن ثمة فلا ننتظر أن تقوم لدينا حركة للترجمة عن تلك اللغة، على الرغم من أن تاريخنا يرتبط بها بمدة تزيد عن ثلاثة قرون، وأن موضوعات كثيرة منه يصعب علينا فهمها بمعزل عما كتب بتلك اللغة من مصادر ومؤلفات، سواء في العهد العثماني أم في العصر الحديث.

وفي الختام أتمنى أنني قد وضحت الموضوع بما فيه الكفاية، وأرجو أن يحقق فائدة في سياسة التطوير المستقبلي لحركة الترجمة بشكل عام في بلادنا، لعلنا نصل بذلك إلى مصاف الدول المتقدمة في فهم تاريخنا فهما صحيحا ومستقلا، كما نفهم أيضا علاقاتنا مع الشعوب التي يجمعنا بها التاريخ والدين.

الهوامش

1- Babinger (Franz), Osmanli tarih yazarlari ve eserleri, çeviren Coskun Üçok, Ankara, T. T. K. Basimevi, 1982, s 86 - 87

2- المصدر نفسه، ص 88. يذكر بعض المؤرخين الأتراك بأن هناك قصيدة أخرى تروي غزوات خير الدين باسم "لجة الأخبار"، كتبها المؤرخ "علي" سماعا عن خير الدين. (Uzunçarsili (I. H), Osmanli tarihi, 2 ci cilt, 4 cü baski, Ankara, T. T. K. Basimevi, 1983, s 363, n 1).

3- ض (Yilmaz), Osmanli Devleti tarihi, 2 cilt, 4 baski, Ankara, T. T. K. Basimevi, 1986, s 399. وحسبما ورد في المصدر نفسه فإن كاتب الغزوات سواء بالنثر أم بالشعر هو شخص واحد، وهو مرادي سيد سنان جاووش.

4- راجع: Fagnant (E), catalogue général des manuscrits de la Bibliothèque Nationale d'Alger, 2^o édit., B. N. A, 1995, p 451. نسخة منه في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم 878 عربي. وقد نشره الأستاذ نور الدين بن عبد القادر في القاهرة عام 1934.

5- الأرشيف الوطني بالجزائر، قسم وثائق المحكمة الشرعية.

6- حول تفاصيل ذلك راجع عملنا: كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين بالجزائر وتونس، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، تونس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، ع 13 . 14 / 1996، المقدمة، ص 286 . 310.

- 7- حول تفاصيل ذلك راجع: المصدر نفسه، ص 290 . . 291.
- 8- نذكر من ذلك: Grammaire de la langue turque, dialecte osmanli, Paris, Imprimerie Nationale, 1921. وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة التركية نفسها على يد علي علوي ألوفه Ali Ulvi elove، ونشر متفرقا في عدة أجزاء بمطبعة المعارف Maarif Matbaasi بإستانبول في سنوات متفرقة، إذ نشر الجزء الثاني منه عام 1942، والجزء الثالث عام 1943، وهكذا ...
- 9- راجع بخصوصه: نجيب العقيلي، المستشرقون، ج 1، القاهرة، دار المعارف، 1980، ص 291 . 292.
- 10- راجع: فكري طونه، الوثائق العثمانية وأهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني، مجلة التاريخ، الجزائر، مركز الدراسات التاريخية، ع 18 / 198، ص 49 . 75.
- 11- نذكر منهم الزميل شكيب بن حفري الذي أعد رسالته للماجستير بجامعة إستانبول، ورسالة الدكتوراه بإسبانيا. وقد حدثني يوما بأنه ينوي ترجمة دفتر التشريعات إلى العربية عن نسخته التركية الأصلية، ولكن ذلك العمل لم يتم.
- 12 - Deny (Jean), Les registres de solde des janissaires, in R.A / vol. 61 / 1920, p 21.
- 13 - Castries (H. de), Les sources inédites de l'histoire du Maroc, 2 é série, T. III, Paris, Gueuthner, 1927, pp 499 - 513.
- 14- راجع الهامش رقم 6 أعلاه.

15- لقد بينت بعض مظاهر الخطأ التي يقع فيها باحثونا في تاريخ الجزائر في العهد العثماني أثناء تعاملهم مع المصطلحات التركية في بحث هو: أهمية اللغة التركية في دراسة مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد خاص: تحية وتقديري للأستاذ خليل ساحلي أوغلي ، تونس، مركز التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ، أكتوبر 1977.

16- Uzunçarsil ، المصدر السابق، ص 368، هامش 2.

17- إن الترجمات عن اللغة التركية كثيرة، سواء في أوروبا أم في البلاد العربية، وتجنبنا لإتقال العمل فلا داعي إلى التطرق إليها.

18- من أشهر تلك القواميس:

Bianchi (T.X.) et Kieffer (J.D.), Dictionnaire Turc - Français, Paris, 1850, 2 vols, 1318 ps.

Redhouse (Sir James W), Turkish and English lexicon, Constantinople, 1890, 2224 ps.

19- من أهم كتب القواعد هو ما ألفه جون ديني، وقد سبق الإشارة إليه، راجع هامش رقم 8 أعلاه.

ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية

الدكتور الطيب بودريالة
كلية الآداب و العلوم الإنسانية - جامعة باتنة

يبدو أن الترجمة لصيقة بحياة الإنسان. فهي قبل أن تكون ترجمة من لغة إلى أخرى، كانت مفتاح ولوج عالم الإشارات والعلامات ، لفك شفرات كتاب الحياة المفتوح على دلالات الواقع وطلاسم الكون، تحقيقا للتواصل الإنساني والوعي بالذات و العالم.

وقد كانت اللغة ولا تزال حتى يومنا هذا أفضل وسيلة لترجمة الإنسان وواقعه المعيش. فبفضلها يترجم الإنسان عن أحاسيسه وأفكاره، ويترجم الواقع إلى رؤى وصيغ ومعادلات، بغية فهمه والتحكم فيه.

والإنسان باعتباره كائناً أسطورياً، على حد تعبير "ميرسيا إلياد" عالم الأنتروبولوجيا، يحن دائماً إلى الزمن البدئي، الزمن المطلق، حيث تلتحم وتتوحد كل مكونات الحياة، حيث اللغة الواحدة والموحدة التي تجمع بين كل أبناء البشر. فالحنين إلى ما قبل بابل، إلى الفردوس المفقود، لا يزال حتى يومنا هذا حلماً يراود كثيراً من العلماء والمفكرين والطوباويين. وابتداع لغة الإسبرنتو في العصر الحديث يعكس بصدق طموحات العلماء في توحيد الجنس البشري بفضل بعث لغة الزمن البدئي، لغة الأصل والبدائيات الثقافية والحضارية. ورغم أن التاريخ قد فعل فعلته وكرس القطيعة التي تفصل بين الماضي والحاضر، فإننا نلاحظ أن التاريخ يعيد نفسه من خلال رجوع الإنسانية إلى اللغة الأم، لغة الرسم والصور التشكيلية قبل اختراع الحروف السومرية، واللغة الهيروغليفية، ثم حروف الأبجدية على يد الفينيقيين.

تعود الإنسانية اليوم إلى لغة الصورة المؤسسة لحضارة الصورة، لتتحرر تدريجياً من مجرة "كوتنبارج" الألماني على حد تعبير عالم وسائل الإعلام "مارشال ماك لوهان". وسيغير هذا التحول الخطير الأبنية الأنتروبولوجية العميقة للإنسان محققاً بذلك ثورة عميقة في علاقة الإنسان بنفسه وبالعالم.

والترجمة فعل حضاري مؤسس لكثير من الحضارات. وبفضل الترجمة، ظهرت حضارات كبرى مثل حضارة اليونان التي استطاعت استيعاب وتمثل حضارات الشرق. فالمعجزة اليونانية لم تنبثق من العدم، لكنها نتيجة الإخصاب الشرقي الذي ساعدته عبقرية المكان.

وقد ورثت الحضارة الرومانية هذا الزخم الحضاري الهيليني. وبعد مرحلة التقليد والتأثر، جاءت مرحلة التأسيس والإبداع والإشعاعية. لذلك قيل بحق: ((إن

روما قد انتصرت عسكريا على أثينا ، ولكنها انهزمت ثقافيا وحضاريا أمام هذه الأخيرة)).

وقد لعبت الترجمة دور المحرك في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في عصرها الذهبي. ففضلها تلقى المسلمون المؤثرات الأجنبية من هندية وفارسية ويونانية ورومانية ومصرية ...، واستطاعوا التحكم فيها بفضل الاستيعاب والتمثل والانتقاء. وصيغت كل هذه المؤثرات في بوتقة العبقرية الإسلامية. وقد أسس "المأمون" الخليفة العباسي الذي حكم ما بين (813_833م) بيت الحكمة ، فضاء واسعاً تتحاور فيه اللغات والثقافات والحضارات. و من مشاهير المترجمين "حنين بن إسحاق" ، هذا العالم المسيحي الذي كان جسراً ممدوداً بين مختلف الثقافات. ويقال إن "المأمون" كان يمنح عن كل مخطوط مترجم ما يقابل وزنه ذهباً.

وقد بلغ اهتمام بعض الخلفاء العباسيين بالعلوم الأجنبية إلى حد اشتراط نقل بعض محتويات مكتبات القسطنطينية كشرط ضروري لإبرام المعاهدات مع خصومهم (و قصة نقل كتاب بطليموس من بيزنطة إلى بغداد معروفة).

وقد اتبع المسلمون استراتيجية محكمة في ترجمتهم لمعارف وعلوم الشعوب التي احتكوا بها، مخضعين عملية التعريب لضوابط دقيقة، باعتبارها سلاحاً استراتيجياً هاماً.

وقد سخرت الترجمة كأداة استراتيجية لتحقيق مشروع حضاري متجذر في الروح الإسلامية ومنفتح على كل العلوم والمعارف. وقد حرص المسلمون كل الحرص _ دفاعاً عن هويتهم الدينية وحفاظاً على منطلقاتهم المقدسة _ على استبعاد كل ما يتناقض مع عقيدة التوحيد، وعبقريتهم الشعرية.

وهذا يفسر عزوفهم عن ملاحم اليونان وإبداعاتهم الشعرية المسرحية. وقد ساعدت موازين القوى الحضارية التي كانت وقتها لصالح المسلمين، ساعدت على التحكم في المؤثرات الدخيلة التي أضحت جزءاً لا يتجزأ من مكونات الكيان الحضاري العربي، فاقدة بذلك أصولها الأجنبية، بفضل تطبيق قوانين النحت والتعريب والاشتقاق والإدماج.

أما الترجمة في العصر الحديث فإنها تعد بالنسبة للمسلمين مظهراً من مظاهر المتأقفة والصدام مع الغرب. فإذا كانت الترجمة العلمية في حقل العلوم تطرح قبل كل شيء إشكالية المصطلحات، فإنها في العلوم الإنسانية تطرح قضايا شائكة يستحيل تخطيها. وتتعدد الأمور أكثر عندما يتعلق الأمر بالترجمة الأدبية، التي تقوم بطبعها على الانزياح وخيانة النص الأصلي بطريقة أو بأخرى (ولكنها خيانة إبداعية). لذلك قيل بحق ((traduttore - traditore)) أي أن ((الترجمة خيانة)).

وسعت نظريات الترجمة المختلفة إلى تقديم رؤى ومناهج يصعب التوفيق بينها، لأن كل نظرية تتطلق من خلفيات إبستمولوجية وفكرية وفنية معينة. ويبقى الأدب مستعصياً دائماً على الترجمة الأمينة والوفية. إذ يستحيل على المترجم أن ينقل الوزن والإيقاع والموسيقى والصورة وهسهسة الحروف والكلمات.

ظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مع بداية الخمسينات. وتعد رواية ((نجل الفقير)) باكورة الأعمال الروائية الجزائرية، إذ نشرت سنة 1950م. ولكن "فرعون" لم ينطلق من العدم فقد سبقته بعض المحاولات الروائية التي لم تسم إلى مستوى النضج، وهي تعتبر بمثابة الإرهاصات الأولى للأدب الروائي الجزائري، وتمثلها روايات ((الاندماجين)) التي نشرت بين الحربين العالميتين.

ويعد جيل الخمسينات المؤسس الحقيقي للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية. لجأ الروائيون الجزائريون إلى استعارة اللغة الفرنسية للتعبير عن هويتهم الثقافية والاجتماعية والوطنية، ولم يكونوا مخيرين في ذلك، لأن الاستعمار فرض عليهم لغته وثقافته بهدف تشكيلهم وفق الرؤية الاستعمارية، بعد أن طبق استراتيجية الاستئصال الثقافي. وقد جاء الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية معبرا عن مأساة هذه النخبة التي وجدت نفسها بين أمرين أحلاهما مر : إما التجذر والذوبان في الهوية الثقافية الأصلية، وهذا يستحيل تحقيقه لأن المدرسة حققت القطيعة مع الأصل، وإما معانقة الآخر والتماهي معه في كل شيء، وهذا صعب المنال، لأن النظام الاستعماري يقوم على رفض الآخر، ولأن الأديب الجزائري فرع متجذر في شجرة الأمة. تلك هي مأساة الأديب الجزائري الذي أضحي كالفروع الذي اجتث من أصله، ما له من قرار، تذروه الرياح كيفما تشاء .

ورغم استعماله للغة الفرنسية، فإن رسالته الحقيقية تتمثل في التعبير عن شخصيته الجزائرية المهددة بالضياع والفناء. فهو أدب جزائري مكتوب بلغة أجنبية ولكنه معبر عن ثقافة جزائرية أصلية. وهذا ما يميزه عن كتابات الأدباء الفرنسيين الذين عاشوا في الجزائر وكتبوا عنها لا كجزائريين، ولكن كأوروبيين ينتمون إلى حضارة غربية. والجنسية الأدبية كما يقول "مالك حداد" ليست من صنع الجغرافيا ولكن من صنع التاريخ. فالأديب الجزائري هو ذلك الأديب الذي اختار أن يربط مصيره بمصير الأمة الجزائرية ليعبر عن آمالها وأحلامها وعن إرادتها في العيش حرة عزيزة ومستقلة.

إنه حس مأساوي يطبع كل كتابات الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية. إنهم نتاج عنف التاريخ وصدام الشرق بالغرب. يقول رشيد، أحد أبطال رواية نجمة: ((se taire ou dire l'indicible))؛ ((الصمت أو التلفظ بكلام غير مفهوم)).

اختيار الصمت بالنسبة لهؤلاء الأدباء يعني الموت ، فالشعب الذي لا أدب له هو شعب لا وجود له. أما الاختيار الثاني فهو يؤسس للجرح العميق الذي لا يندمل؛ جرح القطيعة مع أعماق الذات الفردية والجماعية. إنها جدلية تأتي على الأخضر واليابس لأنها لا تتموقع في فضاء محدد ومعين من العالم.

ويستبطن الكاتب هذه المواجهة بين الأنا والآخر ليصبح العالم كله مسرحا لهذا الصراع المتجذر في اللاشعور الجمعي. فنحن هنا أمام ظاهرة الكتابة بالدم.

يعتقد الأديب في قرارة نفسه أنه يعبر عن ثقافته الأصلية، رغم لجوئه إلى استعمال اللغة الفرنسية. وتتشكل هذه الثقافة وفق تشكيلات شتى. فقد تتجلى من خلال الصور الأنتوغرافية كما هو الحال في روايات "مولود فرعون" و "مولود معمرى". وقد تتراءى لنا من خلال الرحلة إلى عالم الأسطورة والخرافة. في مواجهة ثقافة الآخر الغازية والمهيمنة، يستحضر الأديب ثقافته الأصلية ويضمنها دلالات جديدة لمقاومة الخطر الداهم. لذلك فإن الإبداعات الثقافية في البلدان المستعمرة تكتسي دائما طابعا ثوريا.

وتقوم الرواية المكتوبة بالفرنسية على تحقيق نوع من الترجمة للنص الأصلي، نص العادات والتقاليد والخرافات والأساطير ومكونات الأنية الثقافية. وتصبح اللغة الفرنسية هي التي تحتضن هذه الفسيفساء لهيكلتها وتأطيرها والهيمنة عليها.

وبطبيعة الحال، تثار هنا بحدّة قضية علاقة الشكل بالمضمون، وعلاقة الفكر باللغة، وعلاقة اللغة بالكلام، وعلاقة الأبنية الأنتروبولوجية العميقة بالأبنية السطحية، وعلاقة المتخيل الجزائري بالمتخيل الفرنسي.

وعلاقة لغة الأم بلغة الآخر هي علاقة تحكمها قواعد الإقصاء والتنافر والصراع. و يخيل أحيانا للكاتب أن لغة الأم هي المنتصرة من خلال إخصابها الاوريسي لكل المكونات الثقافية. فتشردم لغة الأم وتتاثرها من الأمور التي تحقق إخصاب النص الذي يفتح على المطلق الدلالي.إنها كتابة الفناء المحققة في الوقت نفسه للبقاء.

لقد درج بعض النقاد في المغرب العربي وفي فرنسا على قراءة الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية كوثيقة تاريخية (إنتوغرافية) مضحين بشعريته وبمتخيله وبأبنيته العميقة التي ضمنت له العالمية. لذلك وجد بعض النقاد منفاذا للطعن في شرعية وأصالة هذه الإبداعات المكتوبة بالفرنسية، لأنهم لم يهتموا إلا بالأداة التعبيرية.

هذا الإشكال اللغوي طرح مشكل التسمية، حيث اقترحت عدة تسميات في هذا المجال. إذ ذهب بعضهم إلى تسميته بالأدب العربي المخطوط بالفرنسية؛ ((Littérature arabe de graphie française)) . ومال آخرون إلى وضع مصطلح " الأدب الجزائري ذو التعبير الفرنسي "؛ ((Littérature algérienne d'expression française)) . غير أن أغلب النقاد يفضلون تسمية "الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية"؛ ((Littérature algérienne de langue française)) ، وهي التسمية التي استقر عليها النقد لأنها تحدد الإطار الحقيقي لهذه الإشكالية.

والأدب الجزائري من صنع التاريخ، ولكنه في الوقت ذاته منتج للتاريخ
Produit Productif. وتجدر الإشارة إلى أن جيل الخمسينات، لارتباطه بمرحلة
تاريخية معينة، أصبح يكون الزمن البدئي والأسطوري للأدب الجزائري الحديث.

مع مطلع الخمسينات، برزت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على
أنقاض الرواية الاستعمارية التي كانت تحتكر وحدها الفضاء الروائي الجزائري.
وتزامنت هذه النهضة الأدبية مع الزلزال الذي أحدثته الثورة الجزائرية على
المستويين الوطني والعالمي.

ولكون الواقع الثقافي الجزائري قبل الثورة كان يقوم على الصراع والمواجهة
بين الثقافتين العربية والفرنسية، فإن الترجمة كأداة تواصل بين الثقافتين، كانت
شبه مغيبة. لأنها اقتصرت على دائرة المعاملات الإدارية الاستعمارية التي كانت
تحتاج إلى أسلاك المترجمين للتحكم في شؤون الأهالي. لكن هذا لا ينفى وجود
بعض الشخصيات العلمية التي كان لها باع طويل في الترجمة الثقافية، ونذكر
على سبيل المثال لا الحصر، شخصيتين متميزتين، وهما "محمد بن رحال"
و"محمد بن شنب" الذين كانت لهما إشعاعية ثقافية متميزة في الجزائر.

لقد كان للدوي الكبير الذي أحدثته الثورة الجزائرية في وعي الإنسان
العربي دور حاسم في اهتمام النقاد والأدباء العرب بالرواية الجزائرية التي أضحت
محاطة بهالة من التقديس الأسطوري. فهذا طه حسين مثلا، يخصص مقالا رائعا
لرواية ((الربوة المنسية)) للكاتب "مولود معمري". وانكب كبار نقاد المشرق العربي
من أمثال "غالي شكري" و"شكري عياد" و"يحي حقي" على تحليل الرواية
الجزائرية ودراساتها. وقد غذت هذه الروايات. وخاصة رواية نجمة. تعطش
المبدعين المشاركة لتيارات الحداثة. ورحلة الرواية الجزائرية عبر بلدان المشرق

شبيهة إلى حد كبير برحلة "رامبو الأسطوري" عبر بلدان العالم، كما بينها " Etienne"، رائد الأدب المقارن الجديد في فرنسا.

لقد تلقى المشاركة الرواية الجزائرية في لحظة تاريخية، كان يسيطر فيها الفكر القومي، وكان للثورة الجزائرية حضور قوي. لذلك اصطبغ هذا التلقي بتوجهات إيديولوجية طغت على حقيقة الإبداعات الجزائرية التي لم تراع في قراءتها إلا المحتويات والمضامين. و تجسد ترجمة "ملك أبيض" ((زوجة الشاعر السوري سليمان العيسى))، لرواية "نجمة لكاتب ياسين" هذا الإسقاط الإيديولوجي للرواية الجزائرية.

اضطلعت هذه الأدبية، سنة 1962م، بترجمة هذه الرواية إلى العربية. وقد سعت المترجمة إلى التأثير على القارئ بداية من صورة الغلاف التي تبرز صورة امرأة ثورية مناضلة حاملة للعلم الجزائري وكأنها تقود الأمة نحو المقاومة لتحقيق النصر. وهذه الصورة تذكرنا برائعة الرسام الرومانسي الفرنسي " Eugène de Lacroix " الحرية تقود الشعب "La liberté guide le peuple"، تمجيدا لروح المقاومة، ولروح الثورة الفرنسية.

غير أننا عندما نتصفح الرواية فإننا نجد أن شخصية "نجمة" تتناقض كلية مع الصورة المعطاة عنها في غلاف الرواية. لأن شخصية "نجمة" شخصية إشكالية، تتأرجح بين السلب والإيجاب، بين الوجود والعدم، بين الحلم والواقع، بين مأساة الحاضر وأمل المستقبل. "فنجمة" الحاملة لأسطورة كاتب الشخصية، تتأرجح بين مختلف الدلالات والرمزيات والقيم.

والكتاب يقرأ من عنوانه ومن غلافه. وأنت الترجمة الجديدة مختلفة كل الاختلاف عن النص الأصلي. والبون شاسع بين النص الأصلي والنص

المترجم. والحقيقة، أن "نجمة" تستعصي على الترجمة، لأنها في حد ذاتها ترجمة للمسكوت عنه وللمكبوت ولغير المفكر فيه. والعبرة في نجمة بالورقة البيضاء، وبالصمت، وبعناصر الغياب التي تخيم على أجواء النص. كما ترجمت الكاتبة مسرحية "الأجداد يزدادون وحشية"، سنة 1979م.

ووجدت ثلاثية "ديب": "الجزائر" تقبلا حسنا لدى الكاتب السوري "سامي الدروبي"، فانبرى لترجمة "الدار الكبيرة، الحريق، والنول" سنة 1968م.

وقد صدر هذا العمل بتوطئة من المترجم، ركز فيها على أصالة وعالمية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية. وهو يرى أن استعارة اللغة الفرنسية لا يتنافى مع تجذر هذا الأدب في الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية؛ وهو تعبير بصدق عن واقع الشعب الجزائري وآماله.

إضافة إلى ترجمات "ملك الأبيض" و"سامي الدروبي"، نجد ترجمات أخرى اضطلع بها "جورج أبيض"، وقد انصبت على آثار "مولود فرعون".

كما حظيت بعض روايات "آسيا جبار" و"مالك حداد" بعناية خاصة من لدن بعض المترجمين المشاركة، لأسباب معروفة. ذلك أن "آسيا جبار" تمثل صوتا نسويا متفردا في الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية. أما الاهتمام "بمالك حداد"، فإن مرده، قبل كل شيء، إلى موقفه من اللغة الفرنسية ومن الاستلاب الثقافي. وانقطاعه عن الكتابة بالفرنسية يعزز موقف المناهضين للفرنكفونية.

إن انبهار المشرق بالرواية الجزائرية مرتبط، كما أشرنا سالفاً، بإشعاعية الثورة الجزائرية. ومع مرور الزمن، أخذ الاهتمام بالأدب الجزائري يضعف ويضمحل.

مع نهاية الستينات، أحس بعض المثقفين الجزائريين بخطورة الهوة الفاصلة بين المثقفين بالعربية والمثقفين بالفرنسية. لأن مزدوجي اللغة الذين يتحكمون في اللغتين قلة. و لأن الصراع اللغوي يزداد بمرور الزمن حدة وضراوة، وهذا يشكل خطراً على مستقبل الأمة الجزائرية. فتعالت الأصوات من هنا وهناك، داعية إلى تبني استراتيجية الترجمة لتقليص الهوة و الفروق. وقد دعا "مصطفى لشرف" في المداخل التي قدمها في ملتقى الثقافة الوطنية، سنة 1968م، إلى تشجيع الترجمة، إثراء للثقافة الوطنية القائمة على التنوع. هذه الثقافة التي أريد لها أن تكون ثقافة وطنية، علمية وثورية، كما يؤكد الشعار المعمول به خلال هذه الفترة.

كما دعا المفكر "عبد الله مزوني" إلى تبني مشروع الترجمة للقضاء على المواجهة اللغوية في الجزائر، التي تستنزف طاقات الجزائريين وتهدد وحدتهم التي دفعوا ثمنها باهضاً.

لفهم حقيقة الصراع اللغوي في الجزائر، يجب أن نضعه في سياقه الحقيقي كمظهر من مظاهر المواجهة الثقافية الحضارية المتأججة في الجزائر منذ عقود من الزمن.

مع السبعينات، بدأ اهتمام المشاركة بالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يتراجع، لأسباب معروفة، وتزامن ذلك مع اقتناع بعض الجزائريين بضرورة ترجمة هذه الروايات إلى العربية، ووضعها في متناول القراء المعربين الذين كثر عددهم، نتيجة تطبيق سياسة التعريب، على نطاق واسع. وقد قام الأستاذ "حنفي بن

عيسى" بترجمة أعمال "فرعون" الروائية إلى العربية، بمهارة فائقة. كما ظهر جيل جديد من الأدباء الجزائريين الذين يكتبون بالعربية، وهم في الوقت ذاته متحكمون في اللغة الفرنسية.

حاول بعض هؤلاء الأدباء الاضطلاع بمهمة الترجمة، ونجحوا إلى حد كبير في تحقيق التقارب بين مكونات الأدب الجزائري، ونذكر في هذا الصدد، إسهامات كل من "مرزاق بقطاش"، و"جيلالي خلاص" و"عمار بلحسن". وقد بلغ اهتمام "ابن هدوقة" بالأدب الأجنبية إلى حد ترجمة "روائع الآداب العالمية" إلى العربية.

ولا ننسى أن نشير في هذا الصدد إلى جهود مترجمين تونسيين مقتدرين، وهما: "صالح القرمادي" و"محمد قوبعة". الأول ترجم رواية "الإنكار" La répudiation "لرشيد بوجدره"، والثاني ترجم رواية "نجمة" لكاتب ياسين"، وتعتبر ترجمة هذين الكاتبين من خيرة الترجمات التي أنجزت حول الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

وهناك ظاهرة جديرة بالاهتمام، تتمثل في لجوء "رشيد بوجدره" إلى ترجمة معظم رواياته إلى العربية، ومعروف أن هذا الأديب كان قد ألف كل كتبه بالفرنسية، ولكنه بداية من سنة 1982، تحول فجأة إلى الكتابة بالعربية، ونشر "التفكك"، أولى رواياته بالعربية. واستمر منذ ذلك التاريخ في الكتابة بالعربية، وهو لا يكتفي بذلك، بل يترجم كتبه تارة إلى العربية، وطورا إلى الفرنسية. وهذه الترجمات هي في حقيقة الأمر كتابات وإبداعات جديدة، تمكنت من التحرر نهائيا من قبضة النصوص الأصلية. ويتكفل أحيانا بعض المترجمين، بالتنسيق مع المؤلف، بالاضطلاع بمهمة ترجمة بعض الروايات. ويتبنى "بوجدره" في

نصوصه المترجمة لغة تجريبية قاموسية متحررة من النمطية والقوالب الجاهزة، ومعبرة عن رؤية الشاعر الفنية، وعن إيديولوجيته، وعن أسطوره الشخصية. وهو في كتاباته باللغة العربية، يسعى جاهدا لنسف تابوهات اللغة، والقوالب الجاهزة، مؤسسا للغة شعرية وإبداعية تعبر بحق، عن الحياة، بعيدا عن ذاكرة اللغة وشحناتها الثقافية والتاريخية. وهي لغة لا تروق لأتباع طهريّة اللغة ونقاوتها.

فكتابته باللغة العربية تقوم أساسا على نسف اللغة التراثية، وتفكيك مكوناتها الأيديولوجية، لأن اللغة ليست حيادية، بل ((هي مسدسات محشوة)) كما يقول الفيلسوف "سارتر".

اقتصرت الترجمات على الروايات التي نشرت في الخمسينات، للأسباب التي ذكرناها آنفا. وتجاهل المترجمون الروايات اللاحقة في عهد الاستقلال. لذلك يجهل كثير من القراء المتعربين روايات "ديب" الجديدة، التي تطرح إشكالية الكتابة بحدّة وعمق (في علمنا لم تترجم إلا رواية Habel إلى العربية من طرف "لمين الزاوي").

كما عزف المترجمون عن الاهتمام بالجيل الثاني من الروائيين الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية من أمثال "رشيد ميموني"، "عائشة لمسين"، و"حبيب طنغور". ولم تستثن عن القاعدة إلا رواية "يمينة مشاكرة" التي ترجمت إلى العربية تحت عنوان "المغارة المتفجرة". وقد كان للاعتبارات الأيديولوجية الدور الحاسم في ترجمة هذا النص الروائي الذي يستبطن بعض الخطابات الأيديولوجية الرسمية.

ويمكننا في الختام، أن نجمل بعض الملاحظات فيما يلي:

1. يجب الاعتراف بأن ترجمة الرواية المكتوبة بالفرنسية ليس بالأمر السهل، لأن الترجمة تتم بين لغتين جد متباعدتين: الأولى تنتمي إلى أسرة اللغات الهندو-أوروبية، والثانية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية. هذه الفروق الجوهرية، تقف عائقاً أمام تحقق حوار حقيقي بين النصوص الأصلية والنصوص المترجمة. أضف إلى ذلك أن المترجمين ليسوا مسلحين بالزاد النظري والمعرفي لإنجاز ترجمات جامعة مانعة، لأن الترجمة أصبحت اليوم علماً قائماً بذاته. وهذا ما يفسر عجز الترجمات، على أهميتها، عن الوصول إلى المستوى الذي تطمح إليه.

2. الأدب الجزائري يقوم على التنوع والاختلاف والتعددية، غير أن تباين المرجعيات اللغوية والثقافية أدى بالضرورة إلى التهميش والإقصاء والموقف العدائي.

وقد كان من المفروض أن يتحقق الحوار والتواصل بين الأدب المكتوب بالفرنسية من جهة، والأدب المكتوب بالعربية من جهة أخرى. لكن الصراع اللغوي جعل كل فئة تنطوي على نفسها وتناصب العداء الفئة الأخرى. وكان بإمكان كل فئة أن تحتضن الأخرى، وتثمن إبداعاتها الأدبية، على غرار ما هو موجود في بعض بلدان المغرب العربي. ففي المغرب، على سبيل المثال، حيث لم يبلغ الاستئصال الثقافي ما وصل إليه في الجزائر، تتكامل مكونات الأدب وتتناغم مع بعضها البعض داخل سمفونية رائعة. وإسهامات "عبد اللطيف اللعبي"، و"عبد الكريم الخطيبي" و"عبد الله العروي" و"كيليتو"، في مجال الترجمة، شاهدة على التفاعل الثقافي المثمر داخل الأدب الوطني الواحد. أما في الجزائر، التي هي في أمس الحاجة إلى التعايش الثقافي، فإن موقف الإقصاء والرفض هو

القاعدة التي تطبع سلوكات كل فئة. فهذه مثلا "آسيا جبار"، تكتب بالفرنسية، وترجم بعض الإبداعات التونسية المكتوبة بالعربية إلى الفرنسية، ولكنها تتحفظ في ترجمة الإبداعات الجزائرية إلى الفرنسية.

3. إن الترجمة إلى العربية هي ترجمة من الدرجة الثانية، لأن هناك، في البداية، ترجمة أولى سمحت للأديب الجزائري أن ينقل ثقافته الأصلية إلى فضاء اللغة الفرنسية. وعودة النص إلى منبعه، هي عودة أسطورية، لأنها تتم عن طريق متخيل جديد وقنوات جديدة، ويتحقق التواصل الأسطوري من خلال المسافة الممتدة بين النص الثقافي الأصلي، والنص الثقافي الجديد الذي تكشف عنه الترجمة الثانية.

4. لقد صاغت الترجمات المختلفة للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وعيا أسطوريا، بالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية. ونتج عن ذلك تناص إشكالي، يمزج بين كل التناقضات، وكل الأوهام. تناص يكشف عن صعوبة كبيرة في استيعاب الآخر وتمثله. الآخر الذي هو، في الوقت نفسه، هوية واختلاف.

5. قامت هذه الترجمات أساسا على أحادية الدلالة، مضحية بالأدبية، وبالأبنية العميقة، وما يتصل بها من متخيل ورمزية ورؤى فنية وجمالية. إن ارتكازها على المدلولات والمضامين، بالدرجة الأولى، حول النصوص الأدبية إلى مجرد وثائق تاريخية واجتماعية وايتنوغرافية، مجردة من كل أدبية. إن اهتمام الترجمة بالنص السطحي الظاهري، Le phénotexte، حسب تعبير Kristeva، كان على حساب النص العميق، Le génotexte، الذي يتسلل إلى النص الظاهر لينسفه من الداخل.

أضف إلى ذلك، أن الترجمات المشرقية، نظرا لجهلها بالثقافة الجزائرية، فإنها لم تترجم إلا اللغة الفرنسية، التي أصبحت هيكلًا عظيمًا دون حياة. فالتعامل تم هنا، مع الروايات، وكأنها نصوص فرنسية، وليس كنصوص جزائرية لها عبقريتها الخاصة.

والترجمة التي تتشدها النصوص الجزائرية هي بالدرجة الأولى الترجمة الثقافية الكفيلة بالكشف عن عبقريتها وأصالتها.

تلك هي بعض ملامح إشكالية ترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى العربية. وقد بينت الخلفيات الإيديولوجية والفكرية والفنية، التي برمجت هذه الترجمات وطبعتها بطابع خاص. وقد كان لهذه الترجمات تأثير كبير في صياغة صورة أسطورية عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية لدى قراء هذه الإبداعات المترجمة.

وهكذا ارتسمت في متخيل جمهور القراء، سواء في المشرق أم في المغرب العربي، رؤية معينة عن هذا الأدب، هي أبعد ما تكون عن الحقيقة، وإشعاعية الأسطورة لا تعرف الحدود.

إن ترجمة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إلى العربية، ضرورة ثقافية، إيديولوجية، وطنية، حتى يتحقق التواصل بين الأجيال، ويتم التآلف بين المثقفين المتعربين، والمثقفين المتفرنسين. إن هذا الأدب الجزائري يحمل آثار عنف التاريخ وصدام الحضارات ومأساة الثقافة. إنه تعبير برومثيوسبي عن جرح الجزائر العميق، هذا الجرح الذي لم يندمل بعد.

إنه الحلم بإنسانية جديدة، ويطوباوية إنسان الغد. ورغم ضعف هذه الترجمات، ومحدوديتها، فإنها قد استطاعت . إلى حد ما . أن تخفف من حدة الصراع الثقافي بفضل الجسور الممدودة بين الثقافتين، وبفضل معانقة الهوية للتمايز والاختلاف، ذلك أن " الاختلاف المتوحش la différence sauvage " على حد تعبير "عبد الكبير الخطيبي"، يؤدي حتما إلى نتائج وخيمة على المستوى الفردي والجماعي، لأنه نوع من الانتحار الذاتي.

وبما أن الأدب الجزائري يطير بجناحين، فإن تناغم مكونات هذه السمفونية لا يكتمل إلا بإنجاز مشروع ثقافي آخر، يتمثل في ترجمة الأدب الجزائري المكتوب بالعربية إلى الفرنسية، وإلى مختلف اللغات الأجنبية، إن أمكن ذلك. وقد اتجهت همة بعض النقاد إلى ترجمة بعض الروايات الجزائرية، التي بلغت العالمية، بجمالياتها وموضوعاتها، بحيث أصبحت جزءا لا يتجزأ من روائع الآثار الأدبية العالمية. وهكذا تمت ترجمة بعض روايات كل من "ابن هدوكة"، و"وطار" و"واسيني لعرج"، و"أحلام مستغانمي" إلى الفرنسية وإلى اللغات الحية.

ويبدو أن الأدب الجزائري المكتوب بالعربية قد استلم المشعل، وأدرك حقيقة الرسالة الثقافية والحضارية المنوطة به. فبعد استيعابه وتمثله للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، وللأدب العربي الحديث في المشرق وفي المغرب العربي، اتجه إلى رفع التحديات الكبرى التي تتمثل في الانفتاح على عالم بلا حدود، والاستفادة من التجارب الإبداعية الحداثية التي تحققت هنا وهناك عبر بلدان العالم، محققا نوعا من حوار الآداب وحوار الحضارات، هذا الحوار الذي أصبح ضروريا، أكثر من أي وقت مضى، لأن العولمة الزاحفة لا تقاوم بالانعزال والانغلاق والانفعال، وإنما بالتفاعل والمواجهة والحوار.

المراجع:

باللغة العربية:

1. رشيد بوجدره: الإنكار: ترجمة صالح القرماضي، مراجعة المؤلف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- . الرعن: ترجمة المؤلف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. ألف عام من الحنين. ترجمة مرزاق بقطاش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
2. محمد ديب: ثلاثية الجزائر: ترجمة سامي الدروبي، دار الطليعة، بيروت، 1968
3. مولود فرعون: الدروب الوعرة: ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
4. كاتب ياسين: نجمة: ترجمة ملك أبيض العيسى، المؤسسة العربية، بيروت، 1962.
- الجنة المطوقة: المؤسسة العربية، بيروت، 1979.
5. مولود معمري: . الربوة المنسية: ترجمة حنفي بن عيسى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

باللغة الفرنسية:

Bamia, Aïda: «Le Possible et l'impossible dans la traduction des œuvres littéraires» in littératures maghrébines Paris, L'harmattan, 1990.

Belahcene, Amar " Le retour du texte. A propos de la traduction de la littérature algérienne d'expression française en langue arabe" in Littératures maghrébines, Paris, L'harmattan, 1990.

Berman, Antoine -L'Épreuve de l'étranger Paris, Gallimard, 1984.

Djeux, Jean: La littérature algérienne contemporaine, Paris, P.U.F, «Que sais-je?», 1979

Eco, Umberto :A la recherche de la langue parfaite, Paris, Seuil, 1994.

Ladmiral, Jean-René : Traduire : Théorèmes pour la traduction, Paris, Payot, 1979.

Mounin, Georges : - Les belles infidèles, Paris, Cahiers du Sud, 1955-1959
- Les problèmes théoriques de la traduction, Paris, Gallimard, 1963

Oseki-Dupré, Ines : Théories et pratiques de la traduction littéraires, Paris, Colin, 1999.

Steiner, Georges : Après Babel, Paris, Albin Michel, 1978.

مسألة المصطلح في الترجمة العلمية و التقنية

أ: النوي لمنور

كلية العلوم قسم الرياضيات " جامعة باتنة "

ملخص:

إن اللغة كائن اجتماعي , يتطور هذا الكائن على غرار تطور المجتمع, إن اللغة أداة تبليغ تتحول وتتجدد. مما لا شك فيه أننا نعيش في عالم متطور تكنولوجيا مع انفجار معلوماتي رهيب وعلى اللغة دور كبير في هذا النقل الحضاري التكنولوجي , في الدولة التي تحترم نفسها يتم إعداد اللغة الوطنية لاحتواء المستجدات الحضارية. إن تكوين المصطلحات وتوحيدها من مقتضيات العصر الحديث فقد زادت العلوم اتساعا وتخصصا . إن اللغة العربية تتقدم و تتجدد في الميدان العلمي والفلسفي والفني إذا كان أبناء الوطن يبجرون في سائر العلوم والفنون وينتجون فيعبرون عن هذا الإنتاج بمصطلحات جديدة وتأتي

المفردات بسهولة و يزيد ذلك ثراء للغة . رغم أن اللغة العربية أظهرت قدرتها على استيعاب العلوم المختلفة فان هناك بعض الصعوبات لتكوين المصطلحات الفنية. نحاول في هذا البحث وضع خطة علمية عملية واضحة لتحديد المصطلحات الجديدة . من المشاكل التي نصادفها : تعدد المدلول , استخدام المفردة الواحدة لمعاني متعددة , اختلاف المصطلح من المشرق العربي الى المغرب العربي , وهناك زخم كبير لمصطلحات فنية فهي تولد كل يوم و للعربية أن تخلق مقابلاتها .

لمواجهة هذه الصعوبات يجب أولاً أن ندرك أن تكوين المفردات في اللغة نوعان : يخص الأول التكوين التلقائي (ما نصادفه في العلوم الإنسانية والأدبية) , أما الثاني فيتعلق بالتكوين الاصطناعي (المستخدم في العلوم) .

في الحالة الأخيرة يكون المصطلح مقيداً بالمادة العلمية والمفاهيم المضبوطة. للتوحيد والتميط في الاصطلاح نستخدم طرقاً عديدة نذكر منها التعريب , الترجمة , الاشتقاق , النحت , النجر , التوليد , الخ .

في هذه المقالة نفضل الخطة المقترحة و ندعمها بأمثلة و عندئذ بتوضيح المنهجية وتحديد الأسلوب يسهل توحيد المصطلحات . والاستعمال المكثف للمفردات الجديدة يعطيها الحياة والوجود ويمنح لها الثبات والاستقرار . وتكون النتيجة أفضل إذا انتقلت المبادرات الفردية إلى خطة وطنية محكمة ودقيقة .

إن اللغة هي مجموعة ألفاظ من تراث أسلافنا وهي وسيلة التفاهم بين الأفراد ومن جهة أخرى هي مظهر من السيادة الوطنية, فيها ما هو ثابت و ما هو متغير ومتجدد لمسايرة التطور العلمي والتكنولوجي. إن الترجمة في العلوم تختلف عنها في الآداب و الفنون لأن المصطلح العلمي يكون مقيداً بما في

العلوم من تحديد و تدقيق و أما اللفظ الأدبي فيركب بطلاقة و حرية فيستعمل في تكوينه المجاز والتشبيه والمحسنات اللفظية والبلاغية. وهذا لا يعني أن رجال العلم في تحديد المصطلحات الفنية هم في غنى عن رجال الأدب , فالكل بحاجة إلى تضافر الجهود لنشر العلوم باللغة العربية على أوسع نطاق.

إن للترجمة تأثير على البحث العلمي بحيث أن نقص الترجمات لكثير من المراجع الأجنبية والمستعملة بكثرة هي من العقبات التي يواجهها بعض الباحثين وتكبر هذه العقبات مع الازدياد الكبير في حجم المعلومات.

تكوين المصطلحات العلمية

إن تكوين المصطلحات الجديدة يتم غالبا حسب نظامين: التمعين (إعطاء معاني لكلمات جديدة) والتركيب (أو التوليد).

إن استخدام الوسائل لتكوين كلمات علمية جديدة يكون بالأفضلية كما

يلي:

الاشتقاق: انطلاقا من الجذر أو المصدر نشثق كلمات أخرى مثلا نشثق

من درس: دراسة، مدرسة، دارس....

الأوزان: انطلاقا من جذر معين يمكن تركيب كلمات عديدة حسب أفعال

مذكورة:

فعال، فعول، فاعيل، تفعلة مثلا : تلفة ، دوار ، ...

النحت: تتمثل هذه الطريقة في جمع عدة كلمات أو في اختيار أجزاء منها لتكوين كلمة واحدة مثلا البسمة (من بسم الله)، تقايس (من تساوي القياس) ، تماكل (من تشاكل متقابل) .

التعريب: إدخال كلمات أجنبية في قالب عربي (شرط أن لا تكون ثقيلة على الأذن وأن تكون منسجمة مع القواعد العربية) مثلا تلفزيون (Télévision) ، ازومورفيزم (isomorphisme) ، ...

النجر: تتمثل هذه الطريقة في إرجاع الكلمات إلى جذورها و عزل حروفها الأولى و تركيب لها المصطلح الجديد مثلا : خمج : (المرض الناتج عن خلل في مناعة الجسم)

بناء على تجربتنا في تدريس الرياضيات و تأليف كتب باللغة الوطنية و لتعميم الفائدة نقدم بعض الملاحظات والاقتراحات:

توحيد المصطلحات

لمحاولة التوحيد و التتميط في الاصطلاح نقترح ما يلي:

1 عدم استخدام نفس الكلمة لمدلولات متنوعة (وربما متناقضة) وقد يستخدمها الكاتب في ترجمته (مثلا نجد في الرياضيات أن المترجم الواحد يستخدم كلمة تشاكل بمدلولات عديدة).

2 عدم تعارض المصطلح في مختلف مراحل التعليم (قد نجد مثلا كلمة تشاكل تعنى كلمة homomorphisme في الثانوي وتعنى كلمة أخرى في الجامعة

3 عند ترجمة الرياضيات يستحسن الاتفاق على أن تكون كتابة النص العربي من اليمين إلى اليسار أم المعادلات و الرموز من اليسار إلى اليمين فقد

نجد لنفس المترجم الكتابة في الاتجاهين وبالتالي هذا الخلط يؤدي إلى أخطاء في المقادير الحسابية مثلا: العبارة 1-2 هل تساوي 1 أو 1- ؟

(4) لتقارب وتوحيد المصطلح في مختلف الدول العربية يجب تفضيل المصطلح الشائع والأكثر تداولاً والأقصر والبسيط. مثلا: حاصل ضرب: جداء حاصل قسمة: خارج

(5) عند اختيار المصطلح في الترجمة يجب أخذ بعين الاعتبار رأى المختص في المادة : لان المصطلح المقترح قد يصلح لمفهوم متقدم لا يدركه إلا المختص مثلا: groupe cyclique زمرة دورية، (نقترح دارة) لأن المختص في الجبر يعلم أنه توجد في المفاهيم المتقدمة groupe périodique زمرة دورية. (6) يستخدم اللفظ المعرب الأجنبي إلا للضرورة لصعوبة توافقه مع القواعد العربية و يفضل عنها الكلمات العربية الفصيحة . مثلا كيف يتم تثنية وجمع كلمة ازومورفيسم .

(7) اقتراح مصطلح جديد (في المفاهيم المتقدمة) و ضبطه يكون بعد الاطلاع على مختلف المصادر والمراجع والقواميس " مثلا نجد في بعض الحالات أن المترجم لا يبذل أدنى جهد للبحث و يفضل وضع المرادفات حسب ذوقه و هكذا تتعدد المصطلحات من مترجم الى آخر وهكذا تعم الفوضى ونحصل على مصطلحات عشوائية.

(8) عند وضع القواميس يستحسن تعدد المشاركين حسب الاختصاصات (أو على الأقل حسب أهم المحاور والاختصاص) .

مثلا نجد في قاموس الرياضيات أن المرادفات في التحليل قد تكون وفيرة إذا كان المؤلف من اختصاص التحليل وتقل في الجبر والهندسة) .

(9) تقارب " قدر الإمكان " بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله

الاصطلاحي

مثال " تطبيق متباين application injective

تطبيق غامر application surjective

10) تفضيل الكلمة الخفيفة عن الأذن واللسان والقابلة للاشتقاق والتنشبية

والجمع

11) ينبغي تحديد الدلالة العلمية لكل من الألفاظ ذات المعاني المتقاربة

والمتشابهة , مثلا رتبة: rang

مرتبة: ordre

12) أقترح إدخال الخط المنفصل في اللغة العربية لترجمة بعض العبارات

العلمية مثلا:

نترجم العبارات التالية كما يلي Soit E un K-espace vectoriel

ليكن E فضاء شعاعيا K .

Considérons un p -groupe fini

لنعتبر p . زمرة منتهية

13) تطويع قواعد اللغة العربية عند ترجمة نص يحتوي على رموز أو

معادلات:

مثلا تمييز العدد يكون من (3 إلى 10) مجرورا و يكون منصوبا من 11

إلى 99.

أقترح أن يكون التمييز منصوبا إذا كان العدد مجهولا: مثلا

زمرة تحوي ستة أجزاء ,

زمرة تحوي تسعة و تسعون جزءا ,

زمرة تحوي n جزءا .

اقتراحات

(1) إعداد معاجم في أهم الاختصاصات باللغات الثلاثة: عربية، إنجليزية، فرنسية. معجم بحجم صغير للتعليم العام ومعجم كبير وكامل للتعليم الجامعي.

(2) إرسال نسخ لمختلف المؤسسات التربوية والجامعية لوضعها محل تجربة ويتم تعديل وتنقيح وتحيين النسخة من حين إلى آخر وبعد الاستعمال والشروع يتحقق الثبات والاستقرار للمصطلح.

(3) فتح موقع انترنت للمجلس الأعلى للغة العربية، حيث نجد فيه الإنجازات من معاجم وندوات ومؤتمرات.

(4) تكوين خلية ترجمة في كل جامعة من هيئة التدريس التي زاولت دراستها بلغات متعددة، هذه الخلية م بالتعاون مع لجان المجلس الأعلى للغة العربية ستقدم خدمات جبارة في مجال البحث وتضع المؤلفات المهمة من التخصصات تحت تصرف الباحثين بلغتهم الوطنية.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن اشكر كل أعضاء المجلس على تنظيم هذه الندوة لبحث وسائل ترقية الترجمة.

المراجع

- 1) لغة الرياضيات في العربية، الترجمة، المصطلح العلمي، د.محمد سويسي، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر جانفي 89.
- 2) معجم الرياضيات المعاصرة، صلاح أحمد، موفق دعبول ، د.الهام حمصي، مؤسسة الرسالة 86 بيروت.
- 3) معجم الرياضيات انجليزي .فرنسي .عربي. د.علي مصطفى بن الأشهر. أكاديميا، لبنان 1995 .
- 4) معجم الرياضيات والإحصاء وعلم الفلك .فرنسي .عربي . موحوش علي . المكتبة الوطنية. الجزائر 89.
- 5) مجلة العلوم الانسانية، منشورات جامعة قسنطينة عدد 9 . 1998.
- 6) معجم الرياضيات عربي . فرنسي . عربي , المعهد التربوي الوطني الجزائر.72.

- (7) المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام , المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم , ديوان المطبوعات الجامعية, 1989
- (8) الجبر من خلال تمارين ومسائل .د. لمنور النوي. ديوان المطبوعات الجامعية.1993.الجزائر.
- (9) الجبر للسنة الأولى جامعي دروس وأمثلة تطبيقية .د.لمنور النوي. منشورات جامعة باتنة 1999.

تقنيات وضع المصطلح العلمي و التقني ملخص البحث

محمد طبي

عملية ظهور علم المصطلحات حديثة النشأة بالجود، انطلقت نواتها الأولى بأوروبا بغية توحيد قواعد وضع المصطلحات على الصعيد العالمي. والذي فرض مثل هاته النواة التقدم المسجل في المعرفة الإنسانية والتكنولوجيا والاقتصاد، وما يتطلب ذلك من اعتماد على تبادل في المعرفة والمعلومات والخبرات لتوثيقه.

إلا أن التطورات السريعة في الحياة النظرية والعلمية تحتاج بالتوازي إلى ألفاظ تعبر بها عن حركيتها.

لكن نسجل في ذلك عجزا اصطلاحيا ظاهرا.

إذ يلاحظ الضعف التناسبي و التطاقي بين عدد المفاهيم العلمية و التقنية وعدد المصطلحات المعبرة عنها، فعدد الجذور في أي لغة لا يتجاوز الآلاف، في حين يبلغ عدد المفاهيم الموجودة بالملايين.

وكان علينا كمستعملين أن نضع المقابلات باللغة العربية لما يجد من مصطلحات باللغات الأجنبية، نهجنا في ذلك التقنيات المتعارف عليها كالوضع والقياس، والسماع، والاشتقاق، والمجاز، والتوليد والدخيل والنحت، والتعريب، والترجمة...

وكلها تقنيات هامة لإضفاء شرعية الغناء اللغوي، حيث تعمل على ترك اللغة منفتحة على العلوم وقادرة على استيعاب المصطلحات العلمية والتقنية، لمواكبة التطور الحضاري.

ولوضع المصطلح العلمي أو التقني شروط لا بد من أخذها في الحسبان.

والذي يعقل أيضا، هو أن لا يبقى الإنتاج المصطلحاتي من اختصاص اللغويين، إذ جل ما أنتجوه ظل حبيس الخزائن و المكتبات، بل يجب أن يتعدى هذا إلى المستعملين العلميين والتقنيين، لدرابتهم بالأنماط المختلفة لعمليات الإبتكار و الاكتشاف في الحقول العلمية والتقنية، حيث يضعون المصطلحات اللائقة للأدوات والأدوات ويقرنونها بالمسميات، ثم يروجونها مع عمليات التسويق، وهكذا يكتب النجاح للمصطلح المنتج: **بالتنقل و التداول و الحياة.**

هي إطلالة على فن صياغة المصطلح وصقله من خلال كتابنا : **وضع**

المصطلحات، الذي سنستشهد به، ونركز فيه على الجانب العملي للمصطلحات العربية بالميدان الصناعي ببلادنا، إلى جانب إشكاليات ترجمة الكواسع واللواحق

(Les Préfixes et les Suffixes). مع تبيان مجموعة من المصطلحات المنتجة لضرورة الاستعمال.

الثقافة والعمل شيئان لا ينفصلان ، لا تكاد تسجل حالة نجاح لإحداهما دون تداخل من الأخرى . ويشهد التطور الحاصل في سياق التحول الاجتماعي الصناعي ، الاقتصادي والثقافي حقيقة نتائج أبعاد الدراسات الموجبة بتأثير دور الثقافة في التطورات الحاصلة في حقل العمل الصناعي .

تستجيب الوقفات على هذا المسار ، ضرورة تنقيف العمل على غرار تثمينه. فحركة العاملين داخل الورشات و فيما بينهم ، تتمايز بالفعل السلبي أو الإيجابي على مستويات العمل الإنتاجي.

إن المستقبل الصناعي لأي شعب يكمن في إيجاد الفكرة التي تنتقل عبر الكتابة ، أهم قناة للاتصال .

وإذا لم يكن الحظ حليفنا في أن نكون مثل الدول الأوروبية الأكثر تصنعا، وذات الحظ الأكثر، والكتابة الوافرة في النصوص العلمية والتقنية، فإن هذا يدفعنا حتما على مسار ذي عدة مؤشرات ، إحداها **المصطلحات** المعبرة عن الفكر المنتج في بقاع أخرى وأكثر تطورا لتستلهم من تجاربها و منتوجاتها أفكارا و تحولها إلى حيث نحن تكيفا ، لتتماشى وثقافتنا ، أي بمعنى آخر توظيف تلك الأفكار بمفاهيمها المصطلحاتية.

فقد يحصل هذا و قد لا يحصل أحيانا أخرى.

وكما ظهرت الصناعة في أوروبا، فقد ظهر الاهتمام بلغتها المصطلحاتية للتعبير عنها، والترويج لها حفاظا عليها من الاندثار. ويقدر ما كانت الصناعة

تزداد تلاحقا وتنوعا ، بقدر ما كانت المصطلحات تنتج موازاة لها لعلها تستطيع التعبير عن الملايين من المفاهيم الموجودة فيها.

إلا أن وضع المطلحات المقابلة لتلك المفاهيم الأوربية، أو لغيرها كان ولا يزال، ضرورة ملحة لإيضاح المقاصد وإثارة الأفكار وتذليل الطرائق . فنقل المنتجات والمهارات يرتبط حتما بنقل المصطلحات. وبالفعل فقد أولت اللغات العلمية الأجنبية **المصطلحات** عناية كبيرة، وعملت بكافة الوسائل والقواعد على وضع ألفاظ و**مصطلحات** جديدة و يرجع السبب في ذلك إلى تقدم العلوم والتقنيات وما تتطلبه من استحداث **مصطلحات** علمية وتقنية تواكب هذا التقدم بل و تلاحقه في تطوره السريع المستمر.

وهكذا فنحن نجد أن الوطن العربي قد تخلف ليس فقط في التعاون لانتاج المعدات اللازمة لقطاع الاتصال والاتصالات وإنما أيضا في مجال ما يسمى بالصناعات الثقافية بصفة عامة والتي أساس عمادها اللغة بمصطلحاتها العلمية و التقنية.

والمصطلحات العلمية والتقنية عادة ما تكون من احتياجات القطاع الصناعي، ذاك القطاع المتميز بالدقة والعصرية لا بد أن تكون لغته دقيقة المصطلحات.

ما هو المصطلح (أو الاصطلاح) ؟

قال مصطفى الشهابي في تعريفه : " هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية " .

والمصطلح في مفهومه العام و الأولي هو اتفاق جماعة معينة في زمن معين على تخصيص تسميات للمدلولات. و يلعب المصطلح دورا أساسيا في اللغة بما يغدقه عليها من إثراء على اللغة .

تقنيات وضع المصطلح العلمي و التقني :

أصبح من المتعارف على أن المصطلحات المحتاج إليها، توضع بكيفيات لغوية و متعددة و متشابهة فيما بينها حسب التقنيات الآتية :

الوضع ، القياس ، الاشتقاق ، المجاز ، التوليد ، النحت ، السماع ، الدخيل، و تتوضح معالم هاته التقنيات و قواعدها و أساليبها بالترجمة أيضا لا سيما فيما يتعلق بالمصطلح العلمي و التقني :

القياس : لإتيان بمصطلحات جديدة تقاس على غرار المصطلحات المنتجة و المسموعة من الأوائل المتضلعين.

الاشتقاق : و هو أن تستخرج كلمة من كلمة و أن يكون هناك تناسب فيما بينهما في اللفظ و المعنى (عمل ، عامل ، عاملون) وتتضمن المشتقات الحروف الأصلية في الكلمة .

المجاز : لفظ يستعمل في غير ما وضع إليه. و كثير من المستحدثات توضع للحاجة إليه. و لكن بمرور الزمن، هناك ما يندثر. ومنه المعنى الحقيقي والمعنى المجازي

التعريب : ويشمل تلك المصطلحات الأجنبية التي تدخل اللغة العربية، وتخضع للأبنية و للحروف و للموسيقى ، حيث تصبح جزءا من البناء العربي (تليفون Téléphone)
التوليد : كل لفظة تعطي معنى جديدا غير المعنى الذي كانت تعرف به في اللغة العربية قديما. (السيارة).

النحت : نوع من الاشتقاق و هو دمج كلمتين أو أكثر، للحصول على كلمة، شريطة أن يكون هناك تناسب و قديما نحتت (البسمة ، و الحولقة) و حديثا (أفرو-أسوي ، برمائي) و الحكم في النحت، الذوق السليم.

الدخيل : كل كلمة أجنبية لا تخضع للمقاييس العربية ، وتبقى على حقيقتها مثل أسماء الأعلام الأجنبية و المستحضرات الكيميائية، وهذا لعدم استطاعة إيجاد المقابل العربي لها أو لغلبة شيوعها عالميا (البترول Pétrole ، الروبرتاج reportage ، ألو allo ، فرن four) ، و سمي دخيل لتمييزه بالغرابة.

السماع : وهي الكلمات التي نطق بها الأولون من ذوي الشأن اللغوي، و ممن دأب منهم على ذلك ، و هي كلمات لا ضبط لها ، إلا أنها تحل مكان الفراغ اللغوي الحاصل (استشهاره sponsoring ، sponsor) إلا برار = الإنزال برا....)

الترجمة

ترجمة الأفكار :

تتعايش المجتمعات في كوننا هذا ، يلفها حنين التقارب والتآخي والتعاون ضمن مفهوم شامل، أساسه التفكير في إقامة حياة فاضلة. يستمر التفكير ويتواصل منتجا سلسلة أفكار تتفاعل على أرضية الواقع المعيش ليضفي تفسيراً وترجمة لأسلوب حياتي، لمجتمع ما، فالمجتمع ينمو بنمو أفكار أهله، و قد تخلد هاته الأفكار نتيجة لصياغة وإنتاج نموذج تتبلور عناصره، وتتشع بالفائدة على أفكار المجتمع. وأنند يكتب لها التداول والنجاح والخلود. والموهبة وحدها القادرة على بقاء الفكرة خالدة ، وقد تضحل الأفكار ، وهذا إما لعدم مسايرتها لواقع المجتمع، أو لنشوتها على رؤى واهية وأفكار مستعارة، وهذه من بديهيات أي مجتمع يتحسس خطاه للتخلص من السكون والجمود. و في ترجمة الأفكار هاته وتحويلها إلى الواقع ، تجد المصطلحات نفسها كقنوات تعبير مفروض عليها الحضور لاستتطاق الأفكار و تدوينها.

« C'est exprimer dans une langue ce qui l'est dans une autre : exprimer une ou plusieurs idées en utilisant des mots et des termes ».

فهناك علاقة وطيدة بين الأفكار والمصطلحات في أي مجتمع من مجتمعات هاته المعمورة ، و كل مجتمع له خصوصياته ، من ضمنها خاصية الفكر اللغوي، كقدرة إبداعية لإثراء ذخيرته اللغوية بالضرورة من المصطلحات للتعبير عن كنه فكره.

« Pour le traducteur, l'idée est imposée : il n'a pas à la chercher ; il n'a qu'à l'exprimer dans l'autre langue ».

الترجمة بالجزائر :

وفي بلادنا، الجزائر، تتمثل الظاهرة اللغوية في الاستعمال الثنائي والمزدوج للغة العربية والفرنسية معا. و لكل لغة مستعملوها وقراءها. وانجر عن هذا فكر وشخص تابع لكل لغة.

وعلى الترجمة أن تلعب دورها في اطلاع الطرفين على الإنتاج بكلتي اللغتين ، لتقريب الأفكار وتوحيد المفاهيم.

ترجمة المصطلحات العلمية و التقنية

لقد تحققت منهجية وضع المصطلحات العلمية و التقنية الجديدة باللغة العربية، بشكل مرض و شبه متكامل على مراحل. إلا أننا في الجزائر لم نستفد منها الكثير.

ويجدر التذكير بأن الدقة و الوضوح من أهم مميزات لغة العلم. لذا وجب التدقيق في تفهم مدلول المصطلح قبل محاولة ترجمته أو وضع المرادف العربي له، وتقرض تقنية الترجمة أن يكون المترجم ملما باللغة التي ينقل عنها و التي ينقل إليها بالإضافة إلى معرفة و خبرة في المادة موضوع البحث.

وعلمتنا الخبرة على أن ترجمة هاته **المصطلحات** ، عادة ما تكون من اختصاص اللغويين ، إلا أن جل ما ينتجوه يظل حبيس قواميس الخزائن والمكتبات و النخبة. أما إذا اقترحنا المستعملين ، فإن الظن قد يذهب إلى عدم تخصصهم لغويا ، في الإنتاج الاصطلاحي ، وخوفا من الأخطاء الإبداعية لكن الفضل يرجع لهم أيضا في إن المصطلح المبدع ، لا يبقى حبيس الصفحات بل يروج له بالاستعمال و التداول و التنقل مع مسمياته (المنتجة).

ترجمة السوابق و اللواحق (PREFIXES ET SUFFIXES)

الأصل في المفهوم الحقيقي للسوابق و اللواحق في اللغة الفرنسية هو :

« Les préfixes et les suffixes, partie intégrante de la dérivation et de la composition des mots, sont un élément essentiel pour la détermination de la valeur sémantique des mots ».

Quelques préfixes :

Préfixe	Sens en français	Sens en arabe	exemples
ANTI...	Contre	ضد...مضاد	Anti - acide مقاوم الأحماض
HEMI ...	Demi	نصف	Hémisphérique نصف الكرة الأرضية
MULTI...	Nombreux	تعدد	Multiculturel متعدد الثقافات
OMNI...	Tout	كلي	Omnisports متعدد الرياضات
PRE...	Devant	فيل .ما قبل	Préhistoire ما قبل التاريخ
INFRA...	Au dessous	نحت	Infra violet تحت البنفسجي
POLY...	Nombreux	متعدد	Polyvalent متعدد
QUASI...	Presque	شبه - تقريبا	Quasi - contrat

PRE...	Devant	قبل - ما قبل	شبه عقد Prélaquage ما قبل اللك
--------	--------	--------------	--------------------------------------

Quelques suffixes

Suffixes	Sens en français	Sens en arabe	Exemple
----------	------------------	---------------	---------

.....AISON	Action	عمل - إنجاز	تسليم livraison
.....ION	Action	عمل - تحقيق	زيادة augmentation
.....EUR	Agent	فاعل - صانع	مؤشر indicateur
.....ISTE	Métier	صفة - حرفة	طبيب عيون oculiste
.....ABLE	Possibilité	قابل ل... جدير ب	قابل للكسر cassable
.....IQUE	Qui à rapport à	ياء المنسبة	كيميائي chimiste
.....ISER	Qui rend	يحول إلى (وزن فعل و فعلل)	مدن civiliser

في معالجة الفيض المستمر من مصطلحات العلم و التقنية ، التي تتدفق علينا يوميا ، تطبق التقنية في التعريب ، وهي أن ما هو أصيل في اللغة المنقولة يترجم أي يعرب بالترجمة ، إن قبل الترجمة أو يوضع له مصطلح عربي يؤدي معناه أو يصاغ له مصطلح بالتقنيات المذكورة سابقا .

أما الألفاظ العالمية التسمية (مثل : إلكترون - تلفون - تلفزيون - ترانزيستور...) أو المصطلحات المركبة من أحرف أو اختصارات متعارف عليه دوليا (ألكسو - يونسكو - فاو - قات...) أو الأسماء الموضوعية تخليدا لذكرى

عالم أو مخترع (مثل : فلط - أمبار ...) أو الأسماء الكيميائية للعناصر الحديثة الاكتشاف (مثل : يورانيوم ...) فهذه كلها تعرب بلفظها.

كذلك يمكن الاقتباس الذوقي من كلام العامة و أهل الصناعة ، وقد دخل اللغة بواسطة هاته التقنية كثير من **المصطلحات** و الألفاظ.

تتميز اللغة العربية بمرونة ومطواعية فائقة تيسر ترجمة الألفاظ و**المصطلحات** للحصول على التعابير الدقيقة والواضحة الدلالة، بحيث أن وزن الكلمة كثيرا ما يحدد مدلولها.

وأن كنا ندعو إلى اعتماد التقييس (LA NORMALISATION) في لغة العلوم و التقنية في الحقل الصناعي ، لأن به تتحقق للغة قدرتها في التوحيد المصطلحاتي على مستوى الاستعمال العربي ، وتوفير العناء على المترجم العلمي من البحث والتنقيب.

نموذج في استحداث مصطلحات جديدة بالترجمة

جذادة نموذجية لوضع المصطلح

حنية = Tente en acier

T A

تقني

صناعي

إداري

آخر

.....

تعريف المنتج :

انتاج جديد ينجز انطلاقا من منتج الصفيح القابل للتركيب و التفكيك لتشكيل هيكل يشبه الخيمة : تصلح للإقامة المتنوعة.

المنتج المبدع :

تختص مؤسسة " بروسيدار " بإنجاز هذا النوع من المباني مع تسويقه . التسمية باللغة الفرنسية تجلت بالصدفة و شاعت . و يبقى من اختصاصات المؤسسة المنتجة البحث عن المصطلح اللائق باللغة العربية

البحث :

المنجد : الخيمة كل بيت ليس من حجارة أو ما يقوم مقامها.

عناصر الاستنتاج :

تتضح مميزات الخيمة العادية من البحث ، و يسجل الفراغ الاصطلاحي اللغوي ، المتعلق بهذا النوع من المباني (الخيمة الفولاذية) حسب الترجمة الحرفية و التي تنزل إلى الاستعمال اللغوي لذلك :

1- من واجب المؤسسة وضع تسمية لائقة بهذا المنتج البنائي الجديد

2- ايجاد تسمية فصيحة اللغة و أكثر دقة

3- اختيار تسمية لائقة تستجيب و المتطلبات الراهنة :

* علامة التسويق .

* سهولة الترويج و الاستعمال

* الكمال اللغوي

النتيجة :

تقترح المؤسسة ، و تستعمل مصطلحا جديدا في عالم الاستعمال من باب الاستعارة من المنجد ليكون :

الحنية جمع حنايا و هي قوس أو ما كان منحنيا كالقوس.

المصطلح المقترح	التعريف	المنتج
منبت / منابت	وعاء معدني للفلاحة المائية (بدون تربة ، بدون تغذية) ، للحصول على أعشاب خضراء بواسطة نبات حبوب الشعير أو فصائل أخرى مماثلة	Germoir
الحنية / الحنايا	خيمة من الصفيح المعدني ، تخصص لعدة استعمالات حيوية ك: الإقامة ، التخيم ، الشغل ، حسب مقاسات مختلفة ، سهلة التركيب و التفكيك .	Tente en acier
مبنى حاضنات الدواجن	مبنى من النمط المغلق ، يمتاز بتهوية نشطة طويلة محصل عليها بأجهزة هواء كبيرة. يخصص لتربية أنواع الدجاج عن طريق الاقصة المختلفة الطوابق.	Bâtiment avicole

<p>ألواح العزل الحراري</p>	<p>صفيحتان من الصلب المجلفن : احدهما مسطحة و ثانيتهما مضلعة بينهما رغوة " البوريتان " الصلبة المتحصل عليها بالنفخ . يمتاز هذا المنتج بطريقته الحديثة في عزل الحرارة . يستعمل في عدة مجالات بنائية ك : تغطية المصانع و الورشات . من فائدته : الصلابة و مقاومته للنيرون.</p>	<p>Panneaux Isothermes</p>
<p>المبنى المقبب</p>	<p>بناء على شكل قبة ، يتم انطلاقا من الألواح المقببة. يقام على مبادئ الاعتماد الذاتي ، بدون هياكل الإنشاء. ابتداء من تقويسات محكمة فيما بينها ببراعي</p>	<p>Bâtiment voûté</p>
<p>المضلعة</p>	<p>آلة ذات بكرات تشكل الصفائح بأضلاع ذات قياس 40 مم عمقا ، انطلاقا من الصائح المسطحة المجلفنة.</p>	<p>Profileuse</p>
<p>الصفحة المضلعة</p>	<p>يحصل عليها بفضل المضلعة . قابلة للدهن بالألوان المختلفة ، ذات وزن و طول و سمك و عرض ... حسب طلب الزبون . ذات استعمالات مختلفة كتغطية المنازل . من فوائدها الخفة</p>	<p>Tôle nervurée (TN) 40</p>
<p>الالواح المقببة</p>	<p>اللوحة المقببة ، مع اللك المسبق لصفحة الصلب المجلفن. تشكل بورشة " بروسيدار " . تسمح بانجاز مباني نصف دائرية.</p>	<p>Panneaux voûtes</p>

الترجمة والسيميائيات

أ: حسين خمري

كلية العلوم قسم الرياضيات جامعة منتوري " قسنطينة "

هذا البحث هو مقارنة للترجمة من خلال اشتغالها على اللغة وبواسطة اللغة كحدث سيميائي يطمح إلى إنتاج الدلالات وتوليد الآليات المساعدة من الفعل الترجمي بعيدا عن النظرة التبسيطية التي ترى في عمل الترجمة مجرد حركة آلية انتقالية بين لغتين مختلفتين أو داخل اللغة الواحدة اعتمادًا على مرصوفات ما قبلية.

من هذا المنظور يمكن اعتبار الترجمة حدثًا يساهم في إغناء اللغة الهدف (نص الوصول) بأدوات تعبيرية مغايرة ومضامين مختلفة في سعيها إلى بلورة وعي جديد بأهميتها في واقعنا المعرفي وراهننا الثقافي.

0. من بابل إلى لوهان

تبدو الترجمة وليدة حاجات التواصل، و لكي تتم هذه العملية فإنه ينبغي التمكن من لغتين على الأقل اللغة المصدر Langue source أي اللغة المنقول منها على حد تعبير صلاح الدين الصفدي⁽¹⁾ واللغة الهدف Langue cible أي اللغة المنقول إليها. ومن هنا يمكن أن نقول إن الترجمة هي نتيجة احتكاك contact لغتين⁽²⁾ سواء كان لأغراض وظيفية أم لأغراض علمية حضارية. ولا تتم عملية الاحتكاك إلا في إطار تواصل، لأن "الاتصال والاحتكاك يدفع إلى الترجمة"⁽³⁾ فيغني التجارب ويعمق الأواصر بين الأفراد.

وإذا كان تنوع اللغات يباعد بين الأفراد ويعمل على تشتيت البشر، فيضع بينهم الحواجز، حسب بعض النظريات الفلسفية العدمية، أو النظريات السياسية والانتروبولوجية التي ترى في هذه المسألة نقضا لجوهر الإنسان، فإن المقاربة الموضوعية ترى غير ذلك لأن في اختلاف اللغات وتعددتها تعبير عن تعدد مظاهر الإنسان وكشف عن جوانبه المختلفة والخفية وهي آية من آيات الخالق الذي يقول "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين"⁽⁴⁾ واختلاف الألسن حسب هذه الآية هو اختلاف اللغات.

إن الانفجار الإعلامي الذي حوّل العالم إلى "قرية صغيرة" جعل من كل مظاهر الواقع ترجمة لهذا الواقع⁽⁵⁾. وهكذا يتحوّل هذا النشاط من مجرد نقل المعارف من لغة إلى لغة إلى فهم و تفسير لحركية المجتمع وتحولاته وتجليات الواقع واليومي المتباينة.

إن هيمنة الشركات الاعلامية العملاقة وانتشار الاقمار الصناعية الكبيرة على المجال الاعلامي والعلمي وسيطرتها على فضاء الإتصال في سياق العولمة وعالمية المعرفة ومحاولة أصحاب هذه التقنيات المتطورة فرض لغة عالمية واحدة يعمق الشعور عند الإنسان بعودة "بابل" من جديد وتقييده بلغة واحدة هي لغة العلم والتكنولوجيا.

من هذا المنظور ينتقل مفهوم اللغة من مستوى العلامات الرمزية و المنظومات اللغوية إلى مستوى المنظومات العلمية والأنظمة المعرفية التي تعمل على إعادة هيكلة الفكر الإنساني وإعادة صياغة العلاقات الاجتماعية والبشرية صياغة جديدة.

وهو نفس الوضع الذي عرفه سكان بابل قبل أن تضطرب ألسنتهم وتتفرق لغاتهم. وقد جاء في الكتاب المقدس : "وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة وقالوا هلم نبين لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا هو ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملون هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على كل وجه الأرض فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دعي اسمها بابل، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض" (6).

وهذه العقوبة - حسب الأسطورة المذكورة - جعلت الناس يلجؤون إلى طرق أخرى للتواصل وهذا في غياب لغة مشتركة "وكان عليهم أن ابتدعوا الترجمة ليتمكنوا من التواصل" (7) وقد حافظت كلمة "بابل" على بنيتها ودلالاتها في اللغات الهندية- الأوروبية كلها - حسب علمي - وتقرن دلالاتها دائماً بالغموض والفوضى اللغوية وتعبير عن اللاتواصل.

وقد حاولت فلسفات الأنوار والفلسفات العقلانية تجاوز حالة اللاتواصل بين البشر فنقلت الحديث من مستوى اللغة الخطاب إلى مستوى الكليات العقلية Les universaux ويحثنا عن الوحدة البشرية معتمدة على قواعد الفكر وآلياته وقد صاغ هذه النظرية لبينترفي كتاب: مقالة حول التفاهم البشرية⁽⁸⁾ محاولاً صياغة حساب لغوي calcul اعتماداً على القواعد الجبرية principes algébriques. وهذه المحاولة الفلسفية ذاتها يمكن اعتبارها ترجمة لتجليات العقل وتفسير لكلياته وقوانينه بواسطة اللغة.

ونجد أن عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) قد اعتبر الكليات العقلية شكلاً من أشكال الترجمة، لأنها تجمع بين اللغات المختلفة وتقرب بين الأمم والأجناس عندما قال: "فالمرجع فيه والوجه إلى العقل المحض وليس للغة فيه حظ فلا تحلى ولا تمر والعربي فيه كالعجمي والعجمي كالتركي، لأن قضايا العقول هن القواعد والأسس التي ينبنى غيرها عليها والأصول التي يرد ما سواها إليها"⁽⁹⁾ و بهذا المعننتصير الترجمة "تفسير لأشكال المعرفة"⁽¹⁰⁾ سواء كانت المعرفة في جانبها العلمي، أي منظومة المعارف والعلوم أو في جانبها الانفعالي العاطفي.

I. السيميائية:

تبدو السيميائية، في الوقت الراهن، علماً رائداً في مجال العلوم الإنسانية وذلك لما شاع عنها من صرامة في التحليل ودقة في النتائج. وقد استمدت هاتين الميزتين من علمين يعتبران خاصيتين من خصائص الإنسان وهما اللسانيات التي تدرس الجوهر البشري وهو "اللوغوس" والرياضيات والتي كانت وما زالت الأورغانون أي مجموع القواعد العقلية وجبر الفكر الإنساني.

هذان العلمان زودا السيميائيات بالأدوات الإجرائية الكفيلة بجعلها قواعد العقل. ومن هنا استمدت السيميائيات قوتها كعلم قادر على حل معضلات العلوم الإنسانية بطريقة علمية ودقيقة.

وهذا العلم الجديد، يضرب بجذوره في الممارسات الفكرية القديمة ابتداء من علم الطب مع جالينوس وهيبوقراط في سياق الحديث عن الأعراض المرضية والدلائل الجسمية، وكذا عند المناطقة وخاصة الرواقيين منهم الذين يرون أن المنطق وكل ملحقاته وأدواته هي في الحقيقة علامات ورموز نستدل بها على سلامة العلم وقدرته على التعامل مع المادة التي يدرسها، وأيضا عند علماء الأصول والمفسرين الذين تبنا الاتجاه الرمزي الصوفي، أو ما يسمى بالتفسير الإشاري للقرآن الكريم.

والذي ربما، أضافه التحليل الحديث هو: أنه جعل من السيميائيات علماً مبنيا بناء منهجيا ومستقلا عن العلوم والمعارف والأيدولوجيات التي يتخذ منها مجالات للبحث والمعاينة. وقد تمت هذه الاستقلالية عن طريق نقدها للخطابات السائدة ولم تستثن حتى الخطاب العلمي. وهذا ما جعل هذا العلم يكسب ثقة الباحثين ليتحول عند بعض الأنصار إلى عقيدة راسخة وممارسة لا يرقى إليها الشك.

1.1. تعريفها:

تعدت تعريف السيميائيات بتعدد مجال انشطتها، إلى درجة أن أي علم يحاول تعريف سيميائيته الخاصة، وقد يدفع الغرور ببعض الباحثين إلى تعريف خاص به. قد تكون هذه الحقيقة ثابتة في بدايات اكتشاف هذا العلم وبعثه من جديد. ولكن الملاحظ لهذا الكم من التعريفات يكتشف أنها تشترك في الخصائص

الثابتة والمكونات الأساسية للسيمائيات ولكنها تختلف من حيث الاهتمامات ومجالات التطبيق.

وتتفق جميع التعريفات على أن السيمائيات "هي علم نظام العلاقات" (11).

وهذه العلامات أو الرموز تختلف من حيث الوظيفة ومن حيث البنية من حقل معرفي إلى حقل معرفي آخر وأيضاً من حيث علاقاتها مع النظام المعرفي الذي تتعامل معه. من هنا يمكن طرح السؤال التالي : ما معنى النظام السيمائي أو الأنظمة السيمائية ؟

إن النظام السيمائي هو "مجموعة من الرموز التي تنتمي إلى نوع أو مجموعة من الأنواع السيمائية تحكمها منظومة من القواعد التي تضبط طرائق نظمها أثناء صياغة النص السيمائي" (12). وهكذا يتجلى لنا أن الرموز (أو السمات) تفقد صفة السيمائية إذا لم تحكمها منظومة من العلاقات التي تحدد طرائق نظمها على المستوى الاستبدالي Paradigmatique كما على المستوى الاستتباعي Syntagmatique، أي أن النظام يشدد على العلاقات البنوية بين الرموز في مرحلة أولى، ثم على وظيفتها داخل النسق السيمائي في المرحلة اللاحقة.

وقد حدد أ. ج. غريماس (13) A-J. Greimas ثلاث مراحل تتعلق بتعريف

السيمائيات وهذا بعد أن أشار إلى تعدد المفاهيم بهذا الصدد، فقد تعني:

أ. خاصية متجلية نسعى إلى معرفتها.

ب. موضوع معرفة يظهر أثناء أو عقب وصفه.

ج. مجموع الوسائل التي تجعل معرفته ممكنة.

هذه المراحل الثلاث متشابكة ومتعاقبة تجعل من السيميائيات ممارسة تسعى إلى إنتاج الدلالة أو إلى وصفها والقبض على خصوصيتها النوعية، وهذا يعود إلى كون السيميائيات ترى "أن العالم بالمفهوم الواسع نظام من العلامات والإشارات والرموز، و بالتالي فهو نص كبير، كما يرى ذلك أيضا المتصوفة، لأنه كون من الدلالات التي تتجلى من خلال العلامات في حالة اتصالها وانفصالها وفي حالة حضورها وغيابها" (14) وهو ما يعني أن خاصية التعالق، سواء كان ذلك في جانب أو آخر حيث يؤسس للنظام السيميائي ويجعل منه منظومة رمزية تقوم بإنتاج الدلالات و تمفصلها داخل الثقافة وأنساقها الفكرية والإبداعية.

2.I. مجالاتها:

لقد استحوذت السيميائيات كممارسة على فكر المنظرين وشغلتهم لمدة عن ما عداها من الممارسات وذلك لتعلقها بالخاصية الجوهرية للإنسان التي هي اللغة حتى غدا السيميائي لا يرى في الإنسان والعالم المحيط والأشياء إلا لغة متعالية تضبط إيقاعات حياته وتتحكم في كل حركاته. وانطلاقاً من هذا الفهم يغدو مجال السيميائيات هو كل الممارسات الإنسانية الحسية منها والمجردة. هذا على المستوى النظري، أما الإمكانيات التي تمنحها السيميائيات باعتبارها علمًا يهدف إلى نقد الخطاب و تفكيك آلياته ووصف مستوياته مهما كان حجمها ومهما كانت طبيعتها تتمثل في الكشف عن الدلالات، فالخطابات كلها أشكال للتواصل وكلها حاملة لدلالة، لأنها "تعنى بالإنسان باعتباره علامة Homo symbolicus كما يرى كاسيرر E. Cassirer وكل الممارسات الإنسانية بما أنها ممارسات تواصلية، في المقام الأول، وأشكال دلالية بالدرجة الأولى Modi Significandi" (15). فإنها يمكن أن تكون مجالاً للبحث السيميائي.

أما على صعيد الممارسة فإن السيميائيات قد ركزت نشاطها على السلوكات اللغوية وتجلياتها التعبيرية واعتمدها ركيزة أساسية للعمل السيميائي مهمة بذلك جانبا كبيرا من المظاهر السيميائية التي يمكن أن تشكل مجالاً خصباً للكشف والمعاناة والوصف. وهذه الممارسات جعلت مجال السيميائيات يتقلص ويضيق ليعود إلى النقطة التي بدأ منها سوسير Saussure تفكيره وهي العلاقة الوطيدة بين اللسانيات والسيميائيات.

وبما أن الترجمة هي ممارسة لغوية لسانية من الدرجة الأولى فإنها تشكل موضوع مقارنة سيميائية يمكن أن تطبق عليها إجراءاتها وآلياتها وتتخذ منها مجالاً للمعاناة والتحليل.

II. الترجمة:

إذا ما تصفحنا القواميس العربية والأجنبية فإننا نجد أنها تتقارب في تعريفها لهذا النشاط اللغوي الفكري، وحتى أيضا على مستوى الممارسة. فهي تفيد أولاً التفسير، وهذا يعني أن الترجمة تعتبر ضرورة من ضرورات التفاهم والتواصل أي أنها وسيلة للفهم والإفهام على حدّ تعبير الجاحظ⁽¹⁶⁾ فيكون الفهم داخل اللغة الواحدة بتطويع النص المراد فهمه إلى مقولات معرفية مغايرة للنص يطرحها النص والتفاهم سواء عن طريق استعمال لغة أجنبية أو بتغيير بنية التراكيب و صيغ المفردات حتى يحصل التفاهم.

والطريق الثاني هو التغيير والتحويل Transformation وهذه المرة لا يتعلق باللغة الواحدة أي داخل الجهاز اللغوي الواحد ومقولاته التعبيرية وأنساقه البيانية ولكنه الانتقال إلى لغة أجنبية قد تكون لها قرابة عائلية بالأولى وقد تكون غريبة عنها تماماً مختلف بالضرورة بمقولاتها النحوية وأنساقها التركيبية وبنياتها

المفرداتية ومعجمها ودلالاتها ونظرتها إلى العالم وكذا صيغ إيجادها للمعاني، وهي كنشاط لغوي تعد إحدى أكثر الممارسات اللغوية تعقيداً لما تتطلبه من مهارة تمثل النص المترجم تمثيلاً مدركاً لخصائصه البنيوية وقرائنه الثقافية، ومن جهة أخرى فهي مصدر هام في عملية التواصل الإنساني وجعله مستوعباً على الدوام لخبرات الآخر وانجازاته" (17).

والترجمة، بهذا المفهوم، لا تقتصر على التحويل والنقل من لغة أخرى والتعامل مع اللغة "كمرصوفة" (جرد: inventaire) من الكلمات المعزولة عن كل سياق حضاري أو ثقافي، بل إن كل لفظة بما أنها كائن لغوي مرتبط بالممارسات الإنسانية وبالتالي فهي تحتزن تراثاً تاريخياً وثقافياً و"مستويات الحضارة والثقافة في اللغات تقوم على حقول سيميائية في ألفاظها ومصطلحاتها وتعابيرها وهو ما يدفع جورج موان إلى تأكيد استحالة التوافق في الترجمة لعنصرين من نفس الحقل السيميائي داخل لغتين مختلفتين، وهكذا تظل المفاهيم عائمة بين اللغات سواء انتمت إلى ميدان براغماتي أو أسلوب، أو سيميائي" (18) واشتراط ارتباط العمل الترجمي بالمكون الثقافي لا يعتبر اكتشافاً جديداً، بل إن هذه العناصر النظرية المتعلقة بالترجمة كانت قد أثرت من قبل الجاحظ الذي يقول "ولا بد للترجمان أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها" (19) وهذا يعني أنه، إضافة إلى تمكن المترجم في اللغتين، يجب أن يكون متمكناً من المعرفة التي ينقلها. والمعرفة في هذا السياق لا تقتصر على الحقائق العلمية التي يقبلها العقل دون مقاومة كبيرة ولكنها تعني القرائن والدلائل الثقافية التي شهدت ميلاد واستواء المعرفة.

II. 1. في القديم:

إذا كان الباحثون يرون أن العرب أمة الشعر والعب أمراء البيان، فإننا من منطلقنا هذا نقول إن العرب أمة الترجمة، ولنا في حركة الترجمة التي نشطت في كل الاتجاهات ومختلف مجالات المعرفة في العصر العباسي خير مثال وقد حافظت على ترجمات بعض النصوص اليونانية التي صارت الآن أصولها مفقود (20) وتحولت إلى قاعدة لانطلاق النهضة الأوروبية فهذا خير دليل على زعمنا.

وإذا بحثنا في الفكر الإنساني عن التنظير للعمل الترجمي، فإننا نلاحظ أن العناصر النظرية تكاد تكون غائبة ماعدا بعض الإشارات والتلميحات التي لا يمكن أن تكون هيكل نظرية متكاملة، "ولكن الذي عرفنا بطرق الترجمة وشروطها ومناهجها - في حديث وجيز - جماعة لم يكابدوا الترجمة، ولم يقوموا بها، كالجاحظ وصلاح الدين الصفدي". (21) وهذه الملاحظات لا ترقى بشكل من الأشكال إلى أدنى مستويات التفكير النظري لأنها لم تتعرض إلى الجانب المنهجي ولا إلى الآليات المتعلقة به ولا الأدوات اللازمة إلى ذلك.

وعلى صعيد الممارسة نجد أن النشاط الترجمي، في العالم كله، لم يتوقف عن الحركة ولم يتحدد في مجال علمي مخصوص، فنجد أن صلاح الدين الصفدي يقدم مجموعة من الملاحظات النظرية حول الترجمة والتي استنبطها من التراث العربي الضخم في الترجمة ويحصرها في طريقتين:

الأولى: وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية، وما تدل عليه من المعنى، فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة

على ذلك المعنى، فيثبتها، وينتقل إلى الأخرى كذلك، حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. (22)

وهذه الطريقة تسمى الطريقة الحرفية Mot-à-mot أو Littérale وهي تتعامل مع اللغة بوصفها مواد جامدة لا علاقة لها مع الواقع (فهي تجريدية أو مطلقة) ولا مع التاريخ (لأن دلالاتها جامدة ولا تخضع للتطور أو الصيرورة)، فهي من هذا المنظور عبارة عن جرد inventaire من الكلمات التي لا تتفصل في التاريخ أو الحضارة كما أنها تفتقد لأية علاقة بنيوية (التعليق) أو وظيفية مع غيرها من الكلمات.

كما تفتقد هذه الكيفية إلى النظرة إلى اللغة باعتبارها منظومة من العلاقات الخلافية والعلاقات الإنسانية وكذلك فهي تعجز عن التمييز بين الاستعمالات اللغوية الاستعمارية والاستعمالات المفهومية الاصطلاحية، وهو ما -جعل عبد القاهر الجرجاني يلاحظ أن المجاز لا يمكن ترجمته أو نقله إلى لغة أخرى لأن ذلك يفقده دلالاته الحافة والخفية حيث يقول: "لو جاز ذلك أن يكون المترجم للنعمة باسم لها في لغة أخرى واضعاً اسمها من تلك اللغة في مواضع لا تقع النعمة فيها من لغة العرب وذلك محال". (24)

أما الطريقة الثانية التي اعتمد عليها العرب في الترجمة فهي: "أن يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفنها" (23) وهذه الممارسة تبدو من الناحية الإجرائية أكثر قبولاً من حيث واقع الترجمة: لأن الفهم والإمساك التلقائي بالمعنى هو في الحقيقة سيرورة استنباطية" (25) وإذا كان الفهم يتعلق بالمعنى، والمعنى لا يمكن

أن يكون معطى ما قبلها *à priori* بل يخضع لشروط الزمان والحضارة والثقافة فإن هذه الطريقة تجعل من الترجمة نشاطاً تأويلياً ممتازاً.

وهذه المقاربة لفعل الترجمة كمارسة هي التي جعلت العرب تقدم على الترجمات العديدة للأثر الواحد وقصد تحري الدقة والتوق إلى الحقيقة العلمية أو مراجعة بعضها الآخر وهو العمل الذي قام به جيش بن الاعسم بأمر من حنين بن اسحق. ويمكن أن تكون هذه الترجمات العديدة مجال مقارنة مقارنة وموضوع دراسة للمتغيرات الشكلية والثابت المضمونية لتحديد بنية النص المترجم.

2.II. العصر الحديث:

سينصب الحديث في هذا المقطع على الترجمة باعتبارها مظهراً سيميائياً بالدرجة الأولى و آلية لتوليد الدلالات والعلامات والرموز وليس رصداً لأهم المحطات التي مرت بها ولا تاريخها أو أهم ممثليها. إن الهدف الذي نرمي إليه هو تحديد أهم المفاصل السيميائية التي تجعل من الترجمة منتجاً سيميائياً قابلاً للبحث والمعاينة.

إن وعي العالم الحديث بضرورة الترجمة و دورها على كل المستويات قد أعطاه طابع العلم المؤسسي بعد أن كانت في القرنين الماضيين تُدرس ضمن برامج تعليم اللغات. وهذا الاهتمام جعل العلماء والباحثين يطمحون إلى صياغة النظريات لتفسير آليات الترجمة ومناهجها وكل واحد ينطلق من اهتماماته الثقافية واختصاصه العلمي محاولاً تقديم إجابات نظرية عن كيفية اشتغال الفعل الترجمي والكشف عن القوانين الداخلية التي تحكم هذه العملية.

ولهذا نجد أن النظريات قد تعددت بتعدد المناهج التي تعاملت مع الممارسات اللغوية الحديثة و الخطابات الاجتماعية المتباينة سواء ما تعلق منها

بالإبداع أو ما تعلق منها بالوصف أو التحليل، "وهذه التطورات تدفعنا إلى التفكير بأن المقاربة المنهجية لنظرية الترجمة لا يمكن أن تتم إلا بالتحليل العلمي لصيرورة الترجمة ذاتها مستعينين باللسانيات، ولاحقاً، بالسيميائيات"⁽²⁶⁾

والتأكيد على دور اللسانيات، ومن بعدها السيميائيات في البحث عن صياغة نظرية للترجمة لدليل على العلاقة الوطيدة بين الترجمة والعلمين المذكورين لأن مجال كل هذه النشاطات هو اللغة. واعتماداً على هذا الواقع تأسس علم الترجمة (أو نظرية الترجمة) *La traductologie* متبنيًا الاتجاهات الحداثية التي تمت في سياق العلوم الإنسانية بصفة عامة وتعددت المقاربات التي اتخذت من النشاط الترجمي ميداناً للبحث والتحليل مثل المقاربة اللسانية *linguistique* والمقاربة التواصلية *communicative* والنظريات اللسانية والمقاربة التأويلية *interprétative*. وهذه المقاربات وإن اختلفت في جوانبها الإجرائية ومقولاتها التحليلية فهي تتفق على أن الترجمة هي فعل لغوي-سيميائي.

III. علاقة الترجمة بالسيميائيات:

إن العلاقة بين السيميائيات والترجمة تبدو طبيعية، إن لم نقل بديهية، فكلاهما يتعامل مع اللغة كمنظومة رمزية وكتركيب وكدلالة، وإن اختلفت مستويات تناولها، فإذا كانت الترجمة هي انتقال المعنى من لغة إلى أخرى، أو باصطلاح علماء الترجمة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، فإن دور السيميائيات يتمثل في وصف وتحليل هذه الحركة وهذا التحول وإن أي كلمة أو مجموعة من الكلمات مهما كانت هي في الحقيقة حدث لغوي، ولنقل بأكثر دقة دون أي تضيق هي حدث سيميائي.⁽²⁷⁾

وهذه الملاحظة تصدق على الترجمة كما تصلح للنص الأصلي، وبالتالي فإن عدم التمكن من الآليات السيميائية أدواتها الإجرائية قد يؤدي إلى تداخل في الحقول المعرفية التي يكون موضوعها اللغة، أو الأنساق اللغوية ذات الكثافة الرمزية.

ولكن الترجمة تتمفصل داخل المنظومة السيميائية عن طريق المعنى حيث نلاحظ إنه: بالنسبة للساني، كما بالنسبة للمستعمل العادي للغة فإن معنى الكلمة ليس هو إلا ترجمته بعلامة أخرى يمكن تعويضها بعلامة أخرى. (28) وبهذا المفهوم يصير المعنى عبارة عن ترجمة أي تعبير عنه بعلامات أخرى.

وبما أن المعنى لا يتأني إلا من الطابع الخلافي *différentiel* للغة، كما رأى ذلك دوسوسير ومن بعده أندريه مارتنيه *A. Martinet*، فإن أية لغة مهما كان مستواها فإنها تبدو كمنظومة سيميائية لها بنيتها الخاصة وقوانينها الداخلية التي تتحكم فيها ولا يمكن أن تنتج المعاني والدلالات إلا عن طريق اختلافها* . ونجد أن هذه الفكرة ضاربة جذورها في الفكر الفلسفي المتصل باللغة وقد عبر عنها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "إن اللغة تجرى مجرى العلامات والسمات، ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلاً عليه وخلافه" (29) وهذا التعريف للغة يمكن اعتباره تحديداً لوظيفتها السيميائية *Sémiosis*، فقد استعمل الجرجاني مصطلحي العلامة والسمة صراحة واشترط لحدوث المعنى وجود الطابع الخلافي أي سيرورة الترجمة.

* toute signification linguistique est différentielle: R. Jakobson.

III. 1. العلامة اللغوية:

قد يبدو التأكيد على الطابع اللغوي للترجمة وعلاقتها بالسيمانيات من الأمور البديهية وذلك لأن الترجمة هي منتج لغوي بالدرجة الأولى، وأن السيمانيات هي المنظومة الإجرائية لوصف هذه العلمية، لأنه: حالما نصف بنية لغة بواسطة لغة أخرى، وحالما ندخل إلى اللسانيات المقارنة، فإن عمليات الترجمة تصبح حاضرة باستمرار.⁽³⁰⁾

من خلال هذه الملاحظة تتجلى لنا قوة العلاقة الموجودة بين الترجمة واللسانيات لأن العمليات اللسانية حاضرة في كلا المجالين، ولكن ما يفرقهما هو الهدف من هاتين العمليتين. وقد حصر خنفي بن عيسى الفرق بين اللساني والمترجم أثناء تعاملهما مع اللغة في نقطتين:

- أولاً: من حيث المنهج، فاللساني منهجه معياري normatif، لأن مراعاة القواعد في الإدلاء اللغوي هي الأساس بالنسبة إليه، أما المترجم فهو سلوكي المنهج وذرائعي الاتجاه.
- ثانياً: اللساني يميل إلى التصلب في الرأي، أما المترجم فلا يرى غضاضة في أن يغير رأيه وإن يعدل عن مصطلح كان قد اعتمده إلى مصطلح آخر يعتبره أدق من الأول⁽³¹⁾

وهذان الاختلافان في التعامل مع اللغة-الموضوع يؤكدان ترابط المجالين: الترجمة اللسانية (أو السيمانيات) وهو ما جعلهما حتماً يواجهان المشاكل المنهجية نفسها عندما: "استوعب اللسانيون فكرة أن القضايا التي تطرحها الترجمة هي من اختصاصهم وصلب اهتماماتهم، وتؤكد المترجمون أنهم كانوا جد

متطرفين عندما اعتقدوا أن حل مشاكلهم دون العودة إلى اللسانيات ممكن (32) وهو ما يؤكد عمق الترابط بين هذين الاختصاصيين.

وفي غمرة حماس اللسانيين ومحاولة انتصارهم للعلم الذي يدافعون عنه يجعل جورج مونان G. Mounin الترجمة تابعة للسانيات "وخاصة المعاصرة في سياقها البنوي والوظيفي توضح للمترجمين أنفسهم قضايا الترجمة « (33) ويذهب ذات الباحث إلى دمج الترجمة بالسانيات عندما يعتبر أن الترجمة هي بدءاً ودائماً عملية لسانية وأن اللسانيات هي القاسم المشترك وقاعدة لكل عمليات الترجمة « (34) وفي هذا الحكم إلغاء لخصوصية كل من الترجمة واللسانيات وتعطيل لوظائف كل منها، ومع ذلك فإننا نؤكد أن الترجمة "مظهر لغوي" (35) وأن علاقتها باللسانيات هي علاقة موضوع بمحمول على حد تعبير المناطقة العرب.

III. 2. المظهر التواصلي:

إن الهدف الأساسي من الترجمة ليس إنتاج صياغات لغوية متطابقة أو متنافرة مع صياغات سابقة عليها ولا مقارنة بين بناها ورؤيتها إلى العالم، ولكن التواصل بين شخصين أو شعبين يباعد بينهما اختلاف اللغة يصبح أمراً ممكناً باستعمال الترجمة وهو ما جعل وورف Whorf وسابير Sapir يقولان: « إن اللغات مختلفة بالأساس لهذا فنحن نترجمهما» (36)

إن المقاربة التواصلية Communicationnelle تبين لنا أن الترجمة هي شكل من أشكال التواصل وتخضع لنفس الضوابط التي حددها رومان ياكبسون R. Jakobson لفعل التواصل ولكن بإزاحة décallage لمستويات النص/الرسالة

وإذا كانت أطراف عملية التواصل تتكون - حسب ياكبسون من مرسل ومرسل إليه تربطهما رسالة : المرسل ← الرسالة ← المرسل إليه

في التخاطب العادي فإن المرسل هو اللفظ أي الهيئة المنتجة للخطاب / النص والمرسل إليه هو المتلقي للخطاب و الرسالة هي موضوع الخطاب، فإن الوضع الترجمي يفرض وجود متلق جديد لنفس الرسالة ولكن بواسطة منظومة لغوية مغايرة لها سنننها الخاصة و تراكيبها المختلفة، وهكذا يغير المرسل إليه موضعه الأول ليتحول في مستوى آخر إلى مرسل فيقوم بتحويل الرسالة إلى مضمون جديد و يبثها باتجاه مرسل إليه (أو متلق) ثان. و يمكن أن نمثل لهذه الوضعيات بالترسيمية التالية :

المستوى (I) ← المرسل (I) ← الرسالة (I) ← المرسل إليه

↓

المستوى (II) المرسل (II) ← الرسالة (II) ← المرسل إليه (II)

إذا استعملنا مصطلح علماء الترجمة فإننا يمكن أن نعبر عن المستوى I باللغة المصدر والمستوى II باللغة الهدف، و يمكن أن نلاحظ أن العمل الترجمي يقوم بتحويل الهيئات التواصلية² Instances Communicativ

مع الإبقاء على عنصر واحد هو المرسل إليه في المستوى الأول (اللغة المصدر) الذي يتحول في المستوى الثاني (اللغة الهدف) إلى مرسل، وهو بهذا الوضع يعتبر عنصرا مفصليا يسهل الانتقال من المستوى الأول إلى المستوى الثاني.

إن هذه الوضعية المزدوجية التي يتمتع بها المرسل إليه (I) المرسل (II) هي التي تعطي للمترجم تميزه عن الهيئات التواصلية الأخرى لأنه يتم فصل في

مستويين مختلفين وهذا بفضل تمكنه من لغتين مختلفتين ونظامين سيميائيين متباينين، غير أن جان كوهين يرى أن عملية الترجمة تقتصر على إعطاء تعبيرين مختلفين لنفس المضمون⁽³⁷⁾، و يدخل المترجم في حلقة التواصل فيقدم الشكل الآتي :

المرسل ← الرسالة I ← المترجم ← الرسالة II ← المرسل إليه

إن فهم كوهين لثنائية التعبير والمضمون كحقيقتين مستقلتين، أي بتغيير التعبير (عن طريق تبديل اللغة) وثبات المضمون يلغي الجدلية بينهما ويحولها إلى آليتين تشتغل كل واحدة على حسابها الخاص فيه الكثير من الشطط وسوء الفهم و هو ما جعله يقارب مفهوم التواصل بالترجمة مقارنة نسقية تنابعة طولية وهو ما قد يوحي بأن الهياكل التواصلية تتمفصل على مستوى واحد.

كنا قد شددنا على طبيعة الترجمة اللغوية، وهذا يعني أن وظيفتها الأساسية والجوهرية هي التواصل، ثم بعد ذلك تقوم بتحديد الأهداف من الترجمة، و هذا ما عبر عنه نوالدين أفاية بقوله: « إن التواصل معطى حاضر بالضرورة في كل تبادل رمزي، كلامي أو لغوي، بل إنه من الصعب تصور تعريف مقنع للغة بدون أن يحيل، بشكل من الأشكال، إلى مقولة التواصل⁽³⁸⁾ » والترجمة بهذا المفهوم هي صيغة مخصوصة للتواصل و التبادل الفكري والمعرفي، ولهذا لا يمكن حصرها في جانبها التقني أو الشكلي بل يجب التركيز على جانبها التداولي للقبض على "طبيعة العلاقات المتبادلة بين مجتمعي النص المترجم منه والمترجم إليه «⁽³⁹⁾.

وهذا التواصل يجعل من المترجم وسيطا بين نصين مختلفين، أي بين مرسل I - يختلف من حيث المرجعية اللغوية عن المرسل إليه II، و هو ما

يجعل الترجمة التواصلية "تحاول أن تحدث أثرها في القارئ الثاني" (40) أي أن المترجم يركز على الوظيفة التأثيرية للغة كما حددها ياكبسون. ولهذه الإعتبارات عدّ جورج موان "الترجمة حالة من حالات التواصل" (41).

3.III. العلاقة السيميائية :

تؤكد السيميائيات أن اللغة منظومة من العلامات، وهذه العلامات اللغوية ترتبط فيما بينها بقواعد وظيفية وبنوية وهو ما يجعل منها نظاماً منسجماً ومتناسكاً ولكن ما دامت الترجمة هي بالأساس عملية تعالق بين لغتين ونظامين ثقافيين مختلفين فإن العلاقة بين هذين النظامين هي علاقة سيميائية من الدرجة الأولى.

ومهما اختلفت تعريفات النشاط الترجمي و تباينت الآراء حول وظيفة الترجمة فإن اللغة كعلامات تبقى العناصر الأكثر إثارة للاهتمام سواء فيما يخص اللغة المصدر أو اللغة الهدف. وإذا تجاوزنا المستوى الأول للترجمة باعتبارها تفسيراً أو تثبيتاً للمعاني داخل اللغة الواحدة، فإن الترجمة بالمفهوم العلمي هي وضعية علائقية بين لغتين، و بما أن كل لغة تشكل نظاماً من الأنظمة، فإن أنظمة اللغة المصدر تختلف عن أنظمة اللغة الهدف" (42). و إذا كانت هذه هي وضعية الترجمة، فما الذي يمكن أن يؤسس العلاقة السيميائية بين المنظومتين اللغويتين ؟

يرى يوري لوطمان Y. Lotman أن « إحدالمصادر الأساسية لحركية المنظومات السيميائية هي التجاذب attraction المستمر" (43). وهذا يعني أن النظامين اللغويين للغة المصدر واللغة الهدف يكونان في حالة تجاذب وتأثير متبادل، وإن كانت اللغة الهدف هي الأكثر تأثراً، ولكن مع ذلك فهذا لا ينفي أنها

تحيلنا ثانية إلى اللغة المصدر وتدفعنا إلى مراجعة بعض المعاني أو إتخاذ مواقف جديدة منها. و هكذا تصير هذه العلاقة تأسيسا لعلاقة سيميائية.

وإذا كنا قد انطلقنا من فكرة أن الترجمة هي تعبير عن الاختلاف، أو عن حالة اللاتفاهم واللاتواصل الناتج عن اختلاف اللغات فإن هذه الوضعية من المنظور السيميائي تجد لها سندًا داخل مفهوم النظام « ويصبح بنويًا في المرحلة اللاحقة لحركية الصيرورة »⁽⁴⁴⁾ وهذه الحركية عن طريق تفاعل العلامات اللغوية وترابطات المعاني تنتج "وضعية ثقافية جديدة ونظامًا جديدًا يعيد صياغة الحالات السابقة، و قد يؤسس لمفهوم جديد للتاريخ «⁽⁴⁵⁾.

ونجد أن هذه الوضعية الجديدة التي أشار إليها يوري لوطمان لا تتوقف عند البناء الثقافي والنموذج الذهني وعلى مستوى العلاقات بين المجتمعين مهما كانت درجة الاختلاف والتباعد بينهما، بل إن اللغة المستهدفة (لغة الوصول) تجد نفسها تحت تأثير اللغة المترجم عنها و يتجلى ذلك في بناها السطحية والعميقة، و مكوناتها الصوتية والنظمية"⁽⁴⁶⁾.

ويرى غريماس أن العلاقة السيميائية بين النص الأصلي والنص المترجم تتجلى في مستويين : مستوى التأويلي *faire interprétatif* للنص الأول ومستوى الفعل الانتاجي *faire producteur* بالنسبة لنص المترجم⁽⁴⁷⁾ ومن خلال تلاحم هذين المستويين وتفاعلها ينتج المعنى السيميائي لفعل الترجمة.

ولكن ضمن كل هذه العلاقات أين يمكن أن نضع المترجم؟ هل يبقى ذلك الذي يقوم بعمل غير مشكور ولا محمود؟ وهل يعود زمن حنين؟

الهوامش:

- (1) العامل: الكشكول ص
- (2) G. Mounin: Les problèmes théoriques de la traduction. p 4
- (3) رشيد ح ح الجميلي: حركة الترجمة، ص 47
- (4) الروم، آية 21
- (5) M. Mc Luhan, Pour comprendre les médias, p 76
- (6) سفر التكوين / الإصحاح الحادي عشر
- (7) J. Redouane: Encyclopédie de la traduction, p 3
- (8) G. Leibniz: Essai sur l'entendement humain, Vrin, Paris.
- (9) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 32
- (10) M. Mc Luhan: Pour comprendre les médias, p 76
- (11) Y. K. Lekomstev: Quelques fondements de la sémiotique générale, p 236
in Travaux sur les systèmes de signes.
- (12) Op cit, p 237
- (13) A. J. Greimas et J. Courtes: Sémiotique: Dictionnaire, p 339
- (14) حسين خمري: بيان السيميائيات، ص 28، الكاتب العربي 44
- (15) نفسه، ص 32
- (16) الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 11
- (17) حمزة الديب: الترجمة النقدية... ص ص 9-10، الموقف الأدبي 282
- (18) سعيد علوش: مكونات الأدب المقارن، ص 259
- (19) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج 1، ص 76
- (20) J. Redouane: Encyclopédie de la traduction, p 5
- (21) رشيد ح ح الجميلي: حركة الترجمة، ص 33
- (22) العامل: الكشكول، ص
- (23) نفسه
- (24) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 325
- (25) Y. Hellal: La théorie de la traduction, p 121

- (26) J. Redouane: La traductologie, p 22
(27) R. Jakobson: Essais de linguistique générale, p 78
(28) Op Cit, p 79
(29) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 325
(30) G. Mounin: Les problèmes théoriques de la traduction, p 8
(31) حنفي بن عيسى: الترجمة في مضمار الحضارة، ص 69، الموقف الأدبي
227
(32) G. Mounin: Linguistiques et traduction, p 43 in Revue de
l'enseignement supérieur.
(33) G. Mounin: Les problèmes théoriques de la traduction, p 7
(34) Op Cit, p 15
(35) M. Pergnier: Théories linguistiques et théories de la traduction, p
255 in Méta (Canada)
(36) J. Martin: Essai de redéfinition du concept de traduction, p 94 in
Babel
(37) J. Cohen: La structure du langage poétique, p 34
(38) محمد نور الدين أفاية: المتخيل والتواصل، ص 163
(39) حمزة الذيب: الترجمة النقدية... ص 9
(40) J. Redouane: La traductologie, p 83
(41) G. Mounin: Les problèmes théoriques, p 266
(42) جوزيف شريم: منهجية الترجمة التطبيقية، ص 45
(43) Y. Lotman: Un modèle dynamique du système sémiotique, p 8
in Travaux sur les systèmes de signes.
(44) Op Cit, p 81
(45) Ibid, 84
(46) حمزة الذيب: الترجمة النقدية، ص 12
(47) A. J. Greimas et J. Courtes: Sémiotique, Dictionnaire, p 398

المصطلح في اللسان العربي من وهم التوحيد إلى حقيقة الصناعة

د: عمار ساسي

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية / جامعة - سعد دحلب - البليدة

الملخص

تقف المداخلة على بسطة تعريفية للمصطلح وعلمه كعلم حديث من علوم اللغة وتخرج على العلاقة القائمة بين علم اللسانيات وعلم المصطلح. وتتناول بعلمية دقيقة الإشكال الوهمي المتردد طرحه في كثير من المناسبات والندوات والملتقيات العلمية ألا وهو توحيد المصطلح، لتصل إلى القول أن مشكل المصطلح اليوم ليس في تويده بل في صناعته . والسؤال الواجب طرحه هو: كيف نصنع المصطلح؟.

وفي العنصر الأخير نجيب عن السؤال محددتين بالدقة العلمية والضبط المعرفي آليات صناعة المصطلح العلمي في اللسان العربي مع التمثيل الحديث والمقترح العلمي.

وفي الخاتمة نرصد النتائج و نبدي الرأي الجديد.

المقدمة:

يمكن من البداية القول بالجزم و التحقيق في عالم الشغل أن الصناعة أسبق من التصدير، و في عالم المعرفة يكون التحقيق قبل التعليق ، وأن التقرير دوما سابق للتفسير. فإن سلمنا بهذه الرؤية سيتمكن التسليم بمقولة صناعة المصطلح هي أسبق من ترجمته. ومعنى هذا ألا ترجمة صحيحة بدون صناعة للمصطلح صحيحة، و عليه فصناعة المصطلح برأينا هي أساس ترجمته. كما أن فهم اللسان العربي و استنتاج بنيته و خصائصه المميزة صوتا و مفردة و تركيبيا، هي أساس صناعة مصطلحة. وعلى هذا تتشكل الرؤية العلمية التالية: (الفهم أولا) - (الصناعة ثانيا) - (الترجمة ثالثا) ، إذ سلامة الترجمة من سلامة الفهم والصناعة ، وعلى هذا المحور المختار تتحدد مداخلتنا في عنصرين أساسيين:

- أ - في الفهم للسان العربي: و فيه نعرض لبنية اللسان العربي وخصائصه المميزة و نجلي الرؤية العلمية اللازمة له.
- ب - في آليات صناعة المصطلح في اللسان العربي: و نعرض فيه على حقيقة الإشكال في مصطلح اللسان العربي و آليات صناعته.
- ج- و في الخاتمة نستخلص الرأي و نبدي المقترح.

في الفهم العلمي للسان العربي:

وكان لا بد من هذا العنصر في هذه الدراسة . ذلك أن فهوم العصر للسان العربي تعددت وتنوعت إلى حد أن تضاربت ، فهناك الفهم الشكلي، وأحسبه سليل فهم مدرسة الصنعة التي تزعمها الجاحظ في القرن الثالث الهجري في كتابيه الحيوان والبيان والتبيين 1.

وهناك الفهم المعنوي وأسميه بالفهم الأدبي للسان العربي ، الذي يولي المعاني القيمة الكبرى وهو على حساب اللفظ ، وأحسبه سليل فهم مدرسة المعنى. الذي على حد كثير من الباحثين المعاصرين ، يتزعمها العلامة ابن جني من علماء القرن الرابع (399هـ) في كتاب الخصائص 2 .

وهناك الفهم التنظيمي الذي يرى بتوافق اللفظ والمعنى شبرا بشبرا ، وهو الذي يعود فضله إلى الأستاذ عبد القاهر الجرجاني من علماء القرن السادس الهجري. في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة الذي أبدع فيهما نظرية النظم في اللسان العربي :بقوله <<حو ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه ... >> 3 . وقد صار هذا الفهم أرقى الفهوم في العصر الحديث بلا خلاف. وهنا لا يعني أبدا إنكار فضل الفهم الشكلي والفهم المعنوي في ولادة الفهم النظمي، بل يجب القول : أنه بفضل الشكل كان للمعنى وجود و لولاهما ما كان للنظم خروج . فكما لا قيمة للجسد في غياب الروح. فكذلك لا معنى للروح في غياب الجسد، والمعجزة والآية هي في انسجام الروح والجسد و توافقهما، هذا في عالم الأحياء ويشبه الأمر في عالم اللسان، وهل اللسان إلا عالم منطوق لعالم مشهود؟

إن الفهم العلمي للسان العربي يقتضي تحديد المفاتيح الأساسية على الترتيب التالي:

- 1 -اللسان و ليس اللغة .-(-اللغة: عالم المفردة - وحدها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم 4 .
- (اللسان: بنية تركيبه) 5 .
- 2 -مستويات تحليل النظام اللغوي للسان العربي .
-1م- الصوتي: و للصوت معنى - بالفصل و الوصل- (و يمثله علم الصوت).
- 2م- الإفرادي: - لا ترادف في اللسان العربي- (ما يظن من المترادفات هو من المتباينات)6. (و يمثله علم الصرف).
- 3م- التركيبي- (الثابت) - الذي يمثله علم النحو - إذ للبنى النحوية من اسمية أو فعلية أو شرطية دلالات كلية و معاني نحوية خاصة- وهندسة محكمة وفق مقتضى الحال
- 4م- التركيبي المتغير: و يمثله علم المعاني والبلاغة و يقضي بضرورة العلاقة الترابطية و التكاملية بين النحو و البلاغة.

و يمثل المستوى الصوتي القاعدة التي تبنى عليها باقي المستويات وتتعكس. وبهذا الموجز ترتسم هندسة المستويات في اللسان العربي و توازنها المنسجم والعالم الخارجي المحيط بنا- فمن الصوت إلى المفردة- إلى التركيب الثابت إلى التركيب المتغير- وهنا لا بد من وقفة عند هاتين النقطتين:- إن التركيب الثابت (النحو) الذي يحدد العلاقات الأساسية بين الوحدات داخل التركيب و الذي يمثل هيكل جسم الإنسان البناء اللغوي ، كما يمثل العمود الفقري بأطرافه العليا و السفلى هيكل جسم الإنسان. و لا مجال لمسه أو لخرقه

أو لتعديله لأن ذلك يساوي إفساد البناء كله- وهو ثابت لا مجال فيه للتطوير ولا لخلق جديد. إذ كان الأمر هكذا فكذا كذلك هيكل النحو في عالم اللغة واللسان- لذا فما أصطلح عليه النقاد المحدثون ورددوه في جملة (خرق الجدار الداخلي للغة)- لغاية الإبداع و الخلق ، فمسألة متحفظ منها كثيرا.

وهذا لا يعني أبدا الوقوف في وجه التجديد والإبداع، إنما تذكر هذه الرؤية بحدود مساحة الاجتهاد والإبداع والخلق.- ويرأيي يكون الاجتهاد والإبداع في مساحة المستوى التركيبي المتغير (الذي تمثله البلاغة)، ذلك أن أغراض الكلام غير متناهية على حد قول كثير من علماء البلاغة ومنهم الإمام السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) 8* - أما المستوى الإفرادي فإن مفردات اللغة هي في حركة دائمة وتجدد متواصل. أما المستوى الصوتي فلا مجال معه لخلق أو إبداع أصوات جديدة. و هذا القرآن الكريم لم يبدع أصواتا جديدة أصوات العرب إنما احتفظ في البلاغ بها و احتفظ في البيان بتركيبتها فقال: (أنزل بلسان عربي مبين) 9 إنما تجلت مساحة الإبداع و المعجزة في ذلك النسق الكبير و العجيب بين المفردات في صياغة الخطاب.

إذا لا تطوير في أصوات العربية ولا اختلاق لأصوات جديدة لأن ذلك يعكس نقصا وعوزا في بنيته القاعدية، وهو ما لا يمكن حصوله، والقرآن الكريم وهو معجزة البيان لم يمس مساحة أصوات العربية ، بل تحدى الناس عامة والعرب خاصة على أن يأتوا بآية منه في صورة تركيبية -.

والتحدي لم يحصل في الأصوات ولا في المفردات ولا في القواعد التركيبية الثابتة في اللسان العربي- وهذا هو الذي انبهر له العرب الفصحاء- قال (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) 10 . إذا

فمهما كان الأمر ، وبلغ الحال فالتطوير والتجديد لا يعني خلق لسان جديد من أدناه إلى أعلاه.

-* ليس اللسان سوى عالم منطوق لعالم مشهود ، و كما لا وجود لما لا معنى له في العالم المشهود لا وجود لما لا معنى له في العالم المنطوق- وعليه فإذا كان الصوت في اللسان العربي أصغر جزء في السلسلة الكلامية فهو يحمل دلالة و يقف على معنى جزئي ، وقد أشار إلى بعض هذا الموضوع العلامة أبو الفتح ابن جنى في الخصائص وفي سر صناعة الأعراب ، وهو من علماء اللغة الموثوق بنظراتهم العلمية الدقيقة. علما أن اللسانيات العربية الحديثة قد قررت بالأ معنى للصوت خارج السلسلة الكلامية ، وهو الرأي المعمول به في الدراسات اللسانية الحديثة إلى اليوم ، والمتبنى حتى من بعض الباحثين العرب المعاصرين. ربما هو رأي ينسجم مع اللسان الأعجمي الإنجليزي والفرنسي وغيره، إلا أن اللسان العربي له خصائصه الصوتية والإفرادية والتركيبية المتميزة ، وهذا أمر يجب رد الاعتبار له وعدم التهوين به بأي شكل من الأشكال ، وأذكر أن البحث في هذا الموضوع مازال جاريا بصفة جدية وعلمية ، والمستقبل سيكشف عن الجديد فيه.

وينطلق هذا الفهم العلمي للسان العربي من مبدأ المزوجة الشرعية بين صحيح التراث وصحيح الحداثة ،التي نحددها في العبارة التالية: و ليس ما في التراث صحيحا ، وليس كل ما في الحداثة صحيحا. وليس كل ما في التراث خطأ وليس كل ما أنجزته الحداثة خطأ.

والمطلوب الأخذ بصحيحهما، وترك خطأيهما. وليس هناك معقول علمي بعد هذا في نظرنا بعد تجربتي التأصل والتتصل.

_* - في آليات صناعة المصطلح في اللسان العربي: ويحسن في بداية هذا العنصر

التذكير بجملة من النقاط أراها جديرة بالصدارة لأهميتها في تصحيح الرأي و توضيح الفهم ، و هي:

• عالم المصطلح عالم حركي في نماء مستمر و وفق حركية المخترع ونمائه .

• رباعية الحلقات : [المجتمع- المخترع- المصطلح- اللغة]

وصلتها: [(1)-(2)-(3)-(4)]

* إشكالية توحيد المصطلح وهم وزعم لا علمية ولا حقيقة ولا منطقية له، وهو طرح أقرب إلى السياسة منه إلى العلم.

• كل لغة قادرة على صناعة مصطلحها شرط قدرة المجتمع على صناعة المخترع.

• اختلاف صناعة المصطلح في اللسان العربي من اختلاف الفهم و طريقة الصناعة.

• المصطلح هو : صيغة + دلالة كلية + حدث - يولد عنهما * (المعنى)* .

• تعدد اللغات وتعدد الألسن آية من آيات الله . وتشابه لغات في خصائص واقع لا خلاف فيه وانفراد اللسان العربي بخصائص مميزة صوتية و إفرادية تركيبية حقيقة لا مناص منها.

- إن علم المصطلح هو بحث علمي وتقني يهتم بدراسة المصطلحات

العلمية و التقنية دراسة علمية دقيقة ومعقدة حيث المفاهيم وتسميتها وتقييمها ، وهو فرع من فروع علم اللسان . لكن نظريته عكس النظرية الألسنية إذ أن هذه

الأخيرة تهتم بدراسة الكلمة اللغوية ابتداء من الدال نحو المدلول، أما علم المصطلحات فيهتم بدراسة مصطلح علمي تقني ما من المدلول نحو الدال، فالمدلول يعرف بالمفهوم والدال يعرف بالتسمية. وهذا ما يوضحه الشكل التالي:
الأسنوية - علم المصطلحات.

مفهوم (المدلول)	الدال
تسمية (الدال)	المدلول (4)

و يتضح لنا من هذا الشكل أن علم المصطلح يهتم فقط بالمفهوم والتسمية وهو جوهر هذا العلم، وفي هذا الصدد يقف هذا العلم ليجيبنا عن هذه الأسئلة الآتية :

-كيف يمكن وضع تسمية لمفهوم ما ؟.

-كيف يمكن نقل مفهوم ما إلى لغة أجنبية دون الاستعانة بتسميته

الأصلية ؟.

- وهنا يجب التمييز بين دراسة الكلمة التي هي من اختصاص علم اللغة لأنها تتوافر على عدة معاني حسب سياق النص وبين المصطلح العلمي الذي يتوقف في غالب الأحيان على معنى واحد و دقيق في شيء معين؟؟.

كيف نصنع المصطلح في اللسان العربي؟:

في البداية يحسن تمثل المسلمات التالية:

- لابد من تمثل مركبات المفردة > الكلمة < وهي: الصيغة،

المادة، المعنى .

فالصيغة محدودة والمادة غير محدودة والمعنى مولد منهما .

- عالم الصيغ محدود وهو مستخرج من المادة اللغوية الفصيحة وهو الميزان الذي يميز به العربي من الكلام من غير العربي. وهنا لابد من السؤالين التاليين:

1 - هل المادة اللغوية التي جمعها اللغويون في الزمن الفصيح كافية أم لا ؟

2 - هل المقاييس والشروط المتبعة في الجمع كافية ومقنعة أم لا ؟ .

وهذه أسئلة هامة لموضوع آخر ولها نصيب معتبر في بلورة الجواب الصحيح.

- لابد من وقفة تأملية علمية حديثة جديدة في قوله تعالى :
> وعلم آدم الأسماء كلها < 11 ربما تكون موضوعا لبحث مستقل في المستقبل

عالم الصيغ في اللسان العربي هو وليد الاستعمال .
-المصطلح صيغة ومادة و معنى وهو لا يخرج عن فصيح كلام العرب .

للمادة غير محدودة و بذلك يصنع التوازن .
-محدودية الصيغ والدلالة الكلية لكل صيغة تمنع الزيادة في صيغ اللسان العربي.

-علم الصيغ في العربية مربوط بالفصاحة العربية المحدودة بالزمان و المكان .

-إذا لم تكن مدونة العربية كاملة، فالقرآن الكريم هو اللسان العربي المبين الحجة، فهو جامع لكل صيغه من غير نقصان ، والبحث فيه مستمر.

- المادة اللغوية < العجينة > متغيرة، وهي عندي تمثل محتوى الصيغة، لأن الصيغة هي هيكل الكلمة ومنهما يتولد المعنى .
هناك أمر في القضية لا بد منه وهو : أن العالم < الحياة > ثابت ومتغير والثابت تمثله الموجودات والمخلوقات كالسما والارض والهواء والماء والبر والبحر والإنسان والحيوان والطير والشمس والقمر ..الخ، وهذا دائرته ثابتة لا دخل لاجتهاد الإنسان فيها. أما المتغير فدائرته الوسائل والأدوات والآليات أي وسائل الحياة وأدواتها ، وهو حقل اجتهاد الإنسان. وصناعة المصطلح لا تخرج عن هذه الدائرة. فقد كنا نمشي على أرجلنا ثم صنعنا السيارة وأوجدنا لها مصطلح، وسرنا نركبها، والسيارة ليست هي الحياة لكن وسيلة من وسائل تيسير الحياة ، فإذا غابت بقيت الحياة القائمة. وكذلك الأمر في كل المخترعات حاضرا ومستقبلا، إذا المصطلح للمخترع في دائرة الوسائل.

-النسبة الغالبة في المخترعات لا تخرج عن دائرة الحرفة والصناعة وهي في غالبيتها أجهزة للعمل. والحرفة والأداة لهما صيغتهما في اللسان العربي.
-هناك نسبة معتبرة من المصطلحات مبنوثة في التراث المعرفي العربي تجريبيا كان أم إنسانيا مهمة جهلا أو تجاهلا.
-هناك مصادر لا أفعال لها في اللسان العربي، ما السر في ذلك؟ مثل كلمة: حساب.

وحدة المصطلح وهم مزعوم، وإشكال مثار عن غياب فقه دقيق باللسان العربي.

أدوات تكوين المصطلح:

و يمكن حصرها في الخطوات التالية :

- 1 - الوظيفة < الفعل > .
- 2 - الصيغة ودلالاتها الكلية المناسبة لإطار الوظيفة .
- 3 - دفع الإيهام و إبعاد الالتباس .
- 4 - التدقيق في تحديد ماهية المصطلح انطلاقاً من مبدأ نكران ظاهرة الترادف.
- 5 - تصحيح الخطأ السابق : وهي نقطة جد كبيرة ، و لا أكون مبالغاً إن قلت جد خطيرة. ذلك أن المعاجم على الرغم من الذخيرة اللغوية التي تحتويها إلا أنها مازلت تقتقر إلى شيء مهم يقال له الدقة أو التدقيق في تحديد تعاريف المصطلحات ، و هو برأبي الأساس الذي تكون منه صناعة المصطلح . و لا بد من الاعتراف بأن غياب هذه الخاصية كانت وراءه هذه الأزمة المصطلحاتية العربية. ويمكن حصرها في عنصرين كبيرين:

1 - الارتجالية في غياب التراث والدقة.

2 - الوحدة.

لذا فمعظم مطالبنا في الندوات العلمية المحلية منها والدولية لا تخرج عن دائرة الدعوة إلى توحيد المصطلح، فكأنه صار هو الهم الأكبر، في حين هناك شيء هام قبله يوجب الطرح في نظرنا بحيث إن صلح حصلت وحدة المصطلح وإلا طلبنا مستحيلاً. والأمثلة في هذا النوع كثيرة جداً ولنأخذ ما هو في الساعة والساحة. مثال: حاسوب = ordinateur . إذ أن ترجمته العربية الحالية هي حاسوب على صيغة فاعول من فعل حسب. و السؤال هل هذه الترجمة صحيحة؟. بالإحصاء والتدقيق والملاحظة ثبت ما يلي:

حسب لا تساوي عد .

ظن الفصيح

حساب > عدهم عدا < 12.

والملاحظ أن القرآن الكريم > اللسان العربي المبين < لم يستعمل من مصطلح الحساب فعله الشائع استعماله في العادة اليوم > حسب <. ولكن استعمل مصطلح الحساب إلى جوار مصطلح العقاب ، فيكون بذلك للمصطلح الدلالة الخاصة. والذي استعمله القرآن من فعل > حسب < بفتح السين وكسرهما هو في معنى ظن في قوله تعالى : > و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء < 13

والسؤال لماذا؟ ربما يكون في العربية قد رعي الاستعمال الحديث للحدث فذاك هو الذي وفر له الفعل والمصدر. وفي الحالة التي يكون الفعل على دالتين متباعدتين مثل: حالة فعل حسب بمعنى عد و معنى ظن ، وهو على هذه الحال فإن حصل أن توفر لحسب التي بمعنى عد الفعل والمصدر ، وحصل لحسب التي بمعنى ظن الفعل والمصدر معا على السواء، فستصاب اللغة لا محالة بالابهامية والغموض والتداخل الدلالي، وبذلك يذهب عنها رونق الدقة. لذا والحال هذه كان لا بد من التدقيق بالتمييز بينهما. وعليه فليس إلا التمييز بتوفير الفعل و مصدره لما كثر استعماله واحتيج إليه أكثر. وتخصيص الثاني بالمصدر دون فعله تميزا عنه . هذا الرأي الأول ، والرأي الثاني قد يأخذ عندي منحى دلالي له اعتباره وذلك أن الحساب يكون في النهاية دائما أي بعد إنجاز الفعل. والنهاية تكون لحصول الحدث وثبوته وتحققه، والحصول والثبوت والتحقق يلائم الاسم دون الفعل لذلك انعدم الفعل وتوفر المصدر. كما أن في المسألة مظهر اقتصادي علمي دقيق. لهذا استعمل القرآن

في معنى الحساب من الأفعال أحصى و عدا فقال: > لقد أحصاهم و عدهم عدا < 14 . و يضاف إلى ما عرض أنه لما توفر في المعنى فعل > عد < كان لزاما الاستغناء عن حسب كمظهر اقتصادي في اللغة و دفعا به للالتباس والإبهام بينه و بين حسب التي بمعنى ظن، الذين قد تصاب اللغة بهما حين استعمال فعله. فترك هذا وحذف ذلك حفاظا على التوازن و تثبيتا للدقة وتوفيرا للاقتصاد وتأكيدا للإبانة. وفي دلالة مصطلح > حسب < يقول الراغب الأصفهاني: الحساب استعمال العدد يقال حسبت أحسب حسابا وحسبانا قال تعالى : > لتعلموا عدد السنين والحساب < 15 ... 16 . غير أن القرآن لم يستعمل الفعل حسب في هذه الآية و في غيرها مما لم نذكره ويبقى السؤال لماذا؟ .

وما يمكن أن نبديه كرأي علمي متخصص أن مصطلح > حاسوب < المراد به جهاز الإعلام الآلي، هو مصطلح مرتجل وموضوع على غير فقه باللسان العربي هذا من حيث الدلالة أولا. أما من حيث الصيغة ، > فاعول < فإن دلالتها لا تخرج عن التكرير والتكرير وهي لا تتاسب صيغة الجهاز والآلة هذه. لهذا يستحسن في الفصح بدل مصطلح حساب إحصاء تبعا لوظيفة الجهاز ولدقة دلالة المصطلح. وليس من باب الغريب في نظرنا أن يطرح هذا الأمر اليوم مادامت العبرة بالصحيح الفصح . وعليه لماذا لا يسمى هذا الجهاز بدل حاسوب > بمحصاة < حيث فعلها أحصى ويمثل الوظيفة، ووزنها مفعال >الصيغة العربية الفصيحة < ، فيكون معناه الجهاز الذي يحصي كل ما ركب فيه ولا يغادر منه شيئا. وفي بيان دلالة فعل أحصى يقول الراغب الأصفهاني :

الإحصاء التحصيل بالعدد، يقال أحصيت كذا وذلك من لفظ الحسا واستعمال ذلك فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدونه بالعد كاعتمادنا فيه على الأصابع، قال تعالى: «وأحصى كل شيء عددا < 17. أي حصله وأحاط به < 18. وبهذا تتضح الرؤية. والأمر نفسه يطرح على مصطلح < الناسوخ > وهو المترجم بمصطلح < فاكس >، ففعل الجهاز هو < نسخ >، وصيغة الآلة هي: مفعلة. وعليه لماذا لا يسمى الجهاز < منسخة >، وما المانع من ذلك؟ .

وحيث تكون الأمور بمقاصدها، فيكون المقصد الأول هو فعل النسخ لا صفة المبالغة فساعتها يستصوب الأمر. أما صيغة < فعول > فهي في أول دلالتها للمبالغة لا للنسخ الذي هو الأساس في صنع المصطلح. والأمثلة التطبيقية كثيرة في هذا المنوال. ولعله بهذا التصور والإجراء يمكن الحفاظ على نظام العربية وفصاحتها وإبانيتها ودقتها واقتصادها. ونضيف في هذا الصدد من أمثلة الساعة بدل جهاز التصوير < مصورة > على وزن مفعلة .

إن حصل أن تبلورت صورة صناعة المصطلح وتمثلت بحق الإجراءات الموضوعية والعلمية التي لا مناص من الإفلات منها فحينئذ ينتهي اجترار الحديث الموهوم في إشكالية توحيد المصطلح - . إن الأساس الثابت الذي لا سبيل لأحد إلى خرقه هو آليات صناعة المصطلح العربي ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن وجه الاختلاف إن كان ولا بد - وهو حاصل لا محالة فليكن في المادة - وأعني بها العجيبة- وهو أمر طبيعي يتبع اختلاف المجتمعات في طبيعتها ومحصولاتها وتقاليدها. لكن لا يحصل برأينا- الاختلاف في الصيغة - لأنها تمثل الهيكل الثابت للسان العربي الواحد، فإن مست تحول اللسان العربي إلى

ألسن - و هذا شذوذ قال تعالى: (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهنا لسان عربي مبين) 19 - وعلى أساس استيعاب الطريقة تقوم الترجمة السليمة ، وإلا فاللسان يتحول إلى ألسن و الترجمة إلى ترجمات.

الخاتمة:

- وخاتمة الرأي نحددها في الآتي:
لفهم العلمي للسان العربي . صوتا و مفردة و تركيبا هو أساس متين لكل دراسة لغوية مهما كان العنوان المعالج.
-المصطلح هو صيغة+ دلالة كلية+حدث عنها يتولد المعنى
-كل لغة قادرة على صناعة مصطلحها شرط قدرة المجتمع على صناعة المصطلح.
عالم المصطلح عالم حركي في نماء مستمر ووفق حركية المصطلح و نمائه.
تأكيد الرباعية المتسلسلة:[المجتمع - المصطلح - اللغة].
فقه علم الاشتقاق وعلم الصيغ أساس جوهري في علم صناعة المصطلح في اللسان العربي.
توحيد المصطلح وهم وزعم لا علمية ولا حقيقة له، وهو طرح أقرب إلى السياسة منه إلى العلم، والعبرة في الصناعة لا في التوحيد.

الهوامش

- 1- المعاني في ضوء أساليب القرآن - عبد الفتاح لاشين - من مقدمة الطبعة الأولى بتصرف - ص 07-30. دار المعارف - القاهرة.
- 2- // // // // // //
- 3- دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني - ص 64.
- 4- الخصائص - أبو الفتح بن جني. ج 1 - ص 33 دار الهدى للطباعة والنشر.
- 5- الثنائية اللغوية للعربية - د: عمار ساسي. جامعة اليرموك - 1995.
- 6- النظرية اللغوية العربية الحديثة - د: جعفر دك الباب - اتحاد كتاب العرب - دمشق - 1996
- 7- في آليات تحليل الخطاب - د: عمار ساسي - اليرموك - 2000. مؤتمر النقد الأدبي الثامن.
- 8- مفتاح العلوم - السكاكي - ص 73. دار الكتب العلمية.
- 9- الشعراء - 195.
- 10- الشعراء - 125.
- 11- البقرة - 31.
- 12- مريم - 94.
- 13- آل عمران - 169.

- 14- مريم-94.
- 15- الإسراء-12.
- 16- معجم مفردات ألفاظ القرآن-الراغب الأصفهاني-ص115-116.
- 17- الجن-28.
- 18- معجم مفردات ألفاظ القرآن -الأصفهاني-ص120-121.
- 19- النحل-103.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم -رواية ورش.
- الخصائص- ابن جني-دار الهدى للطباعة و النشر.
- دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني-دار قتيبية.
- المقدمة-عبد الرحمن بن خلدون-الدار التونسية للنشر.
- مفتاح العلوم-السكاكي- دار الكتب العلمية -بيروت.
- النظرية اللغوية العربية الحديثة-جعفر دك الباب-اتحاد كتاب العرب-دمشق 1996.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن-عبد الفتاح لاشين- دار المعارف.
- الثنائية اللغوية للعربية-عمار ساسي-دراسة -اليرموك1996.
- في آليات تحليل الخطاب-عمار ساسي-دراسة-مؤتمر النقد الأدبي الثامن-2000.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني -دار الكاتب العربي.

نحو دليل تشريعي عربي لترجمة المصطلح العلمي

د: حلام الجبالي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية " جامعة سيدي بلعباس "

يشهد عالمنا المعاصر تطورات سريعة في شتى المجالات المعرفية،
وتداخلا حضاريا متعددا ، فلم تكد تمهل المستجدات الفكرية والعلمية الجماعات
اللغوية برهة للتأقلم والاستيعاب والانتظام في مسيرتها المتسارعة ؛ فظلت جزاءها
المجتمعات الإنسانية عوض تلاحق هذه المبتدعات وما صاحبها من مصطلحات
علمية وألفاظ حضارية ورموز معلوماتية بلغات متباينة ، محاولة استعارتها
واستثمارها طورا ، أو ساعية إلى ترجمتها بتوليد مقابلات لها في أطوار أخرى .

وأكثر ما تجسد هذا التداخل في تعدد اللغات التي فرضها التواصل العلمي
والمعلوماتي ؛ مما يطرح إشكالية ترجمة المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية
؛ لنقل ما أنتجه الفكر العلمي من مفاهيم في اللغات الأجنبية ، بغية مواكبة ركب

التطور المعرفي وترقية اللسان الرسمي وصيانتة من التعولم اللغوي ؛ باعتباره المقوم الحضاري الأساس لأية أمة من الأمم .

ولا جرم أن اللسان العربي الذي كان له فضل تطور العلم ونشره في أصقاع العالم ، وحفظ أكثر من نصف تراث الكرة الأرضية ، ليس بعاجز اليوم عن احتواء المعرفة المعاصرة والتكنولوجيات الجديدة ، وإنتاج مقابلات لكل ما يجد من مصطلحات علمية وألفاظ حضارية،لما يمتلكه من آليات ووسائل توليدية ثرة ومطواعة.

وتأتي هذه الورقة البحثية لتطرح إشكالية وضع دليل تشريعي لترجمة المصطلح العلمي في اللسان العربي ، وتتمحور حول المباحث التالية:

- حدّ المصطلح العلمي واللفظ الحضاري .
- أهمية ترجمة المصطلح ووسائل تنميته .
- وضع دليل تشريع عربي لترجمة المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية والأصوات الدخيلة .

حدّ المصطلح العلمي:

هل هناك فرق بين المصطلح العلمي (TERME) واللفظ اللغوي أو الكلمة (MOT) ؟ إن إضفاء صفة العلمية يمكن أن يطلق على أيّ لفظ دال؛ غير أن اللفظ اللغوي غالبا ما يؤدي دلالة عامة تتعاورها السياقات فتتغير مع كل استعمال ، في حين يوضع المصطلح لتقييد مفهوم أو نتيجة علمية توصل إليها الباحثون المختصون في حقل معرفي معيّن ،لا يمكن تجاوزها ، ومن هنا يعرف المصطلح بأنه كل مفردة تؤدي وظيفة محددة في مجال من مجالات المعرفة الإنسانية لدى جماعة من المختصين ؛وبمعنى آخر (المصطلح هو اللفظ الذي

يضعه فرد أو هيئة لدلالة علمية أو حضارية معينة ، بشرط أن يكون قد تواضع عليه المشتغلون بذلك العلم أو المعنيون بذلك الجانب من الحضارة (1).

ويعنى بالمصطلحات فرع من فروع علم اللغة التطبيقي هو المصطلحية TERMINOLOGIE ؛ وهي العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية التي تعبر عنها ، وتتميز المصطلحية بعدة خصائص من أهمها:

- 1 - تنطلق المصطلحية من المفاهيم لتصل إلى المصطلحات على عكس علم اللغة
- 2 - تختص بالمفردات المحددة والمكتوبة دون المستويات اللسانية الأخرى.
- 3 - تتميز بالبحث الآني للتعبير عن مصطلحات حضارة العصر.
- 4 - تتصف بالتوجه المعياري في تصنيف المصطلحات وتوحيدها وتقييسها الدولي.

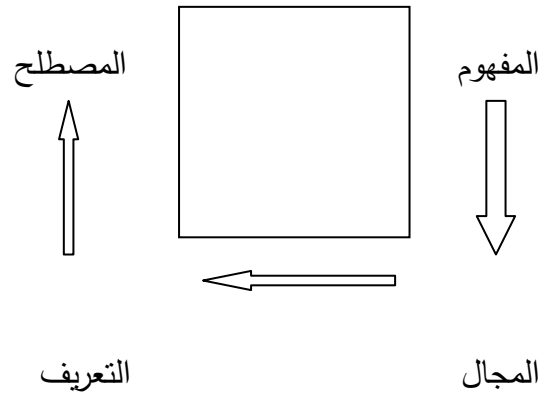
5 - تقوم معاجمها المختصة على أساس التصنيف وفق مجالات

الاختصاص

وبقدر ما يعتبر المصطلح ثمرة لنتائج الدراسات والأبحاث والتجارب وضمنا للتواصل وتسهيلا للإفادة؛ يعدّ بعدا حضاريًا ومعرفيًا (EPISTEMOLOGIQUE) ، له علاقة مباشرة بعلم الوجود وتاريخ نشأة المعارف ؛ لأن المصطلح مهما بلغ من الرمزية والتجريد يظل حاملا للآثار الإنسانية والاجتماعية وحتى النفسية ، مما له صلة بعمليات التفكير والإدراك والمخيال الإبداعي .

وعليه ، فإن توليد المصطلح أو ترجمته ، ليست مسألة آنية تتم بمجرد اقتراح رمز أو مقابل لفظي لدلالة أو ظاهرة معينة ، بقدر ما هي عملية مفهومية لنتائج تجارب متلاحقة في بيئة متميزة تحمل في طياتها سمات تأثيلية وخصائص

متميزة للجماعة اللغوية التي ابتدعت ذلك المصطلح ، كما ينبئ عن المسار التاريخي لظروف ابتداعه وتسميته لدى أمة من الأمم أو في لسان من الألسن ؛ بحيث يكون له أثر في قضايا الفهم والاستيعاب والوضوح أو الغموض والقصور واللفظية . وبالموازاة مع عملية توليد المصطلح التي تتم عبر أقطاب المثلث المفهومي (مفهوم = مجال المصطلح ونصّ تعريفه وصولاً إلى المصطلح) تتطوّر ترجمة المصطلح من اللفظ إلى التعريف في إطار المجال المفهومي وما تكتنفه من ملابسات ، للوقوف على المعنى المعادل ، المقابل اللفظي المناسب في اللسان الآخر . ويمكن توضيح هذه العملية بالمثلث المفهومي التالي :



أهمية ترجمة المصطلح العلمي ووسائل ترجمته:

لا شك في أن تاريخ المعرفة إنما هو نتائج قرون من الجهود الإنسانية التي تكاملت فيها ضروب من الأفكار والنظريات في تعاملها مع الظواهر الطبيعية ومحاولتها تقديم حلول لما يعترضها من مشاكل . ولو نتبعنا تأثرات المصطلحات العلمية التي تقوم عليها الحضارة العالمية المعاصرة ، لأمكننا أن نقف على مزيج من اللغات والقوميات المختلفة ؛ وهذا يؤكد أنه لا مشاحة في المصطلح ، وأن ترجمته ليست ترفاً أدبياً بل حاجة ماسة وضرورة ملحة، يفرضها

التواصل العلمي بين الشعوب والسعي إلى مواكبة تطورات العصر ومستجداته في المجالات العلمية المختلفة. وتتأكد أهمية ترجمة المصطلح العلمي في كونها تحقق قدرا من الأهداف يأتي في مقدمتها:

- 1 - مواكبة الجماعة اللغوية للمستجدات العلمية في ما أنتجته الألسن الأخرى من نظريات ومناهج ذات مصطلحات وألفاظ حضارية مختصة .
- 2 - تسهيل التعامل مع المصطلحات باعتبارها المفاتيح الأساس لحقول المعرفة.
- 3 - ترقية اللغة الرسمية ، وإثراء معجمها ، والحفاظ على سلامتها بفضل سد الثغرات المفرداتية، وجعلها قادرة على مواكبة المعارف المستحدثة .
- 4 - فتح المجال أمام الباحثين للتفكير بلغتهم الرسمية ؛ مما يحفظ لهم هويتهم الحضارية ويتيح لهم فسحة الخلق والإبداع .

ولا شك في أن المصطلح العلمي ينشأ في خضم تفاعلات المجتمع، ويظهر في إطار ما تبذره الجماعة اللغوية من معارف ومفاهيم بلسانها الرسمي؛ غير أن التطور العلمي السريع، واتساع مجالاته، وتعدد مصادره، أدى إلى بروز كثافة عالية من المواليد الأجنبية في شتى حقول المعرفة، وقد ألفت هذه المواليد الجاهزة بثقلها على كاهل الترجمة وحدها لتوفير مقابلات لها. وأعتقد أن الترجمة - باعتبارها حارسا أميناً لصيانة اللسان الرسمي، والحفاظ على سلامته من التداخل اللغوي - في حاجة إلى تنمية وتعزيز بوسائل أخرى كي تؤدي وظيفتها كاملة؛ وحتى يتغلب المترجم على الصعوبات التي تواجهه عند ترجمة ما ينتجه الفكر العلمي في اللغات الأخرى، ويبدو لي أن هناك ثلاث وسائل لتنمية ترجمة المصطلح وهي:

أ - التعليم باللسان الرسمي:

من الحقائق الثابتة في تاريخ المعرفة الإنسانية أن حيوية اللسان وقدرته التواصلية وكفايته المصطلحاتية ترتبط دائماً بنشأة المؤسسات التعليمية وازدهار مراكز البحث العلمي، فقد ارتبط العصر الذهبي للسان العربي بظهور حركة علمية متطورة شكّلت أول أكاديمية في العالم مع المأمون (218هـ/833هـ) حين أنشأ جامعة دار الحكمة للترجمة ببغداد (2)، ليتوالى بعدها بروز الجامعات في جميع الأقطار العربية الإسلامية، مشكلة بذلك إشعاعاً فكرياً ونهضة حضارية، أنتجت أصول المعارف ومناهج البحث العلمي المنظم، وأتاحت لأوروبا لاحقاً إقامة نهضتها العلمية في مجالات معرفية عديدة.

وقد رافق تلك النهضة زخم من مواليد الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية تعبير عما جدّ من المعارف وما ابتكر من المفاهيم، على غرار (الجبر

والمقابلة والتوافق والخوارزميات ... في الرياضيات ، والترشيح والتقطير والإكسير والكحول .. في الكيمياء ، والشفاعة والقراض والميزانية والمصرف والديوان ... في التشريع العام) ؛ وهي مرحلة تذكرنا بأيام قيام الثورة العلمية بأوروبا أو عصر الأنوار في أوائل القرن الثامن عشر ؛ حيث تصبح الجماعة اللغوية منتجة للمصطلح العلمي أو مصدرّة لا مستوردة .

الإبداع ونوعية اللغة المستخدمة في التدريس والبحث ، فقد ثبت أن المخيال المبدع يتشكل لدى الطفل بلغته الرسمية ابتداء من مرحلته الجينية إلى حدود السنة الرابعة عشرة أو قبلها، إلى أن تصبح اللغة جزءا من كيانه وعادة سليقية لا تنال من تفكيره وإبداعه أثناء التعبير بها، واستثمار مصطلحاتها ، على خلاف اللغة الثانية عند الازدواجية المنعكسة .

كما أن تدريس المواد العلمية باللغة الرسمية أو اللغة الأم (العربية في العالم العربي) قد (أدى إلى تفهم الطلبة للأفكار العلمية بسهولة بالغة وإلى سرعة استيعاب المادة العلمية وفهمها والإبداع فيها) (3).

وهذا لا يعني إهمال اللغات الأجنبية ؛ لأن شرط البعث العلمي الاطلاع على معارف الشعوب بلغاتها المختلفة ، وإنما القصد هو ألا تصل اللغة الأجنبية في المجتمع إلى حدّ الازدواجية ، أو كما يقول موريس أليس معبرا عن خوف الاتحاد الأوربي من التعولم اللغوي (إن لغة أي شعب من الشعوب جزء من روحه وكيانه ، وإن أية ازدواجية تامة قد تنال من ازدهاره) (4) . ولعل هذا ما يجعل الأمم المتطورة حريصة على ترقية لغاتها الرسمية ، فلا تلجأ إلى اقتراض الألفاظ الدخيلة إلا في حالة العجز الكامل عن توليدها أو ترجمتها .

ب - تنويع آليات التوليد:

لا مندوحة في أن اللفظ الحضاري والمصطلح العلمي والرمز الدلالي ، ينشأ في رحم البحث ، ويولد في أحضان اللغة المنتجة للمعرفة ، ليفرض وجوده باسم المنتج أو المنتج ، وسرعان ما يسلك طريقه نحو الشيوخ في ألسن أخرى؛ فتستعيه أو تترجمه مولدة له بديلا . ولما كانت الثقافة العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين (مستوردة للمستحدثات التقنية أكثر من كونها صانعة لها ، فإن نشأة المصطلح العلمي في الثقافة العربية الحديثة ، يولد ولادة بلا مخاض ، حيث يظهر في الواقع المادي أو المعنوي دون أن يكون له رمز لغوي عربي يعبر عنه ، بل يصحبه رمز أعجمي ، سرعان ما تزول غرابته وبشيع استخدامه ، مما يجعل الظروف الاتصالية غير مواتية لشيوخ المصطلح العربي المعبر عن الظاهرة) (5) ، ولا غرو أن استفحال عادة الاقتراض أو التعريب غير المستوفي للشروط ، لا يؤثر في أصالة اللسان الرسمي وسلامته التعبيرية فحسب ، بل كثيرا ما يؤدي إلى اللفظية ؛ أي امتلاك اللفظ دون الوقوف على معانيه الدقيقة وملابساته الدلالية والتأويلية ، وتكون له آثار سلبية في المخيال الإبداعي والإنتاج العلمي . وعلى الرغم من توفر اللسان العربي على آليات راقية لتوليد المصطلحات ، فقد ظل باب الوضع موصدا عدة قرون ضمن النظرة المعيارية التي رسمت الحدود الزمانية والمكانية للتوليد بالقرن الرابع الهجري ، واستمر ذلك الأمر إلى أن جاءت المجامع اللغوية في العصر الحديث وأصدرت قراراتها الخاصة بفتح باب الاجتهاد وتنويع وسائل التوليد(6) .

ومن الثابت أن الترجمة لا يمكنها أن تلعب دورها كاملا ما لم تتوفر على وسائل متنوعة؛ وإذا كان لكل لغة طرائقها الخاصة في توليد المصطلحات ؛ كالإدماج والاختزال وإضافة السوابق واللواحق والاشتقاق والنقل المجازي وغيرها ،

فان اللغة العربية قد حباها الله وسائل مختلفة يمكن للترجمة أن تستثمرها ، إذا كانت هذه الوسائل والآليات مجموعة في دليل تشريعي في يد الباحث أو المترجم .

وضع تشريع عربي لترجمة المصطلح:

على ما تميزت به العربية من ثراء مفرداتي وغنى في وسائل التوليد، ظلت الترجمة بطيئة تقف حياها جملة من المشاكل والصعوبات، ولعلنا لا نجانب الصواب إذا نحن أجمالناها في عدم وجود تشريع عربي خاص بالترجمة، يلتجئ إليه المترجم عند الحاجة . والمقصود بالتشريع هنا، مجموع النظريات والقرارات التي تحدد وسائل التوليد بأنواعها وطرائق استثمارها في حدود ما يحفظ للغة سلامتها. وقد أصدرت المجامع اللغوية العربية عددا من هذه القرارات والأحكام والمبادئ (7) ، إلا أنها مازالت غير كافية وتحتاج إلى حصر وضبط وإثراء . ومن أمثلة بنود هذا التشريع المقترح:

أولا = التزام مبادئ اختيار المصطلح:

- 1- وضع المصطلح الواحد للمفهوم الواحد في الحقل المفرداتي الواحد .
- 2 - تفضيل الكلمة العربية على الأعجمية ، والفصيحة على المعربة.
- 3 - تفضيل الصيغة المفردة على الكلمة المركبة .
- 4- يستحسن وجود مناسبة بين المدلول والمصطلح من الوجهة التأثيلية.
- 5- مراعاة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات وتقييسها وتوحيدها.
- 6- تفضيل الصيغة السهلة الاستعمال الواضحة الدلالة والقابلة للاشتقاق
- 7 - تفضيل الشائع على الشاذ والعالمي على المحلي أو الجهوي .
- 8- الاستعانة بالتعريب في المصطلحات العالمية والمرتبطة بالأعلام .

- 9- التزام الترتيب الطبيعي عند الترجمة أو التوليد (تراث ، اشتقاق ..).
- 10 - مراعاة الصوامت والصوائت الأجنبية عند تداخل الدلالات في مسألة التعريب ، مع الالتزام بترجمة موحدة لبعض الأصوات مثل صوت (V) الذي يترجم مرة واوا وأخرى باء أو فاء ، وصوت (G) الذي يترجم كافا أو غينا أو جيما .

ثانيا = اعتماد وسائل التوليد المختلفة:

- | | |
|-------------------|-----------------|
| 1 - إحياء التراث | 2 - اشتقاق |
| 3 -أوزان مأثورة | 4 - نحت |
| 5 - اختزال | 6 - توسيع دلالي |
| 7 - تعريب | 8 - تضيق دلالي |
| 9 - تفصيح اللهجات | 10 - نقل مجازي. |

ويتم ضمن هذا البند ترتيب الوسائل المعتمدة حسب الأفضلية تتميظا وتقييسا، وتحديد درجات الأوزان والصيغ بحسب المسميات كما في اسم الآلة الذي يتوفر على عدد من الصيغ (فعّال - مفعّل - مفعول - فاعول)؛ إذ يمكن مراعاة نوعية الآلة (يدوية ، آلية ، صناعية ..) لترجم بالصيغة المناسبة، وكما في المصدر الصناعي في حالة المفردة (مدرسية ، ظاهرية ، معلومية، معجمية (للدلالة على صناعية المسمّى، وفي حالة الجمع (مدارسية وظاهراتية ومعلوماتية ومعجمية أو معجميات ...) وكذا بالألف والنون (شخصانية ، تعليمانية ، نصانية)، للدلالة على الفن أو العلم أو المنهج ؛ أي ما يقابل في اللاتينية اللواحق ، (GIE / PHIE / IQUE) ونحوها. ويراعى في هذا الجانب استثمار الأوزان ، فمثلا ، إذا كانت الوحدة النوعية الصغرى للمسمّى

تأتي على وزن (فعلة) بكسر الفاء، والوحدة الصغرى للقياس على وزن (فعلة) بفتح الفاء ؛ فإن مصطلح (PHONEME) ، تسهل ترجمته بـ (صيغة) ، و(PHONE) بـ (صوتة) ومثل هذا يكون العمل بالنسبة إلى المشتقات وفق المعاني الجوهرية للمقابلات الأجنبية كما يتضح من الجدول الآتي للجذر (هاتف) في مقابل كلمة (TELEPHONE) الأجنبية/ (9)

الكلمة	المقابل	الوزن	المعنى
TELEPHONE	هاتف	فاعل	جهاز الهاتف
CABINE TELEPHONIQUE	مهتف	مفعل	مكان تواجد الهاتف
STANDAR TTELEPHONIQUE	مهتاف	مفعال	جهاز شبكة توزيع المكالمات
STANDARISTE	هتّاف	فَعَّال	عامل شبكة التوزيع
COMENICATION TELEPHONIQUE	مهاتفة	مفاعلة	مكالمة هاتفية
QUI EST A L APARREIL ?	مهاتف	مفاعل	الشخص المتصل
TELEBOUTIQUE	مهتفة	مفعلة	محل المهاتفات
..... الخ	هاتفوف	فاعول	هاتف نَقَّال

ثالثا = الفصل في قضية السوابق واللواحق:

ويتم ذلك بوضع جدول محكم لكل أنواع السوابق واللواحق في اللغات الأجنبية وما يقابلها في اللسان العربي.

رابعا = وضع الأصواتية العربية العالمية:

حيث لم يتم حتى اليوم الاتفاق على وضع ألفبائية أصواتية عربية عالمية تستوفي كل الصيغ العربية وما يقابلها في الألسن الأجنبية ، بما في ذلك سد الثغرات في مقابلات بعض الصيغ التي لا تتوفر عليها الألفبائية الأصواتية العربية مثل (V . G . P . E) وغيرها .

خامسا = اقتراح أشكال المحارف العربية المنفصلة:

والكتابة المشكولة، لسد ثغرات الرموز المصطلحية الرياضية والكيميائية والفيزيائية وكتابة أسماء الأعلام .

د = توفير المعاجم المختصة : بما فيها الورقية والإلكترونية وبرامج الشبكة الدولية للمعلومات - وتمكين الطلبة والباحثين منها ؛ حيث تتوفر مكاتب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اليوم على أكثر من 30 معجما مختصا في شتى المجالات المعرفية مثل / اللسانيات والفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان والنفط والحاسوب وما إليها (8) إلا أنها ظلت أدرج مكتب تنسيق التعريب بالرباط ولم تصل الى أيدي المشتغلين من طلاب وباحثين ومترجمين إلا في نطاق ضيق .

هـ = إشهار المصطلح: في الأوساط العلمية والجماعة اللغوية ، باستثمار وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمكتوبة .

الهوامش والمراجع :

- 1 - جميل الملائكة ، الصعوبات المفتعلة على درب التعريب ، مؤتمر التعريب الخامس ، اللسان العربي ، ع 36 / 1992 ص 158 .
- 2 - عدنان مصطفى ، مسألة الجامعات العربية ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ع1/ 1995 ص 15 .
- 3 - يعقوب أبو الحلو ، تقييم المرحلة الاولى في تعريب التعليم العلمي ، المجلة العربية للعلوم الانسانية الكويت، ع 14 / 1984 ص 66
- 4 - MAURICE ALLAIS NOTRE LANGUE FACE A L EUROPE / UN TRAITE POUR UNE COMMUNOTE CULTURELLE / JOURNAL LE MONDE 1999 P 15 /
- 5 - حسن عطية طمان/ نحو نظية وظيفية لنحت المصطلحات في اللغة العربية، اللسان العربي ، مكتب تنسيق التعريب الرباط ع 37 / 1993 ص 141 .
- 6 - إبراهيم مذكور، قرارات مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ،اللسان العربي ، الرباط ، ع 3 / 1965 ، ص 292 .
- 7 - م . س . ص
- 8 - ادريس بن الحسن ، لا اتزان الا بالاوزان ، اللسان العربي ، الرباط ع 45 / 1998 ص 127
- 9 - أحمد شحلان ، منظومة التنسيق ، اللسان العربي ، ع 47 / 1999 ص 32

بين المفهوم والمصطلح " المصطلح اللساني نموذجاً "

أ. بوعناني سعاد آمنة
قسم اللغة العربية - جامعة وهران السانية

مقدمة

أصبح المصطلح وتحديدُه وسُبلُ نقله يشغل حيزاً واسعاً في فكر وأعمال علمائنا على اختلاف تخصصاتهم، لتسارع التطور العلمي والتكنولوجي من ناحية وتقدم الأبحاث والدراسات الأدبية والفنية من ناحية أخرى، وعجز اللغة العربية عن مسايرة هذا التطور.

وإن كنا نقر بعجز اللغة العربية، فإنه من الضروري الاعتراف بقصورنا نحن دون اللغة عن مواكبة ما يحدث في العالم. فمتى كانت اللغة مسؤولة، وهي

أداة تعبير طيّعة تنقل المعاني و الأفكار التي تبقى صورة عاكسة للمستوى الحضاري والثقافي الفكري المعاش.

إن قصورنا هذا يكمن في تعاملنا مع وقائع جاهزة تدخل حياتنا على كافة المستويات الفكرية والحضارية، فنسعى جاهدين أمامها بعد تكيفنا معها إما لتقريبها أو ترجمتها. و أمثلة هذا كثيرة، كما في وسائل الاتصال المختلفة. مثلا: الإنترنت، فاكس، الكمبيوتر و برامجه المختلفة.

في واقع الأمر إننا أمام كمّ هائل من المصطلحات نقف أحيانا عاجزين بشكل أو بآخر أمامها. وهذا إشكال تعاني منه الجامعة بصورة تعيق محاولة تحرير الطالب من درجة استقبال المعلومات فحسب إلى درجة الإدراك و لم لا النقد.

لا ننكر أبدا أن القرن الماضي طالعنا بدراسات لغوية لسانية جادة عند الغرب، بدءا بكتاب دي سوسير حين فتح آفاقا جديدة للدراسات اللغوية. منذ ذلك و الأعمال اللسانية تتوسع و تتطور بصورة ملفتة، و الجامعات العربية بدارسيها و باحثيها حاولوا استدراك ثم مسايرة هذا التطور، و هذا أمر شرعي، لكن وجدت اللغة العربية نفسها أمام كم هائل من المصطلحات اللسانية الغربية الواجب التعامل معها.

ترى كيف تمّ ذلك، و ما هو السبيل الأنجع إلى تأسيس منارات علمية عربية خالصة ؟

لتوضيح هذا سأحاول من خلال هذه المداخلة التركيز على النقاط الآتية:

- مفهوم المصطلح و أهميته.
- المصطلح باعتباره دليلا لسانيا.

- إشكالية تحديد المصطلح المترجم.
- المصطلحات التراثية و المفاهيم الغربية.

مفهوم المصطلح و أهميته:

إن الحديث عن المصطلح وأهميته يجعلنا نتساءل عن أصل هذه المفردة ومدلولها عند علمائنا، ففي لسان العرب نجد: " ... والصلح السلم، و قد اصطلحوا، و صالحوا، و اصلحوا " (1)

فاصطلحوا بالمعنى اللغوي هو نسيان ما كان و العمل على إقامة علاقة جديدة تغطي ما كان من خلاف و عداء.

فنرى ذلك ينطبق على المصطلح الذي ينقل من معناه اللغوي إلى حقل استعماله، فيستقر، و لعل ما أورده الجاحظ في كتابه البيان والتبيين يوضح ببساطة شديدة ذلك، مع ما للقول من أبعاد أخرى. يقول: " إن ما سمي شوالا شوالا إن النوق شالت بأذناها فيه، فإن قال قائل : قد ينفق أن يكون شوال في وقت لا تشول الناقة بذنبا فيه، فلم يبقي هذا الاسم له سمة. حيث اتفق أن شالت النوق بأذناها فيه، فبقي عليه كالسمة. " (2)

وقد تعددت حدود المصطلح مع أنها تصب جميعها في معين واحد، و رأيت أن أقرب التعريفات ما ذكره الشريف الجرجاني في كون المصطلح : " عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، ينقل عن موضعه الأول. " (3)

ويبقى قول الأستاذ أحمد بوحسون عاكسا لمفهوم المصطلح بصورة جيدة :
" ... كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير

تصورات فكرية و تسميتها في إطار معين، وتقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة.

والمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم و التمكن في انتظامها في قالب يمتلك قوة تجميعية و تكثيفية لما قد يبدو مشتتا في التصور. " (4)

هذا القول يوضح أكثر مراحل ميلاد المصطلح الذي يتأسس في عرف الدارسين عبر قنوات أهمها:

- الوضع: والمصطلح في العربية وخاصة في المجال اللساني يبتعد عن هذه القناة لأن المصطلح يكون عندها تنويع فعلي لأعمال وأفكار وإبداعات وأبحاث بألفاظ لغوية ملائمة ومناسبة، ففي غياب إذاً الأولى تنعدم الثانية، لهذا فإن المصطلح عامة و اللساني بصورة خاصة يُعْتَمَدُ فيه على القناة الثانية و هي:

- النقل من لغة إلى أخرى: أو ما يصطلح عليه بترجمة المصطلح، ولهذا معوقات ومشاكل تحول دون الاستفادة التامة مما نمتلك وما نريد امتلاكه.

المصطلح باعتباره دليلاً لسانياً :

من منظور لساني يعتبر المصطلح دليلاً لسانياً يتشكل من لفظ ومفهوم يقوم الأول بتحديد الثاني، لكن تبقى المفاهيم اللسانية غير واضحة و محددة لاحتوائها على أبعاد فلسفية يصعب إدراكها إلا من خلال السياق الواردة فيه. وهذا لبّ مشكل المصطلح اللساني، فحين نرى بعض الاستقرار على مصطلحات المجال الصوتي، وكذا التقارب الكبير في استعمال ألفاظ موحدة بين القوانين و المحدثين، ونجد أن المصطلح اللساني يعاني من التعدد واللااستقرار المنعكس

بصورة واضحة في مجالات تطبيقية. وكي نستطيع تحديد المصطلح، ونقله من لغته الأصلية إلى العربية علينا أولاً إدراك المصطلح، هل هو دليل لساني عادي أم له مميزات خاصة؟

مما لا شك فيه أن مقولة "دي سوسير" في كون اللسان شكل وليس مادة قد يسهل استيعاب أن المصطلح لفظ و معنى يشكلان شيئاً قد يكون بعيداً عن الواقع، مما يجعلنا نعتقد أن علاقة دالة بمدلوله اعتباطية إلى حد ما لكن هذه الاعتباطية تكون قبل نقله لمجال استعماله، و هنا يصدق عليه قول بنيفست " إن أحد مكونات الدليل اللساني - الصورة السمعية، يشكّل الدال، والسكون الآخر - يشكل المدلول، والعلاقة الرابطة بين الدال والمدلول ليست اعتباطية، إنما ضرورية " (5)

من هنا فالمصطلح يدخل في هذا المجال، باعتبار أن ما يهمنا فعلاً هو توحيد دال المفهوم المراد تحديده، هذا المفهوم الموجود مسبقاً في أذهان الدارسين والمترجمين، باعتبار اللغة المنقول عنها، ويكون بهذا شكل المصطلح تحديد لتلك الصورة المرسومة في أذهان المطلّعين على العمل، لكن ما السرّ في ذلك التنوع الواسع في تحديد شكل المفهوم المراد نقله ؟

لعل ذلك يعود إلى طبيعة المفهوم نفسه المجرد والبعيد عن الواقع فيصعب أن يتفق اثنان اتفاقاً تاماً حول تحديده بدقة، ثم إن المصطلح المراد نقله غالباً ما يكون موجوداً داخل نسق كلامي، و يمثل بنية أساسية في النص اللغوي المراد نقله، و يكون ركناً ركينا في الفكرة المراد التعبير عنها، وبالتالي فالتعامل مع هذا يكون انطلاقاً من جمل البنى الوارد فيها فينقل المصطلح نفسه بلفظ هنا وبآخر هناك لعل هذا يتضح حين ندرك ما اتفق عليه الفلاسفة واللسانيين من بعدهم في

كون الفكر كتلة غير متمايضة، فلا يمكن فصل فكرة عن أخرى دون الاستعانة بأشكال الكلام (دلائل).

بعد كل هذا يمكن الجزم أن المهم في نقل المصطلحات اللسانية خاصة هو المفهوم لا الشكل، وهذه دعوة صريحة لعزل المعنى عن الشكل و البحث عن شكل أو دال يناسب في لغتنا و لم لا التراث العربي القديم ولا بد أن تكون الانطلاقة في ذلك من المفهوم لا من الشكل.

قد نجد هذا بعيدا نوعا ما عمّا صرح به دي سوسير في كون الدليل اللساني يتشكل من جزئين مترابطين كورقة إذ يستحيل تمزيق الوجه دون ظهر الورقة.

« Ils sont solidaires comme le sont l'envers et l'endroit d'une même étoffe »⁽⁶⁾

لكن نرى في تعليق بنفينست ردًا يوضح وجهة نظر سوسير ويؤكد التصور المطروح انطلقا من مصطلحي الثبات والتبدل عند سوسير إذ يقول: "...فما يتغير ويظل ثابتا في الوقت نفسه، ليس العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول، و إنما العلاقة ما بين الدليل والموضوع...وما يقوم سوسير بالبرهنة عليه، يظل صحيحا، لكن فيما يعود إلى الدلالة وليس الدليل"⁽⁷⁾

هذا يؤكد ذلك التحول في دلالة المصطلح الموضوع من قبل، أي تحميلة لمعنى أو مفهوم جديد، وهذا ليس دخيلا على أي لغة من لغات العالم، ولكن كيف يجب الاستفادة منه في نقل المصطلح وبالتحديد المصطلح اللساني؟

إشكالية تحديد المصطلح المترجم:

إنّ الدراسة اللغويّة واللسانيّة تعاني اليوم من تضخم المصطلحات الواردة إليها من مناهل مختلفة، أعاقت و تعيق إلى حدّ ما حسن الاستفادة من النظريات الوافدة إلينا خاصة في المجال اللساني.

والطالب يستقبل يوميًا، في إطار المواد المدرّسة عددا لا يستهان به من المصطلحات اللّسانية المؤسّسة لمدارس لسانية أجنبيّة فغالبا ما نلجأ إلى تعريب هذه المصطلحات؛ وفي أحيان أخرى نحاول ترجمتها ترجمة يجمع عليها الكثير من الدارسين أنها تتسم بالفوضى و عدم الانضباط أمثال الأستاذ عبد القادر الفهري:

"فأعتقد أن أهم ما يتسم به وضع المصطلح هو طابعه العفوي و هي عفوية لا تقتزن بمبادئ منهجيّة دقيقة، وباكتراث بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحي، وقد قادت هذه العضوية إلى كثير من النتائج السلبية، وفي مقدّماتها الاضطراب و الفوضى في وضع المصطلح، و عدم تناسق المقابلات"⁽⁸⁾

أمام هذا يلجأ الطالب و الباحث للاستعانة بما تقدمه بعض القواميس ثنائية اللغة البعيدة عما يرجوه الطالب والباحث والأستاذ على حدّ سواء، فيجد هؤلاء أنفسهم أمام مصطلحات عربيّة متباينة إلى حدّ ما في الجانب اللّغوي، متطابقة المفهوم في الاصطلاح، وما يأتي مثال بسيط عن ذلك وليكن حول ما جاء به دي سوسير.

سيمولوجيا، نلقنه مرة على أنه سيمياء، عالم العلامات، عالم الإشارات، عالم الرموز.

الدليل اللساني (le signe)، نقدمه مرة على أنه علامة، وأخرى دليل، أحيانا وحدة لغوية دالة.

والصعوبة هنا تكمن في عجز دي سوسير نفسه عن تقديم المصطلح المناسب إذ يقول: "بالنسبة (للعلامة) فقبولنا لها يعود إلى عدم وجود بديل لها في لغتنا المستعملة، و هذه لا تقترح علينا بديلا " « Quand au signe si nous nous en contentons, c'est que nous ne savons pas par quoi le remplacer, la langue usuelle n'en suggérant aucune autre ». ⁽⁹⁾

إلى جانب مصطلحات أخرى مثل، النظام والنسق، البنية، الركام، الترتيب، الركنية، التوزيع، الاستبدال، التعاقبية و التاريخية.

هذا النوع من التلقين في الواقع يجعل الطالب يعتقد أن :

- المصطلح الأصلي ثابت في اللغة الأصلية، متغير و مضطرب و متعدد في اللغة العربية و يبقى السؤال عنده أيّ المصطلحات هي الأنسب، ويرى أحيانا في تعريبها الحل الأنسب ما دامت اللغة العربية قاصرة عن نقله.
- صعوبة المادة أو المعلومات المقدمة يجعل نقلها عملية، صعبة فتبقى الدراسة اللسانية بالنسبة إليه مستحيلة،صعبة الفهم والإدراك، متغيرة ما دامت مصطلحاتها كذلك.

على إثر ذلك يتصور الطالب انقطاعا بين التراث أو الدراسات اللغوية القديمة، والدراسات الحديثة، فيرى في الأولى تاريخا وفي الثانية معاصرة، والأخرى أن يتصور الدراسات الحديثة امتدادا للتراثية القديمة.

وبين هذا الاضطراب واللبس فالطالب لا يستعين بالقواميس ثنائية اللغة لأنها لا تقي بالحاجة في إيجاد المقابل المناسب للمصطلحات المنقولة، بل على العكس من ذلك، فقد تزيد من ذلك الخلط المتزايد لديه.

وسنستعين بمثال أو مثالين من قاموس ثنائي اللغة⁽¹⁰⁾ معتمد في الجامعة لعله يوضح ما سبق الإشارة إليه.

Signal ← علامة، إشارة.

Signe ← علامة، إشارة، رمز.

Signal diacritique ← حركة شكلية (علامة توضع فوق الحرف أو تحته ضبطاً للفظة)⁽¹¹⁾.

Sémiologie ← سيمياء، سيامة (علم الإشارات أو العلامات).

Séméiologie ← علم الرموز.

Sémiotique ← علم الرموز، علم العلامات.

Sémantique ← دلالي.

Sémique ← دلالي، معنوي.

Structural ← بنيوي، تركيب.

Structuralisme ← بنيوية، تركيبية، بنيانية.

Structure ← بنية، تركيب.

سنضيف مثالا آخر مقصودا لأننا سنركز عليه في توضيحنا لما سيأتي.

Verbe ← كلمة .

Zerma ← لفظة، كلمة .

Termes techniques ← مصطلحات، مفردات تقنية.

Mot ← كلمة .

Verbe ← فعل .

نرى في هذه العينة ذاك التداخل الواضح في مرجع معتمد من المفروض أن يرفع اللبس لا أن يعمقه.

والحقيقة أن تحديد المصطلح قد أثار جدلا عند القدماء أيضا وجعل من محاولة الإحاطة بمفهومه ضربا من المستحيل لكن سمح ذلك بتحميل شكل المصطلح مفاهيم أخرى وتوسيعه ليسع ويمس مجالات أخرى كان الدارسون اللغويون القدامى بحاجة إليها وفي ما يأتي سأحاول تسليط الضوء على ذلك من خلال الوحدات المعتمدة في التحليل اللغوي القديم عند العرب، ومحاولة إسقاطها على الوحدات المعتمدة الحديثة مع تحري توضيح الاضطراب الذي كان موجودا.

لقد اعتمد العرب في تحليلهم للغة على مصطلحات كالكلمة والجملة... والكلمة قسمها النحويون إلى اسم، وفعل، وحرف. و المطلع على الكتب اللغوية القديمة المتمعن في الحدود الموضوعية لهذه المصطلحات قد يكتشف تباينا من ناحية⁽¹²⁾، والدقة في الضبط من ناحية أخرى.

و سنمثل بـ " الكلمة "، فانطلاقا من تعاريف اللغويين لها نجد:

■ الكلمة لفظ، واللفظ ذاك الصوت المشتمل على بعض الحروف تحقيقا أو تقديرا دون النظر إلى دلالتها، وقد استعمل سيبويه اللفظ في كتابه، مثال ذلك "هذا باب اللفظ للمعاني" ⁽¹³⁾ وقوله: "واعلم أن كلامهم اختلاف اللفظيين واختلاف المعنيين" ⁽¹⁴⁾

ونرى أن سيبويه قد فصل اللفظ عن المعنى و جعلهما مترابطين في أن واحد، هذان المصطلحان يأخذان أبعادا ومفاهيم أخرى عند الجاحظ و البلاغيين

ونشير هنا أن الجاحظ وضع اللفظ من بين الأشياء الحاملة للمعاني، ويعطيه صفة المنطوق مقابل الخط⁽¹⁵⁾.

وإذا ما حللنا ما قدمه لنا الجاحظ سنتعرف على ما قال به من مفاهيم وتصورات لسانيّة حديثة من خلال مصطلحات تراثيّة⁽¹⁶⁾.

■ الكلمة قول، واستعمل هذا كل من ابن هشام⁽¹⁷⁾ والسيوطي⁽¹⁸⁾، والقول هو اللفظ الدال على معنى، وقد ورد عند ابن جني خلاف ذلك حين يقول " أما القول فأصله كلّ لفظ م دل به اللسان، تامًا كان أو ناقصًا فالتام هو المفيد أعني الجمل ... فكل كلام قول، و ليس كل قول كلاما"⁽¹⁹⁾. وقبل ابن جني، هذا سيبويه يقول "واعلم أنّ قلت في كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولاً"⁽²⁰⁾. هذا شكل مصغر لاضطراب مفاهيم المصطلحات المدفوعة بتحري الدقة في تحديدها، هذه الدقة التي يمكن أن تلغي حجة اللسانيين المحدثين في عدم اعتماد مثلًا مصطلح " الكلمة " وحدة لغوية مساهمة في التحليل اللساني الحديث.

المصطلحات التراثيّة و المفاهيم الغريبّة :

عودنا أساتذتنا الأفاضل قبل عشريّة من الآن قراءة التراث بروى حدائثة من حيث الأسس و النظريات وكذا الوسائل الإجرائيّة، لكن ماذا لو عكسنا الآية وحاولنا قراءة الحدائثة بروى تراثيّة فعلى ماذا سنحصل ؟

انطلاقاً من المصطلحات اللسانية القديمة، ونظرة الدارسين القدامى لها يمكن أن نكتشف تعدي القدماء لمشكلة مصطلحات النحو التقليدي - إن صحت تسميته - وهذا فيما يأتي تمثيل لما نتصور وجوده.

إننا غالباً ما نقابل مثلاً مصطلح " الكلمة " في اللغة العربية وأقسامها بـ:

Le mot ← كلمة ✓

Le nom ← اسم ✓

Le verbe ← فعل ✓

Une lettre ← حرف ✓

و سنكتفي بالحديث عن " الكلمة " " Le mot "

يرى الغربيون صعوبة في تبني مصطلحات النحو التقليدي القديم في التحليل اللساني الحديث. ف "الكلمة هي : مجموعة من الحروف المتتابعة والمترابطة، وهي وحدة محاطة و محددة ببياضين " (21).

فهي في نظر التقليديين "نواة تحمل معنى و قاعدة عمل محدد " (22). فالقواعد التقليدية تعتبر كلا من "partons, partir, partirais" أشكالاً لكلمة واحدة، و كلمات لها معاني و وظائف واضحة.

لن نتوسع في هذه النقطة و نكتفي بما ذكره Prieto حين جزم بأن "الكلمة لا تتلاءم ولا تنطبق مع أي تحليل من مستويات التحليل اللساني الأربع، خطاب، مونييم، فونيم، خط " (23)

و نضيف ما يقوله مارتيني في ذلك التشابه و التداخل التركيبي الموجود بين كلمة مثل:

" donne – r – ons " و تتابع كلمات في مثل " dans le château " (24)

أما العرب القدامى فأدركوا أن "الكلمة" مصطلح يشترط فيه الوضع، هذا التواضع القابل للتطور و التغيير. و سنركز هنا على ابن يعيش من خلال شرحه للمفصل لنرى معه كيف استطاعت نظراته لمفاهيم المصطلحات النحوية القديمة أن تقترب من مفاهيم مصطلحات اللسانيين المحدثين.

إن ابن يعيش أسس للمصطلح بالتواضع حين قال "اللفظة إذا صحفت وفهم منها مصحفة معنى ما فلا تسمى صناعية لأن دلالتها على ذلك المعنى لم يكن بالتواضع " (25).

استطاع ابن يعيش بنفاذ بصيرته أن يخالف سابقه ويرفض ما أوتوا به في تحديد " الكلمة" إذ يقول "...نحو: الرجل والغلام ونحوهما بما هو معروف بالألف واللام، فإنه يدل على معنيين التعريف و المعروف " (26). فابن يعيش يرى أن "ال" أداة التعريف "كلمة" والمعرف " كلمة ". ومن هنا كانت "الغلام" كلمة معرفة حسب النحاة و كلمتين عند ابن يعيش.

لقد نظر إلى أداة التعريف و من ثم إلى ضمة التنوين بخلو ذهن تام، فأعطاهما أكثر مما أعطاهما النحاة (27) باعتبارها علامة فحسب من علامات الاسم، يقول : "من جهة النطق لفظة واحدة و كلمتان إذا كان مركبا من الألف واللام الدالة على التعريف، فهي كلمة لأنها حرف معنى و المعنى كلمة أخرى " (28).

وبهذا يتعدى ابن يعيش مشكل التحديد الخطي للكلمة حين يقول : "لو أفردت اللام في الغلام لدلت على التعريف إذا كانت أداة له كالكاف في كزيد

والباء في بزيد ومن ذلك ضربا و ضربوا و نحوهما فإن كل واحد من ذلك لفظة و في الحكم كلمتان " (29).

من هنا يشير إلى أن "ضربا" و"يعملون" أيضا كلمتين، و يبتعد عن مصطلح الجملة، و هذا دليل آخر على الدقة في الاستدلال والبرهنة.

انطلاقا كذلك من هذا التعريف لاحظ ابن يعيش و ابن الحاجب (30) أيضا على وجوب التفريق من مصطلحات للمكتوب وأخرى للمنطوق، وهذا ضروري في تعليم اللغة. لن نفصل أكثر في هذا لكن ما ذكرناه يوضح بصورة كبيرة تفتن و استيعاب القدماء لمفاهيم مصطلحاتهم القريبة من المفاهيم الحديثة التي أعطي لها تحديدا دقيقا في نظر الواضعين للمصطلحات اللسانية الحديثة. و لتوضيح ما نرمي إليه نأخذ أولا المدرسة التوزيعية.

اعتمد التوزيعيون على "المورفيم" مصطلحا مساهما في التحليل اللغوي بعد تأكدهم من أن " Le mot " لا يفي بالغرض المطلوب. و المورفيم هو "جزء من الكلمة أو التركيب دال على وظيفة نحوية في الخطاب" (31)

من هذا التعريف فالمورفيم ينطبق على:

◀ الروابط والتعريفات " Les articles, prépositions, conjonctions "

◀ اللواحق " Les désinances casuelles et verbales "

◀ الأسماء والأفعال " Les noms, les verbes "

من هنا أوجد التوزيعيون أنواعا من المورفيمات.

"مورفيم: بسيط، مركب، مقطعي، و وحيد "

« Morpheine simple, composé, segmental et unique »

فالمورفيم المركب يتمثل في كونه يتركب من اثنين أو أكثر من المورفيم الوحيد. في إطار هذه المصطلحات يمكن اعتبار « travaillons » أو "يعملون" مورفيما مركبا "متشكلا" بالتجاور « juxtaposition » لمورفيمات وحدة وهي « traill » و « ons ». أو "يعمل" و "ون".

يوضح التوزيعيون مصطلحاتهم، فالمورفيم أصغر شكل دال (عمل معنى)، ويقصد به « le sememe » الذي يشكل وحدة غير قابلة للتحليل إلى أشكال دلالية أخرى.

فالشكل الذي يستطيع أن يكون خطابيا يدعى حرا أي "شكل حر"، أما الشكل غير الحر فمقيد، مثال على ذلك، الكلمات أو المورفيمات "كتاب" و "رجل" « mau » « book » أشكال حرة، في حين « ing » و « er » في « writing » و « writer » أو "ون" و "الآف" في "يكتبون" و "كاتب" فهي أشكال مقيدة لأنها لا تحمل معاني في نفسها ولا تؤدي دورا واضحا بمفردها . وهنا نتذكر مصطلح الحرف، و ما أثار من جدل بين النجاة ونظرتهم حوله⁽³²⁾

انطلاقا مما سبق في « quick » و « quickly » كلمتان مكونتان من « quick » و « ly »، بمنظور ابن يعيش مثلاً.

و بالمفهوم التوزيعي فإن Quik ⇐ شكل حر
 ⇐ مورفيم {
 ⇐ شكل مقيد ly

والمشكل المقيد لا يظهر منفردا في أي خطاب كان، أما المدرسة الوظيفية بريادة مارتيني فإنها ترى استعمال مصطلح « le mot » لا يستجيب وتصورات

التحليل اللساني الحديث، بل يعترف مارتيني بصعوبة تحديد مصطلح الكلمة إذ يقول :

« Il serait vain de chercher à définir plus précisément cette notion de mot en linguistique générale »⁽³³⁾

" سيكون من غير المجدي محاولة تحديد مفهوم الكلمة بدقة في اللسانيات العامة "

ويضيف أنه يمكن محاولة ذلك في إطار لغة معينة من اللغات. و حتى في هذه الحالة فإن التطبيق الدقيق للمعايير يؤدي غالبا إلى تحليل لا يتماشى و لا يوافق الاستعمال الشائع و مثال ذلك يأخذه من اللاتينية.

Clavus ← مسمار .

Clavis ← مفتاح .

Clava ← هراوة .

هذه كلمات ذات جذر واحد "clav" لكنها مختلفة في معانيها اختلافا بينا، فهل يمكننا القول أن "is, us, a" هي الحاملة لتلك المعاني، لذا يحبذ مارتيني أن يختار إزاء اللغة اللاتينية المحافظة على الوصف التقليدي لأن محاولة الفصل والتحليل إلى وحدات صغرى دالة يؤدي إلى مجموع الخلط والغموض إذ يقول: "يبدو جلياً بأن التحليل إلى وحدات دالة متميزة سيعقد الأمر دون تقديم نتائج ملموسة و عليه فمن الأفضل اللجوء إلى الطريقة التقليدية في عرض الأحداث بالنسبة لللاتينية "

« Il apparaît clairement que l'analyse en signifiants distincts ne saurait ici que compliquer sans entraîner de réels avantages, aussi est-il en latin bien préférable de recourir à la méthode traditionnelle d'exposition des faits... »⁽³⁴⁾

وهذا رأي قد ينطبق على لغة ميّنة وضعت ضمن ما يصنّف للتأريخ وكأن
مارتيني يدعو إلى اتخاذ منهجين في دراسة اللغة. وهذا رأي قد لا ينطبق على
اللغة العربيّة التي لا زالت تحيي بالاستعمال، ثم ما حاجتنا لمنهج ومصطلحات
وقتيّة عابرة لا تصلح إلّا لزمن معين.

فمارتيني يعترف إذا بصعوبة الحكم في هذا الموضوع حين يقول أن
المونيم قد يساوي الكلمة، نحو "travail"، "calcul"، "عمل وحساب" وهي مشكلة
من مونيم واحد، أو كلمة تحوي عدة مونيمات مثل "calculateur, travaillons"
،"يعملون، و حاسبة"، أو كلمات عدة تساوي مونيم واحد مثل " au fur et a
"measure" (35).

إذا فما مفهوم المونيم عند مارتيني؟ المونيم: وحدة من وحدات التحليل
اللغوي، وهو أصغر وحدة من السلسلة الحاملة للمعنى، وتعرف أيضا ب "العلامة
الصغرى" " le signe minimale " (36)

ويعرف مارتيني المونيم بقوله إنه وحدة دالة غير قابلة للتجزئة، وقد يكون
كلمة بسيطة، جذر أو لواحق الكلمات. (37) و لاهتمامه بالجانب الوظيفي
للمونيمات فإنه أوجد له أقساما:

- ◀ المونيمات المستقلة "autonome" ← aujourd'hui
- ◀ المونيم التابع "dépendant"
- ◀ المونيمات الوظيفيّة "fonctionnels" ← avec et lorsque

إلى جانب:

المخصصات les modalités ← articles

سنادي les prédicatifs ← merci, sensationnel

نشير فقط إلى وجود تداخل بين هذه المونيمات ، فمونيم مستقل يصبح تابعا، "aujourd'hui" ومونيم وظيفي يصبح تابعا "pour, contre" في "compter" "les pour et les contres".

إنّ هذا التعدد في المسمّيات، و الوظائف يربك الطالب و الباحث يربك الطالب و الباحث والقارئ على حدّ سواء مما يجعلهم يبتعدون عن تناولها أو محاولة تطبيقها.

وبين الشكل والوظيفة قد نجد تقسيم القدامى للكلمة و نظرة المحدثين لها تجعلنا نستعوض عن تعريب المصطلح الغربي فإذا حاولنا التمعن في مصطلحات الوظيفيين التي استعنا بها نجد أنه يتمّ تمييز المونيمات حسب الوظيفة المنوطة بها، و التي قد تتغير داخل النص.

في آخر هذه العجالة التي تحتاج إلى توسيع أكبر و دراسة معمقة تمكنا من الحصول على ما يأتي:

- بالنسبة للتوزيعيين فيمكن اعتماد ما ذهب إليه بعض النحويين العرب "ابن يعيش" من تحليل و تقسيم شكلي إلى حد ما باعتبار ضربا "كلمتين" و"لفظة".

- و من وجهة نظر الوظيفيين يمكن اعتبار :

• ضرب : كلمة فعل (من حيث الوظيفة)

- و " ا " (الألف) : كلمة فاعل.
- ضربا : لفظة جملة.

إن محاولة استغلال الثروة اللفظية العربية في نقل المصطلحات الغربية عملية جديرة بالتجريب و لعل القدماء قد لجأوا إلى ذلك حين نقلوا مصطلحات الفلسفة والمنطق للنحو وأصول الفقه وغير ذلك. هذا ما فسح المجال لاستعارة مصطلحات حقول معرفية أخرى كالرياضيات والطب و الفيزياء.

هذا يدفعنا إلى محاولة صنع وإنجاز قواميس للمصطلحات اللسانية العربية الأحادية (عربي،عربي).

من خلال رصد المصطلحات المستعملة في العقدین الأخيرین ثم السعي لإعداد برامج تعليمية جامعية هدفها توحيد المصطلحات اللسانية في الدراسات العربية المقدمة. هذا كله يساعدنا في تحديد منهج دراسي لساني بتحديث الرؤى الموجهة للدراسات اللسانية القديمة لربط الماضي بالحاضر، وبالتالي وضع تصور مستقبلي للدراسات اللسانية العربية المستقبلية.

الهوامش

- (1) يراجع لسان العرب ج3.
- (2) -البيان والتبيين 1/169.
- (3) -التعريفات للجرجاني.
- (4) -يراجع مقال "مدخل إلى علم المصطلح، أحمد بوحسون، مجلة الفكر العربي المعاصر العدد 61،60 بيروت- لبنان 1989 م "
- (5) - يراجع مقال طبيعة الدليل اللساني .
- (6) -Initiation à la linguistique B. christian-
- (7) - يراجع مقال بنفست المترجم: مجلة العرب و الفكر عدد شتاء 1989
- (8) - اللسانيات واللغة العربيّة د/ عبد القادر الفاسي الفهري ص396.
- (9) - Cours de linguistique générale p100.
- (10) - معجم اللغة اللسانية فرنسي-عربي د/ بسّام بركة.
- (11) -كان من الممكن استعمال "حركة إعرابيّة".
- (12) - يمكن مراجعة أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة د/فاضل مصطفى الساقى.
- (13) -الكتاب سيبويه 1/24.
- (14) -المصدر نفسه 1/25.
- (15) -يراجع البيان والتبيين 1/55 و ما بعدها.
- (16) -يمكن مراجعة هذا من خلال النظريات اللسانية والبلاغيّة عند العرب، د/محمد الصغير بناني.

- (17) -يراجع قطر الندى وبل الصدى ص13.
- (18) -همع الهوامع شرح جمع الجوامع ص3.
- (19) -الخصائص 17/1.
- (20) -الكتاب سيبويه 62/1.
- (21) -Linguistique Edma p136
- (22) -Dictionnaire de linguistique Larousse p327
- (23) -Dictionnaire de didactique des langues p 359
- (24) -المصدر نفسه.
- (25) -يراجع شرح المفصل 19/1.
- (26) -المصدر نفسه.
- (27) -يمكن مراجعة السيوطي و ابن النحاس حول الحرف المفرد والمركب من حيث المعنى والاستقلالية في الأشياء و النظائر 73/3. و كذلك الرضي و نظرتة لحروف المضارعة في همع الهوامع ص 3.
- (28) -يراجع المفصل 19/1.
- (29) -المصدر نفسه.
- (30) -يراجع كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب 3/1.
- (31) -dictionnaire de linguistique p 324 Jean Dubois
- (32) - يراجع آراء السيوطي، وابن النحاس في الأشباه و النظائر 71/3.
- (33) -Elément de linguistique générale p115
- (34) -المصدر نفسه ص 116.
- (35) -يراجع Linguistique française- initiation à la problématique structurale p54
- (36) -Dictionnaire de didactique des langues p354
- (37) -Dictionnaire de linguistique p 322 Jean Dubois

المصادر و المراجع المعتمدة:

أ - العربية:

- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة.
- د/ فاضل مصطفى الساقى. ط 1977م، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الأشباه و النظائر لجلال الدين السيوطي.
- راجعه و قدم له د/ فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي.
- البيان والتبيين للجاحظ. تحقيق د/ عبد السلام هارون ط 3.
- التعريفات للجرجاني (الشريف).الدار التونسية للنشر.
- الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار. دار الهدى للطباعة والنشر.
- شرح المفصل لابن يعيش. طبعة عالم الكتب بيروت.
- شرح قطر الندى و بل الصدى لابن هشام تأليف محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر.
- الكتاب لسيبويه.
- تحقيق و شرح د/ عبدالسلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ط 3-1988م.
- كتاب الكافية في النحو ابن الحاجب. شرح الشيخ رضي الدين الاستربادي، دار الكتب العلمية بيروت ط 3 -1982م.
- كتاب همع الهوامع شرح جمع الجوامع السيوطي.
- تقديم محمد بدرالدين التعساني ط 1 -1327هـ، على نفقة محمد أمين الخانجي وشركاه بمصر والأستانة

- لسان العرب. طبعة بولاق : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- اللسانيات واللغة العربية. عبدالقادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات بيروت - باريس ط 1 -1986م.
- النظريات اللسانية و البلاغية عند العرب. د/ محمد الصغير بناني ، ط 1 - 1986م دار الحداثة بيروت لبنان.

(ب) الأجنبية:

- *Cours de Linguistique générale* F. Saussure. Edition critique préparée par Talio de Nauro, Publiée par Charle Bally, Albert Riedlineger, Payot , Paris 1983.
- *Dictionnaire de Linguistique* par Jean Dubois, Mathée Giacoura, Louis Guespeu, Christian Marcellessi, Jean Baptiste Marcellessi, Jean Pierre Mevel, Librairie LAROUSSE 1973.
- *Dictionnaire de didactique des langues.* Dirigé par R. Galisson, D. Loste. Librairie Hachette 1976
- *Elément de Linguistique générale* Andret Martinet, Troisième Edition, Armond Colin.
- *Initiation à la Linguistique,* Christian Baylou et Paul Faber. Université Nathau.
- *Linguistique Edma.*
- *Linguistique Francaise, Initiation à la problématique structurale.* J. L. Chiss, J. Filliolet, D. Maingueneau. -1977 Hachette Université.

(ج) المجلات و الدوريات:

- العرب و الفكر العلمي. العدد5 شتاء 1989م.
- مجلة الفكر العربي المعاصر. العدد 60-61 بيروت 1989م.

اللسانيات والترجمة

أ. عمر لحسن

كلية الآداب جامعة باجي مختار عنابة

المقدمة:

اللغة وعاء الفكر والثقافة الإنسانية ، وهي تؤدي - في المجتمع - وظيفتين متميزتين: وظيفة أنية باعتبارها أداة للتواصل بين أفراد المجتمع ونقل الدلالات إلى المتلقي ، ووظيفة زمانية تاريخية باعتبارها وسيلة لحفظ تراث المجتمع العلمي والفني والثقافي، ونقله إلى الأجيال المتعاقبة . ونظرا إلى هذه الأهمية التي اكتسبتها اللغة ، فقد حظيت باهتمام الباحثين والعلماء عبر العصور ، أدى هذا الاهتمام إلى ظهور علوم لغوية متعددة ومتنوعة شملت جميع مستويات اللغة ، منها علم الأصوات ، وعلم النحو والتركيب ، وعلم الصرف، وعلم الدلالة ... الخ كما ظهرت مدارس متنوعة ونظريات متميزة ، ساهمت كلها في إثراء البحث اللساني عبر التاريخ .

اللسانيات علم حديث:

وعلى الرغم من هذه الدراسات اللغوية التي شهدتها أغلب الأمم على مرّ العصور التاريخية المتعاقبة ، فإن اللسانيات بقيت تتخبط في اعتبارات منهجية لا تمت إلى العلم بصلّة، مثل أصل اللغة ، وتاريخ الأسر اللغوية والمقارنة بين اللغات - وبخاصة بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية - وهي كلها قضايا ومباحث لم تؤد إلى نضج اللسانيات أو تطورها في الاتجاه الصحيح. ولم تظهر في صورتها الحالية إلا في مطلع هذا القرن على أيدي أبي الدراسات الوصفية الحديثة - على حد تعبير الدكتور رمضان عبد التواب (1) - فرديناند دو سوسير الذي يعد « الشخصية الرئيسية في تغيير مواقف القرن التاسع عشر لمواقف القرن العشرين على نحو مهم هي اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير ، الذي عرف أولاً في المجتمع العلمي من خلال مساهمة مهمة في علم اللغة الهندوأوروبي المقارن ، بعد دراسته في ليزج مع أعضاء مدرسة القواعديين الجدد » (2) . فقد أصبح من التقليدي أن نعتبر فرديناند دي سوسير " أبو اللسانيات ، فبفضله كسبت الدراسة اللسانية مرتبة العلوم (3) .

وقد ظهر دو سوسير ضمن « مناخ معرفي محكوم بالنسيج المعرفي الذي كان سائدا طيلة هذا القرن [التاسع عشر] حيث كان يسود جل المعارف والعلوم منزعان بهما تحددت فلسفة المناهج المعرفية كلية : فأما أولهما ، فهو منزع الوعي بأثر التاريخ وفعله في صيرورة الإنسان ، وأما ثانيهما فمنزع البحث عن القوانين المتحكمة في كل الظواهر : الطبيعية منها والاجتماعية(4) .

فكان دو سوسير اللغوي الوفي لروح عصره قد تتقف بثقافته ، وامتنل لمناهجه . وقد حملته ظروفه على التجوال بين سويسرا وألمانيا ، فكان متمثلا

لخصائص الثقافة الأوروبية من أغزر مواردها ؛ فقد زواج في تكونه بين التعلم في جنيف وليبزغ ، حيث أعد رسالة دكتوراه حول استعمال المضاف المطلق في اللغة السنسكريتية ، ثم استقر بباريس من سنة 1880 إلى سنة 1891 فتولى تدريس النحو المقارن بمعهد الدراسات العليا ، وأعد أطروحة حول نظام الحركات في اللغات الهندية الأوربية :
« le système des voyelles dans les langues indo-européennes »

ثم عاد إلى موطنه جنيف ، فاضطلع بتدريس اللسانيات العامة إلى آخر حياته سنة 1913 ، حيث وافته المنية.

أما كتابه " محاضرات في اللسانيات العامة cours de linguistique générale "، فهو ثمرة المحاضرات التي كان قد ألقاها في جامعة جنيف، وجمعها اثنان من طلبته بعد وفاته هما شارل بالي Charles Bally وكلود سيشيهاي Claude Sechehay ، وقاما بنشره سنة 1916، « بقدر ما أمكنهم إعادة بنائها نقلا عن كراسات محاضراتهم و محاضرات آخرين ومواد معينه كانت باقية بخط دو سوسير ⁽⁵⁾ . ولم يتأخر الفكر العالمي عن الاهتمام به ، فقد ظهرت ترجمته إلى اليابانية سنة 1928 ، وإلى الألمانية سنة 1931 ، وإلى الروسية سنة 1933 ، وظهرت ترجمته إلى الإسبانية سنة 1945 ، ولم يقرأه أهل الإنجليزية بها إلا سنة 1959، ثم نقل إلى الإيطالية سنة 1967 ⁽⁶⁾. فكتاب دو سوسير يعد بمثابة النقطة النوعية التي خلصت اللسانيات من تأثير القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اللذين تميز فيهما البحث اللساني بسيطرة المنهجين التاريخي والمقارن ليلبسها ثوبا جديدا، هو ثوب الدراسة العلمية، حيث قام بتزويدها بمجموعة من المصطلحات التي جعلتها تتجه نحو الدراسة الوصفية، فسعى إلى تحديد موضوعها عبر التمييز بين اللغة واللسان والكلام (langue , langage ,

(parole) ، واقتراح أن يكون موضوعها اللغة، ذلك أن « اللغة - على العكس من ذلك - هي كل في ذاتها ومبدأ للتصنيف . وفور أن نعطيها المكان الأول ضمن الظواهر الكلامية ، فإننا ندخل نظاما طبيعيا في مجموعة لا تسمح بأي تصنيف آخر » (7) .

ثم قام بتحديد المنهج الذي يجب أن يسود الدراسة اللسانية التي يدعو إليها من خلال تمييزه بين اللسانيات القارة واللسانيات التطورية *linguistique statique* et *linguistique évolutive* ، حيث يمثل الأول الدراسات الآنية التي يجب أن تنصب على الظواهر الوصفية المطلقة ، أما الثانية فهي التي تتبع تطور الظواهر اللسانية عبر الزمان ، والبحث عن العوامل المؤثرة فيها ، وبذلك « فقد صاغ وأوضح ما اعتبره اللغويون السابقون أمرا مفروغا منه أو تجاهلوه ، وهو البعدان الأساسيان الضروريان للدراسة اللغوية ، البعد الأول هو الدراسة التزامنية *synchronic* التي تعالج فيها اللغات بوصفها أنظمة اتصال تامة في ذاتها في أي زمن بعيد ، والبعد الثاني هو الدراسة التعاقبية [التاريخية] *diachronic* التي تعالج فيها تاريخيا عوامل التغيير التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن . ولقد كان إنجازا لسوسير أن يميز بين هذين البعدين أو المحورين لعلم اللغة : البعد التزامني الوصفي والبعد التعاقبي التاريخي ، وكل منهما يستخدم مناهجه ومبادئه الخاصة به وأساسياته في أي مقرر تعليمي ملائم للدراسة اللغوية أو التدريس اللغوي . والمحاضرات التي ضمها الـ *cours* يجب النظر إليها بوصفها عاملا رئيسيا في تطور الدراسات اللغوية الوصفية في هذا القرن » (8) .

أما العمل الآخر الذي قام به دو سوسير ، فهو تحديده للوحدة اللسانية الصغرى التي أطلق عليها اسم *Signe linguistique* مبرزا مكوناته الأساسية وهما الدال والمدلول *Signifiant* و *Signifié* (9) ، اللذان اعتبرهما بمثابة وجهي الورقة

الواحدة ، فهما متميزان عن بعضهما ، غير أننا لا نستطيع أن نفصل بينهما ، كما أبرز خصائص هذه الوحدة ، إذ تتميز بالاعتباطية arbitraire⁽¹⁰⁾ ، وبكونها خطية linéaire⁽¹¹⁾ .

أما القضية الأخيرة التي تناولها دو سوسير بالدراسة ، فتمثلت في إبرازه نوعية العلاقات القائمة بين الوحدات اللسانية داخل السلسلة الكلامية، حيث ميز بين نوعين من العلاقات ، أطلق على النوع الأول اسم العلاقات التوزيعية rapports syntagmatiques ، وهي علاقات حضور in praesentia تقوم بين الوحدات المشكلة للسلسلة الكلامية ، وأطلق على النوع الثاني العلاقات الاستبدالية rapports associatifs ، وهي علاقات غياب in absentia تقوم بين وحدة حاضرة في السلسلة الكلامية والوحدات الموجودة في الذهن والتي تشترك معها اشتقاقيا أو دلاليا⁽¹²⁾ .

وقد كان لكتاب سوسير ولما جاء فيه من أثر كبير في اللسانيات العامة ، حيث غير وجهة الدراسات اللسانية وأعطاهها صبغة علمية ، إذ أصبح قادرا على « أن يضاهاي التخصصات العلمية في معارف مختلفة لكونه أخضع حقله للنزعة الوضعية ، فبات أنموذجا للعلوم الإنسانية لكي تخرج من دائرة الدرس الضيق إلى دائرة العلم الفسيح . فبعدما استفادت من مرجعيات علمية مختلفة، تحولت هي الأخرى إلى مرجعية فكرية بدأت تستمد منها بعض العلوم جهازها المفاهيمي ومعجمها الاصطلاحي »⁽¹³⁾ .

لقد استطاعت اللسانيات أن تدخل تغييرات جذرية على التاريخ اللغوي القديم ، وتمكن الدرس اللساني من الخروج من المعيارية إلى مجال الوصف ، بفضل جهود دو سوسير وإدخالها إلى عالم التكنولوجيا الحديثة ، « فاللسانيات

فرضت وجودها على كل ميادين المعرفة الإنسانية ، لأنها تبحث في أصولية آلية الإنتاج العلمي التي تعزز بها كل العلوم : اللغة . وهكذا تمكنت اللسانيات من إعادة هيكلة ومنهجة العلوم الإنسانية الحديثة ، وجعلتها سهلة التداول ، كما جعلت المثقف يجدد نفسه باستمرار « (14) .

اللسانيات واللغة العربية:

وإذا كان هذا هو حال اللسانيات العامة في أغلب الدول المتطورة ، حيث أصبحت تُدرّس بأحدث الوسائل الفيزيائية والإلكترونية والمعلوماتية، وأصبحت نتائجها تستغل في مجالات تكنولوجية عدة ، مثل البحث في هندسة اللغة، والتركيب الاصطناعي للكلام والاستكشاف الآلي له بتطبيق الأجهزة وخاصة الحاسوب (15) ، فإن العرب ما زالوا يناقشون جدوى إدراج مادة اللسانيات في أقسام اللغة العربية وأقسام اللغات الأجنبية .

إن حظ العربية من الدراسات اللسانية يسير جدا ، حيث يشعر المثقف العربي - إلى حد الآن - بمركب نقص تجاه هذا العلم ، سببه التأخر الشديد الذي سجله دخول هذا التخصص الإنساني إلى اللغة العربية ، وليس أدل على ذلك من أن تاريخ صدور أول ترجمة لكتاب دو سوسير يعود إلى سنة 1985.

ولهذا الشعور ما يبرره ، « وإن كانت الدراسات اللسانية العربية الحديثة قد بذلت جهدا لا يستهان به في هذا المضمار في أقطار عربية من أبرزها منطقة المغرب العربي ولبنان ومصر وبعض الأمصار الأخرى التي تولت جانب الترجمة، وبسرت هذا العلم للقارئ العربي ولكنه لم يبلغ شأوا عظيما ولم يتعد بعد إطار التعليم وتقريب العلم واكتشاف اللسانيات وعقد الصلة الحميمة بينها وبين القارئ العربي لكي يتذوق هذا العلم الحديث ويلم به » (16)

لقد أدرك اللسانيون العرب المحدثون أهمية هذا العلم وضرورة الإلمام بأسبابه إماما واسعا والإحاطة بنتائجه إحاطة شاملة بغية تقويم العمل اللغوي العربي القديم⁽¹⁷⁾ ، ولهذا لم يتوانوا في التعريف بهذا العلم والقيام بترجمة المؤلفات اللسانية الهامة ، وتقديم المحاضرات في هذا المجال ، ثم تشييعوا لهذه المدرسة اللسانية أو تلك ، ولكنهم - مع كل ذلك - اعترفوا بالتقصير والتأخر عن ركب اللسانيات الحديثة ، يقول صالح القرمادي : « إن الاهتمام بالألسنية في هذه الديار وفي العالم العربي بصورة عامة أمر حديث العهد نسبيا ، إذ لا نكاد نجد منه أمرا يذكر قبيل الستينيات سواء في ميدان التدريس أو البحث »⁽¹⁸⁾ أما الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ، فإنه يقدم صورة فيها تشاؤم كبير عن وضع اللسانيات في الوطن العربي ، حيث يقول : « يتصف البحث العلمي في اللغة العربية في زماننا هذا بصفات جد سلبية ، بالإضافة إلى ما يعرفه العصر من تكنولوجيا حديثة تطبق على البحوث اللغوية بنجاح تام في البلدان الراقية . ويعرف كل واحد البطء الذي يسير به وضع المصطلحات وإقرارها وحرفية هذا العمل وفرديته ومشكل ذيوع هذه المصطلحات في الاستعمال »¹⁹

وبالإضافة إلى هذا التأخر الفادح في مواكبة التطور الذي شهدته اللسانيات عبر العالم ، فإن البحث اللغوي العربي أصيب بشلل ، مثله مثل جميع ميادين العلم عند العرب ، الذين عانوا من تأخر وركود فكري وعلمي شامل ، خلال فترة طويلة . فلم نشهد خلال هذه الفترة تأليفا لغويا عربيا أصيلا بإمكانه أن يشكل أسس النظرية اللسانية العربية ، سوى اجترار أو شرح ما كتب من دراسات لغوية خلال الفترة الذهبية للعلوم العربية .

اللسانيات والترجمة:

ونتيجة لهذا الوضع ، ظهرت حركة ترجمة حديثة منذ الستينيات من هذا القرن، محاولة تدارك التأخر الذي شهدته اللسانيات العربية عن غيرها من لغات العالم . وقد واجهت هذه الحركة زخما هائلا من المصطلحات الناتجة عن التطور المذهل الذي عرفته اللسانيات ومختلف مدارسها الوصفية والتوليدية والتوزيعية والوظيفية والمنظومية ، فكان هذا التراكم الاصطلاحي هو المشكل الأول الذي واجه اللسانيين العرب ، يقول الدكتور أحمد يوسف « ولعل من أهم القضايا التي تشغل بال الباحثين إشكالية المصطلح اللساني وكيفية تعريبه »⁽²⁰⁾ ويقول عبد السلام المسدي : « فاختلف الينايع التي ينهل منها علماء العرب اليوم بين لاتيني وسكسوني وجرماني وسلافي، وطبيعة الجدة المتجددة التي تكسو المعرفة اللسانية المعاصرة ، وتراكم الأدوات التعريفية والمفردات الاصطلاحية مما يقتضيه تزواج مادة العلم وموضوعه في شيء واحد هو الظاهرة اللغوية ، ثم طفرة الوضع المفهومي وما ينشأ عنه من توليد مطرد للمصطلح الفني بحسب توالي المدارس اللسانية وتكاثر المناهج التي يتوسل كل حزب من المنتصرين للنظرة الواحدة أحيانا . كل ذلك قد تضافر ، فعقد المصطلح اللساني ، فجعله إلى الاستعصاء والتخالف أقرب إلى التسوية والتماثل »⁽²¹⁾ . إن المعضلة الاصطلاحية من شأنها أن تقف عائقا أمام مردودية العلم ونجاعته وتعرقلها، وقد أشار ابن خلدون - قديما - إلى أن كثرة التأليف في العلوم تعوق عن التحصيل لاختلاف الاصطلاحات في التعليم⁽²²⁾ .

لقد كانت حركة الترجمة في اللسانيات واسعة النطاق في العالم العربي ، غير أنها تمت بطريقة عشوائية فردية ، بحيث يقترح كل باحث بشكل فردي قائمة المصطلحات دون أن يعتمد في ذلك طريقة علمية مدروسة ، معتمدا حدسه الشخصي والرجوع إلى المعجمات اللغوية ، التي لا تقدم إليه سوى جانبا لغويا

محضا من الكلمة ، ذلك أن « المصطلحات العلمية تتحدد دلالتها وعباراتها في إطار نظرية متكاملة، وهي لا تظهر إلا بوصفها عناصر متكاملة للنظرية ، ومن ثم ، فإن المصطلح الذي يكونه ذلك التخصص « (23) . ويرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن مشكلة وضع المصطلح اللساني وغيره من الأعمال الخاصة بتكييف اللغة وإثرائها تكمن في أمور ثلاثة :

- اعتباطية العمل عند الكثير من اللغويين ، أي عدم خضوعه لضوابط علمية ، وذلك بعدم مراعاته لمعطيات العلوم اللسانية الحديثة بصفة خاصة، ومنهجية العلوم الاجتماعية بصفة عامة .

- حرفيته، أي اقتصاره على البحوث الفردية التي هي أشبه شيء

بالصناعات التقليدية يعتمد فيه على المعالجة اليدوية كالنظر الجزئي في القواميس والاقتصار على جرد العديد من المعلومات بالأيدي العزلاء .

- عدم شموليته بعدم الرجوع إلى كل المصادر العربية التي يمكن الاستقاء

منها - وخاصة المخطوط منها - وجميع المراجع الأجنبية التي يمكن استغلالها لتحديد المفاهيم الحديثة (24) .

إن أفضل مثال يمكن أن ندعم به هذا الرأي أن كتاب دو سوسير السالف

الذكر تمت ترجمته إلى العربية خمس مرات ، تحمل كل ترجمة عنوانا يختلف

عن باقي الترجمات ؛ فهناك الترجمة التونسية التي قام بها كل من صالح

القرمادي ومحمد عجينة ومحمد الشاوش وصدرت سنة 1985 بعنوان " دروس

في الألسنية العامة " عن الدار العربية للكتاب، ثم الترجمة السورية التي أنجزها

كل من يوسف غازي ومجيد نصر سنة 1986 بعنوان " محاضرات في الألسنية

العامة" عن المؤسسة الجزائرية للطباعة، وهناك الترجمة المصرية التي أنجزها

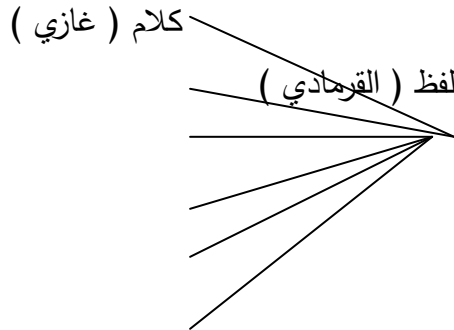
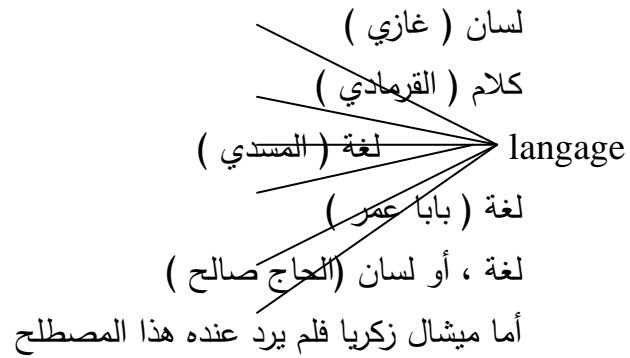
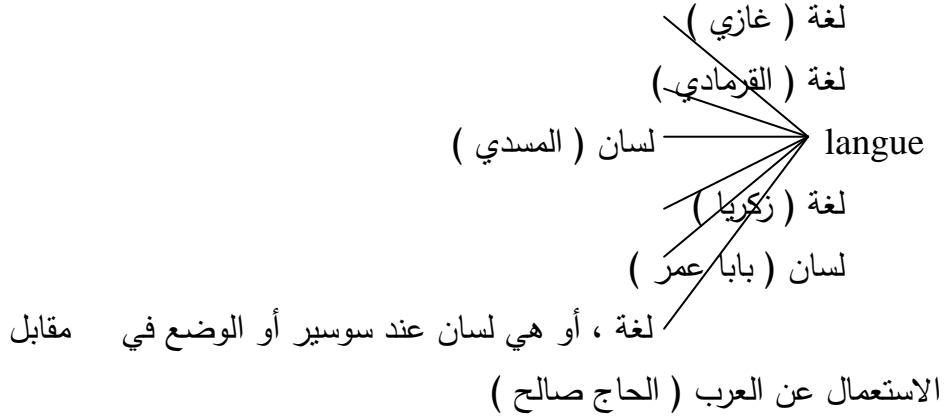
أحمد نعيم الكراعين سنة 1985، بعنوان " فصول في علم اللغة العام " عن دار

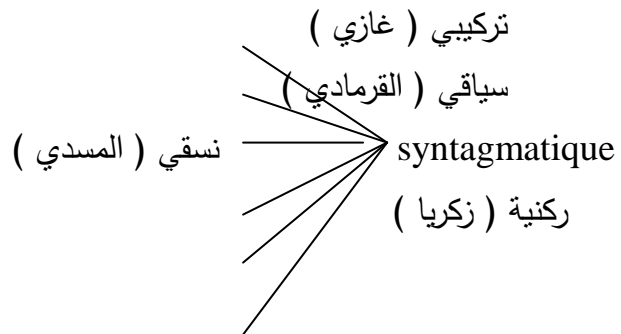
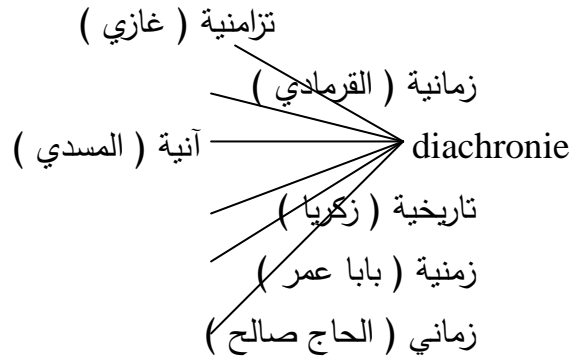
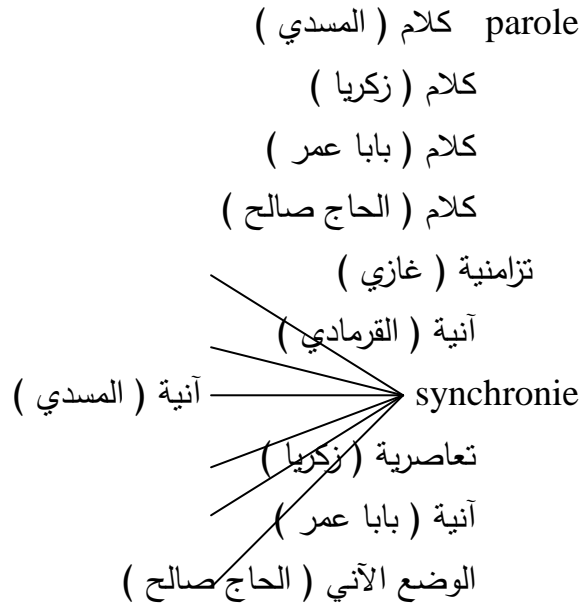
المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، تلتها الترجمة العراقية من إنجاز يوثيل يوسف عزيز سنة 1985، بعنوان " علم اللغة العام " عن دار آفاق عربية . أما الترجمة الأخيرة ، فهي مغربية ، أنجزها عبد القادر القنيني سنة 1987، بعنوان " محاضرات في علم اللسان العام " عن دار إفريقيا الشرق بالدار البيضاء (25) . فهناك من يترجم *linguistique* بالألسنية (التونسي والسوري، و هناك من يترجمها علم اللغة (المصري والعراقي) ، وهناك من يترجمها علم اللسان (المغربي) ، أما في الجزائر ، فإن هناك شبه إجماع علم استعمال مصطلح اللسانيات .

فكيف لنا أن نطمح في توحيد مصطلحاته التي يفوق عددها الألف مصطلح ، ونحن ما زلنا إلى حد الآن لم نتفق على تسمية هذا العلم ؟ ثم إن صدور خمس ترجمات مختلفة لكتاب يعتبر مدشن اللسانيات الحديثة بما سببه من ثورة على المناهج السابقة شبه بالثورة الكوبرنيكية (26) ، لهو دليل على فردية هذه العملية وانعدام التنسيق بين الباحثين العرب ، حتى وإن كان في هذا التعدد ثراء وخصبا وغازرة من الناحية اللسانية في مضمونها ، ومن الناحية الأكاديمية في منهجها وطرائق تحقيقها.

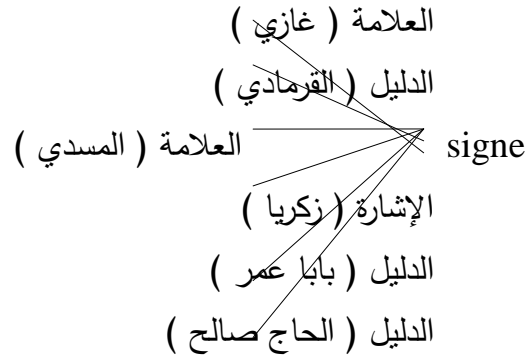
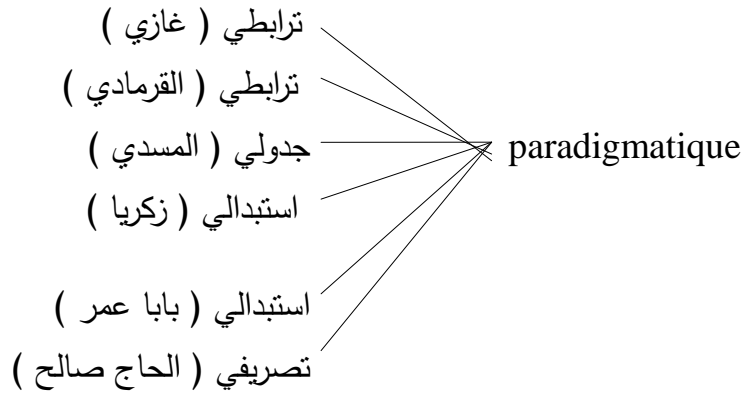
غير أن الاختلاف لم يقتصر على تسمية هذا العلم ، بل تعداه إلى المنظومة الاصطلاحية التي تكون هذا العلم . وقد تتبعت ترجمة مصطلحات سوسير التي سبق ذكرها - والتي يمكن اعتبارها دعائم الدراسة اللسانية المعاصرة ، بحيث كانت نقطة انطلاق معظم المدارس والاتجاهات اللسانية والأسلوبية والسيميائية - في ستة كتب لسانية هي: " المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات " الذي وضع بإشراف الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وتمويل من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (27) ، و " قاموس اللسانيات " لعبد السلام

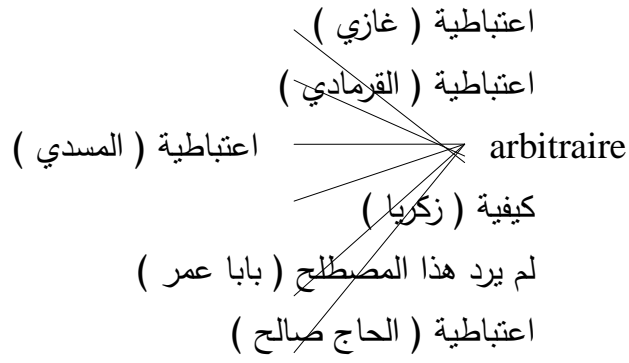
المسدي (28) وكتاب " الألسنية، علم اللغة الحديث " لميشال زكريا (29) ، وكتاب " اللسانيات العامة الميسرة " لسليم بابا عمر وباني عميري (30) ، وكتاب " محاضرات في الألسنية العامة " لسوسير وترجمة يوسف غازي ومجيد نصر (31) ، وكتاب " دروس في الألسنية العامة لسوسير وترجمة صاح القرمادي ومحمد عجيبة ومحمد الشاوش (32) ، وكانت النتيجة كما يلي:





تركيبى (بابا عمر)
تركيبى (الحاج صالح)





وهكذا، نلاحظ الاختلاف والتباين في إطار ترجمة عدد يسير من المصطلحات التي تعتبر العمود الفقري للسانيات، والتي انبنت عليها جل المدارس والاتجاهات اللسانية الحديثة. ويعود هذا التباين - في نظرنا - إلى أسباب عديدة ومتنوعة ، منها ما يعود إلى المترجم نفسه الذي يفترض فيه أن يكون ملما باللغتين المنقول منها والمنقول إليها من جهة ، وبالاحتوى العلمي الذي هو بصدد ترجمته من جهة أخرى، وهو ما أكده الجاحظ في قوله: « ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية (...). وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه ، ولن تجد البتة مترجما يفى بواحد من هؤلاء من العلماء »⁽³³⁾ ، ومنها ما يعود إلى اختلاف المدارس العربية من مشرقية ومغربية ، وتونسية ومغربية وجزائرية ... الخ ، ومنها ما يعود إلى انعدام هياكل وإطارات نظامية تسهر على توحيد المصطلح ونشره في العالم العربي ، ومنها إلى نقص العلاقات والتبادل بين المترجمين والمهتمين بالدراسات اللسانية في العالم العربي إن لم نقل انعدامها.

الهوامش والإحالات:

- 1 - رمضان عبد التواب، الدرس اللغوي بين التراث والمعاصرة ، محاضرة أُلقيت في الندوة الدولية حول " مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية " ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر أيام 6 - 8 نوفمبر 2000 .
- 2 - ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) ، ترجمة أحمد عوض ، سلسلة عالم المعرفة ، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1997 ، ص 318 .
- 3 - كاترين فوك ، وبيار لي قوفيك ، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، ترجمة المنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1984 ، ص 17 .
- 4 - عبد السلام المسدي ، ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية) ، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع ، تونس 1994 ، ص 09 .
- 5 - روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ، ص 319 .
- 6 - عبد السلام المسدي ، ما وراء اللغة ، ص 10 .

7 - Ferdinand de Saussure , Cours de linguistique générale , edition critique préparée par Tullio de Mauro , ed Payot Paris 1981 , p 23 .

8 - روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ، ص 319 .

9 - Ferdinand de Saussure , Cours de linguistique générale , p 97 .

10 - Ferdinand de Saussure , Idem , p 100 .

11 - Ferdinand de Saussure , p 103 .

12 - Ferdinand de Saussure , p 170 .

13 - أحمد يوسف ، اللسانيات وواقع اللغة العربية ، محاضرة أقيمت في الندوة

الدولية حول " مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية " ، المجلس الأعلى للغة

العربية ، الجزائر أيام 6 - 8 نوفمبر 2000 ، ص 257 .

14 - محمد الحناش ، البنيوية في اللسانيات ، دار الرشاد الحديثة ، الدار

البيضاء ، ط 1 ، 1980 ، ص 06 .

15 - عبد الرحمن الحاج صالح ، اللغة العربية وتحديات العصر في البحث

اللغوي وترقية اللغات ، محاضرة أقيمت في الندوة الدولية حول " مكانة اللغة

العربية بين اللغات العالمية " ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر أيام 6 -

8 نوفمبر 2000 ، ص 25 .

16 - أحمد يوسف ، اللسانيات وواقع اللغة العربية ، ص 258 .

17 - صالح الكشو ، مدخل في اللسانيات ، الدار العربية للكتاب ، تونس -

ليبيا ، 1985 ، ص 05 .

18 - صالح القرماضي ، مقدمة مترجمي كتاب "دروس في الألسنية العامة

"لسوسير ، الدار العربية للكتاب تونس - ليبيا ، 1985 ، ص 08 .

19 - عبد الرحمن الحاج صالح ، اللغة العربية وتحديات العصر في البحث

اللغوي وترقية اللغات ، ص 25.

20 - أحمد يوسف ، اللسانيات وواقع اللغة العربية ، ص 260 .

- 21 - عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات ، الدار العربية للكتاب ، تونس - ليبيا ، 1984 ، ص 55 .
- 22 - ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1979 ، ص 1021 .
- 23 - محمود فهمي حجازي ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة (د . ت) ، ص 13 .
- 24 - عبد الرحمن الحاج صالح ، اللغة العربية وتحديات العصر ، ص 25 - 26 .
- 25 - المسدي ، ما وراء اللغة ، ص 11 - 15 .
- 26 - روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ، ص 319 .
- 27 - عبد الرحمن الحاج صالح وآخرون ، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1989 .
- 28 - عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات ، الدار العربية للكتاب ، تونس - ليبيا ، 1984 .
- 29 - ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت 1983 .
- 30 - سليم بابا عمر وباني عميري ، اللسانيات العامة الميسرة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .
- 31 - فردناند دو سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1986 .
- 32 - فردناند دو سوسير ، دروس في الألسنية العامة ، ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة ، الدار العربية للكتاب تونس - ليبيا ، 1985 .
- 33 - أبو عثمان الجاحظ ، الحيوان ، ج 5 ص 289 .

مساهمة في تطوير تحويل المصطلحات العلمية في ميدان البيولوجيا الجزيئية والهندسة الوراثية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية

د. شيباني عبد الوهاب

قسم البيولوجيا، كلية العلوم والهندسة / جامعة مستغانم

المخلص:

تعتمد هذه المساهمة أساسا على خبرة التدريس المتواضعة في ميدان الوراثة والهندسة الوراثية باللغة العربية لطلبة الليسانس في العلوم الطبيعية وكذا طلبة الهندسة البيولوجية (مهندسين). وخلال ممارستي للتدريس في هاتين المادتين تبين لي أن المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة الإنجليزية عند محاولة ترجمتها إلى اللغة العربية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

- النوع الأول هي المصطلحات الإنجليزية التي يوجد ما يقابلها في اللغة العربية لفظاً ومعنى
- النوع الثاني هي المصطلحات الإنجليزية التي يوجد ما يقابلها في اللغة العربية لفظاً فقط دون المعنى
- النوع الثالث هي المصطلحات الإنجليزية التي لا يوجد ما يقابلها في اللغة العربية لفظاً ولكن يمكن استعمال أكثر من كلمة عربية للوصول إلى المعنى
- النوع الرابع هي المصطلحات الإنجليزية التي لا يوجد ما يقابلها في اللغة العربية لا لفظاً ولا معنى.

المقدمة:

ليست اللغة العربية لغة مستحدثة وإنما جذورها ضاربة في عمق التاريخ ليس هذا فحسب بل إنها كانت لغة العلوم والحضارة في وقت لم تكن البشرية تعرف لغة علم غيرها. وقد زودت اللغة العربية شتى مناحي العلوم التي كانت منتشرة في ذلك العصر بمصطلحات لازالت متداولة بين العلماء إلى وقتنا الحاضر. ثم انتقلت الريادة العلمية في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ومنها إلى لغات اشتقت من هذه الأخيرة كالفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية. وبحكم ظروف عديدة أصبحت اللغة الإنجليزية في القرن العشرين وما بعده سائدة في جميع العلوم البحتة والإنسانية على جميع لغات العالم.

وخلال النصف الثاني من القرن العشرين أصبحت جميع لغات العالم في مراتب متفاوتة بعد اللغة الإنجليزية باعتبار أن البلد الأكثر تطوراً وتقدماً من الناحية العلمية والتقنية هو الولايات المتحدة الأمريكية ناطقاً باللغة الإنجليزية. هذا

الوضع حتم على البلدان الناطقة بغير الإنجليزية خاصة في أوروبا أن تستدرك دائما هذا الفرق وذلك من خلال حركة حديثة للترجمة لأغلب ما يصدر باللغة الإنجليزية إلى لغاتهم الأم.

وفي عالمنا العربي عموما تتميز هذه الحركة الاستدراكية بشيء من الركود تارة والانعدام تارات أخرى. الشيء الذي وسع الهوة بين لغتنا وحركة التطور العلمي والتقني. لذلك يجب على أصحاب لغة الضاد خاصة المشتغلين في مناحي العلوم والتكنولوجيا كل في اختصاصه أن يحاولوا تطوير المصطلحات العلمية الجديدة إلى اللغة العربية، وهذا عمل غير يسير لأنه يقتضي البحث والتنقيب والتوضيح. وإيماننا مني بضرورة هذا العمل فقد قمت في تجربة متواضعة للتدريس الجامعي لمقررات الوراثة والبيولوجيا الجزيئية والهندسة الوراثية أن تجتمع لدي عدد كبير من المصطلحات العلمية في هذه الميادين يمكن أن تصلح أن تكون أرضية لتحضير معجم موحد في الجامعات الجزائرية أو حتى العربية.

وخلال ممارستي للتدريس في هاتين المادتين تبين لي أن المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة الإنجليزية عند محاولة ترجمتها إلى اللغة العربية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

- النوع الأول هي المصطلحات الإنجليزية التي يوجد ما يقابلها في اللغة العربية لفظا ومعنى والأمثلة على هذا النوع:
 - النهايات اللاصقة - Cohesive ends
 - ربط النهايات اللاصقة - Cohesive end ligation
 - المعجم عديم الفواصل - Comma-less code
 - التأهيل - Competence
 - التهجين - hybridization

- transcription - النسخ
translation - الترجمة
reverse transcription - النسخ العكسي
packaging - التعبئة
promotor - المحفز
operator - المشغل
blot - اللطخة
base pair - زوج قاعدي
bio-mass - الكتلة الحية
CAAT box - علبه CAAT
cancer-inducing viruses - الفيروسات المسببة للسرطان
Catabolic repression - التثبيط الهدمي
entral dogma - مبدأ المركزية
chelating agent - عامل لاقط
DNA restriction enzymes - إنزيمات القطع المتخصص
DNA sequencing DNA - تتابع
DNA library DNA - مكتبة
Dose response curve - منحنى الاستجابة للجرعات
• النوع الثاني هي المصطلحات الإنجليزية التي يوجد ما يقابلها في اللغة العربية لفظا فقط دون المعنى ومن الأمثلة على هذا النوع:
طريقة المشي على الصبغي - chromosome walking
تغير نوع الجسم المضاد - class switching

- النوع الثالث هي المصطلحات الإنجليزية التي لا يوجد ما يقابلها في اللغة العربية لفظا ولكن يمكن استعمال أكثر من كلمة عربية للوصول إلى المعنى
مثال:

مركب مسرطن (مسبب للسرطان) - carcinogen

إنزيم هاضم طرفي - exonuclease

إنزيم هاضم داخلي - endonuclease

قاتل بكتيري - bactericidal

التحلل البكتيري - bacteriolysis

الآكل البكتيري - bacteriophage

عامل مخرب للغشاء البلازمي - chaotrope

الاختبار البيولوجي - bioassay

المزارع البكتيرية المائلة - bacterial slope or slant

العناصر الوراثية المتحركة البكتيرية - bacterial transposon

نواتج الهدم - catabolite

الشكل المتسلسل - catenane

- النوع الرابع هي المصطلحات الإنجليزية التي لا يوجد ما يقابلها في اللغة العربية لا لفظا ولا معنى مثل:

الكروماتوغرافيا - chromatography

الافلاتوكسين - aflatoxins

الاجاروز - agarose

الكارسнома - carcinoma

السيسترون - cistron

حياة المصطلح العلمي

أ. عبد السلام شقروش
قسم اللغة العربية " جامعة عنابة "

المصطلحات مفاتيح العلوم ,فما من علم إلا وله منظومة من المصطلحات تشكل جزءا مهما من بنيته النظرية، وما من سبيل إلى سبر أغوار العلوم إلا التوسل بمنظوماتها المصطلحية إذ المصطلحات هي مجموعة الدوال التي تكون مدلولاتها مضمون العلوم . فالشحنة الدلالية التي يحملها المصطلح تفوق بكثير ما تحمله (اللفظة غير الاصطلاحية), فالمصطلحات هي نصوص مكبوسة . ولا يمكن لعلم أن ينمو و يتطور ما لم يتمتع بمنظومة من المصطلحات كفيلة بتغطية شاملة, وغير متداخلة لمضامينه , ولو تصورنا جدلا تجريد علم من جهازه المصطلحي لما أمكن تصور استمراريته وذلك لفقدانه القدرة على التعبير عن مفاهيمه , لذلك يمكننا أن نعتبر ((الجهاز المصطلحي لكل علم صورة مطابقة لبنية قياسية , متى فسد فسدت صورته واضمحت بنيته فينداعى مضمونه بارتكاس مقولاته)) (1)

وهذا ما يجعل العلاقة بين كل علم و مصطلحاته علاقة جدلية فلا تحدد قيمة المصطلحات إلا من خلال العلوم المنتمية إليها ((الحدود terms لا تملك معنى بمقتضى صورتها الخاصة...و من ثم فالمعنى الذي تكتسبه الحدود إنما يكون بالإشارة إلى وظيفتها النسقية داخل النسق النظري))⁽²⁾ كما لا تتضح مضامين العلوم إلا من خلال مصطلحاتها.

ومن هذا المنطلق جاءت أهمية نقل المصطلحات العلمية من لغة إلى أخرى , فهي الجسور التي تعبر من خلالها العلوم والمعارف من أمة إلى أخرى.

ولقد أدى الانفجار الحضاري الهائل الذي شهده العالم في القرنين الماضيين وما حصل فيه من تقدم علمي كبير إلى اهتمام كبير بقضية المصطلح, و أدرك علماء القارة الأوربية ضرورة توحيد مصطلحات كل علم من العلوم ((فقد حدث التقدم العلمي في عدة دول أوربية و عرفت كل منها مواقع عديدة للبحث والتطبيق, و كثر الباحثون و زادت الحاجة إلى مصطلحات جديدة, وتكونت هذه المصطلحات بجهود فردية, لهذا كله نجمت ضرورة العمل لتوحيد هذه المصطلحات , من أجل تيسير الإتصال العلمي بين الباحثين))⁽³⁾

وقد أدى التنسيق بين الدول الأوربية في العمل المصطلحي إلى وضع المعايير الدولية للمصطلحات، لتكون موحدة في اللغات الأوبية رغم تعدد هذه اللغات.

وقد درست المؤتمرات العلمية المختلفة هذه المواضيع مثل مؤتمر علماء النبات 1868 ومؤتمر علماء الحيوان 1889 ومؤتمر علماء الكيمياء المنعقد سنة 1892 وغيرها من المؤتمرات.

وقد أدى التطور الكبير في العلوم المختلفة في القرن العشرين إلى ضرورة إيجاد القواعد المنظمة لوضع المصطلحات و تقنينها في المجال الهندسي بصفة خاصة.

وتمثلت الجهود الأولى في قرارات اللجنة الدولية للصناعات الكهربائية 1906 والمتمثلة في إنشاء مصطلحات موحدة للصناعات الكهربائية و ذلك لأن المواصفات القياسية للمنتجات الخاصة بهذا المجال لا يمكن أن تتم قبل استقرار المصطلحات بدلالة واضحة و محددة ومتفق عليها⁽⁴⁾

وقد قامت الفيدرالية الدولية للإتحادات الوطنية للتقييس سنة 1934 ببحث موضوع توحيد المصطلحات الدولية في مجالات الصناعة و العلم ثم حلت محلها بعد الحرب العالمية الثانية المنظمة الدولية للمواصفات القياسية .و من ثم عمت ظاهرة الإهتمام بالمصطلح و وضعه ،وبدأت تتكون مجموعات من الباحثين في مجال المصطلحات من أجل وضع قواعد تقنينها . وكثرت المؤسسات المعنية بقضايا المصطلحات على المستوى القومي والدولي، ونشأت بنوك للمصطلحات في عدة دول مثل بنك المصطلحات الكندي ، وبنك المصطلحات التابع للمجموعة الأوروبية، كما قامت بعض المؤسسات الصناعية الكبرى بإنشاء بنوك تعنى بمجالات اختصاصاتها.

إن فقد أدركت الأمم الغربية ضرورة توحيد مصطلحاتها، و ذلك لتيسير التواصل بين علماء التخصص الواحد، و عملت على هذا التوحيد رغم اختلاف لغاتها.

فأين واقع الأمة العربية من هذه الإنجازات العالمية العظيمة على مستوى توحيد المصطلحات العلمية ؟

إن المشكلة التي تواجهنا في العالم العربي ذات شقين:

الشق الأول: أننا نعاني من عدم التغطية الشاملة للمصطلحات الغربية، أي أننا لم نتمكن بعد من مسايرة الغرب في تدفق مصطلحاته ، إذ أننا لا نترجم كل المصطلحات التي تظهر على الساحة العلمية، ((إن تحرك اللغة العربية في هذا الميدان كشأنه في ميادين ثقافية و علمية أخرى، اتسم بالبطء الذي لا يتيح مواكبة الركب ، ولم يوفق اللغويون العرب في تلافي حدوث تراكم في المصطلحات التي يتعين نقلها من اللغات الأخرى، ولم ترق الجهود الفردية المنفرقة إلى مستوى التحدي))⁽⁶⁾

ومعلوم أن ترجمة المصطلحات العلمية أو تعريب الثقافة العلمية هو تعريب المتخصص العربي ، و أن تقوية الطاقة التعبيرية للغة مرتين بالزيادة في القدرة التعبيرية لمتكلمي اللغة و مستعمليها، وأي نقص يعترى ترجمة المصطلحات يؤدي بالضرورة إلى غياب الإنسان العربي على الحضور في مجالات الثقافة و العلوم ،والاكتشافات التقنية و الابداع في العلوم والفنون، و قد أثبتت الدراسات أنه كلما كان صفاء في قناة التواصل كلما كان المرود أكثر في الفهم، و العكس صحيح، و من هنا فالعمل على تطويع اللغة من خلال إثراء منظومتها المعجمية ، يجعلها لغة تعبيرية تامة هو عمل على تطويع قدرة المثقف العربي اللغوية لتمكينه من توظيف لغته القومية لا في ممارساته اليومية فحسب، بل في تناوله للموضوعات العلمية الدقيقة⁽⁷⁾.

ولتجاوز إشكالية العجز عن تغطية المصطلحات العلمية في العالم العربي وجب أن تكثف الجهود المؤسساتية لا الفردية، وأن تشكل لجان في مختلف

التخصصات على مستوى الدول العربية مهمتها نقل كل المصطلحات العلمية في مختلف التخصصات التي تظهر على الساحة العلمية.
أما الشق الثاني: من المشكلة فيتمثل في كون ترجمتنا للمصطلحات العلمية على مستوى العالم العربي غير موحدة.

ولدراسة هذه الإشكالية و وضع الاقتراحات الكفيلة بعلاجها لابد من الكشف عن الأسباب التي أدت إلى عدم التوحيد، أهم هذه الأسباب هي:

1- أن العالم العربي منشق في تفتحه على الحضارة الغربية إلى شقين: المشرق العربي ، والمغرب العربي، فالمشرق يتصل بالغرب عن طريق الثقافة "الأنجلوساكسونية"، والمغرب العربي يتصل بالغرب عن طريق الثقافة اللاتينية ((و رغم هذه المجهودات المشكورة هناك خطر إنقسام اللغة العربية إلى شطرين ، ذلك أن المغرب العربي ينقل عن اللغة الفرنسية و يسترشد بها في تسمياته وإصطلاحاته ، و المشرق العربي يستند إلى اللغة الإنجليزية))⁽⁸⁾.

2- ظاهرة الترادف في العربية، إن الثروة اللفظية التي تميز العربية عن بقية اللغات أصبحت تمثل عائقا يثقل كاهلها، إن لم نحسن التعامل معها فكما يقول محمد المبارك لم يبق الترادف في ذلك العصر مزية من مزايا العربية بل مرضا من أمراضها الوافدة المنتشرة ، وغلب على الناس استعمال الألفاظ في معانيها العامة، فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التي عرفت بها العربية في عصورها السالفة ، وأدى ذلك إلى تداخل معاني الألفاظ))⁽⁹⁾.

ولتفادي هذه المشكلة ،لابد من إعادة تحديد مفهوم الكلمات المستعملة في العربية حتى نستفيد من المخزون المفرداتي لتوظيفه في مختلف تفصيلات

التخصصات العلمية و بالتالي يكون عامل تطور و نماء لا عامل فرقة ونشتت في المصطلحات.

3- عدم توحيد التقييس (أي منهجية وضع المصطلحات) أي غياب منظومة تشريعية موحدة تضبط عملية توحيد المصطلحات، فالمناداة بتوحيد المصطلحات غير كافية ما لم تشفع بتوحيد تقنيات توحيد هذه المصطلحات، فقد تترجم هيئة معينة مصطلحا ترجمة معينة تراعي فيها أوليات معينة وتترجم مصطلحا آخر من غير مراعاة للأولويات نفسها ثم تدعو لتبني المصطلحين، كما هو الحال بالنسبة للمجامع اللغوية.

ولكي نؤسس منظومة تشريعية لتوليد المصطلحات لابد أن نحكم هذه المنظومة بمجموعة من الأصول و الضوابط أهمها:

أولاً: النظر إلى الترجمة من زاوية اللغة الهدف لا اللغة المصدر، إذ ينبغي أن ننظر إلى الترجمة كتوليد لمصطلحات جديدة أي إثراء قاموس اللغة الهدف و ليست مقابلة بين اللغتين، ومن ثم لا ينبغي للمترجم أن يحرص على معنى المصطلح الأجنبي وجذوره التاريخية ، لأن المصطلح العلمي الأجنبي يكون في إطار لغته قد ابتعد عن مفهومه التاريخي بل عن مفهومه العام في منظومته اللغوية وذلك لأنه بدخول حيز الاصطلاح العلمي يكون قد تحدد له معنى يتوافق ومقولات العلم الذي يمثل هذا المصطلح أحد مفاتيحه ⁽¹⁰⁾. لذلك يجب أن ينشغل واضع المصطلح أو المترجم بالجوانب الكفيلة بجعل المصطلح المولد يعبر عن مدلول مقابله الأجنبي في الإطار المعرفي المحدد. وألا ينساق وراء إنزياحات وظلال المعنى الذي يحمله المصطلح الأجنبي.

ثانياً : وجوب التعامل مع النتائج العلمي والحضاري بدل التعامل مع الوسائط الناقلة، أي اللغات: ((فكون حضارة أفرزت اكتشافات مادية أو منتجات تقنية جديدة لا يعني ضرورة أنها تتحكم في الألفاظ التي يمكن أن توضع لوسم المولودات الجديدة فالآلة التي سماها الأمريكي Computer تردد اللسان العربي في وضع مقابل قار لها ، فهي عقل إلكتروني ، و حاسب إلكتروني، وحاسب آلي ، وحاسبة وحاسوب ، ونضامة ورتابة ،... فلو أن العربي اتجه إلى وضع العبارة لهذا المولود الحضاري مباشرة باعتماد وجه من وجوه المرجع (Referent) لتسميته دون أن يمر بلسان آخر ،لما تعددت المقابلات والترجمات و لما صار إلى مشاكل زائفة متولدة عن تعامله مع أدوات معبرة عوض تعامله مع الاكتشاف الحضاري)) (11).

وفي هذا الإجراء يتم التعامل بين الأداة المعبرة (اللغة)، و مستجد الثقافة والحضارة ومطلق المعلومات الواردة ، وليس التعامل أساسا بين أداة معبرة وأداة غير معبرة فمشكل التعريب ليس مشكل ترجمة بالأساس ، واللغة كجهاز تعبيري لا تحتاج مبدئيا وعمليا إلى المرور بجهاز تعبيري آخر لتعبر عن معلومات ومعان مستقلة عن الألفاظ التي ترمز إليها في لغة معينة ، فالتعامل مع حضارة أو ثقافة أو معلومات ليس بالضرورة معناه التعامل مع لغة هذه الحضارة أو المعلومات .

ثالثاً : وضع إطار نظري يحكم عملية الترجمة ، فغالبا ما يهتم المترجم أثناء عملية الترجمة بتقنيات معينة تضبط عمله، ولكنه يهمل الإطار النظري الذي يحكم العملية ، أي أنه لا يمارس عمله انطلاقا من أصول إبستمولوجية محددة، بل قد يعتقد ألا ضرورة لذلك و كأن الترجمة مجموعة من الإجراءات تحكمها تقنيات معينة تراعى هذه التقنيات خصوصيات كل لغة كالنحت والتعريب

والاشتقاق والمجاز بالنسبة للعربية مثلا ، ولكن هذا غير كاف إذ يجب أن تحكم عملية الترجمة نظريات تشكل الخلفية المعرفية للمترجم⁽¹²⁾.

إن علم المصطلح من أحدث أفرع اللسانيات التطبيقية ، يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها⁽¹³⁾. وما دام هذا العلم هو فرع من اللسانيات، فلا بد من دراسته من خلال مقارنة لسانية معينة و إلا صرنا إلى الخط واتسم عملنا بالتفريق أي تفريق المتناقضات، حتى وإن زعمنا بأننا نروم مقارنة متكاملة لأن منطلقات النظريات اللسانية مختلفة.

ويرجع الفاسي الفهري الفشل في رواج المصطلحات العلمية التي أفرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو مكتب تنسيق التعريب، إلى غياب تمثّل نظري للقضية المصطلحية، و إلى عفوية المنهجيات المقترحة لضبط الاصطلاح، وذلك لاعتقاد القائمين على عملية الترجمة بأن المشكل المصطلحي مشكل مراسي بالأساس. فالأكيد أن الممارسة لها دور فعال في وضع المصطلحات، إذ أن الأخصائي الذي يمارس الوضع في حقل تخصصه أو المصطلحي الذي يختص في وضع المصطلحات في أي حقل من الحقول مؤهلان مبدئيا لتوليد المصطلحات، و لكن ما لم يكن العمل في إطار نظري بكل مرجعياته الفكرية و تقنياته التحليلية، تكون النتيجة بطبيعة الحال مضطربة، و يكون النتائج نشازا لأنه لا ينطلق من نظرية معينة.

إن المصطلح لغة خاصة أو هو معجم قطاعي يبينه و يروجه أهل الاختصاص إلا أنه يتصل باللغة العامة المشتركة و يخضع لقوانينها. فالقوانين العامة التي تحكم معجم لغة ما، تنطبق على معجم المصطلحات كالقوانين (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية).

إن طغيان اللسانيات الوصفية التصنيفية على الدراسات العربية ساهم كثيرا في تكريس النظر إلى المستوى المعجمي من اللغة، على أنه قائمة من الكلمات لا تخضع لعلاقات بناء الأنظمة و من ثم لا يمكن أن تعتبر معجم أي لغة نظام، بل قائمة من العناصر فحسب. هذه النظرة أدت إلى عدم الاهتمام بالإطار النظري الذي يحكم حركية الكلمات داخل النظام المعجمي. فالمصطلح يتصل بالنسق التصوري العام للغة ، وذلك لأن لكل لغة وسائل خاصة في إستيعاب التجربة الخارجية، وبناء نظامها التصوري (الدلالي) ⁽¹⁴⁾ الخاص، والذي يشكل ترابطات مفاهيمية معينة بين المفردات الموجودة ⁽¹⁵⁾. فالصيغ الصرفية في العربية مثلا تفيد دلالات معينة كالمشاركة والمطاوعة والفعالية والمبالغة ... والكلمة بميزانها الصرفي تجعلنا نستحضر جزءا من المعنى بالإضافة إلى أصواتها التمييزية التي تكمل مهمة الدلالة المعجمية أو التواضعية.

والمتتبع للحقول الدلالية في مختلف اللغات يلاحظ فوارق كمية ونوعية واختلافا من حيث عدد الألفاظ الدالة على الحقل ، و اختلافا باعتبار العلاقات الدلالية والمرجعية بين الألفاظ. وما ينطبق على اللغة عامة ينطبق على المصطلح فالمعجم المصطلحي ⁽¹⁶⁾ يظل على علاقة دائمة مع المعجم اللغوي العام ، يعرف الأول من الثاني ليختص ويستقل بالمعنى ، ثم يعيد ما أخذه بمدلولاته الجديدة، لينمي الرصيد المعجمي العام وهكذا يظل المعجمان في جدلية و تحاور دائم.

عوامل حياة المصطلح

إن الصعوبة لا تكمن في توليد المصطلح العلمي و لا في إثبات صحته اللغوية (فما أسهل أن يثبت كثير من اللغويين صحة مصطلحاتهم الفردية) ⁽¹⁷⁾،

بل الصعوبة تكمن في استمرارية وجوده أو مدى مقبوليته. فهناك عوامل عديدة تتحكم في حياة المصطلحات العلمية، يمكن أن نقسمها إلى قسمين، عوامل خارجية وعوامل داخلية.

أ - عوامل خارجية:

1- توحيد المصطلحات العلمية : لاشك أن توحيد المصطلحات من العوامل المساعدة على بقائها لأن التوحيد يعمل على تواترها استعمالاً، والتواتر يجعلها عادة و يتجاوز بها إشكالية التذكر المتعلقة بربط الدال بالمدلول، فيصير مجرد ذكر المصطلح كاف لاستحضار معناه ، وتظهر أهمية التوحيد في ربط الدال بالمدلول خاصة إذا كان المصطلح من منظومة المعجم العام، وقد استجلب للاصطلاح بدلالاته المجازية، وكثيراً ما يكون الأمر كذلك.

2- نشر المصطلح من خلال الهيئات الرسمية، والعمل على ترويجه من خلال وسائل الإعلام و البحوث الأكاديمية ونتاج الباحثين إذ (الاستعمال الفعلي هو الذي يرسخ المصطلح العلمي إذ لا يكفي استنباطه مع عدم تداوله)⁽¹⁸⁾ .

ب - عوامل داخلية:

1- التزام تقنيات التوليد الخاصة بكل لغة (كالاشتقاق، والتعريب، والمجاز، والنحت) غير أن هناك من الباحثين من يرى بأن النحت ليس من خصائص العربية، حتى و إن لجأت إليه في بعض الأحيان بل هو من خصائص اللغات الهندوأوربية، بينما تمتاز العربية بالخاصية الاشتقاقية ((ويأتي النحت سمة نوعية لهذه اللغات فهو عنوان تولدها و أنموذج تكاثرها ... أما

العربية فمن أسرة طبيعتها التوالدية غير الطبيعة النحتية، إن الأسرة السامية تتكل في تولدها الذاتي و تكاثرها المعجمي على الحركة الانفجارية التي تكتسب بها طواعية داخلية تمكنها من معاودة الانتظام الذاتي واستئناف الإرتصاف البنائي عند كل حاجة دلالية، أو اقتضاء إصطلاحي، ومدار كل ذلك الطاقة الاشتقاقية التي بها تتوالد الألفاظ من أصل جذري فتتكاثر المفاهيم ((⁽²⁰⁾

2- التماشي والذوق الاجتماعي:

ويمكننا رصد معيارين للذوق الاجتماعي ؛ المعيار الشكلي والمعيار

الإيحائي

أ - المعيار الشكلي: إن المصطلح العلمي قد يولد وفق المعايير العلمية، ولا يكتب له البقاء لأن الذوق الاجتماعي يرفضه، و المقصود بالمجتمع ، أهل الاختصاص، فالمختص هو ابن اللغة، و ما يعرض عليه من مصطلحات يجب أن يتماشى و ذوقه اللغوي العام ((فالمصطلح بيتكر فيوضع و يبت ثم يقذف به في حلبة الاستعمال ...و قد يدلى بمصطلحين أو أكثر لمتصور واحد ، فنتسابق المصطلحات الموضوعية وتتنافس في سوق الرواج ثم يحكم الاستعمال للأقوى فيستبقه ويتوارى الأضعف))⁽²²⁾ و معنى هذا أنه يجب على اللساني المهم بوضع المصطلحات أن يبحث في عوامل مقبولية المصطلح اجتماعيا ،كي يضمن له الحياة. و يتم ذلك من خلال دراسة مسحية للنتاج اللغوي الاجتماعي و الكشف عن الأوزان العربية الأكثر استعمالا، فإن وجد صيغتين مثلا يصلحان لاشتقاق المصطلح المراد ، فلا يختار أية واحدة منهما لمجرد تحقيقها الكفاية الدلالية ، بل يختار الصيغة التي تتواتر أكثر في المجتمع كذلك على اللساني أن يجري دراسة صوتية وذلك عن طريق الكشف الموضوعية والفحوص

الإختبارية للكشف عن معايير تناسق الصوامت، وانسجام البنية المقطعية للغة،
كي يتمكن من صوغ المصطلح المستساغ صوتيا.

ب- المعيار الإيحائي:

ويمكن للساني الاستعانة بعلم النفس اللغوي (النفس لسانيات)، للكشف
عما يعترى المصطلحات من اشتراك أو التباس دلالي، أو إحياء منفر مما يؤدي
بالمصطلح إلى التراجع ((فليس الحكم على اللفظ الموضوع بصائب إن لم يراع
صاحبه فيه عند إطلاقه مسألة الزمن ، وما يفعله في نفوس الناس حيال
المصطلحات مرحلة بعد مرحلة بحكم توطين المزاج اللغوي و رعاية الحس
الأدائي))⁽²²⁾ و قد كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة مدركا لما للذوق من دور
في إقرار المصطلحات ، و قد أقر بعض المصطلحات المتداولة عند المتقنين ،
رغم مخالفتها للأصول القياسية العربية ، من ذلك ما ورد في ترجمة المصطلحات
الدالة على المذاهب الأدبية فكلمتا classique و Romantique مثلا، عند تعريبهما
حللت الكلمتان إلى وحدة معجمية أساسية (Roman) ; (class) والوحدة الصرفية
اللاحقة (ique) فإذا نقلنا الوحدة الأساسية المعجمية نقول كلاسي وروماني أو
رومانتي؛ و إذا عربنا الكلمة كاملة قلنا كلاسيكي ورومانتيكي ، فرأى المجمع أن
الأمر يقتضي ((شيئا من التحرر ، ويجب أن يكون المقياس هو غلبة الاستعمال
، لا مطابقة اللفظ للأصول العربية ، فهنا ينبغي أن نكون أقرب إلى التسجيل
))⁽²³⁾ كما أن المصطلح قد يلقي بظلاله الدلالية على مجالات يمكنها أن تجعله
مستساغا أو ترده؛ فعبد السلام المسدي و هو يحلل المسار الذي اتخذته ترجمة
لفظة privatisation رأى بأنه قد ظهر لها أكثر من مقابل عربي من بينها
(الخصخصة)، فعلى الرغم من أنها غير قياسية و لا سماعية إلا أنها لاقت قبولا
اجتماعيا ((ولئن جاءت صيغة لفظ (الخصخصة) على ما يشبه التنافر الصوتي

فإن الذي يشفع لها أنها في اللاوعي اللغوي الصوتي تحكي صدى قلبا جاء في الذكر الحكيم هو قالب السياق القرآني الكريم ((الآن حصص الحق)) رغم الفارق البين من حيث الملاءمة الصوتية ((²⁵) فينبغي عند نقل المصطلحات أو توليدها أن يراعى تضمنها أداء المفهوم كما ينبغي أن تضمن درجة عالية من المقبولية لدى المتداولين؛ سواء من الناحية الشكلية أو الإيحائية .

3 - التعايش مع المنظومة المعجمية للغة:

إن اللغة ظاهرة اجتماعية تتحرك ذاتيا كلما تلقت منبها خارجيا ((فالأحداث التاريخية والوقائع الحضارية، ما لم تكن صورا مستنسخة من التداول المعروف، هي التي تستحث اللغة أن تصور دلالاتها عبر صوغ ألفاظها حتى تتلاءم و التطور المفهومي الحاصل في ذاكرة الحضارة المتجددة)) (²⁴)، و تعد العلوم من أشد المنبهات وقعا على اللغة لأنها تثيرها بالمفاهيم، فتنتج اللغة المصطلحات المعبرة عن هذه المفاهيم.

ودخول المصطلح إلى المنظومة اللغوية يعد مولودا جديدا و لبنة تضاف إلى بنية النظام المعجمي وسواء أكان هذا المصطلح لفظة جديدة (معربة أو مهجورة استحييت)، أو كان كلمة مستعملة حولت عن معناها العام بالمجاز لتؤدي الدور الاصطلاحي. أيا كانت نوعية هذه اللفظة فإنها ستزاحم بقية لبنات النظام و تفرض بالضرورة إعادة ترتيب النظام المعجمي و يحدث المصطلح بدخوله المنظومة اللغوية نوعين من الصراع

الأول صراع باعتبار اللغة أداة للتواصل، أي وسيلة لتواصل الأجيال، فاللغة تقع تحت تأثير قوتين متعاكستي الإتجاه، قوة تدفعها نحو التطور و مواكبة المستحدث و تعمل هذه القوة لصالح المصطلح الجديد؛ و قوة تشدها نحو الثبات خشية الانسلاخ الماحي لرسمها وهي قوة تعمل على لفظ المصطلح الجديد،

وتحاول اللغة أن توفق بين القوتين لتتلاءم مع الاقتضاءات المتجددة وتبقي على بناها الذي يحدد هويتها.

أما الصراع الثاني فهو التدافع داخل المنظومة المعجمية ، ولكي يضمن المصطلح الجديد مكانه في المنظومة المعجمية لابد أن تراعى جملة من الشروط عند اختياره منها:

1 - تقديم غير المستعمل على المستعمل ⁽²⁶⁾ فاللفظ المهجور أو الجديد

عموما على الاستعمال يكون اختياره ميسرا لعملية الاقتران المرجوة بين اللفظ والمعنى الجديد، أما اللفظ المستعمل في المعجم اللغوي العام، فتظل دلالاته العامة حاضرة كلما ورد، مما يجعل هذه الدلالة تزاخم المفهوم الاصطلاحي الجديد وذلك لتداخل الحقول الدلالية و تكاتف ظلالها الإيحائية، مما يحدث الالتباس و يعطل استزراع المصطلح مما قد يؤدي إلى انسحابه من المنظومة الاصطلاحية، كما يفتقر المصطلح المستعمل إلى ((الجرعة الدنيا من الغرابة التي تيسر له جلب الانتباه لأنها تستوقف الحس اللغوي العام فتشده شدا و توقض في الإنسان فضولا يؤول به إلى إدراك أن شيئا ما قد طرأ على منظومة المفاهيم لديه و أن مراجعة ما يتأكد إنجازها على خريطة المصفوفات اللفظية المخزونة في الذهن مما يفضي إلى إعادة ترتيب البيت الدلالي و إنارة الناقوس الأحمر على الخانة الجديدة))⁽²⁷⁾

2 - الاهتمام بالمعنى لا اللفظ لأن اللفظ الأجنبي نفسه قد يكون انزاح في

معناه إلى المجاز قصد الاصطلاح و من ثم يكون أمر ترجمته عسير، لأن العملية تصير عبارة عن تتبع للمسار التاريخي للفظ.

وعلى العموم تظل مشكلة تعريب المصطلح العلمي من أخطر المشاكل،

لأن المصطلح يمثل القناة الأكثر أهمية للتواصل الحضاري ، و لإدماج المثقف

العربي، في الإسهام الثقافي أخذاً و عطاءً، و انتشاره من العزلة المفروضة عليه.
فالمثقف العربي يكاد يكون الوحيد من بين مثقفي العالم الذي يفرض عليه تعلم
أكثر من لغة أجنبية كي يطلع على نتاج الآخرين، على الرغم من أننا لسنا وحدنا
من يعاني تدفق المصطلح الأجنبي، فالمثقف الفرنسي أو الإسباني مثلاً، لا
يحتاج إلى لغة ثانية كي يتواصل حضارياً مع الآخرين، على الرغم من أن
مستجدات العلوم و المعارف أغلبها وافد و باللغة الإنجليزية.

فلا يمكننا ألته أن نطالب كل المثقفين العرب بأن يتزودوا بأكثر من لغة
أجنبية، بل يجب العمل على تعريب الثقافة العالمية، و إيجاد المصطلحات
العربية الكفيلة بنقلها ، حتى تتحرر الطاقات المعطلة بالحوجز المفتعلة.

الهوامش

- 1- عبد السلام المسدي ، مباحث تأسيسية في اللسانيات ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع ط1997 تونس ص.52
- 2- ماهر عبد القادر محمد علي، نظرية المعرفة العلمية ، دار النهضة العربية ط 1985 بيروت لبنان ص.121
- 3- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع د ت ،ص.16
- 4- المرجع السابق ص 17.
- 5- المرجع السابق ص 18.

- 6- عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ، منشورات عويدات ط 1985 بيروت لبنان ص.391
- 7- المرجع السابق ص .392
- 8- محمد ديداوي، علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة و النشر والتوزيع ط1992 تونس ص .290
- 9- محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ط 1970 بيروت لبنان ص 12.
- 10- فراق علي، نحو مصطلح عربي طبي جديد ، مجلة اللغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر العدد 4 ص .297
- 11- عبد القادر الفاسي الفهري ، المرجع السابق ص .361
- 12- المرجع السابق ص .361
- 13- محمود فهمي حجازي ، المرجع السابق ص .19
- 14- أحمد موقت، علم اللغة والترجمة دار العلم العربي ط 1997 سوريا ص 54.
- 15- إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ المكتبة الأنجلومصرية ط1972 ص.298
- 16- عبد السلام المسدي ،المرجع السابق ص 58-59.
- 17- محمود فهمي حجازي ، المرجع السابق ص .228
- 18- محمد ديداوي المرجع السابق ص .414
- 19- المسدي ، المرجع السابق ص.64
- 20- المسدي ، المرجع السابق ص .70
- 21- المرجع السابق ص .66
- 22- المرجع السابق ص 98.
- 23- حجازي ، المرجع السابق ص .152

- 24- المسدي ، المرجع السابق ص 58.
- 25- المرجع السابق ص 113.
- 26- حجازي ، المرجع السابق ص 228.
- 27- المسدي ، المرجع السابق ص 112.

الفعل الترجمي بين الممارسة اللسانية والتلقي

أ. نصرالدين خليل
قسم الترجمة
جامعة السانية وهران

يكاد يتفق الباحثون في مجال الترجمة على قضية أساسية وهي أنه لا توجد نظرية مضبوطة ومدققة في الترجمة، وإنما هنالك اجتهادات تنظيرية في هذا المجال (ما عدا الترجمة الآلية، التي يشرف عليها الإعلام الآلي، التي تقدم للنص ترجمة حرفية ثم يتدخل المترجم بالتنسيق والتحوير لإعادة هيكلة النص). وانطلاقاً من هذا الأساس، جاءت المقاربات الألسنية لتوضيح بعض مشكلات الترجمة.

إن سؤال الألسنية بمختلف تجلياتها النظرية والمنهجية.. تساؤل حول
الممكنات اللغوية التي تحققت والتي لم تتحقق بعد. ومن هنا، فإن مشروع القراءة

الألسنية هو أن تعيد النظر من جديد في الآليات والوظائف التي توجّه اللغة بكل مستوياتها. وتظل أي قراءة لغوية بعيدة عن التنظير والممارسة ما لم تتصل بالدرس الألسني الذي يسعى إلى تمكين اللغة من الانفلات من قبضة اللغة المعجمية. ولما كانت الترجمة تراهن بدورها على ثنائية الدال والمدلول، كانت البنيوية الوظيفية مخلصا حقيقيا لمشكلات الترجمة.

إنّ إشكالية الترجمة، كما هو واضح من طبيعة الترجمة، ناشئة من طبيعتها اللغوية والتي تقتضي تعاملًا مع اللغة. فاللغة نظام يميز مجتمعا من المجتمعات "ليست اللغات جداول كلمات تقابل حقائق هي هي دائما، وموجودة سلفا. ولو كان الأمر كذلك لسهلت الترجمة ولأصبح بمقدورنا أن نترجم ترجمة حرفية وكلمة بكلمة" (1). وعليه، يستحيل أن يتطابق النظام اللغوي مع اللغات الأخرى المؤلفة لألسنة المجتمعات البشرية. ويكفي في هذا الصدد أن نشير إلى ملاحظة العالم هملسيف HJELMSLEV الهامة حيث بيّن أن دلالة اللغة تقوم على أساس نظام خاص من التقاطعات. فإذا أخذنا الإنجليزية، وجدناها تميّز الأخضر عن الأزرق، في حين إن لغة بلاد الغال لا يفرق أهلها بين اللونين المذكورين.

وبالتالي، ترجع إشكالية الترجمة إلى حرصها على خصوصية اللغة من حيث هي ثقافة وفكر وسلوك. والواقع، أن الطابع الإشكالي لظاهرة الترجمة، دفع علماء اللسانيات إلى الاهتمام بها في دراسة اللغة. لقد اتخذوا من الترجمة عينّة اختباريه لدراسة الخصائص المميزة للألسنة البشرية، ويكفي هنا أن نشير إلى الأسلوبية المقارنة.

إنّ مهمة الألسنية . حسب جورج موانان Georges MOUNIN . تكمن في توضيح إشكاليات الترجمة التي تعترض المترجم من الناحية الألسنية. بعبارة أخرى، يمكن القول إن اللسانيات لا تتعامل مع الترجمة كقوانين إجرائية ينبغي أن يحترمها النص المترجم من حيث مستويات اللغة المعجمية والنحوية والمورفولوجية والصوتية والأسلوبية التي يخضع لها النص الأصل، وإنما غاية اللسانيات هو طرح المشكلات اللسانية المتعلقة بالترجمة عند الانتقال من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف.

فالمترجم يحمل عادات ألسنية خاصة بنظام لغته، وهو حينما يتعامل مع لغة ثانية، فهو . لا شعوريا . يُخضع هذه اللغة لعاداته الألسنية الأولى. فهذا التداخل (interference) بين لغتين مختلفتين نظاما وتركيبا، هو الذي تحاول الألسنية تسليط الضوء عليه، وذلك بكشف الفروقات البنيوية التي يمكن أن تعرقل مسار المترجم في أثناء الترجمة.

وتتعلق هذه الفروقات البنيوية خاصة بالمستويات الوظيفية التي تخضع لها التركيبية اللغوية للنص، والتي ينبغي للمترجم أن يحتاط لها في أثناء الترجمة (نوعية التواصل الذي يريد النص أن يبلغه لنا، ووظيفته في البنية الكلية للنص). إن النظرة البنيوية ذات الاتجاه الوظيفي في الألسنية، التي ينظر لها أندري مارتينييه Andre MARTINET، تخدم الترجمة من حيث إخراج أو تساؤل عن الوظيفة التي يحققها النص، فيستفيد بذلك المترجم بتجنّبه المزالق الألسنية التي يمكن أن تشغله عن غاية الترجمة في ذاتها.

إذن، "لا نستطيع إنكار ما تسهم به الألسنية الوظيفية والبنيوية من جهة، كما لا نستطيع إنكار ما يفعله المترجمون (في العملية الترجمة) من جهة

أخرى(2). ومهما يكن من أمر، فإن اللسانيين يتعاملون مع الترجمة بوصفها أداة ولا يتعاملون معها لذاتها وبذاتها، لذلك نجدهم يختلفون في ماهية الترجمة وينقسمون حولها إلى اتجاهات متباينة، انقساماً لا يتعلق بمصدره بالترجمة وإنما باختلافهم النظري حول اللسانيات. إذا وجدنا الاتجاه اللساني الوصفي، وجدنا أن دعوته إلى مبدأ فصل اللغة عن السياق لا تركز فقط على ماهية الترجمة، وإنما نلتمس في ذلك المبدأ مبدأً أساسياً من مبادئ اللسانيات وهو وجود اتحاد اللغة موضوعاً يدرس باللغة ذاتها.

ومن هنا، اختلفت هذه المقاربات الألسنية في موقفها من الترجمة: فهناك من قال إن الترجمة عملية لسانية بحتة، كما يذهب إلى ذلك المنظر الروسي Federov، وهناك من قال إن الترجمة ليست في كل الأحوال عملية لسانية بحتة، ذلك أن بعض النصوص ذات الحمولة التعبيرية expressive لا بد من ترجمتها وفق سياقها المرجعي الخاص (من مثل النصوص الأدبية بأجناسها المختلفة). فالنص الأدبي، عند ترجمته، يخضع لعملية أدبية كما يقول Edmond Cary.

يقودنا هذا الكلام إلى القول بأن لغة الترجمة هي لغة طارئة، تقرض من اللغة المصدر وتعرض على اللغة الهدف على حدّ تعبير الجاحظ لاختلاف "الوقائع في نظر الأشخاص الذين تزودهم خلفيتهم اللغوية بصياغة مختلفة لهذه الوقائع"(3) من لغة إلى أخرى. وهكذا، أضحت الترجمة عملية توحى إلى تلك القدرة العقلية والحس الإبداعي يستطيع المترجم من خلالهما نقل دلالات نص وإيحاءاته من لغة إلى أخرى. ليبقى السؤال مطروحاً: ألا يصطدم المترجم بتأويلات وقراءات أخرى من قبل جمهور القراء قد تعيق دريه؟

من هذا المنطلق، يمكننا القول إن الترجمة ترجمات، وتنبثق عنها بالضرورة قراءة بل قراءات، لكل مرجعيته الثقافية وتفرد الإبداعي، فثمة اختلاف في السن أو في اللغة أو في الحضارة أو في التجربة أو في الهويات.. "ولقد نختلف في القراءة (وبالتالي في الفعل الترجمي) لاختلافنا في الذوق و لاختلافنا في مستويات المخزون الثقافي و لاختلافنا في درجات التحسس بالجمال العظيم" (4). وتشكل هذه العوامل وأخرى أسس مشروعية الفعل الترجمي الذي يطرح بدوره سؤالا مثيرا للحيرة من حيث أنه قراءة في التأويل. فكيف عسانا نحكم حكم الصواب القاطع على نوعية الإبداع؟ هل من خلال النظريات الصارمة التي تحوم حول حقل الترجمة منذ أن كانت؟ علماً بأنها تعدّ فقط جسورا مبنية . لا مشيدة . نعبر من خلالها إلى العالم النظري الذي يعتبر بالأساس حبرا أسوداً مدوّنا على الورق الأبيض.

كلاً، ليست هذه النظريات وحدها القادرة على إصدار الحكم، بل هو القارئ، العنصر الجوهرى، الذي كان أكبر منسيّ في كل النظريات الكلاسيكية للأدب والذي وضعه المترجم في الحسبان أثناء فترة إصدار المبدع الأصلي في ثاني ثوب له. وبالتالي، "ليست نظرية الترجمة لسانيات تطبيقية، بل حقل جديد في إطار نظرية الأدب وممارسته" (5).

ومن هنا، فإن هيمنة التلقي، وإن لم ننكر عليه فضلا في فعل التوصيل والتبليغ وديناميكية إلا أننا ليحزننا الحزن كله أن جمعا من رجال الأدب والتراجمة يركنون دون ترو إلى مرجعية لغة الترجمة المستحدثة الدلالة ودون اعتبار أو تمييز لحدود سلطانها اللهجاتي، "ولكن ما العمل ونحن نسجل بأسى وأسف شديدين غياب تقليد أدبي بل ومبحث نقدي راسخ الأسلوب عند الألمان يعرف بـ *Übersetzung skritik* ينهض درسه على غريلة ومراجعة الترجمات

وصولاً إلى تقويم فتييم واستخلاص للعبر ولربما ترشيد التجارب في هذا الصدد" (6).

وما يؤسف له أن أصبح القارئ المتلقي اليوم رهينة تراجمة لطخا نصوصا، وانزلقوا بمصطلحاتها، فراح كل واحد منهم يدلوه بدلوه في سوق ترجماتية لم يضبطها ضابط، رغم مبادرات مجامع اللغة العربية، التي أصبحت اليوم - دون إرادة منها - نقمة أكثر منها نعمة، بدليل أنها لم تستطع أن توحد المصطلح الذي أصبح على وزن المنزلق، يعيش فوضى ليس في قراءة مفاهيمه أسسه، وإنما في أدواته الإجرائية، مما شكل هذا الأمر حيرة لدى المتلقي.

ما المقترح، إذن، خدمة للمتلقي العربي؟

أولاً- إنشاء بنك معلوماتي حول قضايا الترجمة، بعناصرها الفرعية في شبكة الانترنت (INTERNET) انطلاقاً مما هو متوافر من مراجع، على مستوى جميع المؤسسات الجامعية في الجزائر، ومن ثم وضع برنامج، أو برامج معلوماتية يستفيد منها كل من له هاجس الترجمة.

ثانياً- إنشاء موقع (SITE) في شبكة الانترنت (INTERNET) يكون بمثابة محطة جدل، يتحاور فيها المترجمون (Chatting)، حيث يكون فيه (الموقع) محل أخذ ورد بتكلفة علمية باهضة، ومادية رخيصة ، ويتجسد هذا في وضع معجم إلكتروني موحد، ليكون هذا الموقع بالتالي، الجامع المانع، والعامل المشترك لمختصين يهمهم الميدان العلمي، وهو بمثابة المعين الذي يغترفون منه، يلتمسون من وراء ذلك الشرعية من لدن المجامع اللغوية العربية.

ثالثاً- تطبيق سياسة القصرية (الإجبارية) في ترجمة المصطلح وفق ما تحدده قواعد اللغة العربية، من خدش في موروثها الثقافي، على شاكلة المحافظة السامية للغة الفرنسية.

الإحالات:

1- Mounin (george), linguistique et traduction, p61

2 - شريم (جوزيف ميشال)، منهجية الترجمة التطبيقية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1982.

3 - ROMAN (Jakobson) essais de linguistique générale.

4 - مرتاض (عبد الملك)، القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي، تجليات الحداثة، جامعة وهران، ع. 4، جوان 1996، ص15.

5 - نقلا عن هنري ميشونيك Henri Meschonic، الجلاي الكدية، الترجمة بين التأويل والتلقي، التأويل والتلقي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، رقم 17، 1995، ص15-52.

6 - ابن عبد الله (الأخضر)، الترجمة: كخيانة عظمى، نص إبراهيم العريس أنموذجا، ترجمان، مجلة 6، ع1، 1997، ص11.

ترجمة المصطلح في العلوم الإنسانية

بحث في الإشكالية والمقاربة

د. الشيخ بوقربة

قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب، اللغات والفنون جامعة وهران

يطرح عنوان هذه الدراسة عدّة إشكالات تتعلق بترجمة المصطلحات في العلوم الإنسانية؛ منها إشكال المصطلح في اللغات الأجنبية ونقله إلى اللغة العربية، ومنها إشكال خصائص تحديد المصطلح وتشبيده في العلوم الإنسانية؛ ومنها إشكال استجابة المتلقي، وإشكال اختلاف التأويلات الخاصة بالمصطلحات

والذي لا ريب فيه أن كل إشكال من هذه الإشكالات المطروحة قد نال حظاً وافراً من الدراسة والبحث من قبل المهتمين بنظريات القراءة وتحليل الخطاب، ونظريات العلوم الإنسانية وسواها .

ولما كان أيّ تواصل لغوي لا يتحقق بين البشر إلاّ بالمفاهيم ، فقد احتلت قضية المفاهيم مركزاً هاماً في الفكر الإنساني لما لها من دور في " ضبط التعامل في الحياة اليومية و العملية ، وفي بناء النظريات والمناهج والنماذج في الحياة العلمية، ويتجلى هذا الاهتمام في مناحي الحياة الجامعية المتعدّدة وفي المعاجم و الكُتب المختصة "(1).

يندرج اهتمام الباحثين في هذا المجال على مُدرسة المفهوم والمصطلح، وتتوّع استعمالاتهما في الفلسفة العامة ، وفي النظريات المعرفية العامة والخاصة، وفي علم النفس و الذكاء الاصطناعي ، وعلم الاجتماع ، وقد حاولت هذه العلوم - على اختلافها - الاعتناء بشروط امتلاك المفاهيم والمصطلحات، وبكيفية تحديدها، وبشكلها وأصنافها ووظائفها، ويتجلى كلّ هذا في المعاجم والموسوعات التي اهتمت بمُدرسة المصطلحات (2) .

يرى الدكتور عبد السلام المسدي أن بين العلم و المصطلح لحاماً يشبه التماهي الذي يقوم بين الدال والمدلول في " المسلمات اللغوية الأولى ؛ فكل حديث عن الدال منفصلاً عن مدلوله ، وكلّ حديث عن المدلول في معزل عما يدلنا عليه ، بل كل حديث عن علاقة الدوال بمدلولاتها إنما ينطوي على فصل بين المتلاحمات ؛ وهو فصل لا يتجزه المنطق، ولا يستسيغه الظن إلاّ باعتباره إجراء منهجياً لا غير (...) "(3).

ويبدو أن صياغة أيّ مصطلح تخضع لثوابت معرفية مطلقة ، ولنواميس لغوية عامة تتعلّق جميعها بطبيعة العلاقة المعقودة بين كلّ علم من العلوم ومنظومته الاصطلاحية ؛ لأنه على الرغم من وجود قواسم مشتركة تحكم قضية توليد الألفاظ الدالة على المصطلح في اللسان البشري الواحد، فإن لكلّ علم

خصوصيات تميّزه من عالم آخر (4). من هنا يسعى الباحثون إلى تحديد المصطلح؛ قصد تحقيق التواصل العلمي بين الباحثين؛ لأن المصطلحات هي جوهر اللغة العادية، ولبّ اللغة العلمية الاصطناعية، كما أنها مفاتيح العلوم (5)، لكنها في حاجة ماسة إلى نسق يضبطها ويكشف عن معانيها؛ لأنها هي التي تجعل الإنسان يميّز بين الأشياء ويربط الصلات مع غيره من بني جنسه

من هنا نشأ التحديد والتعريف وارتبط بالمنطق ومكوناته؛ ذلك أن علماء المنطق تحدثوا - قديماً وحديثاً - عن ماهية التحديد ومكوناته "واختلفوا في الماهية وفي عدد المكونات؛ فإذا رأى أغلبهم أن التحديد يحصل بالجنس القريب والفصل؛ فإن آخرين يرون أن الرسم أولى فيما ليس له جنس" (6).

بيد أن اختلاف علماء المنطق دفعهم إلى الاتفاق على أنهم لا يستطيعون تحديد المصطلحات تحديداً جامعاً مانعاً، ولكنهم يستطيعون ضبط هذا التحديد الذي يقوم على العلاقات والوظائف. ويُعرف هذا النوع من التحديدات بالتحديدات الاسمية أو التشبيدية؛ وهو لا يستند إلى الجنس والفصل وإنما ينطلق من طبيعة الشيء الذي يُراد تحديده، وإلى الذات المحددة، التي تسبر أغوار ذلك الشيء، وتتأمله وتتفعل معه، ثم تصوغ كلّ ذلك في محمولات، "وقد تخلق الذات المحددة المحدود خلقاً، وهي - حينئذ - في الحالة الأولى تقوم بتشبيد معتدل، وأما في الحالة الثانية فإنها تبدع تحديداتها بتحكم الالتزام الانطولوجي في طبيعة التحديد ونوعه" (7).

ويرى الدكتور محمد مفتاح أن الصناعة التنظيرية الخاصة بالمصطلح وتحديده تتأسس أحياناً على بعض الأوليات التي لا تخضع للتحديد، وهي بمثابة كونيّات مثل: الاتصال / الانفصال، الهوية / المغايرة، العلاقة؛ التمييز،

الشرط ، وثانيهما أوليات تخضع للتحديد مثل المصطلحات المستعملة بتعابير أخرى من المعاجم (8) .

وإذا أراد المتلقى أن يلمّ بتحديدات المصطلحات ، يجب عليه الاطلاع على الإصدارات المختلفة كالمعاجم العامة، والموسوعات المتخصصة والكُتُب النظرية و التطبيقية ؛ ذلك أن المصطلحات هي التي تحقق التواصل بينه وبين المبدعين والنقاد ، كما تكشف له عن استراتيجيات الباحثين وأهدافهم .(9)

بعد التركيز - في هذه العجالة- على التعريف بالمفاهيم ومصادرها، ننتقل الآن إلى الحديث عن إشكالية المصطلح وترجمته في العلوم الإنسانية، مركزين على معجم (مفاتيح العلوم الإنسانية) للدكتور خليل أحمد خليل، و (معجم مصطلحات الأدب) للدكتور مجدي وهبة وسواهما .

يرى الدكتور عبد النبي اصطيف أن صعوبات كثيرة تعترض سبيل العاملين في ميدان المصطلح، الأمر الذي يجعلهم لا يحققون الإجماع المرغوب فيه وهي في معظمها صعوبات غير " مقصورة على المصطلح النقدي الحديث المستوحى من التقاليد النقدية الخاصة بالآخر ، بل تشمل المصطلحات الأخرى في العلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية والطبية " (10) .

ومردّ هذه الصعوبات في ضبط المصطلح وتحديده في العلوم الإنسانية يعود بالدرجة الأولى إلى حركة الترجمة التي سادت العالم العربي ، فقد عرف العرب حركة ترجمة نشيطة في كل المجالات منذ القرن الماضي . وقد ساعدت الترجمة على انتشار كثير من المفاهيم و المصطلحات في شتى العلوم الإنسانية والتجريبية. وقد كان الدافع إلى تنشيط الترجمة في العالم العربي ، هو إسهام اللغة العربية في خدمة البحث ومسايرة التطور التكنولوجي و العلمي ؛ ذلك أن

العرب قصرُوا في خدمة لغتهم - على قول الدكتور حسام الخطيب - الذي درس واقع اللغة المؤسف ، وتحدّث عن همومها المقلقة ، والحيرة المربكة التي يتخبط فيها أبناؤها ، يقول : "... نحن نتحدّث دائماً عن لغتنا العربية الجميلة، وبملاء أشواقنا نتغنّى بأمجادها وفضائلها ؛ فهي أم اللغات وزينتها، أغناها بالمفردات وأقدرها على التوليد عن طريق الاشتقاق، وأحلامها جَزَسًا وأجلاها بيانًا ، وأقربها إلى الأصل وأنصرها شبابًا مع ذلك . وهي اللغة التي نقرأ بها آيات الله البيّنات ولغة العبادات والصلوات ، وهي لغة أهل الجنة أيضًا . وهي لغتنا القومية وعامل وحدتنا وعروبتنا ، وورثة ثقافتنا الأصيلة وحامية تراثنا وحضارتنا ، وواسطة اتصال ماضيها بحاضرها ، ولغة شعرنا ونثرنا (...). ولكن بالمقابل ماذا عملنا حتى الآن لحفظ هذه اللغة وصيانتها ، ولتطويرها ، ولتمكينها من مجابهة ظروف الحياة المستجدة ولدعمها لتقوى على الصمود أمام منافسة اللغات الحية في هذا العالم الذي لا يرحم (...)" (11).

ويندرج معجم (مفاتيح العلوم الإنسانية) للدكتور خليل أحمد خليل ضمن مشروع يهدف إلى تقريب المصطلحات إلى القارئ العربي ، يقول الدكتور خليل أحمد خليل متحدثًا عن معجمه (مفاتيح العلوم الإنسانية): "يندرج هذا المعجم في سياق بحث موسوعي عن المفردات والتعبير المختصين، كان يشغلني خلال عملي الميداني و المتواضع في حقول البحث التأليفي والترجمة (...). رغبتُ في أن استخرج من مشروعني الأساسي (وهو قاموس فرنسي - عربي - إنجليزي - موضوعه المصطلح المختص " (12).

فهذا المعجم ، على الرغم من أنه جهد رائد في مجال المصطلح ، محدود في ثرائه وتطلّعاته؛ لأنه لا يفي بحاجة القارئ العربي - فهو عندما يقدّم المصطلح لا يكاد يستوعب محدداته في اللغة الأجنبية التي يترجم عنها ، بل يكتفي بشرحه

شرحاً بسيطاً . يقول - مثلاً عن مصطلح الجريد Abstraction : " عملية قوامها الأخذ بالسمات العامة لسلسلة أغراض أو أشياء : مثالها أن صورة هندسية (مربع ، دائرة ، إلخ) هي صورة مجردة عن ظواهر عينية ، وأن مبدأ توزيع الكلام على صوتيات (وحدات صوتية) هو تحديد بالمعنى اللساني (...) " (13) ، يقول عن مصطلح علم الأمراض اللغوية :
pathology of language Pathologie du langage

" يدرس مختلف الاضطرابات الحاصلة في الاتصال اللفظي، والتي يمكن تصنيفها إلى صنفين :
اضطرابات تعلم اللغة
اضطرابات النطق أو التلفظ " (14)

ويترجم مصطلح Etymologie بالتأصيل أحياناً و بالتأثيل أحياناً أخرى (15) ، ويترجم Semiologie بعلم العلامات ، ومصطلح Semiotique بلسان الإشارات (16).

وعلى الرغم من أن الدكتور خليل أحمد خليل يحاول أن يحيط بالمصطلحات في موروث الغرب ، إلا أننا نجد يغفل المصطلحات المتعلقة بعلوم اللغة العربية من معان وبيان وبيدع ونحو وصرف ولهجات وسواها ، بل يكتفي بترجمة المصطلح و التعليق عليه و التأريخ اليسير له في الثقافة الغربية . كما نجد الدكتور خليل أحمد خليل يستند في ترجمته للمصطلح - على الرغم من أنه يورد المصطلح بالفرنسية و الإنجليزية - إلى التقاليد الأدبية الفرنسية أساساً ، الأمر الذي جعل المصطلح عنده يأتي ضيقاً غير واضح . وهذا لا ينقص من عمل الدكتور خليل أحمد خليل ؛ لأن البحث في المصطلح في العلوم الإنسانية طموح يحتاج إلى جهود فريق من الباحثين المختصين .

أما معجم (مصطلحات الأدب) للدكتور مجدي وهبة ، فهو معجم ثلاثي اللغات مثل معجم الدكتور خليل أحمد خليل السالف الذكر ، لكنه لا يشتمل على شروح كافية للمصطلح تشفي غليل القارئ المختص ، بل اشتمل على مداخل موجزة مركزة لا تسهم " بالمقدار المتوخى منها في توضيح المصطلحات النقدية و الأدبية ، وبيان حدود دلالاتها " (17) . يقرّر الدكتور مجدي وهبة أن معجمه " عني أساساً بالمصطلحات الأدبية الخالصة ، إلا أن الباحث سيعثر في ثناياه على مصطلحات فلسفية أو اجتماعية أو دينية أو فنية ؛ وذلك لأنّ المعارف الإنسانية قد اتخذت في بدء أمرها شكلاً موسوعياً قبل أن تنمو وتتفرع إلى فروع (...) " (18) .

بيد أنه لم يلتزم بكل هذا في معجمه، وإنما أورد الحديث عن المصطلحات في شكل مداخل مختصرة ومركزة لا تفي بالغرض المطلوب (19)

وإذا عدنا إلى الأدب العربي بوصفه أحد فروع العلوم الإنسانية نجد أنه يعيش اضطراباً مقلقاً في ترجمة المصطلحات ، ويعود هذا الاضطراب - بالدرجة الأولى - إلى حركة الترجمة التي سادت العالم العربي ، وما أثارته هذه الحركة من خلط وفوضى ، الأمر الذي جعل المهتمين بقضية المصطلحات في الإنشاء النقدي العربي الحديث و المعاصر لا يحققون أدنى حدّ من الاتفاق على توحيد هذه المصطلحات ؛ فهم - أولاً - غير متفقين على تحديد هذه المصطلحات تحديداً علمياً ودلالياً ؛ وهم - ثانياً - لا يمتلكون نظريات تؤسس لظهور هذه المصطلحات ؛ لأنهم - حسب أحد الباحثين - على معرفة محدودة بالنظم الأدبية والنقدية والفكرية التي نبعت منها المصطلحات والتي حكمت

دلالاتها ، وضبطت علاقتها فيما بينها من جهة ، وفيما بينها وبين هذه النظم من جهة أخرى (20).

والواقع أن المتأمل لمادة النقد العربي الحديث و المعاصر ، يجد أن كلّ ناقد يستعمل مصطلحات خاصة به، ذلك أن معظم المهتمين بقضية المصطلحات لا يكادون يحققون أدنى حدّ من الاتفاق في ضبط المصطلحات وتحديدها ، الأمر الذي جعل معظم الدراسات النقدية الحديثة تشهد تضارباً واضحاً في ضبط المصطلحات واستخدامها ؛ ويكفي دليلاً على ذلك أن نتصفح بعض الدراسات الحديثة لتتأكد من هذا الاختلاف في تحديد المصطلح وترجمته وتوظيفه ؛ فمصطلح (Déconstruction) -باللغة الفرنسية يترجمه الدكتور عبد الله محمّد الغزالي بالتشريح (21)، ويترجمه الدكتور ميجان الرويلي بالتقويض ، ويترجمه الدكتور معجب الزهراني بالتفكيك (22) . كذلك الشأن بالنسبة لمصطلح (Sémiologie) الذي اختلف النقاد العرب المعاصرين في ترجمته ، وقد ناقش كلّ من الدكتور عبد السلام المسدي (23)، و الدكتور عبد الملك مرتاض هذا الاختلاف ، ورأى الدكتور عبد الملك مرتاض أن الاختلاف في ترجمة مصطلح (Sémiologie) يعود إلى جذوره في اللغة العربية وإلى أصوله النظرية الغربية قصد تيسير استعماله لدى الباحثين والنقاد في دراساتهم النقدية ؛ ذلك أن مصطلح (السيميائية) اختلف في تحديده النقاد العرب المعاصرين ؛ لأن هذا اللفظ [السيميائية] كان طويلاً إلى درجة أنه " لا يوجد من أصله إلا ثلاثة أمثلة في اللغة العربية هي ، السيمياء ، و الكيمياء ، والجرياء؛ فإنهم يضطرون إلى ارتكاب المحذور فيه (...). إن هذا اللفظ [يعني السيميائية] حين ننسب إليه - أو نضيف على حدّ مصطلح سييبوية - يزداد نقلاً بحيث تنقطع به حبال الحنجرة،

مما يضطر كثيرًا من الناطقين به إلى نطق ميمه ساكنا ؛ فيرتكب ما هو محذور في اللغة العربية" (24).

ومهما يكن من أمر ، فإن النهوض بالحركة الفكرية في العلوم الإنسانية عامة ، والحركة النقدية العربية خاصة يتطلب - حسب الدكتور عبد النبي أصطيف - إصلاحًا للمنظومة الاصطلاحية التي تحكم عملية الإنتاج الفكري والأدبي والنقدي . وبعبارة أخرى يجب على العاملين في ميدان العلوم الإنسانية الاعتناء بالمصطلح عناية تتصرف إلى تثبيته، وتحديد دلالاته، والوقوف على محدّداته ؛ ذلك أن الأخذ بجوانب هذا السينامج يجعل القارئ يرى في هذا النشاط الفكري الهام حقلا معرفيًا مهما ومتميزًا ، أي يرى القارئ فيه أحد العلوم الإنسانية ؛ فإن من المهم أن نتذكر أن أي علم لا يقوم إلا بمصطلحه ؛ لأن مفاتيح العلوم مصطلحاتها . (25) .

الهوامش

- (1) ينظر الدكتور محمد مفتاح : المفاهيم معالم ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / بيروت 1999: ص : 5 .
- (2) تتعرض هذه المعاجم و الموسوعات إلى مدارس المصطلح في الفلسفة ، وفي علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والعلوم التجريبية وسواها، نذكر من هذه

الكُتُبُ على سبيل المثال لا الحصر : PIERRE, LERAT : les langues
. spécialisées , Édition P.U.F , Paris 1995

الذي يحاول فيه المؤلف دراسة العلاقة المعقودة بين المفاهيم والمصطلحات في
لغة الاختصاص .

(3) المصطلح النقدي ، نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر
والتوزيع ، تونس : 1994 : ص : 11.

(4) ينظر : الدكتور عبد السلام المسدي : المرجع نفسه : ص : 12.

(5) ينظر : الدكتور محمد مفتاح : المرجع السابق : ص 6 .

(6) الدكتور محمد مفتاح : المرجع نفسه : ص : 6-7 .

(7) الدكتور محمد مفتاح : نفسه : ص 7 وما بعدها .

(8) ينظر : نفسه : ص . 7 - 8 .

(9) ينظر : نفسه : ص : 11-12 .

(10) الدكتور عبد النبي أصطيف : المصطلح الأدبي في الثقافة العربية
الحديثة (مشكلات الدلالة ومواجهتها) ، المجلد 75 ، الجزء 1 ، مطبوعات
مجمع اللغة العربية ، دمشق : ص : 122 .

(11) الدكتور حسام الخطيب : اللغة العربية إضاءات عصرية ، د.ط، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : 1995 : ص 70 وما بعدها .

(12) الدكتور خليل أحمد خليل : مفاتيح العلوم الإنسانية (عربي ، فرنسي ،
إنجليزي) ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت : 1989 م ،
ص : 7 من المقدمة .

- (13) المصدر نفسه : ص : 95 .
- (14) ينظر المصدر نفسه : ص : 291 .
- (15) ينظر نفسه : ص 291 .
- (16) ينظر نفسه : ص : 294.
- (17) الدكتور عبد النبي اصطيف : المرجع السابق : ص 128 .
- (18) الدكتور مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان، بيروت 1974ص : 8 من المقدمة .
- (19) ينظر على سبيل المثال لا الحصر ، المصطلحات في الصفحات في معجم مصطلحات: الأدب : 331،330، 332 و 406، 407 ، 408 ، 409 وسواها
- (20) ينظر : الدكتور عبد النبي أصطيف : المرجع السابق : ص : 117 .
- (21) اعتمد الدكتور عبد الله محمد الغدامي مصطلح التشريح عديلاً لمصطلح (Déconstruction) باللغة الفرنسية في كتاباته، ونشر كتاباً بعنوان (تشريح النص (...))
- (22) ذكر الدكتور عبد النبي أصطيف أن كُتِّب النص الجديد في السعودية، وهم : الدكتور عبد الله محمّد الغزامي، و الدكتور ميجان الرويلي، والدكتور معجب الزهراني ترجموا مصطلح Déconstruction بالتشريح والتعويض والتفكيك في مجلة النص الجديد، ينظر : المرجع السابق : ص 149 (إحالة 10)
- (23) ينظر المصطلح النقدي ص : 97 - 112 .

(24) ينظر : قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولانتهائية التأويل (تحليل سيميائي لقصيدة قمر شيراز للبياتي) ، منشورات كتاب الرياض، العددان 46 و47 ، أكتوبر / نوفمبر 1997، السعودية ص 348 - 349 .

(25) ينظر : الدكتور عبد النبي أصطيف : المصطلح الأدبي في الثقافة العربية الحديثة: ص: 146- 147 والدكتور عبد السلام المسدي : المصطلح النقدي : ص: 11-15

إشكالية المصطلح في الترجمة اللسانية

د. أحمد حساني

كلية الآداب واللغات والفنون جامعة وهران

أولاً: توطئة

تندرج هذه المداخلة ضمن مشروع شامل يهدف إلى تذليل الصعوبات والعوائق التي تعترض سبيل المترجم العربي في حقل اللسانيات بكل فروعها واتجاهاتها العالمية الراهنة ، وهو المترجم و الباحث في الوقت نفسه الذي يسعى جاهداً إلى تمثّل المعرفة اللسانية في بيئتها التي نشأت في رحابها، ومحاولة إعادتها أو تحويلها ونقلها إلى الثقافة العربية المعاصرة عن طريق الترجمة من اللغة المصدر، التي هي الفرنسية أو الإنجليزية في أغلب الحالات، إلى اللغة الهدف وهي اللغة العربية الحديثة أو العلمية .

ومما لاشك فيه هو أن مسار الترجمة في حقل اللسانيات لا يخلو من التعثر والتردد أو الإخفاق والتعطيل ، نتيجة تعدد اللغات (المصدر) التي تنتمي إلى عائلات لغوية مختلفة تبتعد كثيرا عن العائلة اللغوية التي تنتمي إليها اللغة العربية، وقد يكون هذا الاخفاق كذلك نتيجة الاضطراب في المصطلح والارتجال في وضعه، وما كان ذلك إلا لأن وضع المصطلح عادة ما يكون عملا فرديا معزولا مما يؤدي إلى تعدد المصطلح الواحد ، واختلاف مفهومه ومقابله العربي من باحث إلى آخر .

وهذا الاضطراب سببه المباشر غياب مؤسسة أكاديمية مؤهلة شرعيا لوضع المصطلح وتفعيله وتعميمه وإضفاء شرعية التداول عليه بتقييده في معجم حقلي متخصص .

وقد يصبح اضطراب المصطلح عائقا معوقا لطرائق الترجمة بعامة، والترجمة اللسانية خاصة، مما يعطل آليات الإبداع والمساهمة في إنتاج الخطاب العلمي في حقل ما من حقول المعرفة الإنسانية . وهذا التعطيل ينعكس لامحالة على الوعي المنهجي في الثقافة العربية المعاصرة ، ويضعف حمولتها المعرفية في مجال تلاقي الثقافات والحضارات .

إن الحديث عن الترجمة يقتضي بالضرورة الحديث عن واقع الباحث العربي في أي حقل من حقول المعرفة الإنسانية ، في الخريطة السياسية والاقتصادية والثقافية العالمية الجديدة التي تشكل فضاء لتداخل اللغات والثقافات، وتفاعلها تفاعلا يتجاوز قدرات الباحث العربي الأحادي اللغة .

ومما لا ريب فيه هو أن نقل المعرفة وتحويلها ، عن طريق الترجمة، هو في الواقع تدعيم القدرات المعرفية لدى الباحث العربي في أي حقل من حقول

إنتاج المعرفة ، ومن ثمة فإن " تقوية الطاقة التعبيرية للغة رهين وعالق بالزيادة في القدرة التعبيرية لمتكلمي اللغة ومستعملها ، علاوة على أنه مرتبط بقدرة الإنسان العربي على الحضور في مجالات الثقافة والعلوم والاكتشافات التقنية والإبداع في العلوم والفنون ، ومن هنا كان تطويع اللغة والتخطيط للتحويلات التي يمكن أن تلحق بها بهدف جعلها لغة تعبيرية تامة، هو في ذات الآن تخطيط لتطويع قدرة المثقف العربي اللغوية وتمييزها بالشكل الذي يجعله يوظف لغته القومية في ممارسته اليومية دون أن يلجأ إلى اللغة الأجنبية ، وخصوصا حينما يتعلق الأمر بموضوعات علمية دقيقة. " (1)

ومن ههنا فللباحث اللسانياتي العربي مهمتان اثنتان بشأن اصطناع

المصطلح:

إحداهما: مهمة داخلية تتعلق بمجال بحثه ؛ تتبدى في وضع ضوابط علمية دقيقة لتطويع اللغة واسترفاد جميع الوسائل المتاحة للتحكم في آليات وضع المقابل الدقيق للمصطلح اللسانياتي العالمي من أجل امتلاك المعرفة اللسانية، على اختلاف توجهاتها العلمية وتباين مدارسها وتعددتها ، واحتواء مجالها الإجرائي والتطبيقي ، تنتهي هذه المهمة عادة بوضع معجم عربي أحادي اللغة وموحد للسانيات بجميع فروعها .

وإحداهما الأخرى: مهمة خارجية ؛ تتعلق بالمجالات العلمية المختلفة ؛ أي

أنه مطالب بأن يتدخل خارج إطار اختصاصه ليسهم في إيجاد إجابات علمية كافية لتذليل الصعوبات والعوائق التي تعترض سبيل الباحثين في ميادين علمية مختلفة أثناء نقلهم للمعرفة الوافدة ، وترجمتهم للعلوم؛ معنى ذلك أن وضع المصطلح في أي علم من العلوم يقتضي خبرتين اثنتين :

أ - خبرة معرفية: تتعلق بالمرجعية النظرية الفلسفية أو الفكرية لإنتاج المفاهيم والاصطلاحات، وهي خبرة أهل الاختصاص في الميدان العلمي نفسه

ب - خبرة لسانياتية : لأن المصطلح زيادة على كونه تصورا ذهنيا للمفاهيم العلمية لحقل معرفي معين فهو معطى لسانياتي، من حيث أنه يقتضي تفعيل المكونات اللسانية الصوتية والتركييبية والدلالية وتوظيفها وتطوير بعضها تطويعا صارما لضبط آليات التوليد (néologie) اللساني.

وانطلاقا من هذا المبدأ فإن وضع المصطلح العلمي لا يستقيم له أمر إلا بالتوأمة بين الخبرة العلمية الصرف ، والخبرة اللسانياتية ؛وما كان ذلك كذلك إلا لأن البحث اللسانياتي من اهتماماته الأولية توفير الإطار النظري، وتيسير الإجراء التطبيقي لوضع ضوابط علمية دقيقة لتشكيل المصطلح ، وتكوين رصيد اصطلاحي أولي يمكن أن يعول عليه في حل كثير من المشاكل التي يطرحها المصطلح العلمي في الثقافة العربية المعاصرة.

غير أن ما يثير الانتباه ، في الأبحاث اللسانياتية المنجزة في الثقافة العربية المعاصرة، أنها تغلب البحث النظري على الإجراء التطبيقي، فقد يصاب الباحث، في ميدان علمي معين خارج اللسانيات، بخيبة أمل عندما يطلع على الإنجازات العلمية الكثيرة في اللسانيات ولا يجد إجابات علمية كافية للصعوبات التي تعترض سبيله في تطويع اللغة لاصطناع المصطلح العلمي.

ولا يمكن للباحث اللسانياتي العربي أن يخترق مجال التعدد اللغوي والثقافي ، في أفق الوضع العالمي الحالي والمستقبلي ، بمعزل عن لغته التي تفاعلت عبر مسارها الطويل بالحمولة الثقافية والحضارية التي توطئها لإيجاد الحيز الذي يمكن له أن يحتله بجدارة وبفاعلية ليسهم في تشكل الحضارة العالمي الجديدة .

ومن ثمة فلا وجود للغة العربية العلمية المتوخاة إلا بوجود اللغات الأجنبية التي تنافسها في المد الحضاري والعلمي والتكنولوجي ، ولا يمكن للغة العربية أن توصف بالعالمية في ترقية البحث العلمي إلا بتعايشها مع هذه اللغات وتفاعلها معها ، واحتوائها لكثير من مكوناتها منها المصطلح العلمي ، كما فعلت مع لغات أخرى في مسارها الحضاري الطويل . (2)

ثانيا: المصطلح اللسانياتي وإنتاج المعرفة

لقد أدى التطور السريع في مجال إنتاج المعرفة إلى تزايد إنتاج المصطلح العلمي، وترقيته باستمرار ، فأثرى الثقافة الاصطلاحية العالمية برصيد كثيف من الاصطلاحات والمفاهيم التي ما فتئت تتوزع على مناطق ومواقع قطاعية متخصصة، فاقتضت الضرورة، إذذاك، تنظيم هذه المصطلحات المتخصصة وتجميعها في معاجم حقلية أو قطاعية أحادية اللغة .

ومن ههنا فإن إنتاج المعرفة ، لامتلاك قدرات تفعيلها، يتبدى في إتقان صناعة المعاجم المتخصصة الأحادية التي تضفي الشرعية المعرفية والمنهجية على أي مبحث من مباحث المعرفة الإنسانية .

ولذلك فإن أدنى تأمل في المعرفة اللسانية العالمية يهدي إلى أن مسار هذه المعرفة، منذ نشأته وهو جنين إلى أن نضج واكتمل في مدارسه واتجاهاته المعروفة عالميا ، ما انفك يتعزز باصطناع معاجم حقلية متخصصة أحادية اللغة لرصد المصطلح وتعقب تطوره عبر مساره العلمي الذي سلكه في ظل التطور المستمر للنظرية اللسانية المعاصرة .

يمكن لنا أن نذكر في هذا المقام الذي نحن بشأنه ، بعض المعاجم الأجنبية الأحياء اللغة المعروفة في الثقافة اللسانية العالمية :

Marouzeau J : Lexique de la terminologie linguistique ,Geutner , Paris 3éd 1951.

Vachek J : Dictionnaire de linguistique de l'école de prague , Spectrum , 1959.

Ducrot et Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,Le Seuil ,Paris 1972.

Duboi et autres : Dictionnaire de la linguistique , Larousse ,Paris 1973.

Mounin G : Dictionnaire de la linguistique puf . Paris 1974

Greima et Courtès ; Sémiotique :Dictionnaire raisonné de la théorie du langage .Paris Hachette .1979.

وفي المقابل لهذا الوضع نجد الثقافة اللسانية العربية تفتقر إلى المعاجم الأحادية، فالتصور الأحادي للغة العلمية الاصطلاحية يوشك أن يكون منعماً انعداماً كلياً، وأحسب أن ذلك يعود إلى غياب الوعي المنهجي في الفكر العربي المعاصر الذي يعاني من نكسة وردة في مجال العطاء الحضاري بكل روافده ومقوماته ، ويعود كذلك إلى أن الفكر اللسانياتي العربي المعاصر لم يسهم في تشكل الوعي المنهجي والمعرفي ؛ لأنه لم ينتج المعرفة ، فهو في وضع التلقي والإعادة والتحويل، مما جعل الباحث العربي يلجأ إلى الاصطلاح الخارجي ، فلم يكتمل في ذهنه بعد التصور الدقيق للحقل الاصطلاحي لميدان بحثه ، نظراً للسرعة المتزايدة في إنتاج المصطلح واصطناعه وانتقاله من حقل علمي إلى آخر في اللغات الأخرى.

ويتبدى هذا الاضطراب المنهجي ، إذن ، في اللجوء إلى الثقافة الأخرى في اصطناع المصطلح والاعتماد المطلق على رصيدها ، والاسترفاد الدائم للمعاجم المتعددة اللغات (الثنائية أو الثلاثية) ، دون أدنى جهد في تهيئة الأرضية لإمكانية وجود ثقافة اصطلاحية لسانياتية عربية . وتتعلق هذه الوضعية " بوضع اللغة العربية في النظام المعرفي العالمي ، إذ العربية في موقف ضعف نسبي اعتمادا على مقاييس الابتكار والإبداع ، لذا لجأت العربية إلى الأخذ والاقتباس الكثيفين . " (3)

وفي هذا السياق يرى بعضهم أن المصطلح اللسانياتي العربي كغيره من المصطلحات الأخرى موزع بين نوعين من الاصطلاح :

1 - الاصطلاح الداخلي؛ أي الاصطلاح الأحادي اللغة العربية ، فهو يرتكز في تشكله على المصطلحات التراثية (النحو ، البلاغة ، فقه اللغة) وهذه المصطلحات هي نتاج فكري ومعرفي في حقبة تاريخية معينة من تاريخ تشكل الفكر العربي .

2 - الاصطلاح الخارجي: وهو المصطلح المتعدد اللغات الذي يستمد مادته الأساسية من اللغات الأجنبية عن طريق الترجمة والتعريب. (4)

نستطيع أن نقول، حينئذ ، إن الثقافة الاصطلاحية العربية في الحقول العلمية بعامة ، والحقل اللسانياتي بخاصة تعتمد على رافدين اثنين :

أحدهما: الرصيد الاصطلاحي للتراث العربي بكل شموليته، على اختلاف الميادين العلمية التي ينتمي إليها.

والآخر: الرصيد الاصطلاحي العالمي المتمثل في التعدد اللغوي وتعدد مصادر المعرفة .

وقد أدت هذه الثنائية التي يتميز بها المصطلح اللسانياتي في اللغة العربية إلى ظهور كثير من المعوقات التي تعترض سبيل الباحث العربي . يمكن لنا أن نذكر ههنا بعضها:

1 - يكون المصطلح التراثي في كثير من الأحيان غير مؤهل لاحتواء التصور الذهني للمصطلح الأجنبي الوافد من الثقافة الأخرى .

2 - الاختلافات في توظيف المصطلح عندما ينتقل من حقل إلى آخر في لغته الأصلية.

3 - الاقتصار والمحدودية في استلهام الجوهر العلمي للمصطلحات الوافدة والتعميم في التوظيف والاستعمال .

4 - الاكتفاء بالمصطلحات السائدة والشائعة في اللسانيات العامة والتاريخية، وتغييب المصطلحات الحديثة التي لها صلة ببعض الفروع اللسانية الناشئة كاللسانيات التطبيقية و(تعليمية اللغات ، الخطاب الإعلامي ، البرمجة الآلية للمعلومات، تحليل الخطاب، الترجمة، اصطناع المصطلح العلمي، الجوانب الاكلينيكية للغة)

5 - العفوية والارتجال في اصطناع المصطلح ، مما أدى إلى التعدد والاضطراب ، على الرغم من الجهود التوحيدية للمصطلح التي تضطلع بها بعض المؤسسات العربية كالمجامع العربية ، وهي الجهود التي لم تستثمر استثمارا جيدا إلى حد الآن .

ويرى بعض الباحثين أن السبب في هذا التعدد والاضطراب يعود " إلى غياب تمثّل نظري للقضية المصطلحية وإلى عفوية المنهجيات المقترحة لضبط الاصطلاح . " (5)

تتشكل المصطلحات الوافدة في النظام اللساني العربي من الأصول اللسانية للغتين مصدر على الأقل وهو في انتقاله يمر بمحطتين:

- 1- محطة البدء : وهي اللغة المصدر التي يمكن أن تتعدت بلغة الدخل (input)
- 2- محطة المآل: وهي اللغة الهدف التي يمكن أن تتعدت بلغة الخرج (output)

وقد تتعرض المصطلحات ، في هذه السيرورة بين البدء والمآل، لكثير من الممارسات الاعتبائية في كثير من الأحيان ، لإيجاد المكافئ المناسب، ولو جزافيا ، لتبرير العلاقة بين الدخل والخرج (علاقة صوتية، علاقة صرفية ، علاقة تركيبية ، علاقة دلالية)

وعندما يعسر علينا إيجاد المكافئ المناسب ، نلجأ إلى أقرب أسلوب في الترجمة وهو التطويع لما يتميز به من مرونة في الشمولية والتوسع والاحتواء الدلالي .

ولتذليل الصعوبات التي تعترضنا في اصطناع المصطلح، ولتفادي الاضطراب والارتجال العفوي ، لابد من استرفاد النتائج العلمية لبعض العلوم المساعدة التي يمكن لها أن توفر الإجابات الكافية لكثير من القضايا التي يطرحها وضع المصطلح العلمي في أي حقل من حقول المعرفة الإنسانية ، ويمكن لها كذلك أن تذلل الصعوبات والعوائق التي تعترض سبيل الباحث

والمترجم معا في تعاملهما مع مصادر المعرفة ، وتطوير آليات تحويل هذه المعرفة ونقلها بيسر إلى اللغة العربية .

ومن جملة العلوم المساعدة في اصطناع المصطلحات:

1- اللسانيات بعامة واللسانيات التطبيقية بخاصة في مجال ترقية ضوابط

التوليد (néologie)

2 - علم المصطلح.

3- المعجمية .

4 - علم الدلالة (النظرية السياقية ، النظرية التفسيرية ، نظرية الحقول

الدلالية)

5 - علم التأثيل (étymologie)

ومما لاشك فيه أن الكفاية الفكرية في إنتاج المعرفة لا يمكن لها أن تنتقل

من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل ، إلا بوساطة المفاهيم والاصطلاحات التي تضفي شرعية الوجود والممارسة والتداول على نظرية من النظريات بين ذوي الاختصاص نفسه .

ومن ثمة اغتدى المصطلح نظاما تواصليا خاصا ، فهو من حيث

خصوصيته وتميزه ، يشبه اللهجة الفردية التي نلفيها لدى بعض الحرفيين

والجماعات المهنية؛ إذ أنه نظام دال يختلف عن النظام اللغوي العادي في

كونه توظيفا جديدا لدلالة مألوفة قد تحافظ على قيمتها المعجمية ، وقد تبتعد

عنها عن طريق التمثيل والمجاز والتوليد وتوسيع الحقل الدلالي وإثرائه، بأبعاد

دلالية أخرى يقتضيها الحقل المعرفي الذي نشأ في رحابه المصطلح المعين .

غير أن هذا لا يعني أن هناك قطيعة بين المصطلح العلمي واللغة المشتركة التي يستخدمها أفراد المجتمع اللغوي لتحقيق العملية التواصلية، بل إنه في استقلاله وتميزه يستمد وجوده من اللغة نفسها ، ويسهم في إثرائها في انتقاله من الأحادية إلى التعددية ، وتلك ميزة تملئ بها اللغة العلمية . وانطلاقاً من هذه الوضعية فإن الصلة بين المعجم المختص (الحقلي أو القطاعي) والمعجم العام صلة حميمية ومبررة علمياً ومنهجياً ، وما كان ذلك إلا لأن المعجم العام يوفر المادة الأولية من اللغة المشتركة ، من حيث هي وسيلة تواصلية من جهة ، ومن حيث هي نمط يعكس البنية الثقافية والحضارية من جهة أخرى ، وهي المادة التي يعتمدها المعجم المتخصص في تشكيل البنية الاصطلاحية حسب مقتضيات الحقل المعرفي المعين .

يمكن لنا أن نورد ههنا بعض المعاجم اللسانية الشائعة في الثقافة العربية المعاصرة :

الحمزاوي محمد رشاد ، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، حوليات الجامعة التونسية العدد 14 .1977.

وهبة مجدي والمهندس كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب بيروت مكتبة لبنان 1979 .

معجم علم الأصوات ومعجم علم اللغة النظري لمحمد علي الخولي وقد نشر بين سنتي (1980) و(1982)

خليل إبراهيم حماس ، معجم المصطلحات اللغوية والصوتية ، أنجليري - عربي منشورات معهد تطوير تدريس اللغة الإنجليزية في العراق بغداد 1982.

الخولي محمد علي ، معجم علم اللغة النظري إنجليزي - عربي بيروت
مكتبة لبنان 1982.

قام المستشرق الفرنسي Troupeau بإعداد أطروحة تتعلق بمصطلحات
سيبويه اللغوية قدم لها رشيد الحمزاوي بحوليات الجامعة التونسية ع
22 (1983) ص 165 - 173.

باكلا محمد حسن وآخرون معجم مصطلحات علم اللغة الحديث عربي
أنجليزي ، وأنجليزي عربي بيروت مكتبة لبنان 1983 .

المسدي ، قاموس اللسانيات عربي . فرنسي ، فرنسي . عربي مع مقدمة
في علم المصطلح الدار العربية للكتاب 1984.

المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات إنجليزي . فرنسي . عربي المنظمة
العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1989 .

السفير أنطوان الدحداح ، معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد
العربية العالمية عربي - فرنسي ، فرنسي - عربي مكتبة لبنان 1987 .

جورج متري عبد المسيح وهاني جورج تابري معجم مصطلحات النحو
العربي مكتبة لبنان 1990 .

السفير أنطوان الدحداح ، معجم لغة النحو العربي عربي - أنجليزي مكتبة
لبنان 1993.

معجم مفردات علم المصطلح منظمة (I.S.O) التوصية رقم 1087
مجلة اللسان العربي الرباط عدد22.

معجم المصطلحات اللسانية الحديثة الذي ألفته عصابة من أهل
الاختصاص مجلة اللسان العربي عدد31 ص 21.
معجم علوم اللغة من إعداد عبد الرسول شاني وقد نشر في مجلة اللسان
العربي مجلد15 الجزء الثاني ص 115.

أغلب هذه المعاجم يكاد يخلو من التعريفات والحدود ويقتصر فقط على
المقابل العربي للمصطلح الأجنبي

ولا يجب أن نهمل ملاحق المصطلحات التي تذييل بها عادة المؤلفات
العربية في مجال اللسانيات .

من الأسباب المباشرة للاضطراب في وضع المصطلح اللسانياتي في
الثقافة العربية ، تعدد اللغات المصادر التي نعتمدها في نقل المعرفة اللسانية،
فاختلاف الأصول اللغوية للترجمة ينعكس لا محالة على تصورنا للمفاهيم
والتصورات الوافدة من الثقافات الأخرى ، يرى المسدي في هذا الشأن أن "
اختلاف الينابيع التي ينهل منها علماء العرب اليوم بين لاتيني وسكسوني
وجرمانى وسلافي وطبيعة الجودة المتجددة التي تكسو المعرفة اللسانية المعاصرة،
وتراكب الأدوات التعريفية والمفردات الاصطلاحية مما يقتضيه تزواج مادة العلم
وموضوعه في شيء واحد هو الظاهرة اللغوية ، ثم طفرة الوضع المفهومي وما
تنشأ عنه من توليد مطرد للمصطلح الفني بحسب توالي المدارس اللسانية تكاثر
المناهج التي يتوسل كل حزب من المنتصرين للنظرة الواحدة أحيانا . كل ذلك قد

تضافر فعقد المصطلح اللساني العربي ، فجعله إلى الاستعصاء والتخالف أقرب منه إلى التسوية والتماثل . " (6)

قد يؤدي الاضطراب والتعدد في اصطناع المصطلحات إلى اضطراب في امتلاك المعرفة اللسانية ، وضعف الحمولة المعرفية للحصيلة العلمية لحقل خصب من حقول المعرفة الإنسانية .
ثالثاً: آليات الترجمة واصطناع المصطلح

هناك إجراءان شائعان في الترجمة بعامة والترجمة اللسانية خاصة هما
1 - الترجمة المباشرة: هي الإجراء الغالب في الترجمة والنقل من لغة مصدر إلى لغة هدف عندما يكون هناك تكافؤ وتقارب إلى درجة الانسجام التطابقي بين اللغتين وتحقق هذه الحالة عندما تكون اللغتان تنتميان إلى عائلة لغوية واحدة كالترجمة داخل اللغات الهندو - أوروبية ، وقد يندم هذا التكافؤ عندما نترجم من هذه العائلة اللغوية إلى عائلة أخرى تختلف عنها كعائلة اللغات السامية التي تنتمي إليها اللغة العربية التي لها خصائص صوتية وصرفية وتركيبية تمثل بها عن اللغات الأخرى .

وللإجراء الترجمي المباشر أساليب منها:

أ - أسلوب الاقتراض L'emprunt (التعريب): قد نلجأ إلى هذا الأسلوب عندما يعسر علينا إيجاد المكافئ العربي الذي يدل دلالة تطابقية على الحمولة المعرفية التي يحملها المصطلح الأجنبي ، فنقترض منطوق المصطلح الأجنبي ونجري عليه بعض التعديلات التي يقتضيها النظام القواعدي للسان العربي

الفيلولوجيا Philologie

السيمولوجيا Sémiologie

ب - أسلوب النسخ أو المحاكاة (Le calque): وهو النقل الحرفي للمتصور الذهني للمصطلح الأجنبي الشائع والمعروف في الثقافة الأجنبية.

الدرجة الصفر Degré zéro

أدب أبيض Littérature blanche

لذة النص Le plaisir du texte

قواعد إعادة الكتابة Les règles de réécriture

حالة لغة Etat de langue

ج - التضخيم: نعني بالتضخيم استخدام مقابل في اللغة الهدف بوحدات لسانية أكثر من وحدات المصطلح الأجنبي (اختلاف كمي بين المصطلح المصدر والمصطلح الهدف) وهذا هو الأسلوب السائد والمهيمن في الترجمة اللسانية، وإن كان هذا الأسلوب يتنافى مع قانون بذل أقل جهد في استخدام اللغة.

الصوت المركب Diphtongue

علم الأصوات Phonétique

علم الأصوات الوظيفي Phonologie

2 - الترجمة غير المباشرة أو الجانبية : وهي عكس الأولى في كونها تعتمد وسائل أخرى تساعد على إيجاد المقابل المناسب والمؤهل لاحتواء الحمولة المعرفية للمصطلح الأجنبي . ومن أساليبها :

أ - التكافؤ: هو إجراء ترجمي يسعى إلى إيجاد البديل في اللغة الهدف

المطابق للمصطلح في اللغة المصدر من حيث المفهوم والمختلف عنه من حيث البنية اللسانية. وبعد التكافؤ من هنا الحالة المناقضة لأسلوب الاقتراض .

ب - المؤلفّة: وهي استخدام مقابل خاص من اللغة الهدف للتعبير عن معنى خاص في اللغة المصدر

مصدر Infinitif

صدر Préfixe

ج - التحوير: يتعلق هذا الأسلوب الترجمي باصطناع مصطلحات جديدة ومستحدثة غير مألوفة في العرف الاصطلاحي للغة الهدف (7)

علاقات استبدالية Rappports paradigmatiques

علاقات ترتيبية Rappports associatifs

علاقات ركنية Rappports syntagmatiques

مؤلفات مباشرة Constituants immédiats

قد تختل عملية إيجاد المكافئ العربي في كثير من الإجراءات الترجمية، فيلجأ بعضهم إلى أسلوب ما من الأساليب المستعجلة والمعزولة لإحداث نوع من التلفيق بين المصطلح الوافد من اللغة الأجنبية وبعض الصيغ العربية.

وفي هذا السبيل ارتأى بعضهم إلحاق اللفظ العربي بلواحق أجنبية فجاءت تجربتهم مسخا من المسوخ التركيبية ، وإقحاما لبنية لغوية على أخرى فترجموا Phonème بـ (صوتم) و Morphème بـ (صرفم) و onème بـ (لفظم) إلخ... (8)

وقد ألفينا بعض الباحثين العرب المعاصرين يزكي هذا النوع من التطويع في اصطناع المصطلح ، ومن هؤلاء المسدي الذي نوه بجهود القرمادي في لجوئه إلى هذا الأسلوب التوليفي بين المصطلح الأجنبي والمصطلح العربي في بنية مشتركة تحافظ على الخصائص البنوية للمصطلح الأجنبي من جهة ،

وتحافظ من جهة أخرى على خصائص المكافئ العربي المؤهل لأن يكون بديلا له من جهة أخرى، وهذا الإجراء في الواقع لا يعدو أن يكون مزجا بين الاشتقاق والتعريب والتوليد في المصطلح الواحد. (9)

وقد علق المسدي بواضح العبارة عن محاول القرمادي قائلا : " وهي صيغة تعتمد الدخيل المعرب فيها (الميم) التي اقتبست من اللفظ الأجنبي، وفيها القالب الصرفي الذي وضع وضعاً موازيا ، إذ هو على ميزان (فعلم) مما لا تعرفه لغة العرب ، ولكن تستصيغه بتجانسه مع (مفعل)" (10)

إن ما لجأ إليه القرمادي وزكاه المسدي وآخرون من الدارسين العرب ، من إضافات إلى الأصل الاشتقاقي العربي ، يثير إشكالا آخر مازال يعد عائقا في اصطناع المصطلح العلمي العربي ، وهو مشكل السوابق واللواحق الذي لم نستطع أن نتجاوزه ببسر .

ومن ههنا فإن إيجاد المكافئ العربي للسوابق واللواحق يعد عقبة حقيقية في سبيل البحث عن ضوابط دقيقة لتحديد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي ، ولا يقتصر الإشكال على كيفية تطويع السوابق واللواحق Préfixes et suffixes فحسب ، بل تجاوز ذلك إلى الاختلاف في تسميتهما أيضا ، فهي :

- السوابق واللواحق
- السوابق والذبول
- الصدور واللواحق
- البدء واللاحاق
- الصدور والكواسع
- السوابق القبليّة والسوابق البعدية (11)

وقد حاول مجمع القاهرة تذليل هذه الصعوبات بإيجاد بعض السبل لتفادي معضلة السوابق واللواحق ، ولكنه لم يفلح إلا في ترويض سبع منها فقط ، وتعذر عليه ذلك في أغلبها . (12)

أشير في هذا السبيل كذلك إلى محاولة مكتب تنسيق التعريب الذي عالج بعضها ، وهي على الرغم من ذلك ماتزال في حاجة إلى دراسة تطبيقية جادة لتفادي الاضطراب والارتجال الذي يؤدي بالضرورة إلى الغموض والتعدد ، فقد نجد سابقة واحدة تستخدم بديلا لعدد غير محدود من السوابق في اللغة الأجنبية (13)

هناك جهود متلاحقة ودائمة ، تقوم بها بعض المؤسسات العربية ، لتهيئة الأرضية العلمية والمنهجية من أجل الوصول إلى تصور عربي شامل ومتجانس لوضع معايير قارة وثابتة وموحدة لوضع المصطلح العلمي على اختلاف الحقول المعرفية التي ينتمي إليها .

يجدر بنا أن نشير إلى مشروع الترجمة وترقية المصطلح العلمي الذي وضعته ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحاتية (تونس - 7 - 10 جويلية 1986)، التي أوصت بترجمة عدد من الوثائق القاعدية التي لها صلة بعلم المصطلح وتوثيقه وإشاعته ، وإنشاء مطبوع يحدد منهجية اصطناعه بالإفادة من تجارب الأمم الأخرى . (14)

وكان من توصيات هذه اللجنة ضرورة إنشاء هيئة عربية للإعلام المصطلحاتي ، على أن يضطلع المركز القومي للمواصفات والملكية الصناعية بتونس بإجراء دراسة تقييمية لمعرفة سبل إنجاز هذا المشروع بالتعاون مع المؤسسات العالمية مثل منظمة اليونسكو . (15)

رابعاً: تطبيقات وإجراءات

قد يتعامل الباحث اللسانياتي مع المصطلح في الحالات التالية:

أ - انتقال المصطلح من حقل علمي إلى آخر:

- يمكن أن نمثل لهذه الحالة بمصطلح الإسقاط: (Projection)
- يدل في الرياضيات على إسقاط نقطة على مستقيم معلوم لتشكيل زاوية قائمة .
- يدل في الفيزياء الضوئية على إرسال شبكة من الأشعة نحو مركز معين
- يستعمل في علم النفس التحليلي Psychanalyse في عبارة لوحة الإسقاط La planche de projection وهي لوحة بيضاء تلطخ بطريقة اعتباطية بنقاط سوداء ، ويطلب من المريض التعبير عما يشاهده في هذه اللوحة ، فالعملية التي يقوم المريض هنا هي عملية إسقاط.
- ويستعمل في اللسانيات التوليدي والتحويلية في عبارة قواعد الإسقاط وهي القواعد التي تفرق بين البنى التركيبية والمداخل المعجمية لتقديم التفسير الدلالي للجملة (16)

ب - اختلاف مدلول المصطلح الواحد من مدرسة لسانياتية إلى أخرى نمثل لهذه الحالة :

أ - بمصطلح Morphème:

- في اللسانيات التوزيعية : يدل على وحدة دنيا تفيد دلالة يبرزها التحليل إلى مؤلفات.

- في اللسانيات الوظيفية : يدل على وحدة صرفية نحوية مقابل لوحدة المعجمية، هذا المفهوم الذي يتوخاه خاصة مارتيني وأتباعه ويستخدمون ما يقابل المورفام عند التوزيعيين مصطلح المونام Monème.

ب - مصطلح (Symbole رمز) : هو عند دي سوسير (1857 - 1913) يختلف عن العلامة (Signe) من حيث العلاقة بين الدال والمدلول فهذه العلاقة في العلامة علاقة اعتباطية ؛ أي قائمة أساسا على التواضع والاصطلاح ، على عكس الرمز الذي يقتضي المشابهة أو السببية بين طرفيه .

بينما الرمز عند بيرس (1839 . 1914) هو علامة عرفية تقتضي التواضع والاصطلاح بين أفراد المجتمع اللغوي ، ويستعمل مقابل الرمز عند دي سوسير مصطلح الأيقونة.

ج - اضطراب يعود إلى الأصل التائيلي للمصطلح:

أصل مصطلح grammaire هو Gramma كلمة يونانية تعني الحرف أو الكتابة.

ألف يوسف السودا (1891 . 1969) كتابا وسمه بـ (الأحرفية)، دار ربحاني للطباعة والنشر، بيروت 1959 وهو كتاب في قواعد اللغة (La grammaire) معتمدا في تسميته الأصل اليوناني ، مما أحدث لبسا وإبهاما لدى القارئ العربي الذي لم يألّف هذه التسمية بهذا المفهوم .

ولما ظهر مصطلح (Grammatologie) علم الكتابة الذي استعمل في الثقافة الأنجليزية ابتداء من سنة 1952 على يد I.J.Gelb: A study of writing ، وشاع في الثقافة الفرنسية في دراسة نقدية فلسفية للمفاهيم الأساسية للكتابة واللغة بشكل عام على يد جاك دريدا J.

Dirrida في كتابه الموسوم بـ De la grammatologie باريس سنة 1967. توهم بعضهم أنه مشتق من (grammaire النحو) وليس من (Gramma الكتابة) فترجمه بعض المشارقة بـ (النحوية). ويعود هذا الاضطراب إلى عدم العناية بالمسار التأثيلي للمصطلح .

خامسا : تجربة الناقد اللسانياتي والسيميائي عبد الملك مرتاض

يستخدم عبد الملك مرتاض متواليّة متلاحقة من المصطلحات والمفاهيم النقدية المتواترة والشائعة في النقد العالمي ، وهو يعتمد في تأصيل هذه المصطلحات وتحديدها بعض القواميس المتخصصة والمعروفة في الثقافة العالمية منها:

- 1 -- Jean Dubois ; Dictionnaire de linguistique .Larousse 1973
- 2 -- Ducrot et todorov ; Dictionnaire encyclopidique des sciences du langage Seuil Paris.1972.
- 3 -- Greimas et Courtès ; Sémiotique :Dictionnaire raisonné de la théorie du langage .Paris Hachette .1979.

يدرك الناقد عبد الملك مرتاض إدراكا عميقا أن المصطلح ابن بيئته التي نشأ في رحابها وهو جنين ، وانطلاقا من هذه المسلمة يرى أنه لايجوز لنا اقتطاع المصطلح من هذه البيئة التي أوجدته والاختلاء به بعيدا لنعبث به عبثا شديدا .

ولذلك ألفينا الناقد يتعامل مع المصطلحات الشائعة في الثقافة اللسانية والسيميائية المعاصرة تعاملًا قائمًا على رؤية عميقة للمركزات التي تكون المسار التعاقبي لتشكل المصطلح وشيوعه واستقراره في حقل من حقول المعرفة الإنسانية .

إن المتأمل في الخطاب النقدي - اللسانياتي المنجز عند عبد الملك مرتاض يدرك لا محالة أن هذا الخطاب يتضمن زخما كثيفا من المفاهيم والاصطلاحات منها ما هو لسانياتي صرف ، ومنها ما هو فلسفي وسيميائي ، وفي كل الأحوال فإن الناقد لاتستهويه العجلة في توظيف المصطلحات واصطناعها ، بحكم مبدأ الشيوخ والانتشار والتداول ، وإنما يقف وقفة الباحث المدقق في الأبعاد العلمية والمنهجية، نظريا وإجرائيا ، للمصطلح في لغته الأصلية من جهة ، وفي المقابل العربي المصطنع لأن يكون بديلا في الكتابات العربية من جهة أخرى .

للقائد عبد الملك مرتاض نزعة للتحرر من التقليد في وضع المصطلحات واصطناعها، فهو لا يأخذ باجتهادات بعض اللسانيين والسيميائيين العرب المعاصرين في وضع المصطلحات ،ارتجالا وبعجلة ، كما فعل إزاء مصطلح (لساني) الذي يبدو له أن فيه لبسا وإبهاما ؛ لأننا بهذا المصطلح لا نستطيع أن نميز بين النسبة إلى اللسان والنسبة إلى اللسانيات ، ولذلك يجد مخرجا باقتراح مصطلح (لسانياتي) نسبة إلى اللسانيات ، وهو ينفرد بهذا الاصطلاح الذي شاع في الكتابات اللسانية المعاصر لدى بعض الدارسين والباحثين العرب .

فهو يقول في هذا السياق : " إننا اصطلحنا النسبة التي ننفرد بها على أساس أنها تنتسب إلى اللسانيات (علم الألسن) لا إلى اللسان، فالمهمم أو المختص بهذا العلم يجب أن يطلق عليه ، إذن ، لسانياتي . " (17)

وقد أثار انتباهه المقابل العربي لمصطلح Communication فقال بشأنه: " اصطنع السيميائيون العرب مصطلح التبليغ والإبلاغ مقابلا للمصطلح الأوروبي communication وهو في تمثنا أدق وأدل على هذا المعنى من مصطلح

التواصل الذي قد يشيع في كتابات بعض النقاد العرب المعاصرين ، ذلك بأن المصطلح الأوروبي إنما ورد في أصوله على صيغة التعددية المعنوية ، على حين أن معادله العربي (التواصل) لم يرد في العربية بهذا المعنى ، بل هو محايد لا يتعدى إلى أي معنى في غيره وإنما يقتصر على ما فيه من معنى في نفسه" (18)

أما التبليغ فهو " يشمل بالمفهوم العام للوضع : الإخبار أو نقل أمر من أعلى إلى أدنى أو من أعلى إلى مستوى مماثل له في الدرجة ، وهو لفظ قديم الاستعمال في اللغة العربية ، والاسم منه البلاغ وقد ورد في القرآن العظيم وصفا لوظيفة الأنبياء المرسلين إزاء من أرسلوا إليهم من الأمم ليبلغوا رسالات الله." (19)

ونحن نتعقب استعمال المصطلح اللسانياتي عنده آثار انتباهنا التمييز بين مستويين للغة في المنطق المعاصر بين اللغة - الموضوع المتحدثة عن الأشياء، واللغة الواصفة المتحدثة عن اللغة نفسها ، إلا أن اللغة الواصفة ليست أداة علمية ضرورية في خدمة المناطقه واللسانيين فحسب فهي تلعب أيضا دورا هاما في اللغة اليومية ، فنحن نمارس اللغة الواصفة دون أن نعلم بذلك ، وفي كل مرة يرى فيها المرسل أو المرسل إليه ضرورة لتأكد مما إذا كانا يستعملان استعمالا جيدا نفس السنن " (20)

1 - يستخدم الناقد مصطلح (Méta _ langage) ويضع له المقابل العربي (ما وراء اللغة). ويستخدم أحيانا نص النص أو قول القول . ثم نجده مؤخرا يصطنع بعض المصطلحات مثل :
قراءة - القراءة (Méta _ lecture)

قراءة - قراءة القراءة (Méta _ Méta lecture)

2 - مصطلح Déconstruction المصطلح الذي نشأ في رحاب فلسفة

جاك دريدا ، والذي اقترن بمنهج فكري وإجرائي قائم بذاته، يستخدم عبد الملك مرتاض مقابل هذا المفهوم مصطلح التفكيك كما هو شائع في القاموس الاصطلاحي العربي. وقد ألفيناها يلجأ إلى استخدام مصطلحات أخرى منها:
أ - مصطلح التشريح وجعله في بادئ الأمر مرادفا لمصطلح التفكيك ، ثم تبين له أن مصطلح التشريح يكون أقرب إلى مفهوم Micro - lecture أكثر من مصطلح Déconstruction

ب - مصطلح التقويض وهو في نظره " يعني الإتيان على هيئة من الهيئات ، أو أي شيء مادي أو معنوي ، ثم إقامة بناء جديد على أنقاضه ويوحى منه . " (21)

3 - Intertextualité يصطنع عبد الملك مرتاض مصطلح التناص

ويرتضيه بديلا مقابلا للمصطلح الأجنبي، كما هو في بيئته التي وجد فيها ومن أجلها، وكما هو شائع أيضا في الكتابات العربية المعاصرة، وهو في نظره تلاقي النصوص وتقاطعها ، تأثيرا وتأثرا ، في العملية الإبداعية . (22)

لقد تبدى له في مقامات أخرى أن مصطلح التناص عام في دلالاته وقد يتعلق أمره بحقول مختلفة اجتماعية ، فلسفية ، تاريخية ، لاهوتية وهذا التقسيم في نظره يجعل مفهوم التناص لا يليق بالعملية الإبداعية التي هي عملية لممارسة الكتابة ، لذلك يقترح مصطلح التناص بدلا من التناص ، وهو تأثر الكاتب بالكتابات الأخرى بصرف النظر عن جنس هذه الكتابة وطبيعتها . يقول بشأنه : " فعلينا أن نتصور جريان مصطلح التناص في الكتابات الاجتماعية والفلسفية والتاريخية واللاهوتية وسواها مما نريد من نصيب التناص ، وخطورة

تعميمه وهما أمران يجعلانه غير لائق بأن يقوم مفهوما في مجال الإبداع الأدبي الخالص ... وتأسيسا على هذا التصور استحدثنا ما نطلقه عليه التكاتب " (23) ويوضح ذلك أكثر بقوله: " إن مصطلح التكاتب ينصرف إلى تأثر الكاتب بكتابات أخرى ، بصرف النظر عن جنس هذه الكتابة وطبيعتها. " (24)

ولتكثيف المفاهيم وتعزيز الدلالة الاصطلاحية يشير إلى صلاحية مصطلح التفاعل وهو في نظره علاقة التأثير والتأثر بين كتابة الكاتب والعناصر الشفوية الأخرى التي تشكل حوالية النص المنجز ، فالتفاعل ينضوي تحت مفهوم التناص كما أنه ينضوي تحت مفهوم التكاتب (25) " أما التفاعل الذي يحدث بين كتابة الكاتب والمؤثرات الأخرى الشفوية العامة فهي تنضوي تحت مفهوم التناص كما تنضوي تحت مفهوم التكاتب" (26)

يقول بشأن المصطلحات اللسانية والسيمائية التي يستخدمها : " إلى كل هذه المصطلحات التي كان معجم اللسانيات يعج بها قبل ظهور هذا العلم ، ولكنها السيميائية حاولت تطوير هذه المفاهيم وتطويعها لاتجاهها فأضفت عليها معاني جديدة لم تكن فيها من قبل . " (27)

خامسا: نموذج في استرفاد التراث لضبط المصطلح

إن أصفى صورة لاضطراب المصطلح اللسانياتي في الثقافة العربية المعاصرة الاختلاف حول المقابل العربي لمصطلح (Signe) في الثقافة الأخرى، إذ نلفي مصطلحات عربية متعددة تتوارد لتتوب عن هذا المصطلح الأجنبي منها الإشارة ، الدليل ، السمة ، العلامة . فأضحت هذه المصطلحات مترادفة في وعي القارئ العربي ، وهي ليست كذلك البتة .

بيد أن نظرة عجلية إلى دلالة هذه الألفاظ في التراث اللسانياتي العربي تهدي إلى أنها تختلف نطقاً ومفهوماً ، نحاول هنا توضيح ما نحن بشأنه:

1 - الأمانة :

لقد ميز الدارسون الأقدمون بين الدلالة الظنية ، والدلالة اليقينية، وجعلوا الأمارات من العلامات الظنية التي بوجودها نظن بوجود لازمها . وذلك ما يشير إليه أبو هلال العسكري (400هـ) بواضح العبارة قائلاً: " الأمانة في الحقيقة ما يختار عند الظن (...) ، ولهذا لا تستعمل الأمانة فيما كان عقلياً وشرعياً." (28) والظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض أو أحد طرفي الشك بصفة الرجحان فالظن - كما يقول الراغب الأصبهاني (565هـ) هو: " اسم لما يحصل عن أمانة ، ومتى قويت ، أدت إلى العلم ، ومتى ضعفت جدا لم يتجاوز حد التوهم ." (29)

يظهر لنا ، حينئذ، أن الأمانة تقتنن بالدلالة الظنية دون سواها، ويؤكد ذلك الشريف الجرجاني(816هـ) بقوله:" الأمانة لغة : العلامة ، واصطلاحاً هي التي يلزم من العلم بها الظن بوجود المدلول ، كالغيم بالنسبة إلى المطر ، فإنه يلزم من العلم به الظن بوجود المطر ." (30)

يجوز لنا في نهاية المطاف ، حصر خصائص الأمانة فيما يلي:

1- الأمانة هي علامة ، غير أنها علامة مخصوصة لكونها علامة ظاهرة

قد تكون شيئاً ، أو ظاهرة دالة.

2 - الأمانة منشؤها الاصطلاح ، والتواضع بين طرفين على الأقل

لغرض التواصل ، ويمكن لها أن تخضع إلى اصطلاح ذاتي عندما يضعها

الإنسان ليتذكر بها شيئاً ما.

3- الأمانة وسيط حسي لحصول الدلالة الظنية دون سواها.

2 - الدليل

يعد الدليل لفظاً مشتركاً في عرف علماء الأصول يدل من جهة على معنى البرهان ، من حيث هو وسيلة عقلية لإثبات العلم الحاصل من المعلوم، ويدل من جهة أخرى على معنى العلامة اليقينية من حيث هي وسيلة لحصول الدلالة لدى من طلبها.

يتميز علماء الأصول بين الوسائط المؤدية إلى العلم اليقيني ،(كالدليل الذي تقتزن وظيفته الإنبائية بالدلالة اليقينية) ، والوسائط المؤدية إلى الظن (كالأمانة التي تقتزن وظيفتها الإنبائية بالدلالة الظنية). يقول الأمدى (631هـ): "الدليل قد يطلق في صفة معنى الدال ، وهو الناصب للدليل وقيل هو الذاكر للدليل، وقد يطلق على ما به دلالة وإرشاد ، وهذا هو المسمى دليلة في عرف الفقهاء (...). والأصوليون يفرقون بين ما أوصل إلى العلم ، وما أوصل إلى الظن ، فيخصون اسم الدليل بما أوصل إلى العلم ، واسم الأمانة بما أوصل إلى الظن. وعلى هذا فحده على أصول الفقهاء إنه الذي يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري . " (31)

وانطلاقاً من هذا التصور، أصبح مفهوم الدليل اللغوي يمتاز من مفهوم الأمانة في كونه علامة يقينية ، ولهذا المسوغ بالذات نلفي مجال هذا المفهوم يتسع ليشمل في عرف علماء الأصول . كما أومأنا إلى ذلك سالفاً . مفهوم البرهان من حيث هو وسيلة عقلية للاستدلال من أجل الوصول إلى حكم ما، باعتبار أن الاستدلال هو تقدير الدليل لإثبات المدلول للوصول إلى الايقان بالشيء ، وهو العلم بحقيقته بعد النظر والاستدلال ، ولذلك لا يوصف الله باليقين.(32)

نستخلص مما تقدم ذكره، أن الدليل في الموروث اللساني العربي، يتبدى في حالتين اثنتين:

الحالة الأولى: يكون فيها مفهوم الدليل برهانا استدلاليا، فهو وسيلة عقلية للوصول إلى حكم ما.

الحالة الثانية: يكون فيها مفهوم الدليل علامة، وهذه الحالة تشد انتباهنا في هذا المقام الذي نحن بسبيله، فالدليل من حيث هو علامة ينقسم إلى قسمين:

أ - علامة عقلية: تكون فيها العلاقة بين الدال والمدلول ، علاقة سببية لحصول الدلالة اليقينية.

ب - علامة لسانية : تكون فيها العلاقة بين الدال والمدلول ، علاقة تواضعية، سواء أكان ذلك في الدليل السمعي الشرعي أم في الدليل اللغوي المحض.

3- السمة السيماء والسيماء والسيمياء .

يقول أبو هلال العسكري (400هـ) في سياق حديثه عن الفرق بين العلامة ، والسمة: "إن السمة ضرب من العلامات مخصوص ، وهو ما يكون بالنار في جسد حيوان، مثل سمات الإبل وما يجري مجراها ، وفي القرآن /سنسمه على الخرطوم/ وأصلها التأثير في الشيء ، ومنه الوسمي لأنه يؤثر في الأرض أثرا ، ومنه الموسم بما فيه من آثار أهله والوسمة معروفة سميت بذلك لتأثيرها فيما يخضب بها." (33) فتأخذ السمة ، من ههنا ، معنى الأثر، فالوسم كما - يقول الراغب الأصبهاني - هو "التأثير، والسمة الأثر ، يقال وسمت الشيء وسما إذا أثرت فيه بسمة." (34)

يتبين لنا ، إذن، أن السمة علامة من حيث أنها تشير وتحيل إلى شيء ما، فهي مكونة من دال ومدلول ؛ الدال هو الأثر الحسي ، والمدلول هو المفهوم الذي يحصل لدى الرائي لذلك الأثر. فكل الدلائل التي اعتمدها تقرر بأن السمة في حقيقة أمرها أثر ظاهر يدرك بالبصر ولا يدرك بالسمع، فهي ، من ههنا ، كالرسم تماما لأن " الرسم مثل السمة يخبر به (...) وأصل الرسم في اللغة العلامة، ومنه رسوم الديار." (35)

هناك مفاهيم أخرى تعد ملحقة بمفهوم السمة نطقا ودلالة ، وهي السيمياء والسيماء والسيما. يقول المبرد (285هـ) (36) : " ومعنى قوله سيما الخسف: تأويله علامة، هذا أصل ذا (...) ومن قال سيما قصر.

ويقول الراغب الأصبهاني (565هـ): " السيمياء والسيما العلامة ، قال الشاعر له سيمياء لا تشق على البصر. قال تعالى : (سيماهم في وجوههم من أثر السجود (3) وقال : (تعرفهم بسيماهم) (37) " (38)

نحاول ، حينئذ ، أن نجمل ما أسلفنا فيه القول ، بشأن السمة ، وملحقاتها فيما يلي:

- 1- يرتبط الأصل الاشتقائي / وسم / بمفهوم التأثير في الشيء .
- 2 - تعد السمة اصطلاحا في التراث اللساني العربي علامة مخصوصة، بحكم كونها علامة مرئية فحسب ؛ لأنها لا يمكن أن تكون غير ذلك، وما ينبغي لها ، إذ هي أثر ظاهر ، وهذا هو الغالب في دلالتها.
- 3 - استعمل مفهوم السمة لدى النحاة اصطلاحا على الاسم ، بموجب كونه أثرا دالا على مسماه.

4 - وردت السمة وملحقاتها في القرآن الكريم بمعنى الأثر الذي يجعل شيئاً ما يمتاز عن غيره .

5 - تفسر السمة في التراث اللساني العربي بالعلامة ، وليس العكس ، وهذا دليل قاطع على أن مفهوم العلامة هو المفهوم الأعم ، والأشمل الذي يمكن له أن يقابل مفهوم (signe) في الثقافة اللسانية المعاصرة.

4- العلامة

فقد تبدى لنا، من خلال استقراءنا للمدونة اللسانية للتراث العربي بكل حقوله المعرفية، أن مفهوم العلامة يشمل مفهوم اللفظ والكلمة والاسم فهذه المفاهيم تعد الوحدات الدالة في النظام التواصلي لدى الإنسان، إذ أن الأداء الفعلي للكلام لا يعدو أن يكون في جوهره استخدام علامات لسانية منطوقة للتعبير عن أغراض المتكلم باعتبار أن الضرورة التواصلية تقتضي وجود علامات معينة ، وقد ينتفي الكلام بانتفاء وجودها ، وينعدم بعدمها.

لقد كان العلماء الأقدمون على وعي عميق في استخدامهم لمفهوم العلامة، وكانوا يعنون به ذلك الوسيط ، أو تلك الوسيلة الحسية الحاضرة والشاهدة التي تنوب عن شيء آخر ليس بحاضر. فهي، من ههنا، اقتران ثنائي بين طرفين متلازمين يقتضي أحدهما وجود الآخر؛ الطرف الأول هو الدال، والطرف الثاني هو المدلول. ويحصل عن هذا الاقتران حدوث الدلالة التي هي - في نظرهم - كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر.

العلامة، حينئذ، هي المفهوم المركزي الذي يطغى على ما سواه من المفاهيم الأخرى التي أومأنا إليها (الأمانة ، الدليل، السمة) ، إذ أن العلامة هي المصطلح الأعم الذي يشمل كل هذه المفاهيم باعتبارها علامات مخصوصة، وقد

تبين لنا ذلك أثناء تدارسنا لكل مفهوم على حدة ، إذ أن كلا منها مشروط بقريضة تلازمه وتجعله يمتاز عن غيره :

- فالأمانة ؛ قريبتها الظهور والدلالة الظنية.
- والدليل ؛ قرينته الدلالة على البرهان ، والدلالة على العلامة اليقين
- السمة؛ قرينتها أنها أثر ظاهر والعلاقة بين دالها ومدلولها علاقة سببية.
- ومن ههنا فإن مصطلح العلامة هو المصطلح الأعم ، والأشمل ، لأنه غير مشروط بأي خصوصية، ومن ثمة فقد يكتسب الشرعية المعرفية لأن يكون بديلا مقابلا لمصطلح (signe)بمعناه العام . وهناك دليان لتأكيد ذلك:

الدليل الأول : النصوص المتواترة

يمكن لنا أن نورد، ههنا، مجددا النصوص الصريحة بمنطوق العلامة من حيث هي وسيط جوهري في التواصل اللساني:

1- الجاحظ (255هـ)

أ - " الأسماء التي تدور بين الناس إنما وضعت علامات لخصائص الحالات" (39)

ب - " قد اجتلبوا أسماء وجعلوها علامات للتفاهم ." (40)

2- قدامة بن جعفر (337هـ)

" والأسماء مما لا منازعة فيها إذ كانت علامات ." (41)

3- الفارابي (339هـ):

أ - " الألفاظ علامات مشتركة ،إذا سمعت خطر ببال الإنسان بالفعل

الشيء الذي جعل اللفظ علامة له ." (42)

ب - " فتحدث تصويبات كثيرة مختلفة بعضها علامات لمحسوسات ،

وهي ألقاب، وبعضها دالة على معقولات كلية لها أشخاص محسوسة ." (43)

4- الجرجاني (471هـ):

"اللغة تجري مجرى العلامات والسمات ، ولا معنى للعلامة ، والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه ." (44)

5- الغزالي (505هـ)

"ا متكلم إلا وهو محتاج إلى نصب علامة لتعريف ما في ضميره" (45)

إن نظرة واحدة في هذه النصوص التي اعتمدها تتهي إلى أن مفهوم العلامة كان مألوفاً وشائعاً في الرصيد المعرفي للتراث العربي ، فقد استخدمه العلماء العرب الأقدمون ، وهم على وعي عميق بمجاله الإدراكي ، لذلك أوضحت الألفاظ والكلمات والأسماء . في نظرهم . علامات دالة ، وهم بهذا التصور يؤسسون الأرضية لإمكانية وجود نظرية عربية أصيلة لتفسير نظام العلامات بعامة ، والعلامات اللسانية بخاصة.

الدليل الثاني: اتخاذ مفهوم العلامة معياراً لتفسير مفاهيم أخرى

لقد لاحظنا من خلال تناولنا بالتحليل المفاهيم التي تجاور العلامة من حيث حصول الدلالة (الأمانة ، والدليل ، والسمة) ، أن الدارسين الأقدمين يلجأون عادة لتفسير أي مفهوم من هذه المفاهيم إلى مصطلح العلامة ، ويمكن لنا توضيح ذلك أكثر بالنصوص التالية:

1- الأصمعي (127هـ): "الأمانة:العلامة" (46)

2- ابن فارس (395هـ): " أن يكون الاسم سمة كالعلامة." (47)

3 - أبو هلال العسكري (400 هـ) : " السمة ضرب من العلامات

مخصوص" (48)

4 - الشريف الرضي (406هـ): " الآية ، العلامة." (49)

- 5 - ابن حزم (456هـ): " الأمانة : علامة بين المصطلحين على شيء ما" (50)
- 6 - الراغب الأصبهاني (565هـ): "والسيماء والسيمياء العلامة" (51)
- 7- ابن الأنباري (577هـ): "الوسم في اللغة هو العلامة" (52)
- 8 - ابن يعيش (643هـ): "الاسم ، وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من السمة وهي العلامة" (53)
- 9 - ابن هشام (761هـ) : " الاسم في اللغة العلامة " (54)
- 10- الشريف الجرجاني (816هـ) : " الأمانة لغة العلامة" (55)

انطلاقاً من هذه الحيثيات كلها لابد في تصورنا من الإجراءات التالية لتأسيس مشروع هادف للترجمة العلمية ، ولترقية آليات اصطناع المصطلح اللسانياتي:

- 1- تشخيص واقع الترجمة اللسانية ، وتحديد أسباب الاضطراب ، وتعدد المصطلح من باحث إلى آخر ، على الرغم من انتماء هؤلاء جميعاً إلى بيئة واحدة وزمن واحد ، واعتمادهم جميعاً لغة مصدر تكون في أغلب الأحيان متجانسة ومشاركة.
- 2- وضع معاجم اصطلاحية متخصصة ، أحادية اللغة بدءاً ، لتهيئة الأرضية لإمكانية وجود رصيد من المصطلحات المؤهلة لأن تكون مقابلات أو بدائل لمصطلحات أجنبية وافدة ، يمكن أن يسترفدها المترجم أو الباحث حتى لا يلجأ إلى الاجتهاد الفردي الارتجالي الذي يؤدي إلى التعدد والاضطراب .
- 3- الحرص الشديد على الدقة في التحري والتقصي في وضع معاجم ثنائية أو ثلاثية اللغات متخصصة ، وموزعة حسب الحقول المعرفية المختلفة،

انطلاقاً من المعاجم الأحادية اللغة ، سواء أكان الأمر يتعلق باللغة المصدر ، أم باللغة الهدف .

4 - استثمار النتائج المحققة في البحث اللسانياتي بعامة واللسانيات التطبيقية بخاصة، واسترفاد الحلول العلمية التي قدمتها اللسانيات التطبيقية في مجال ترقية أساليب الترجمة، ووضع المصطلح، وصناعة المعاجم المتخصصة.

5 - تكثيف البحث التطبيقي المقارن وترقيته للوصول إلى ضبط الكليات القواعدية؛ أي تلك البنى المشتركة بين اللغات الإنسانية لتسهيل التعقب المرهلي للمسار التأثيلي للمصطلح الأجنبي وامتلاكه، وتفعيل عملية الترجمة الآلية والنقل من العربية إليها .

6 - وضع استراتيجية مؤسسة علميا ومنهجيا وهادفة ثقافيا وحضاريا، للترجمة في جميع الحقول المعرفية الإنسانية ، وتفعيل آلياتها لتحويل المعرفة وتحيينها في الوعي المنهجي لمشروع البحث العلمي للمجتمع الجزائري .

7 - تكوين ورشات دائمة للترجمة تتكون من فرق من الباحثين في تخصصات مختلفة ، وتؤطرها مؤسسة أكاديمية مؤهلة ماديا وعلميا ، ووفق خطة واضحة المعالم والأهداف.

8 - استخدام الطرائق الحديثة والاستعانة بما وفرته تكنولوجيا المعلومات من وسائل لتخزين المعلومات في بنوك، وتحويلها إلى برامج آلية للنشر والتوزيع بالإفادة من التجارب العربية التالية :

برنامج (المعربي(Lexar) لقاعدة المعطيات المعجمية في معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.

برنامج (باسم) البنك الآلي السعودي للمصطلحات في المركز الوطني
السعودي للعلوم والتكنولوجيا بالرياض.

برنامج (فارابي) بنك المعلومات لدى المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم . (56)

9- التنسيق بين المؤسسات العربية للترجمة والتعريب بإنشاء خلايا
مشتركة تسهر على توحيد المصطلح ، وتعمل على نشره وتعميمه وتفعيله
إجرائيا في أبحاث وإنجازات علمية موجهة ، وتحرص على تفادي التكرار
والتعدد . ولا يتحقق ذلك إلا بإنشاء قنوات دائمة للتواصل المستمر والآني عن
طريق آخر ما وصلت إليه وسائل الاتصال . (Internet)

10- الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى في مجال الترجمة واصطناع
المصطلح ، والتنسيق مع بعض الهيئات الدولية كالمنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم ، والمنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم. UNESCO

هوامش

- 1 - الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ، دار توبقال للنشر الرباط (1982) المغرب ص 224.
- 2 - أحمد حساني ، المرتكزات اللسانية لتعليمية اللغة العربية في وسط تعدد الثقافات واللغات ، أعمال الندوة الدولية : مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر 2001. ص 7 .
- 3 - الفاسي الفهري ، المرجع المذكور سابقا، ص 227 .
- 4 - الفاسي الفهري ، ص 225
- 5 - الفاسي الفهري ، ص 227.
- 6 - عبد السلام المسدي قاموس اللسانيات عربي فرنسي - فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح ، الدار العربية للكتاب ، تونس ليبيا 1984 ص 55.

- 7 - محمد رشاد الحمزاوي المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية،
الدار التونسية للنشر 1987 ص 277 وما بعدها.
- 8 - محمد حلمي هليل ، المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب مجلة
اللسان العربي الرباط عدد 21 ص 120.
- 9 - المسدي عبد السلام ، المرجع المذكور سابقا ، ص 76 .
- 10 - المرجع نفسه ن ص 76.
- 11 - الجيلالي الطاهر ، المصطلح اللسانياتي في المغرب العربي ، رسالة
ماجستير (1997 - 1998) مخطوط بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة وهران
ص 40 .
- 12 - ينظر مجلة اللسان العربي (الرباط) عدد 21 ص 63 .
- 13 - الجيلالي الطاهر ، المرجع المذكور سابقا ، ص 40.
- 14 - المرجع نفسه ، ص 16
- 15 - المرجع نفسه ، ص 17.
- 16 - ينظر عبد السلام المسدي الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب،
ط2 تونس 1982 ص 162.وينظر كذلك
Dubois et autres : Dictionnaire de la linguistique, Larousse
Paris1973.p393.
- 17 - مجلة تجليات الحداثة السنة الأولى العدد الأول (1992)، معهد اللغة
العربية وآدابها ، جامعة وهران. ص 21.
- 18 - المرجع نفسه ص 13 .
- 19 - المرجع نفسه ص 13 .
- 20 - رومان ياكسون ، قضايا الشعرية ص 31.
- 21 - عبد الملك مرتاض القراءة وقراءة القراءة ، خوض في إشكالية المفهوم ،
مجلة علامات ، جدة السعودية ج15 مجلد 14 سنة 1995 ص201.

- 22 - ينظر عبد الملك مرتاض ؛ بين التناص والتكاتب الماهية والتطور مجلة قوافل النادي الأدبي ، الرياض السنة الرابعة العدد السابع 1996 ص 196 .
- 23 - عبد الملك مرتاض، بين التناص والتكاتب الماهية والتطور، مجلة قوافل ، النادي الأدبي الرياض السنة الرابعة المجلد الرابع العدد السابع 1996 ص 198.
- 24 - عبد الملك مرتاض ، بين التناص والتكاتب الماهية والتطور، مجلة قوافل ، النادي الأدبي الرياض السنة الرابعة المجلد الرابع العدد السابع 1996 ص 198 .
- 25 - مولاي علي بوخاتم ، الدرس السيميائي بين عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح ، رسالة ماجستير (مخطوط) السنة الجامعية 1998 - 1999 قسم اللغة العربية جامعة وهران . ص 109
- 26 - عبد الملك مرتاض بين التناص والتكاتب الماهية والتطور ، مجلة قوافل ، النادي الأدبي الرياض السنة الرابعة المجلد الرابع العدد السابع 1996 ص 200
- 27 - عبد الملك مرتاض : أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة ديوان المطبوعات الجامعية 1992 ص 21.
- 28 - أبو هلال العسكري ، الفروق في اللغة .ص 60.
- 29 - الراغب الأصبهاني ، الغريب في مفردات القرآن، ص 472.
- 30 - الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات، ص 16.
- 31 - الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ، 27/1 .
- 32 - ينظر الشريف الجرجاني ، المرجع المذكور سابقا . ص 18.
- 33 - أبو هلال العسكري ، المرجع المذكور سابقا ، ص 62.
- 34 - الراغب الأصبهاني المرجع المذكور سابقا مادة وسم 821.
- 35 - أبو هلال العسكري ، المرجع المذكور سابقا ، ص 24.

- 36 - المبرد الكامل في اللغة والأدب ، ص 14
- 37 - آية 273 البقرة .
- 38 - الراغب الأصبهاني ، المرجع المذكور سابقا ، ص 365.
- 39 - الجاحظ ، الرسائل الأدبية ، ص 348.
- 40 - الجاحظ ، البيان والتبيين 1/140.
- 41 - قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ص 50.
- 24 - الفارابي ، شرح العبارة ، ص 25.
- 43 - الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 137.
- 44 - الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 325.
- 45 - الغزالي ، المستصفى من علم الأصول، 1/338.
- 46 - ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة (أمر) .
- 47 - المرجع نفسه (وسم) .
- 48 - أبو هلال العسكري ، المرجع المذكور سابقا ، ص 62.
- 49 - الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، ص 198.
- 50 - ابن حزم الإحكام في أصول الأحكام ، 1/47.
- 51 - الراغب الأصبهاني المرجع المذكور سابقا ، ص 365.
- 52 - ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، 6/1.
- 53 - ابن يعيش ، شرح المفصل ، 1/23.
- 54 - ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، ص 30.
- 55 - الشريف الجرجاني ، التعريفات . ص 16 .
- 56 - ينظر شحادة الخوري ، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب دار طلاس دمشق 1989 ص 223

إشكالية ترجمة السّوابق واللّواحق

« Préfixes et suffixes »

في اللّغة العربيّة

أ. آمنة بلعلّى

جامعة تيزي وزو

يعتبر دخول السّوابق واللّواحق « Préfixes et suffixes » على جذور اللّغات الأوروبيّة من أهم الخصائص المميّزة لهذه اللّغات، كما أنّها من أهم العوامل التي مكّنتها في العصر الحديث من الريادة في صياغة المصطلحات العلميّة الدقيقة، وتعدّى هذا النقد الأدبي، فعكف النقاد ومنظرو الأدب والنقد إلى صياغة مصطلحات بواسطة الإلصاق « Affixation » ليتسنى لهم التعبير الدقيق عن المدلولات والمفاهيم التي استنبطوها والظواهر المرصودة جزاء قراءتهم لتراثهم النقدي منذ العصر اليوناني.

وإذا كان الغرب مصدر العلم و مُصدِّر المصطلح، يعرف هو الآخر إشكالية في وضع المصطلح وتوحيده، فإنَّ الأمر متفاقم عندنا نحن العرب منذ أن بدأ الاتصال بالغرب منذ بداية ما يعرف بالنهضة، وبعد صدمة الحداثة التي صرحت اختلافا وثرءا منقطع النظير في ميادين شتى من العلوم والنظريات وخاصة بعد ظهور علم اللسان « Linguistique » وانفجار النظريات النقدية وما تبعها من ثورة مصطلحية، كان لها انعكاساتها الإيجابية في النقد العربي لكن صاحبها إشكالاتها ومعوقات المعرفة والمنهجية أيضا.

ولقد كانت ازدواجية المصطلح العلمي العربي عامة، من أبرز الإشكاليات التي أفرزتها الثورة العلمية والمصطلحية في الغرب، وكانت وليدة أسباب متعدّدة أهمّها تعدّد الجهات التي تتولى عملية وضع المصطلح كالمجامع اللغوية والهيئات اللسانية، والجامعات والمعاهد، والمجمعين والأفراد العلميين، الأمر الذي حدا بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية سنة 1962، وتداركا لخطورة ذلك على وحدة الثقافة العربية إلى إنشاء مكتب تنسيق التعريب للقيام بمهمة تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللّغة العربية بالمصطلحات الحديثة، ولتوحيد المصطلح العلمي في الوطن العربي.

وعلى الرغم من جهود المجامع العلمية في وضع المصطلح كمجمع القاهرة التي تلخّص الجهود المجمعية والفردية تجربته، والقاسم المشترك الذي يمكن اللّجوء إليه من خلال جملة القرارات التي صدرت عنه للتخفيف من الإشكالية المصطلحية باقتراحات ثرية وميسّرة، فإنه سجل عن هذا المجمع، أنّه لم يعط العناية الكافية لموضوع السّوابق واللّواحق، فقد أخذَ عليه أن القرارات التي ظهرت حول هذا الموضوع على قلّتها، لم يطبقها المجمع نفسه تطبيقا ملائما،

وقد أعاد أحد الباحثين ذلك إلى كثرة هذه الأدوات اللغوية الأوروبية الأصل، وعدم ملاءمتها للغة العربية ذات الطابع الاشتقاقي¹.

ومن أجل هذا عني مكتب تنسيق التعريب بمتابعة النشاط المصطلحي العربي وجمعه وتنسيقه وعرضه على المؤتمرات الخاصة بالتعريب من أجل توحيد، فاصدر كمّا هائلا من المعاجم المختصة في مختلف التخصصات إضافة إلى نشر البحوث المختلفة التي تشرح فيها طرائق وضع المصطلح وآليات صناعته، كما يعمل من خلال التخصص في هذه المسألة إلى إثارة الوعي بالمسألة الاصطلاحية، ولعلّ أهم ما قدمه المكتب في مجال ترجمة السوابق واللواحق تلك الوثائق الثلاث المتعلقة بها وهي²:

1 - السوابق واللواحق لمحمود مختار، وتحتوي هذه الوثيقة نحو 120 سابقة و 50 لاحقة في جدول يحتوي على السابقة أو اللاحقة باللغة الأجنبية، ورمزه ومثال له، كما يحتوي على السابقة واللاحقة المقابلة بالعربية (مترجمة أو معربة) رمزا ومثالها.

2 - منهجية وضع المصطلحات الجديدة لأحمد شفيق الخطيب، وتضم هذه الوثيقة 600 سابقة و 150 لاحقة، مع ترجماتها إلى العربية، ولقد اهتمت هذه الوثيقة زيادة عن السوابق واللواحق بإبراز الصيغ التي تتميز بها العربية، والتي يمكن الاستفادة منها لمعالجة مسألة السوابق واللواحق كاسم المكان والزمان واسم الآلة والصفة المشبهة، والتفعيلات المختلفة والمعنى الذي تؤديه كل تفعيلية.

1 - يراجع جواد حسن سماعته، "منهاجيات وضع المصطلح العلمي"، مجلة اللسان العربي، ع 40، ص 133.

2 - يراجع مجلة اللسان العربي، العددان: 24، ص 96-97، و 39 ص 40.

3 - الصدور واللّواحق لمحمد رشاد الحمزاوي: وهي وثيقة ينتقد فيها كما هو ملاحظ من ترجمته لـ Préfixes بالصدور على خلاف السّوابق، طرائق ترجمة هذه السّوابق واللّواحق. وذلك بإبراز مواطن الضعف والاختلاف والتضارب في الطرق المتوخاة للترجمة والتعريب. ولقد اعتمدت الوثيقة على 55 سابقة و 50 لاحقة في الفيزياء والكيمياء كعينة أبرز ما جاء فيها دعوته إلى خطة عربية شاملة لمعالجة المشكلة. ولكن دون أن يقدم حلولاً ناجحة³.

ويبقى جهد أحمد شفيق الخطيب معتبرا بترجماته المتعدّدة لكل لاحقة وسابقة. واقتراحاته المنهجية في التعريب والترجمة⁴.

وعلى الرغم من هذه الجهود في ترجمة السّوابق واللّواحق، ومع تزايدها المطرّد يوماً بعد يوم في كل علم بتزايد المصطلحات وتطور العلوم، فقد ظل التباين واضحاً في ترجمة المصطلحات القائمة على هذه السوابق.

ولقد بدا لي وأنا أشتغل في مجال النقد الأدبي، وأعين منظومة إصلاحية ساهمت في تشكيل الوعي النقدي لظاهرة النّص والنصيّة والتي ركّزت عليها كل المناهج النقدية أن هناك تبايناً واضحاً في وضع المصطلح، لم يقتصر بين قطر وقطر من الوطن العربي، بل بين باحث وباحث من القطر الواحد. مما فتح باب الترادف والتعدّد في المصطلحات، وأتاح فرصة للمفاضلات الشخصية بين واضعيها فضلاً عن خلق نوع من عدم الدّقة عند القارئ الذي لا يستطيع حتى أن

3 - يراجع مجلة اللّسان العربي، ع 24، ص 97، محمد المغنم، "مسألة السّوابق واللّواحق وطرق معالجتها".

4 - يراجع أحمد شفيق الخطيب، "منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة، مع ترجمة السّوابق واللّواحق"، مجلة اللّسان العربي، ع 19، ص 37 وما بعدها.

يدرك المعنى الدقيق للمصطلح الأجنبي، ذلك أن من "خصائص المصطلح العربي الناجح بعد أداء المعنى الدقيق للمصطلح الأجنبي أن يسهل على القارئ الذي يعرف لغة أجنبية إعادة المصطلح بالترجمة العكسية إلى أصله" ⁵ وهذا ما حضى به مثلا مصطلح التناص Intertextualité من نجاح خلافا لمصطلحات كالبينصورية، أو التداخل النصي، مما سيأتي شرح أسبابه لاحقا.

وإذا كان الدال يدرك من خلال مدلوله، والمصطلح من خلال مفهومه وإذا كان الهدف من وضع المصطلح هو جعل القارئ على وعي واضح بالمفاهيم فكيف يكون الأمر إذا أسهمت المصطلحات في تغييب المفهوم، فتصبح قراءته عند متوسطي المستوى باللّغة الأجنبية أرحم منه باللّغة العربية.

نعين إذن الإشكالية من خلال المقارنة بين نماذج من ترجمات عربية لمصطلحات تداخل النصوص، مراعين في ذلك الأسبقية الزمنية حسب صدور المرجع الذي وردت فيه الترجمة للمصطلحات التي وضعها Gérard GENETTE في كتابه PALIMPSESTES الذي ترجم تارة بأطراس وأخرى طروس وتارة تطريسات وكان الوحيد الذي قدم منهجية تحليل شاملة لما عرف قبله عند باختين الحوارية Dialogisme وعند جوليا كرسنفا Intertextualité، لأنه وضح هذه المفاهيم النظرية بالتطبيق وتركيب المصطلحات المعبرة عنها، فيقدم خمسة أنماط من علاقة La Transtextualité التي ترجمها سعيد يقطين التعاليات النصية، وهي "كل ما يجعل النص في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص" ⁶ وهذه الأنماط على قاعدة متصاعدة من التجريد والاستلزام والشمولية بهذا النحو:

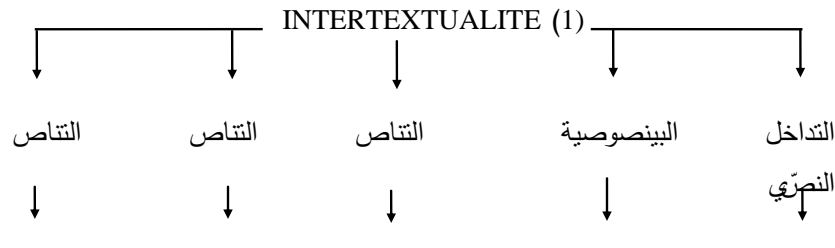
5 - مجلة اللسان العربي، ع 24، ص 116.

6 - Gerard GENETTE, La littérature au second degré, Ed Seuil PALIMPSESTES, 1982, p.7.

PARATEXTUALITE - 2 INTERTEXTUALITE - 1
HYPERTEXTUALITE - 4 METATEXTUALITE - 3
ARCHITEXTUALITE - 5

وقد تدرّج جينت في عرضه من المستوى الأقل تجريدا إلى الأكثر تجريدا مؤخراً L'hypertextualité لأهميتها، إذ بها تتجسد كيفية حدوث العلاقات بين نص (أ) Hypotexte (سابق) بنص (ب) Hypertexte (لاحق)⁷.

أما مترجمو هذه المصطلحات* فهم محمد بنيس، وسعيد يقطين (المغرب) قسم الدراسات بمركز الإنماء العربي (لبنان) وقاسم المقداد (سوريا) وعلي نجيب ابراهيم (سوريا). ولقد وقع عليهم الاختيار لمساهمتهم في ترجمة هذه المصطلحات الخمسة جميعها، دون أن ننفي من تعرض لبعضها قبلهم أو بعدهم مما نشير إليه أثناء العرض.



7 - IBID, p. 8.

* - محمد بنيس من خلال معجم المصطلحات الذي ثبته في الجزء الرابع من كتاب الشعر العربي الحديث. سعيد يقطين (انفتاح النص الروائي). قسم الدراسات بمركز الإنماء العربي (مجلة العرب والفكر العالمي 1988ع). قاسم المقداد في ترجمته لكتاب القرن الأدبي في القرن العشرين لجان إيف تادي. منشورات وزارة الثقافة، والمعهد العالي للفنون المسرحية دمشق 1993، ص 353. وعلي نجيب ابراهيم في مجلة البحرين الثقافية. ع 24، 2000.

محمد بنيس قسم الدراسات سعيد يقطين المقداد علي نجيب إبراهيم

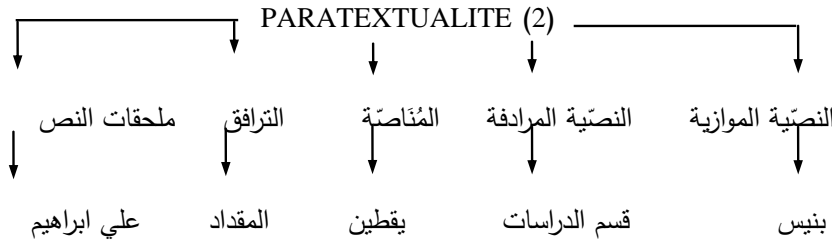
نلاحظ تداول مصطلح التناص، مقارنة بترجمة قسم الدراسات الذي اعتمد على الترجمة الحرفية Inter ب(بين)، فيبدو المصطلح غير مستصاغ لأنه لا يعبر عن معنى التفاعل أو التداخل بين النصوص، حيث تدخل عدة بُنى نصية بشكل صريح وواضح في النص وهو ما يعرف بالتضمين المباشر وغير المباشر في التراث العربي.

وهو ما يعكسه مصطلح التداخل النصي الذي كان بنيس قد وضعه سنة 1979 وفضل محمد مفتاح بعد ذلك وضع مصطلح التناص في كتابه تحليل الخطاب الشعري - استراتجية التناص سنة 1985 - . وأصبح شائعا في الخطاب النقدي المعاصر، على الرغم من أن محمد بنيس يتشَبَّثُ باصطلاحه، ويرى أن الطابع العفوي لترجمة التناص، لا يسهم في إنتاج شبكة العلاقات التي نستطيع بها الانتقال من وحدة إلى أخرى أو من جهاز مفاهيمي إلى غيره⁸. والحقيقة أن استصاغة التناص وتداوله يدل على استصاغة الاشتقاق في وضع المصطلح، "وأن الفائدة منه في تنمية الأداء العلمي باللُّغة العربية توازي الفائدة من دخول السوابق واللواحق على الكلمات"⁹. كما أنّ كلمة واحدة أيسر في الحفظ من كلمتين أو أكثر. وهذا ما يفسر شيوع مصطلح التناص على حساب المصطلحات الأخرى كالتداخل النصي فهو مشتق من تناص، تناصًا، على وزن تفاعل، التي

8 - محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، ج 3، دار توبقال المغرب. 1990، ص 181.

9 - مجلة اللسان العربي، ع 39، ص 30.

تدل على التفاعل الحادث بين شيئين نظرا لتمامتهما أو توافقهما، مما يقتضي أن يتقبل الواحد الآخر دون أن يحدث ما يثير التنافر.



التعليق [1C]:

ترجمت السابقة para بالشبيه والنظير، والمجانبة والشاذ¹⁰، ولها دلالات متعددة ترتبط بالشبه والإحاطة كقولنا مثلا Paramédical - أو Paraphérique وقد تتعدى معنى الإحاطة لتحمل معنى المنع كقولنا Para-pluie، ومن خلال هذه الترجمات المختلفة تماما، والتي يبتعد فيها مصطلح ملحقات النص مع مفهوم هذه العلاقة التي تربط النص بما يحيط به من عنوان وعناوين داخلية، ومقدمة، وإهداء، وغلاف وكلها بمثابة العتبات Seuils كما يقول "جنيت" لكنه فضل مصطلح Paratextes لتقنيته، وهي العناصر المذكورة التي تحيط بالنص، وتساعد القارئ الذي لا يعود إلى التوثيق الخارجي على معاملة النص معاملة خاصة، ويحصره في أطر محددة¹¹ وهذا يعني أن هذه العناصر تلعب دور الممهّد والدادل على ما سوف يكون عليه النص، وإن كان مصطلح الترافق يؤدي جزءا من المعنى فإن عدم تقنيته وغياب عنصر النص يبعده عن المفهوم، فيبدو أقرب إلى حقل آخر كالحقل الاجتماعي مثلا، والجهاز المفهومي في حقل علم النص يترجمه نسق لغوي تتعالق وحداته للكشف عن البنية الداخلية لهذا العلم، وهذا ما

10 - ترجمة أحمد شفيق الخطيب، مجلة اللسان، ع 19، ص 58.

11 - PALIMPSESTES, p.10.

يعكسه ظاهرياً مصطلح المناصّة التي يذكر سعيد يقطين أنه صاغها من ناصّ (ناصر) مناصّة (مناصصة) وأدغمت الصاد، على وزن مفاعلة التي من فاعل وتأتي كما أشار سعيد يقطين في تعليقه لهذا المصطلح، لإفادة الاشتراك والجوار بين النصين مثلما عثر عليه عند فخر الدين قباوة في كتابه علم الصرف، بإيحاء من الأستاذ أحمد الإدريسي¹².

إنّ مصطلح المناصّة وإن كان يؤدي معنى المفاعلة (التفاعل) وهي العلاقة الأساس بين عناصر "Paratextes" والنص، إلّا أنّها لا تحوي مفهوم الإحاطة أو الموازة المرتبط بسابقة Para ولعل في عدم تداوله دليل على عدم إيفائه بالغرض على الرغم من أنّ سعيد يقطين يبدو على وعي بمنهجية وضع المصطلح كاستشارته ورجوعه إلى اللغويين، ومحاولة فهم المعنى الوضعي لمادة نصص، والمعنى الفرعي للكلمة المشتقة مناصّة، لكن اشتراكها فيه مع كلمة تناص تجعل الفرق غير واضح بين المفهومين، وحذا لو كان اتجاه التعاون بين المترجم واللغوي يتعدى الاستشارة الواحدة، "وإن كان التعاون المتخصص في مجال ما، بين الأخصائي اللغوي لا يؤدي دائماً إلى أفضل النتائج كما يقول أحمد الخطيب"¹³.

وهذا يعني أنّه يفترض في منهجية وضع المصطلح معرفة اللّغة التي ينقل عنها، ومعرفة خصائص اللّغة التي ينقل إليها. وهذا هو الإشكال الذي تطرحه ترجمة النص المرادف، والنص الموازي، فإذا كانت الموازة تحقق وجود مشابهة

12 - سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص 102 (الهامش 19)، ط1، المركز الثقافي

العربي - بيروت - الدار البيضاء، 1989.

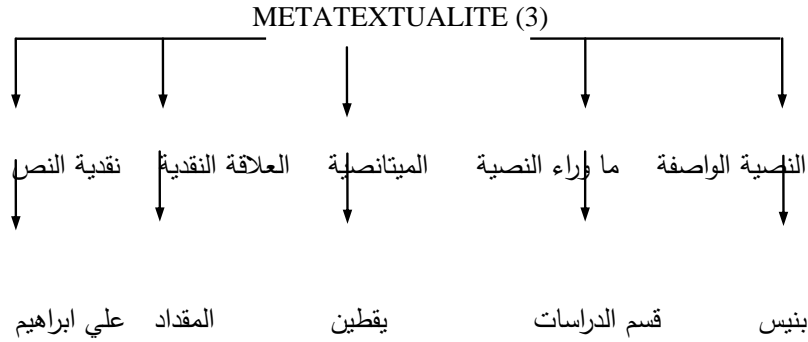
13 - أحمد الخطيب: مجلة اللسان العربي، ع 19، ص 38.

أو مناسبة بين مدلول السابقة Para اللغوي ومدلولها الاصطلاحي حين ألصقت بالنص، فإنّ هذا يشير إلى أن مصطلح بنيس يستوعب المعنى العلمي «paratextualité»، على الرغم من أن تفضيل الكلمة المفردة على العبارة أفضل لأنها تسمح بالاشتقاق والنسبة والجمع والتنثنية، والنصية الموازية أفضل من المرادفة لما توحى به كلمة مرادفة بالتطابق في المعنى مع ما ترادفه. ولكن يبقى أنه لدينا في تراثنا مصطلح "الحواشي" الذي يطابق في مدلوله مصطلح Paratextes، لأنه يشتمل على الشروح والفوائد والفروع والعناوين وكلها تشير إلى عناصر Pratextualité كما أوردها "جيرار جنيت"، ولقد أشار حسام الخطيب إلى مصطلح النص المرقل في الإعلاميات¹⁴ يمكن أن يؤدي المدلول نفسه الذي قصده جنيت من «Paratexte». وتبقى ضرورة اعتماد الأفراد في المصطلح ليس من باب الامتثال المطلق لهذه القاعدة، ولكن إذا وجد فقط لدينا البديل في تراثنا، وهذا ما يدخل في باب التأصيل على غرار ما يفعل طه عبد الرحمن في مجال المصطلح التداولي «Pragmatique».*

14 - حسام الخطيب: الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع «Hypertexte»، ط 1،

المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر، سوريا، 1996.

* - نذكر على سبيل المثال كتبه في أصول الحوار وفلسفة علم الكلام، اللسان والميزان، فقه الفلسفة وغيرها.

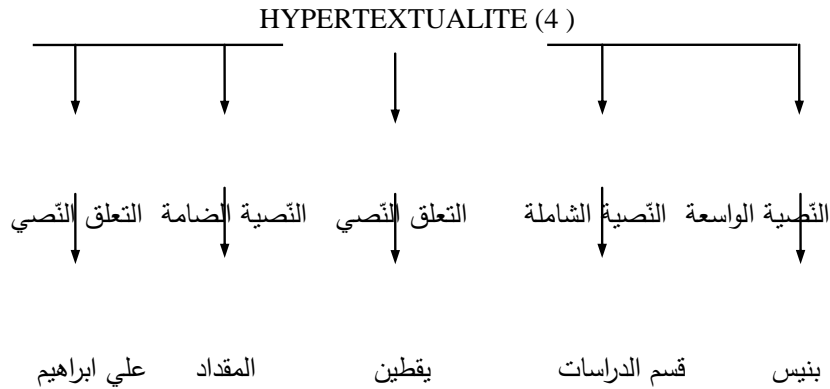


نلاحظ في البداية أن الترجمة اللغوية للسابقة META والتي تعني: وراء، بعد، تغير، تبدل، لا تتناسب مدلولاتها هذه مع ما اصطلح عليه "جيرار جنيت" بظاهرة METATEXTUALITE، والتي هي علاقة تعليق بين نص وآخر يتحدث عنه دون ضرورة ايراده أو استحضاره¹⁵. وإذا كان التعليق على الشيء يأتي بعده، وقد يحدث تغيرا فيه، فهذا لا يخول لنا ترجمة هذه العلاقة بـ ما وراء النصية، لأنها ترجمة حرفية مستهجنة، لاتفي بالغرض، وهي ترجمة مضللة تبتعد عن الدقة، التي لا نكاد نعثر عليها كذلك في مصطلح ميتانصية لسعيد يقطين، وهو تعريب جزئي للسابقة META، وتعتبر من أكثر الوسائل خطورة على العربية، لأنّ تعريب المصطلح كاملا أهون، بل إنه يغدو ضرورة في بعض المصطلحات العلمية كـ بعض الألفاظ المشتقة من اليونانية كـ تليفون، وتلفزيون، وبعض الأسماء الكيماوية، كالـ يورانيوم، والبلوتونيوم. والجدير بالذكر أنّ مجمع القاهرة يورد مئات من هذه المعرّيات في المعجم الوسيط. وذلك طبقا للقاعدة المطبقة في التعريب وهي أن كل ما هو أصيل في اللّغة المنقولة يعرّب بالترجمة،

أما الألفاظ العالمية التسمية والمستعملة في معظم لغات العالم المتحضر، فهذه كلها تعرّب¹⁶، ولسنا ندري ما الذي جعل سعيد يقطين يلجأ إلى هذه الطريقة في حين تبدو ترجمة زميله بنيس موقّعة إلى حد كبير فالنص الواصف، مثل اللّغة الواصفة METALANGUAGE تستوعب معنى العلاقة التعليقية للنص، في حين أنّ تعريب ميتانصية لا يفهمه إلاّ المختصون، وقد يغيب المعنى لو كان التعريب جزئياً كما هو الحال عند يقطين.

أما ما وراء النصية فهي كغيرها من الترجمات الحرفية، التي إضافة إلى غموضها، فإن تركيبها من الظرف "وراء" لا يؤدي إلى توليد صيغ مرتبطة بالظاهرة METATEXTUALITE، وليست قابلة للاشتقاق للتعبير عن مختلف المقامات في الصياغة.

أما نقدية النص، والعلاقة النقدية فلا شيء يوحي فيهما بالاصطلاح العلمي المرتبط بالتفاعلات النصية.



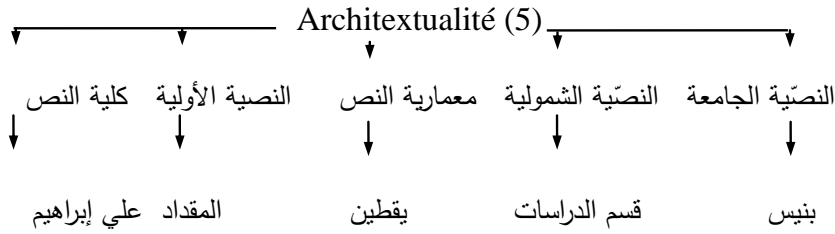
يقصد جبرار جنيت بظاهرة Hypertextualité " كل علاقة جامعة لنص (ب) نص لاحق (Hypertexte) بنص سابق (Hypotexte) يرتبط به بطريقة مخالفة لطريقة التعليق، بحيث أن النص(ب)، لا يتحدث عن النص (أ) ، وإنما ينتج عنه بواسطة عملية التحويل Transformation دون أن يذكره أو يصرّح به بالضرورة"¹⁷، وهذا يعني أنه انطلاقاً من عملية التحويل تبرز علاقة أوسع بين النصين، وكأن النصّ اللاحق ينحدر و يشتقّ من النص السابق فيحمل مواصفاته الأساسية. وبذلك فإنّ ترجمة المصطلح بالتعلق بالنصّي يشترك فيها مع جميع مصطلحات التفاعل النصي وإن كانت تعبر عن شدة التفاعل وعمقه، فربما هذا ما حدا بالمقداد إلى ترجمة المصطلح بالنصّية الضامّة، والضم علاقة احتواء قد لا تسمح بالاختلاف في حين أن نوع العلاقة بين النص السابق واللاحق قد تبدأ احتواءً وتنتهي اختلافاً يعبر عن فرادة النص اللاحق، كما في المحاكاة الساخرة Parodie أو المعارضة pastiche. ولذلك فمصطلحا النصية الواسعة لبنييس والنصية الشاملة لقسم الدراسات يأتیان ليعبّرا على هذا النوع من العلاقة لدلالة الشمول على الاحتواء والتضمّن، مثل الوّسع لكن يفوق مصطلح النصّية الواسعة، النصّية الشاملة، في التعبير عما يفرزه الواسع من طاقة وقدرة على العطاء من خلال الظواهر المختلفة التي تنتجها على المستوى الأسلوبي والدلالي.

وما دامت كل هذه الأشكال من التفاعل النصّي تعبّر عن التعلق فيما بينها وهي العلاقة الأساس التي تقوم بين النصوص، كان يقتضي من المترجم أن يصوغ المصطلح بمراعاة الوظيفة التي تنتج في كل مستوى عن عملية التفاعل هذه، وهذه المعايير المهمة عند سعيد يقطين مثلاً، والتي راعاها بكلّ دقة محمد بنييس حيث تتناسب كلمة واسعة مع المعنى اللغوي لكلمة Hyper والتي

¹⁷ - PALIMPESTES, P13.

تعني "فرط، فوق"، من حيث دلالتهما على الكثرة والزيادة والطاقة؛ في حين أن شملٍ وضمّ تعني الجمع قليله أو كثيره، وعَلِق تعني التشبّث، وكلاهما يعبّر عن العملية وليس عن الظاهرة التي تدل على الكثرة والمبالغة. وما دام مجمع القاهرة قد أقرّ في دورته العاشرة أنه يصحّ صوغ المصدر من الفعل للدلالة على الكثرة والمبالغة على وزن «تَفَعَال» كما تصحّ صياغته ممّا لم يرد فيه فعل للضرورة في لغة العلوم¹⁸.

فإنّه يبدو لي أن كلمة "تَنصَّاص" كانت ستفي بالغرض الذي تعنيه النصية الواسعة تبعا لقاعدة الإفراد في وضع المصطلح.



يجعل جيرار جينت من ظاهرة L'architextualité التصنيف الجنسي Générique لنص ما¹⁹ أي مجموعة من الخصائص العامة التي ينتمي إليها كلّ نص على حده²⁰. ولقد جعلها جينت بديلا لما كان يعرف بالجنس الأدبي الذي اعتقد زواله، واجتماع خصائص كلّ جنس فيما سمّاه بـ Architecte، وكان عبد الرحمن أيوب أول من ترجم هذا المصطلح "بجامع النص" في ترجمته لكتاب

¹⁸ - يراجع المعجم المفصل في علوم اللّغة، ص 775.

¹⁹ - PALIMPSESTES, p.12.

²⁰ - عبد الرحمن أيوب، مدخل لجامع النصّ، دار توبقال، المغرب، ط 2، 1986، ص 1.

جنيت "مدخل لجامع النص" وذلك في بداية الثمانينات وتبناه الباحثون لدلالته على المفهوم الذي أراده جيرار جنيت، على الرغم من أن السَّابِقة Arch من حيث دلالتها اللغوية لا تعبر عن معنى الجمع بل تعني رئيسي-أولي - بدائي²¹، وهذا يعني أنه عند عملية الإلصاق Affixation لصياغة المصطلح قد ينحرف المعنى، فينتقل من الوضع إلى الإصلاح وهذا هو الوضع الذي بدأ به مصطلح Architextualité وكما وضَّحه المصطلح العربي "جامع النَّص" الصحيح من حيث تعبيره عن المفهوم، لكنَّه حيك بنفس الطريقة التي تصاغ بها العبارة الفرنسية، حيث تسبق الصفة الموصوف. وإذا كانت السَّوابق الأجنبية تعتبر في أغلبها صفات، والصفة الفرنسية تستغرق الموصوف ولكنها لا تنزع عنه أهميته، فإنَّ تقديم الصفة في العربية فضلا عن عدم استصاغتها لأنَّ الصِّفَّة تتبع الموصوف، يجعلها تستغرقه من الناحية الدلالية وتُغَيَّبُ "النَّص" وهو المقصود.

ولذلك نجد محمد بنيس يعيد الصياغة الأصلية فيترجم المصطلح إلى النصية الجامعة، والمسافة ضيقة جدا مع مصطلح النصية الشمولية، وإن كان مصطلح الشمولية يوحى بانضمام أشياء أخرى إلى النص كالمسرح والشعر والرواية وغيرها من الأجناس.

إنَّ هناك إرتجالية وعدم دقَّة، تلاحظ على ترجمة سعيد يقطين "معمارية النص" التي عمد فيها إلى نقل المعنى الاصطلاحي لكلمة Architecture، للتعبير عن مجموع الخصائص الأجناسية لنص ما، كما أنَّ ترجمة المقداد الحرفية النصية الأولية لاعتماده المعنى اللغوي للسَّابِقة Arch بأولي، لا يعبر عن المعنى الاصطلاحي المراد. ولقد أشرنا سابقا إلى مخاطر الترجمة الحرفية ويقترح

21 - يراجع أحمد شفيق الخطيب، مجلة اللسان العربي، ع 19، ص 44.

علي إبراهيم مصطلح "كَلِيَّة النَّص"، وبعد ما يشير إلى أنّ عبد الرحمن أيوب ترجمه قبله "بجامع النَّص"، وسعيد يقطين "معمار النَّص"، يخالف الإثنين باقتراحه لأنّ جبرار جنيت كما قال يقصد من خلاله مجموعة الخصائص العامة التي تجعل من النَّص كلاً (جنساً)²²، وهذا الاستنتاج لا ينفي كون النَّص مجموع خصائص عامة تجعل منه نصّاً، مثلما فهمه من ترجموا المصطلح قبله. وتبقى كلمة الكَلِيَّة التي هي مصدر صناعي من اسم يدل على شيء معنوي مجرد وإن عبّر عن تحقق الجمع، لا يفي بمفهوم الخصائص العامة الجامعة، لأنّ الكَلّ قد يرتبط بخاصية واحدة. ولكن يبقى الاختلاف دلالة على الرغبة في التمييز والتفرد، وحتى وإن التفت الأخير إلى الأوّل فليس من باب التأكيد من أنّ المصطلح السابق قد يفي أو لا يفي بالعرض ، ومحاولة إيجاد منهجية ملائمة لوضع المصطلح وآلياته وإشاعته واستطاعته بل لمخالفته فقط، وقد يغيب عن ذهنه، أنّه لا يكفي أن يكون المصطلح قد صيغ على أسس لغوية سليمة أو أقرته سلطة ما "فالمصطلح قد لا يشيع ويبقى في بطون الكتب والمعاجم لأسباب اجتماعية ونفسية يدرّسها أصحاب علم اللّغة الاجتماعي، وقد يضطر المترجم إلى استعمال مصطلح يرى فيه عيباً عملاً بمبدأ الشيوخ والانتشار"²³.

إنّ هذه المصطلحات التي تنتمي إلى نظرية النَّص، والتي صاغها جبرار جنيت لوصف الهيئة التي يرد بها النَّص في تفاعله مع بقية النصوص السابقة عليه، وعلى الرغم من التقاطع بين هذه الهيئات والاقتراب المعنوي بين

22 - يراجع علي نجيب ابراهيم، "انفتاح النَّص"، مجلة البحرين الثقافية، 4 - 2000، ص 129.

23 - يوسف إلياس، "ترجمة النصوص الاخبارية"، المجلة العربية للدراسات الدولية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ع 2، 1984.

المصطلحات المعبر عنها، فإنّ هذا ليس مبرراً لهذا الاختلاف في المصطلحات وقد يلاحظ أنّ دخول السّوابق على كلمة نصّ كان سبباً في هذا الارتباك، بدعوى أنّ هذه السّوابق هي من خصائص اللّغات الأوروبيّة. لكن اتفاق الأساتذة الأخضر غزال، ومحمد رشاد الحمزاوي، وأحمد شفيق الخطيب على أنّ ما يعتبر سوابق ولواحق ما هو إلّا جذور في واقع الأمر، وإذا أدركنا أنّ جذور اللّغة العربيّة وحدها، والتي تنتمي لما يعرف بمجموعة اللّغات السامية تبلغ 9273 جذراً، في حين تضم مجموعة اللّغات الهندوأوروبيّة التي نقلت عنها العربيّة مصطلحاتها في القرن العشرين 500 جذراً، فإنّ القول بغنى اللّغات الأوروبيّة في هذا الميدان وعجز العربيّة فيه، يجانب الحقيقة ويحتاج إلى إعادة نظر²⁴.

وعليه فإنّ ما يلاحظ على هذه النماذج - من ترجمة خمسة مصطلحات تنتمي لحقل معرفي دقيق، هو التفاعل النصّي - والتي امتدت على مدى عشرين سنة من سنة 1979- حين ترجم محمد بنيس Intertextualité بالتداخل النصّي - تدل على أنّ الإشكالية ليست إشكالية ترجمة السّوابق واللّواحق ولا إشكالية اللّغة العربيّة بل هي إشكالية المترجم العربيّ.

فليس هناك منهجية واضحة عند هؤلاء معلنة في ترجماتهم، عكس ما يفعله طه عبد الرحمن مثلاً في وضعه المصطلح التداولي حيث يعرض المنهجية ويعلل الأسباب التي جعلته يلجأ لمصطلح دون آخر.

باستثناء محمد بنيس، فهناك عفوية وارتجالية ورغبة في الاختلاف في الترجمة، ولو نحا من جاء بعد بنيس منحاه في الترجمة لما أصبحنا أمام كم هائل

24 - مجلة اللسان العربي، ع 24، ص 64.

من المصطلحات المترادفة بحجة اللّحاق بالكم الهائل من المصطلحات التي ترد علينا يوماً بعد يوم، دون أن يلتفت الآخر للأول.

تُعبر المصطلحات التي وضعها جنيت عن الصفة التي يرد بها النصّ نتيجة لدرجة معينة من التفاعل من المستوى الأقل تجريداً إلى أكثر تجريدية، وكان بالإمكان الاستفادة من ظاهرة الترادف في العربية، والتي يُقرّ المفكرون بها، أو المثبتون لورودها أنّ كثيراً من المترادفات بينها فروق في المعنى كالإختلاف في الصفة والدرجة كالجمع والشمول والانتساع، بحيث يمكن التعبير بها عن الصفة أو الدرجة التي يستعمل لها الغربيون السّوابق مثل *super, supra, hypo*، وهذا يعني أننا نجد من المترادفات في اللّغة العربية ما يحقّق المطلوب دون الحاجة إلى التركيب. ولا يتسنى ذلك إلا بالعودة إلى معاجم المعاني، وليس معاني المفردات كما هو معمول به، ومعاجم المعاني هي المعاجم المرتبة على حسب الموضوعات فهي تعقد أبواباً وفصولاً للمسميات التي تتشابه في المعنى وتتقارب وتورد كل المفردات المتعلقة بالموضوع، كالمخصّص لابن سيده ويمكن الاستفادة منها للتعبير عن الدرجة أو الزمن والبداية والنهاية وتقابل معاني السّوابق في اللّغات الأجنبية التي يعبر أغلبها على صفات تعكس الدرجة أو المكان والزمان *Arch - hyper - super - supra - hypo* وغيرها وعند العرب أوّل الأشياء وآخرها كأوّل المطر الرّذاذ وآخرها الطوفان وبينهما معاني تعبر كلها عن شدّة هطول المطر.

لقد أشار محمد يوسف²⁵ أنّ ظاهرة الإلصاق « Affixation »، المرتبطة بالسوابق واللواحق في اللغات الأجنبية، ظاهرة واقعة في اللغة العربية وهي من الصور الصرفية التي يتم بها الاشتقاق، وهو موضوع متخصص جداً، لذلك يشير إلى المهتمين بالصرف الذين يتوقف على عاتقهم حلّ هذا الإشكال، ولقد وفق قسم الدراسات في ترجمته لمصطلحي Hypertextualité و Architextualité في ترجمة الأولى بالنصية الشاملة والثانية النصية الشمولية. وإنّ القارئ العادي، بل اللغوي غير المتخصص الدقيق في علم الصرف توحى له هذه الترجمة بازدياد اللغة العربية، حين يعبر بكلمتين من نفس الجذر عن مصطلحين مختلفين، لكن مع قليل من التأمل نلاحظ أنّ اسم الفاعل الشاملة مرتبط بالموصوف الذي هو النص، في حين تضيف الشمولية معاني أخرى للنص، وهذا هو الفرق بين اسم الفاعل والمصدر الصناعي الذي يصعب إدراكه، وعليه فلو استغلّ قسم الدراسات هذه المنهجية في الترجمة لطابقت المعاني التي أرادها جيرار جنيت من هذه المصطلحات التي لا يبدو الفرق بينها إلا في الزيادة في المعنى. وهنا نشير إلى ضرورة استغلال الصيغ الصرفية المختلفة للتعبير عن المعاني المختلفة باختلاف الدرجة، الزمن أو غير ذلك.

وليس هناك مبرر للقول بأنّ السوابق واللواحق من طبيعة اللغات الأجنبية، وهي غريبة عن اللغة العربية، لأنّ اللغات المتطورة تستعمل ظواهر ليست من طبيعتها لسدّ الحاجة العلمية، كاللغة الإنجليزية التي لجأت إلى النحت لاستحداث ألفاظ جديدة دعت إليها الحياة العصرية على الرغم من أنّ النحت ليس من

²⁵ - يراجع محمد يوسف حسن، "في تمكين العربية من الأداء العلمي"، مجلة اللسان العربي،

طبيعتها، فاستحدثوا كلمة Brunch المنحوتة من Breakfast وLunch للتعبير عن وجبة بين الإفطار والغذاء²⁶.

لقد لوحظ أنّ معظم السّوابق واللّواحق يمكن التصرف في معظم حالاتها باستخراج الصيغة الاشتقاقية من الجذر المعني، حيث تفيد المعنى الذي يفيد إلصاق السابقة أو اللّاحقة.

- لا شك أنّ الاختلاف في الترجمات، يوقفنا على فردية وضع المصطلح على الرغم من وجود مؤسسات قائمة على وضعه، فهل هذا يعني أنّه فضلا عن عدم التفات الآخر إلى الأوّل، والاطلاع على الترجمات السابقة، يدلّ كذلك على عجز هذه المؤسسات في الإلمام بمختلف المجالات المعرفية، كالنقد الأدبي مثلا، أو ضرورة اضطلاعها بترجمة الكتب ونشرها كذلك.

- إنّ السّوابق واللّواحق والتي تعدّ جذورا في اللّغات اللاتينية واليونانية التي هي لغات مبنية، قد لجأ إليها الغرب لحلّ الإشكالية المصطلحية عندهم، فلماذا لا نلجأ إلى الجذور الرّائدة في اللّغة العربية. بل لو التفت المترجمون إلى التراث لوجدوا فيه من الكلمات ما يتجاوز المصطلحات المرتبطة بالتفاعل النصّي عند الغرب. فلقد بيّنت النماذج المعتمدة جهلا بالتراث اللّغوي من خلال الترجمة الحرفية والتعريب الجزئي، واللّجوء إلى الغموض باسم الحدائث التي جنت على المصطلح الغربي ومقابلته بالعربية على السّواء.

أخيرا ولتجاوز الإشكالية يجب العمل على قيام شبكة معلومات عربية للأنشطة المصطلحية على غرار الشبكة الدولية في مركز المعلومات الدّولي لعلم المصطلح « Infoterm »، فمن خلال مثل هذه الشبكة تتيسّر مجارة النشاط

المصطلحي العالمي، وتسهّل إشاعة المصطلحات الموحّدة بين العاملين في هذا المجال في كل أنحاء الوطن²⁷، وسوف يكون للإعلام الآلي دور كبير في هذا المجال من حيث إشاعة المصطلح وتوحيده، فيطلع عليه القارئون على الترجمة دون عناء.

لقد ركّزنا في هذه المداخلة على المصطلحات المركّبة من السوابق، ورسدنا إشكالية ترجمتها، ولعلّ الإشكالية أعمق في المصطلحات التي تنتهي باللواحق كـ isme وité وtion التي تترجم كلّها بصياغة المصدر الصناعي، وسيكون له مجال آخر في بحث مستقل.

²⁷ - يراجع مجلة اللسان العربي، ع 39، ص 45.

المقابل الدلالي في المعجم الثنائي وأثره في الترجمة

د. أحمد عزوز

كلية الآداب، اللغات والفنون / جامعة وهران - السانوية.

مقدمة

تؤكد الدراسات الدلالية والمعجمية أنّ أما كثيرة عرفت المعاجم منذ أقدم العصور، ألفتها لتكون خزائن تحيط بمادة لغتها فوضع الصينيون في سنة (150) قبل الميلاد معجما عنوانه شوو-أوان (SCHWO - WAN) وفي سنة (530) بعد الميلاد ألف كويي - وانج (KU - YE² WANG) معجما آخر اسمه يو - بيين (YU - PIEN).

وساهمت الأمة الرومانية في التأليف المعجمي، إذ عرفت معاجم منها "معاني الألفاظ" الذي ألفه "هزيشيوس السكندري" (HESYSHIUS) في القرن

الرابع الميلادي، وهو معجم للهجات والتعبيرات، وألّف "أمونيوس السكندري" (AMMONIUS) معجماً لمعاني المشترك اللفظي (1). أمّا اليونان فمن معاجمهم معجم الغريب لـ "هلاديوس السكندري" (HELLADIUS) في القرن الرابع الميلادي، ومعجم يوليوس بولوكس الذي رتبّه بحسب الموضوعات.

وعرفت الأُمَّة العربية أنواعاً من المعاجم، يمكن اعتبارها متطوّرة بحسب الزمان الذي أُلّف فيه حتّى أصبحت بعد مرحلة من تاريخ التأليف المعجمي أساساً لعلم مستقل بذاته.

وشهدت المعاجم لدى الأُمَّة الغربية - بعدما أفادت من تجارب الشعوب التي سبقتها - تطوّراً ملحوظاً، وغدت منها يستقي منها الدارس معارفه وشروحه، وعرفت عدداً ضخماً منها وأنواعاً كثيرة يكاد يفوق ما أنتجته الأمم الأخرى سواء في عصورها القديمة أو ما تنتج في العصر الحديث.

خصائص المعجم

وليقدم المعجم أهمّ خدمات للقارئ يفترض أن يكون ذا مميّزات وخصائص

منها:

- 1 - أن يجمع الرصيد المفرداتي للغة،
- 2 - أن ترتب مواده،
- 3 - وتعرّف مداخله.

1 - جمع الرصيد المفرداتي

إنّ أهمّ ما تميّزت به مناهج جمع الرصيد المفرداتي من ألفاظ حضارية ومصطلحات علمية هو تيسيرها للوقوف على أهمّ الثغرات والفجوات المفرداتية

التي يكون المعجم أغفلها ليعيد إدماجها، أو توليدها صورياً أو دلالياً، وكل ذلك من شأنه أن يثري المعجم ويغنيه.

وفهم الحقول الدلالية في لغة أو أكثر يكشف الثغرات الخاصة بالألفاظ والدلالات التي يفتقر إليها هذا المعجم أو ذاك في اللسان ذاته، أو بالمقارنة مع معاجم مفهومية في السنة أخرى.

ويبدو أنّ المعجم العربي المعاصر لم يتمكن من جمع رصيده المفرداتي، ويوضح ذلك جليا من وجود ثغرات مفرداتية كبيرة تصل إلى ما يعادل خمسين بالمائة (50%) في بعض الحقول بالمعاجم العربية المعاصرة، فعلى سبيل المثال إنّ المقارنة بين المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، ومعجم لاروس الصغير من خلال حقل وحدات قياس الأطوال - حسب النظام المتري - توقف الدارس على أنّ هناك ثغرة مفرداتية في المعجم الوسيط تقدّر بزهاء ثمانين بالمائة (80%) بالمقارنة مع ما أثبتته معجم لاروس الصغير، فبينما يكتفي المعجم الوسيط بإثبات (2) مدخلين هما: (المتر والكيلومتر) من أصل عشر وحدات، يثبتها لاروس الصغير كلية وهي: انغستروم - ميكرومتر - ميليمتر - سنتيمتر - ديسيمتر - متر - متر مربع - ديكامتر - هيكتومتر - كيلومتر (3).

والمشكلة القائمة هي أنّ المتعلم أو الباحث لا يجد هذه المجموعة من الكلمات أو المصطلحات في معجمه، وبالتالي عليه ملء هذا القطاع إمّا من اللغة نفسها أو من الألسنة الأخرى بمقارنة لسانه بها، فينقل ما هو ناقص فيه أو يعزّبه أو يضيف الجديد إلى لغة الهدف.

وتطرح في مثل هذه المسألة دقة المصطلح والتخصيص، وهما سبيلان من سبل تكوين الفكر العلمي الواضح الذي تحتاج إليه كلّ أمة في تربية أبنائها

عليه، لأنه يعدّهم للعمل والبحث العلمي والإبداع وحسن التواصل وغير ذلك من الوظائف الأساسية التي تقوم بها اللغة، ولا يمكن للغة المتّصّفة بالعموم والإبهام أو الغموض أن تكون أداة تعبير عن التفكير العلمي الذي يطمح إليه.

ب - ترتيب المواد

فما هو معروف أنّ المعاجم نوعان: معاجم الألفاظ وهي التي تقدّم المعنى لمن له اللفظ، ومعاجم المعاني أي ذات الترتيب المفهومي التي تقدّم اللفظ لمن ليس له المعنى، ولا شكّ في أنّ ترتيب بعض المعاجم بحسب الحقول الدلالية (بحسب الموضوعات) يعدّ أمراً مطلوباً بل ضرورياً، وبخاصة في المصطلحات العلمية والفنية والتقنية المحدودة التداول، ولذا تكمن أهميّة المعجم المفهومي في تسهيل تحديد حقل الكلمة ومجال استعمالها، وضبط المعنى المقصود من ألفاظ التعدّد الدلالي وبخاصة المشترك اللفظي.

بالإضافة إلى ما سبق فإنّها تسهم في استنباط الفجوات الموجودة في تعريف مداخل المعجم وبخاصة حين المقارنة بين اللغات في المجال الاصطلاحي والمفرداتي، كما أنها تدقّق في تعريف المداخل .

ج - تعريف المداخل

يعتبر تعريف المداخل في حضور كلمات الحقل الواحد أنجح منهجية توصل إليها الدرس المعجمي المعاصر؛ إذ ييسر تعريف جميع المداخل حتى تلك التي يستعصى شرحها وتوضيحها.

*دور التركيب في فهم دلالة المدخل

يفرض التواصل بين الأفراد وجود قائمة من الكلمات مشتركة بينهم يفهمون معانيها بكيفية متشابهة أو متقاربة، ولكن دلالات الكلمات المعنوية يصعب عليهم الاتفاق حول تحديدها، لأنّ درجة فهمها تتفاوت من شخص لآخر، تبعاً للتجربة التي مرّ بها كلّ فرد، وطبيعة البيئة التي ينتمي إليه المتكلّمون باللغة، ومستوى التعلّم، وغيرها من العوامل التي تسهم في تحديد الدلالة.

ويكون فهم الكلمات متماثلاً أو متشابهاً حينما يكون اتفاق ضماني حول توظيفها واستخدامها، ومن هنا كان تعريف الكلمة الذي يعدّ تحقيقاً لهذا الاتفاق أمراً مهماً في استعمال المعاجم (4).

وفهم معنى الكلمة بوجودها في التركيب الذي يسهم في إبراز معناها ويجعلها متباينة عن تلك التي تقاربها في الدلالة أو تبدو مشابهة لها، بالإضافة إلى الوظائف الدلالية ذات الارتباط بالمحيط والثقافة اللذين يعبران عن دلالة اللفظ المستقلة عن كلّ كلمات اللغة (5).

فالعالم كما هو موجود ومتصوّر هو إنتاج لثقافة المجتمع ولنظام اللغة المعجمي الذي يتواصل به الأفراد، وكلّ كلمة لها مرجعها في العالم الخارجي، توظّف في تركيب ترتبط بالعالم أو بجزء منه بطريقة تختلف عن الكلمات الأخرى.

فمعنى الكلمات محدّد وفق قائمة بمفردات اللغة، وترتبط فيما بينها بمجموعة من الظواهر المتشابهة والقابلة للمقارنة والاستبدال، ويتحدّد المعنى أكثر حين ظهوره في بنية المعجم الذي يمتلكه المتكلم، أو وفق التغيّرات التي تطرأ على معاني الكلمات المرتبطة بالحقل المعين (6)

والمعجم هو حقيقة اللغة التي يكتسبها الفرد عن طريق معرفة المفردات الخاصة التي تتوافر على حقيقة الخطاب، وهو يتجاوز المفردات، ولكن لا يبلغ إلاّ بها، ولا تكون المفردات إلاّ بوجود المعجم لأتّها عينة منه، وعلى الرغم من أنّه يصعب معرفة عدد الكلمات التي تكوّن معجم اللغة، إلاّ أنّ عددها محدّد نسبيا في اللغة المعيّنة، وهو قابل للإثراء والازدياد والافتقار (7).

وكلّ لغة تمتلك صورة عن الوجود خاصة بها، وتتميّز نظرة الناطقين بها إلى الحياة عن غيرهم، لاختلاف لغتهم عن اللغات الأخرى، ومجموع كلماتها يدلّ على الجنس، أو النوع، أو أصناف الموجودات المادية والمعنوية، والكلمة الواحدة في أيّة لغة تدرج تحتها مجموعة تطول أو تقصر من الألفاظ كالمكتب والكرسي والناقاة والفرح والحزن، فكل لفظ من هذه الألفاظ يضمّ عددا من الأفراد أو الأحداث جمعت تحت عنوان واحد، وكوّنت صنفا واحدا، ولذلك كانت مفردات كلّ لغة من اللغات ضربا من التصنيف للموجودات الذي يعد أساسيا في فهم العلاقة بينها (8).

والتصنيف هو تقسيم الأشياء أو المعاني وترتيبها في نظام خاص، وعلى أساس معيّن، بحيث تبدو الصلة واضحة بين بعضها البعض، مثل تصنيف الكائنات، وتصنيف العلوم (9).

وهو ما عبّر عنه فندريس قائلا: "إنّ الذهن يميل دائما إلى جمع الكلمات، وإلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تنتبث دائما بعائلة لغوية" (10).

وعلى هذا الأساس إنّ الكلمات لا تشكل وحدة مستقلة، بل إنّ بعض اللغويين يرفض وينكر أن يتم اكتساب اللغة في شكل كلمات مفردة، أو يكون

المتكلم واعيا بالكلمات منعزلة أثناء عملية الكلام (11)، وإذا بدا له ذلك في بداية الأمر، فإنّ الاكتساب يكون انطلاقاً من تركيب مقدّر أو مضمر أو محذوف تفهم ضمنه الكلمة التي يتعلّمها الفرد.

ويستشف من قول فندريس أنّ جمع الكلمات في مجموعات يعتبر من خصائص العقل الإنساني الذي من طبيعته الميل نحو التصنيف والبحث عن العلاقة التي تكوّن أجزاء هذه المجموعة أو تلك حتى يتسنى له فهمها ووضع قوانينها ثمّ الحكم عليها والاستنتاج.

تطور مجالات الاتصال وأهمية الترجمة

اتّسعت مجالات الاتّصال بين البشر منذ أن أشرف القرن العشرون على نهايته، بفضل التطور السريع لوسائل الإعلام المختلفة والمواصلات، فبات العالم قرية صغيرة يتعاون فيها العلماء والخبراء ومفكرو الحضارات فيما بينهم.

وأصبحت كلّ لغة تعمل على مواجهة التطور التقني والعلمي والتكنولوجي الذي أذهل العلماء أنفسهم، وتسعى جميع الأمم جاهدة لجعل لغتها مواكبة لمستجدات الحضارة بل لغة لها، فعمدت إلى ترجمة ما يصدر من فكر ومعارف وثقافة من اللغات العالمية المتعدّدة، فدقّقت في المصطلحات بوضع المصطلح الواحد ذي المضمون الواحد للمفهوم الواحد في الحقل الواحد (12).

وأدى تطوّر العلاقات الاقتصادية الدولية إلى ازدياد حجم الترجمة المتخصّصة في مجالات القانون والاقتصاد، وفي داخل دول المجموعة الأوروبية تترجم الوثائق الأساسية المرتبطة بقوانين كل دولة من هذه الدول ونظمها الاقتصادية إلى اللغات الأخرى حتى يمكن التخطيط للتعاون والتكامل بين هذه الدول.

وهناك حركة ترجمة واسعة داخل دول أوروبا كلّها، تهدف إلى تنظيم أشكال التكامل والتعاون بينها، وهناك ضرورة مماثلة في العالم العربي المعاصر لتنمية علاقاته مع باقي دول العالم الإسلامي والدول الأخرى في العالم المعاصر. ومن البديهي في هذا الصدد أن تكون المصطلحات مقنّنة واضحة الدلالة حتى تؤدي الترجمة وظيفتها في نقل المحتوى بدقة وأمانة التخصص (13).

ومن الضروري الإشارة إلى أنّ المعارف لا تعرف اليوم وطنا بعينه فتستقرّ فيه، ولا تنقيد بالحدود الإقليمية والوهمية المفروضة منذ عصور خلت، فقد تجاوزت التخوم التي صنعها الساسة والخرائط التي أبدعها الجغرافيون، وباتت تنتقل من عقل إلى عقل ومن بيئة إلى أخرى غير عابئة بعقبة اللغة.

فالعلم إنساني، قابل للنموّ والإثراء، ممّا اقتضى التجاوب والتفاهم بين الألسنة المتعدّدة في العالم، على الرّغم من أنّ الاختلاف بينها في تصنيف الموجودات ظاهر وجلي، لأنّ كلّ لفظ لا يقابل لفظا "نظيره من اللغة الأخرى مقابلة تامّة لاختلاف مفهوم الشعوب للوجود واختلافها في تصنيفه" (14).

ويعود ذلك إلى أنّ كل لغة تقطع واقع الحياة التي يعيشه المتكلمون بها بصورة مغايرة - قليلا أو كثيرا - لما تعبّر به لغة أخرى، فكل لغة لها تصوّرها الخاص للعالم، ولها عبقريتها ونظامها، فالإنجليزية مثلا أكثر واقعية وتركيبية وتفضل الأفعال وتستعمل الكلمات القصيرة، البسيطة وتكون - في أغلب الأحيان - رنانة، وتوظّف الفعل في مجريات الحدث، أمّا في الفرنسية فهي أكثر تجريدا وتحليلا، وتفضل الصفات (15)، والعربيّ سليل الصحراء تقرّ عينه بالنبا السارّ الذي يثلج صدره، بينما يتوّق الفرنسيّ إلى مثل هذه البشرى التي تدفيء صدره " cela lui réchauffe le coeur " (16).

وتختلف نظرة الفرنسيّ إلى الخروف (MOUTON) عن الإنجليزي الذي يطلق (MUTTON) على الخروف عندما يكون مفصلا إلى قطع لحم (17)، وتختلف نظرتة عن الإسباني الذي يرى في (POISSON)،(E LPESCADO) إن قصد به جنس السمك و(PIEZ) إن كان سمكا يصاد ويؤكل ويستهلك.

فالكلمة الواحدة يمكن أن تكون لها دلالات مختلفة في لغات مختلفة مثل (CLERC) في الفرنسية هو موظف لدى الموثق، في الإنجليزية هو موظف مكلف بالكتابة، وفي اللغة الأمريكية لها هذه المعاني جميعا بالإضافة إلى معنى البائع(18).

ومما هو متداول - اليوم - أنّ أمم العالم تتفاهم فيما بينها، ويستوعب مفكرو أمة معيّنة ما تجود به قريحة علماء أمة أخرى، وتبدعه عقولهم، وما ذلك إلا لازدياد أهمية الترجمة في إطار التعاون الدولي الذي يتجاوز الحدود الوطنية واللغوية، فهناك تعاون وثيق بين كثير من المؤسسات العلمية والصناعية في دول العالم الغربي ويتطلب هذا التعاون الاطلاع الدائم على البحوث والتقارير التي تعدّها الجهات المتعاونة، ويؤدي هذا إلى ضرورة ترجمة بعض الوثائق التي يفترض أن تكون المصطلحات المستخدمة في هذه التقارير والوثائق والبحوث مقننة على نحو يسمح بالاطّلاع عليها في يسر، ويجعل ترجمتها أيضا عملا دقيقا وواضحا.

فهناك سلع كثيرة يتم إنتاجها في موقع لتوزع في مناطق ذات لغات مختلفة، وهنا تكون ترجمة المواصفات وكيفية التشغيل وغير ذلك ضرورية (19)، مما أثقل كاهل المترجمين وألزمهم تتبع كلّ ما تبدعه لغات العالم وتكتشفه مهما قلّ شأنها، لنقلها إلى ألسنتهم.

المعجم الثنائي والترجمة

وفي واقع الأمر، إنّ المترجم مبدع، والترجمة ليست عملاً هيناً يقبل عليه من استغلقت آفاق تفكيره وضعفت ملكاته الإبداعية، فيفترض أن تكون طبيعية بحيث لا يشعر القارئ بأنه يطالع ترجمة، فهي نوع من أنواع الإنتاج الفكري، وهي نشاط قريب من الأدب وشبيه به، وهي أداة إنتاج كسائر الأدوات الأخرى المستعملة في الإنتاج الزراعي أو الصناعي (20)، وهي - أيضاً - "أصعب من التأليف، لأنّ المؤلف طليق بين معانيه، والمترجم أسير معاني غيره مقيد بها، مضطر إلى إيرادها كما هي وعلى علاتها، إذا لزم الأمانة في الترجمة كما هو الواجب، وإلا فليس مترجماً بل هو مصنّف" (21).

و يعدّ المعجم الأداة الرئيسية والوسيلة الأساسية التي يستخدمها المترجم وسيلة في ممارسة مهنته وأداء وظيفته على أفضل وجه.

ويعرّف المعجم الثنائي اللغة في شكله العام بكونه يضع مقابلات بين مفردات لغتين، يستطيع بواسطتها مستعمله أن يتعرف انطلاقاً مما يعرفه في إحدى اللغتين على ما يجمله في اللغة الأخرى، وهو يختلف عن أنواع المعاجم الأخرى بأنّه يضمّ بالضرورة لغتين مختلفتين، ويكونه يضع مقابل الكلمة - المادة - كلمة أخرى مرادفة لها في اللغة الثانية (22).

وللمعجم الثنائي اللغة أعظم فائدة من الأحادي اللغة الذي يعنى بتعريف كلمة المدخل فقط ويقدم الشروح والمعلومات الكافية لإفهام القارئ، وهو ما اتفقت فيه لغة الشرح مع لغة المدخل، وعادة ما يوجّه لمتكلمي أهل اللغة، أما معجم الثنائي اللغة فتختلف فيه لغة الشرح عن لغة المدخل، ويهتم بتقديم المعلومات عن اللغة المشروحة أكثر مما يهتم باللغة الشارحة.

والمشكلة الأساسية في المعاجم الثنائية أنها تعتمد على الجمع بين لفظ في لغة ولفظ مساو له في معناه المعجمي في لغة أو لغات أخرى، وهو أمر صعب في كثير من الحالات، وخاصة بالنسبة للغات المختلفة ثقافيا بصورة كبيرة (23).

وتقدّم هذه المعاجم المقابلات لكلمات المدخل، مما يتطلب الدقة بتوسيع المقابل بشرح موجز أو توضيح مختصر، وتعدّ هذه المقابلات بمثابة سماعة الطبيب التي إن كانت جيّدة الصنع، دقيقة الصوت، كان أقدر على تشخيص الداء ووصف الدواء.

وعلى هذا الأساس، يحتاج المترجم إلى معجم ذي مواصفات معيّنة، يختلف عن المعاجم العادية التي يستعملها الباحثون والدارسون (24)، لأنه من مشاكل اللغة أنها تعبّر عن معنى واحد بأكثر من لفظ، أي إنّ مفهوما معيّنا في لغة بعينها يعبّر عنه بأكثر من لفظ في لغة أخرى إلى غيرهما من الاختلافات، ومن ذلك أنّ للعربية "العمّة" و"الخالة" أما الفرنسية فتسميهما بلفظ واحد (TANTE)، وكلمة رسالة تقابلها ألفاظ كثيرة مثل (LETTRE)، ويراد بها تلك التي تكتب إلى قريب أو حبيب وهي (EPITRE)، ومنها ما يؤلّف في موضوع معين، ومنها (MESSAGE)، التي يبعثها ملك أو رئيس دولة إلى نظيره في موضوع ما مع رسول يبلغها له، وكلمة الأرض والتراب يقابلهما لفظ واحد (TERRE) (25).

ولهذا تزداد الحاجة إلى "المعجم الثنائي للغة" يوما بعد يوم، بسبب اتّساع مجالات الاتصال بين الشعوب، وضرورة اطلاع كل أمة على ما جدّ لدى الأمم الأخرى من علوم وفنون وآداب، وانتشار التجارة والأعمال المصرفية، وتعدّد العلاقات السياسية الدولية، مما جعل الدقة المتناهية في الترجمة أمرا أساسيا في

التعاون وتوطيد العلاقات لأنّ الاختلاف حول معنى كلمة في اتّفاق أو معاهدة أو إعلان وثيقة قد يكون سببا في عواقب وخيمة جدا.

ومن هذا المنظور كانت للترجمة أهمية خاصة في المؤتمرات واجتماعات الخبراء والندوات المتخصصة، واستقرّ فيها العرف على اختيار لغات بعينها تتداول بين المشاركين، وتترجم أعمال المؤتمر إلى كلّ اللغات المعتمدة فيها، ولا يمكن أن تتمّ هذه الترجمة في المؤتمرات واجتماعات الخبراء والندوات إلّا إذا كانت المصطلحات في اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها مقننة وواضحة الدلالة (26).

ولمّا كان التباين بين اللغات جميعها واضحا، فإنّ العناية البالغة والاهتمام الكبير بالتحليل المفرداتي (L'analyse lexicologique) و"الإحصاف" (La mise au point) أساسيان في مراحل إعداد معاجم الترجمة لأنّه من خلالها تدرس المشاكل الدلالية المتعلقة بمسألة ترادف ألفاظ لغة بنظيرتها الأجنبية (27).

ومن ثمّ يحرص المعجم للغة ما على تقديم المعلومات الدقيقة سواء أكانت علمية أم أدبية أم فنية حتّى يعمّ نفعه، ويستأنس به المترجم في عمله، لأنّه المرجع الأساسي الذي يركن إليه ويحيل عليه (28)، و"تقاس قيمته وجودته وفائدته لمستعمليه بمدى إلمامه بالتعبير الاصطلاحي والسياقية" (29) التي تزيل اللبس والغموض اللذين يعترضان سبيلهم.

فالمعجم الثنائي للغة يعنى أصلا بمقابلات مداخل لغة معيّنة بكلمات لغة أخرى دون تعريفها أساسا، ويمكن للمعجمي أن يعثر على المقابلات الكاملة، ويضطرّ في حالات أخرى إلى إعطاء مقابلات جزئية ثمّ يضيف إليها نوعا من التعريف أو الشرح أو التوضيح.

ولمّا كانت كلّ لغة تصنّف العالم والواقع بطريقتها الخاصة، تختلف عن اللغات الأخرى، فقد يجد المعجميّ صعوبة في العثور على المقابلات الكافية وبخاصة المصطلحات العلمية الحديثة التي لم يتم تطويعها في لغة الشرح بعد، أو المصطلحات الحضارية المتعلقة بثقافة لغة المتن وتكمن صعوبة المعجمي حين يكون مطالباً بالقيام بمهام المعجمي والمصطلحي والمتخصص (في علم من العلوم أو أكثر) في آن واحد(30).

وهذا يعني أنّ المعجم الثنائي اللغة يقوم على مستويين:

- أ - مستوى الواقع المعاش: وينظر إليه بمعزل عن اللغة ونظامها، وي طرح فيه السؤال التالي: هل الواقع الذي ترجع إليه، أو تسميه، الكلمة في ثقافة اللغة الأولى يوجد هو نفسه في ثقافة اللغة الثانية، وفي العالم الذي يعيش فيه أبنائها؟
- ب - مستوى اللسان: ويرتبط مباشرة باللغة ونظامها وتراكيبها وي طرح فيه السؤال الآتي: هل يوجد في اللغة الثانية كلمة تدلّ تماماً على الواقع الذي ترجع إليه الكلمة الأولى(31).

فالمعلومات التي يقدّمها المعجم وخاصة الثنائي اللغة منه مهمّة لكلّ الذين يستعملونه، فالقارئ يستخدمه لمعرفة معاني الكلمات أكثر من استعماله لمعرفة تهجئتها أو تأثيلها أو نطقها.

ولمّا كانت اللغة في المنظور اللساني مجموعة من الإشارات ترتبط بعضها ببعض بواسطة علاقات أساسية ومحدّدة وتتنوّع هذه العلاقات في أيّ لغة بشرية كانت على مستوى الواقع المعاش وواقع اللسان فأحسن ما ينفرد به المعجم الثنائي اللغة ما يأتي:

- 1- دقة المعلومات والمقابلات التي يقدمها، ويفترض فيها التعبير بأمانة عن المدخل بلغة المتن التي تسمى لغة الهدف.
- 2- التمييز الدلالي الذي يجعل القارئ يقتنع بالمقابل بسبب ما وجده من دقة في لغة الهدف (32).

وإذا كان القارئ العام لا يحفل بذلك، فإن المترجم المتخصص يقع في حيرة من أمره أو يسقط في خطأ اختيار المقابل الدقيق للكلمات التي يودّ ترجمتها، وهذا نظرا لكثرة مترادفات اللفظ الواحد الذي لا يبرّره المعجمي ولا يشرح للقارئ ما وضعه ليحمله يختار المقابل المناسب لكلماته، فهو عندما يبحث عن معنى كلمة فرنسية - مثلا - أو مقابله في معجم فرنسي - عربي فإنه يجد عددا متتاليا ومتسلسلا من المفردات العربية التي تقابلها في المعنى.

وعلى الرغم من أهمية كثرة المقابلات في اللغة إلا أنّ المترجم أو الذي يودّ البحث عن ترجمة لفظ أجنبي فقد تخونه الدقة والأمانة أحيانا في اختيار ما يناسبه من لفظ، وأقرب مثال يوضح ما سبق أنّ المترجم الذي يعالج نصّا متخصصا والحاسوب الذي يستخدم في الترجمة الآلية يحتاجان كل منهما إلى معجم ثنائي، يقدم لهما مقابلا واحدا للمدخل الواحد، أو مقابلات متعددة مع تحديد السياق الموضوعي والدلالي والنحوي والصرفي لكلّ مقابل من المقابلات المذكورة (33)، والأمثلة كثيرة في هذا المجال، وما ذلك إلا لأنّ ثمة مشكل دلالي في معاجم الترجمة يدلّ على الارتباك الواضح في تعدد الألفاظ المقابلة للفظ الواحد في اللغة الأجنبية.

والذي يستعمل معجم المنهل - مثلا - (34) أو الكامل الكبير زائد (35) وسيلة للترجمة تتجلى له المشاكل الدلالية في الترادف بين كلمات اللغتين العربية

والفرنسية، فهي تؤدي إلى التعرف على حقول دلالية مرتبكة، ثم صعوبة ضبط اختيار المصطلحات ووضعها (36)، ومن الأمثلة على ما سبق:
هدف، غرض، غاية BUT:SM, (37)

فالكلمات العربية الثلاث (هدف، غرض، غاية) تبدو مترادفة من خلال وجود فواصل تفصل بينها، ولكن يظهر التفاوت بين معاني ألفاظ هذا الحقل الدلالي بسبب اختصاص كل باحث، بل إننا نعثر على حشد المترادفات أو أشباه المترادفات في مقابل كلمة المدخل الواحد دون تخصيص أو تحديد لكل مقابل، مما يؤدي إلى خلط كبير في معاني المداخل التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد، ولتوضيح أكثر نسوق الشواهد الآتية:

- هدف، غرض، غاية: BUT SM :
- هدف، غرض، قصد OBJECTIF SM:
- طرف، آخر، نهاية، ختام، غاية، مصير FIN SF :

فنظرة الذي لا يعرف الفرنسية حين التعامل مع هذه المفردات يبدو له أنّ (BUT، OBJECTIF، FIN)، مترادفات، وتؤدي المعنى نفسه في السياقات المختلفة، ولما كانت الإشارة سابقاً إلى أنّ الفاصلة تعني ترادف الكلمات في هذين المعجمين، فبعد القيام بعملية رياضية للكلمات العربية الآنفة بمقابلة للكلمات الأجنبية يتضح ما يأتي:

- هدف _ BUT:
- هدف _ OBJECTIF

ولما كانت (BUT) تقابلها "غاية" و (FIN) كذلك، فمعنى ذلك أنّ الكلمات الثلاث مترادفات.

ولمّا كانت (FIN) تقابلها نهاية، فهل معنى ذلك أنّ هذه الأخيرة تقابل "عرض"، إلى آخر الاستنتاجات.

والمثال الآخر:

- حفرة، خندق، لحد، ضريح FOSSE sf: (38).
- ضريح، قبر ضخم Mausolée sf: (39).
- ضريح، شهادة قبر Tombe sf: (40).
- رمس، لحد، ضريح، قبر Tombeau sm: (41).

نلاحظ أنّ جميع هذه الكلمات تشترك في المقابل "ضريح"، فهل هي مترادفة؟ وهل (Fosse) و (Tombeau) اللتان تقابلهما "لحد" مترادفتان؟ فهذا ارتباك واضح، يحدّد المترجم والقارئ للمعجمين السابقين، أو المعجم الثنائي اللغة بصفة عامّة، إذ يلتبس عليهما اختيار المقابل الذي يحقّق لهما ما يريدان.

ومن هنا فإنّ الدقة في اختيار الألفاظ المترجمة في وضع المعجم الثنائي اللغة أمر ضروري، لأنّ افتراض كلمات مترادفة في اللغة الفرنسية مثلاً لا يتحقّق في اللغة العربية أو غيرها، فكلماتهما تختلف عن الأخرى، سواء من حيث التصنيف للواقع، أو رؤيته أو بناءه، فالقارئ لا يدري على أيّ المعاني تدل هذه الكلمات المقابلة للفظ الفرنسي، وعلى هذا الأساس يطلب من المعجمي أو المصنّف للمعجم وضع المميّز الدلالي لمعرفة المقابل المقصود ، وتفرّق اللغة العربية بين جميع الكلمات السابقة (قبر، لحد، ضريح، رمس)، على الرغم من أنّها تدرج في حقل دلالي واحد، وتعبّر عن هذه المعاني الأربعة بكلمات مختلفة.

فاللحد: هو الشقّ في جانب الحفرة أي ما حفر في عرض القبر، وعندما

يلحد الميّت في الحفرة ويجثى عليه التراب يسمّى رمسا، وعندما ينصبّ على

الرمس شاهد يصبح قبراً، الذي قد يطلق على جميع الأشياء، أما إذا بني عليه بناء كبير أصبح (ضريحاً)، وهو قبر بلا لحد، أما الحفرة التي تعدّ لدفن الميت تسمى جدثاً (42).

وبناء على ما سبق فإنّ الحقل الدلالي "المكان دفن الميت" يمكن أن يحزّر بعد أن تجمع مفردات الحقل كاملة في اللسانين (العربي والفرنسي)، ثمّ يشرع في إيرادها مفصّلة مع مقابلاتها مصحوبة بالسياقات المختلفة، على النحو الآتي:

FOSSE	جدث
TOMBE	رمس
TOMBEAU	قبر
MAUSOLEE	ضريح

(43).

وهي طريقة تبين أهمية فهم الحقل الدلالية في مجال الترجمة ، وحقيقة الأمر، إن الخلط الملاحظ واللبس المسجل في اختيار المقابل الدقيق ناجمان عن المعجم الفرنسي نفسه، لأنّه أورد هذه الكلمات وغيرها من الكلمات المنتمية إلى حقل دلالي واحد مترادفة أثناء شرحها، وذلك نحو:

Tombe: 1° lieu ou l'on ensevelit un mort, fosse recouverte d'une dalle (parfois d'un monument).
v. Sépulture, tombeau.
Tombeau: 1° / Monument funéraire servant de sépulture pour un ou plusieurs
(44) morts. v. caveau, hypogée, martaba, mausolée..

و يستنتج أن الغموض الموجود في اختيار المقابل ناتج عن عدم تتبع كلمات الحقل حسب الفروق التي تتميز بها دلالة كل مفردة في سياقها الخاص في اللغتين وإن كانت ضمن حقل واحد. ويعثر على المشكل الدلالي نفسه في الحقل الدلالي للسكن، فإذا تم عرض هذه المجموعة (Case), (Masure), (Gourbi), (Bicoque), (Cabane), (Baraque) (45) فهي تشترك جميعها في مقابل واحد هو "كوخ" الذي لا يعكس الحقيقة الدلالية للألفاظ الفرنسية.

ومن هنا تطرح مسألة الترادف في اللغات، فهي تكون قائمة عندما نستطيع استبدال الكلمة الواحدة بالأخرى في السياق عينه، دون حصول تبدلات متزامنة على مستوى المدلول.

ويعود الخلل والارتباك الدلاليان إلى المعجم الفرنسي نفسه - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - لأنه يضع الكلمات مترادفة دون تحديد الفروق بينها، وعلى هذا الأساس يفترض في المعجمي أن يدقق في أصولها الدلالية واستعمالاتها.

وفهم متن الكلمة المشروحة باللغة الأجنبية، والتدقيق في صورها ومعانيها، وعلاقتها بعقلية المجتمع الذي نشأت فيه، وتمييزها عن الكلمات الأخرى من القضايا التي يطلب من المترجم معرفتها والتبحر فيها، وكذلك اللغة التي ينقل إليها، والآن تختلف هذه المعادلة في أيّ زمان ومكان، لأنه لا ترجمة مكتملة الخصائص، إلا إذا أدتها لغة صحيحة المقاييس والمعايير وتلك قاعدة أولى بل عظمى في كل ترجمة يصح في عرف العلم الأخذ بها والاستئناس بمدلولاتها" (46)

فعلى المترجم أن يسعى "إلى إنتاج المماثل الطبيعي بكيفية تجعل النص المترجم (بفتح الجيم) يحمل الفكرة الصحيحة نحو لغة الهدف لتكون له القيمة نفسها التي كانت في الأصل، ولذا ينبغي ملاحظة حالها، والمعرفة الجيدة لما يريد قوله لشخص آخر ينتمي إلى بلد مغاير، وإيجاد المقابل عندما يرغب فرد من بلد لغة الأصل قول الشيء نفسه (47).

إنّ وجود ألفاظ عربية أمام مصطلحات أجنبية متباينة المعنى في المعجم الثنائي، يشكّل في كثير من الأحيان حقلًا دلاليًا مرتبكا يصعب على المترجم اختيار اللفظ العربي المناسب للفظ الفرنسي نحو:

CREMONE: مزلاج، رتاج
 CADENAS: قفل، رزة، صندوق
 SERRURE : مزلاج، زلاج، غلق، مغلاق، مغلوق، دبة، غالق
 VERROU : مزلاج، رتاج، مترس، مصك، تراس، مغلاق، مرتاج (48).

فهذه المصطلحات الأجنبية تدلّ على معاني متقاربة، فهي أدوات لإغلاق الباب، وبالتالي فهي تنتمي إلى حقل دلالي واحد، غير أنّ المقابلات العربية مرتبكة، فلا توجد المميّزات والفوارق الدلالية التي تجعل (CADENAS) غير (SERRURE) أو (VERROU) .

ونجد في المعجم مقابلا واحدا (نهر) ل (Fleuve) ومقابلين (نهر وجدول) ل (Rivière) ومقابلا واحدا ل (Ruisseau) الذي يشترك مع (Rivière)، وما يلاحظ هو أنّ هناك التباسا في مقابل كلمة (Rivière)، وهناك اختلاف في الدلالة بين الكلمتين العربيتين: نهر وجدول، لأيّهما يقابل فعلا الكلمة الفرنسية؟ وفي حقيقة الأمر، إنّ مستعمل اللغة الفرنسية يختار بين ثلاث كلمات

(ruisseau,rivière,fleuve) للدلالة على مجرى الماء (الكبير أو المتوسط أو الصغير)،في حين لا يجد متكلم العربية سوى كلمتين اثنتين وهما (نهر وجدول)(49).

وهذا الاختلاف في التسميات هو ما شعر به جي دي موباسان (GUY DE MAUPASSANT) عندما وقف أمام أحد الأنهر في الجزائر فقال: "إنّ نهر (Fleuve) وادي سعيدة وهو نهر كبير في ذلك البلد وجدول بين الأشجار تحت الشجيرات الياضعة(50).

ولحلّ هذا الارتباك،يفترض معرفة دلالات المصطلحات الأجنبية أثناء الترجمة معرفة دقيقة وعميقة واستعمالاتها المختلفة أثناء وضع المعجم،ليتمّ اختيار ما يناسبها من لفظ عربي واحد مقابل للأجنبي،كما يطلب معرفة المقابل العربي معرفة جيّدة، والتعابير الاصطلاحية والسياقية التي ترد فيها،ولا يتحقّق ذلك إلاّ بإيراد كلمات الحقل مجتمعة ثمّ تفصيل دلالتها مع ذكر المقابل مصحوبا بالسياق.

فإذا أخذنا كلمة: (THERMOMETRE) نموذجاً تطبيقياً نلفيها تقابلها في العربية "محرار"، "محرّ"، "ميزان الحرارة"، "مقياس الحرارة"، "ثيرمومتر". فالأولى أن يدرس جذر كلمة (ح،ر،ر) ودلالاتها في المعاجم العربية الأحادية اللغة،ثمّ يبحث عن صيغها الموجودة مثل طرح الأسئلة الآتية: (هل محرار مفعال للأداة) تساوي دلاليا "محرّ" المشتقة من حرّ الماء أي سخن - حرّ القتال أي اشتدّ؟

وهل (THERMOMETRE) هو مقياس أو ميزان؟ وفي حال استعمال لفظ واحد، هل من المفيد أن نستعمل "محرار" أو "محرّ" أو "ثيرمومتر" إلى آخر الأسئلة التي تطرح قبل وضع المقابل.

فيستحسن أن يقوم المعجميّ بالتحليل المفرداتي كلّما اعترضته المقابلات العربية المتعدّدة التي توجي له للوهلة الأولى بأنّها ألفاظ مشتركة في المعنى بل مترادفة كل الترادف، وهي الحيرة التي تتاب الباحث أو القارئ أو المترجم وهو يتأمّل سلسلة "الترادفات" التي تتجمّع لديه كلّما أخذ يبحث عن مقابل عربي في مختلف المعاجم الثنائية اللغة (51).

ويفسّر هذا الإشكال ظاهرة الثغرات المفرداتية الموجودة بين اللغات، فقد نجد للمفردة أكثر من مقابل في اللسان الآخر، وقد لا نجد لها مقابلاً أصلاً، لأنّها لا تمتلك ذلك المقابل، وهي قضية يمكن سدّها بالبحث عن المقابل بالطرق التي يقبلها النظام اللغوي.

والثغرات المفرداتية الظاهرة في اللسان هي ثغرات ثقافية بالدرجة الأولى، وسدّها هو إثراء وإغناء جوانبه الفكرية والدلالية التي تنقصه، ولا ضرر في ذلك إذ الأصل في الحياة الأخذ والعطاء.

و يستدلّ في هذا المجال بما عرضه فيليوزا (J. FILLIOZAT) أثناء انعقاد ملتقى بباريس حول "مشاكل اللون" في 1954، حيث أقرّ بأنّ رؤية اليابانيين للألوان لا تختلف عن غيرهم، وأكّد (GALIFRET) في محاوره أجرتها معه جريدة يابانية للفيزيولوجيا بأنّ وصف الأحداث الفيزيولوجية لرؤية الألوان عند اليابانيين يشبه وصف الأمريكيين والفرنسيين والإيطاليين وغيرهم (52).

ومع ذلك فلا يوجد أيّ منطق أو افتراض يوضح بأنّ شبكة العين أو ما يتعلق بالدماغ يعمل بصورة مختلفة عند الأفراد بحسب الجنس أو المناخ أو غيرهما، ولئن كانت الألوان مختلفة باختلاف اللغات، فذلك لا يمكن إرجاعه إلى تعدّد تجارب الأمم في العالم أو حاسة العين فقط، ولكن الأمر ذو صلة بحالة خاصة تتمثل في أنّ اللغات تعبّر ببنى لسانية مختلفة عن الأحداث الفيزيولوجية المتشابهة (53).

ويتغيّر تصنيف الألوان بتغير اللغات ويرتبط بالرمزية الاجتماعية أو الفكرية أو الغيبية، فالسنسكريتية مثلا تربط اللون الباهت بالريح، ويتعلّق الداكن بالنار، واللامع بالماء، والأبيض بالتأمل، والأحمر بالحدث والفعل، والأزرق والأسود مرتبطان بالركوب (54).

فما هو ثابت أنّ الضوء من الجانب الفيزيائي واحد في كلّ مكان، والعين البشرية واحدة أيضا، وتظلّ كذلك على الرغم من اختلاف الأجناس والمناخات، ولكن كلّ اللغة تصنف التجربة البشرية على طريقتها، أما الفروق الموجودة بين اللغات وتصنيفاتها فهي تتركز حول الوساطة بين العالم والتعبير اللساني، بمعنى إنّ الاختلافات ناتجة عن الطرق التي ينظر بها البشر إلى العالم (55).

وبالتالي فوضع المعجم الثنائي لا بد وأن يراعي دراسة المصطلح في اللغة الواحدة على حدة، ثمّ القيام بدراسة مقارنة بينه وبين المصطلح المقابل له في اللغة الأخرى.

خاتمة

وفي الأخير فإنّ وضع مصطلح واحد دقيق يقابل كلمة أجنبية من شأنه أن ييسر فهم اللغة في حدّ ذاتها، وإذا ما وجد المعجمي مترادفين أو أكثر لكلمة واحدة فيفترض أن يعود إلى الحقل الذي تنتمي إليه، ويعمل على وضع مقابلها في حضور مفردات الحقل ليعمد فيما بعد إلى توضيحها بالأمثلة والشواهد والتعبير وشرح ذلك شرحا واضحا يكفل للقارئ معرفة الكلمة واستعمالها المختلفة في السياقات المتعددة.

ومن الواضح أنّ سدّ الثغرات الجزئية أو إعادة النظر في الحقل هو عملية عادية تدخل في الحركية الدائمة للمعجم، ولا يمكن أن تضبطها الهيآت اللغوية، وما يمكن أن تقوم به هذه الهيآت هو اقتراح إعادة تنظيم للحقل أو للمعجم.

وفي الواقع إنّ هذا العمل ليس هينا على الفرد وعلى الجماعة، وبذل الجهود المضنية ضروري وبخاصة في هذا العصر، إذ الأمم مدعوة اليوم أكثر ممّا سبق إلى الاهتمام بالترجمة والعناية الفائقة بها، ذلك أنّ الثورة المعلوماتية والإعلامية تحنّهما على التعاون من أجل وضع معاجم ثنائية أو ثلاثية أو غيرها لتسهيل

الاتصال وانتقال الثقافات والعلوم والمعارف كما هي ، لا تحريف فيها ولا تبديل ،
ولا زيادة ولا نقصان .

الهوامش

- 1 - ينظر د.حسن ظاظا،كلام العرب - من قضايا العربية - دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،1970،ص:127. - 128.
- 2 - ينظر د. حلام الجيلالي،نقد عناصر المعجم العربي في ضوء نظرية الحقول الدلالية،مجلة المنهل، العدد 550، المجلد 60 ، 1998، المملكة العربية السعودية، ص.:113
- 3 - ينظر د. حلام الجيلالي،نقد عناصر المعجم العربي في ضوء نظرية الحقول الدلالية، مجلة المنهل، العدد 550، المجلد 60 ، 1998، المملكة العربية السعودية، ص.:113
- 4 - Voir, Francis Vanoy ,Expression et Communication ,Librairie Armand Colin, Paris,1973, P:35.
- 5-Voir,R.H.Robins,Linguistique générale ,une introduction ,Librairie, Armand Colin, Traduction de Simone De lesalle et Paul Guivarch, Paris,1973;P:70 -71
- 6 - Voir,Ibid,P:71.
- 7 - Voir,Jacqueline Picoche,Précis de communication française,P:44 -45

- 8 - ينظر محمد المبارك فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 7، 1971، ص: 307.
- 9 - ينظر المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص: 45.
- 10 - فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ص: 333.
- 11 - ينظر د. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط: 2، القاهرة، 1985، ص: 294.
- 12 - ينظر أحمد الشاوي بن عبد الله، من مشاكل الدلالة، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، عدد 22، 1982 - 1983، ص: 133.
- 13 - ينظر د. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دون سنة ص: 203.
- 14 - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص: 201.
- 15- Joelle Rédouane, stylistique comparée du français et de l'anglais, P: 19.
- 16 - LE Petit Robert, T: 1, P: 1625.
- 17 - فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرماذي وآخران، الدار العربية للكتاب، 1985، ص: 177.
- 18 - ينظر أحمد الشاوي، من مشاكل الدلالة، ص: 133.
- 19 - ينظر د. محمد فهمي حجازي، الأسس اللغوية في علم المصطلح، ص: 192.
- 20 - د. حنفي بن عيسى، من أجل خطة عربية في الترجمة، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، العدد 55، يناير فبراير 1980، ص: 77.

- 21- وديع فلسطين، عن يعقوب صروف، العالم زالإنسان، ص: 65
- 22 - بسام بركة، المصطلح في المعجم الثنائي، ص: 169 - 170.
- 23 - ينظر د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص: 41
- 24 - ينظر علي القاسمي، المترجم والمعجم الثنائية، اللسان العربي، العدد 34، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، المملكة المغربية، ص: 121 - 133.
- 25 - ينظر محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص: 202.
- 26 - ينظر د. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية في علم المصطلح، ص: 192.
- 27 - ينظر علي القاسمي، المترجم والمعجم الثنائية، ص: 122.
- 28 - ينظر علي القاسمي، المرجع نفسه، ص: 122.
- 29 - ينظر علي القاسمي، المترجم والمعجم الثنائية، ص: 125.
- 30 - ينظر علي القاسمي، المترجم والمعجم الثنائية، ص: 134.
- 31 - بسام بركة، المصطلح في المعجم الثنائي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 2، صيف 1999، ص: 170.
- 32 - ينظر أحمد الشاوي، من مشاكل الدلالة، ص: 130.
- 33 - ينظر علي القاسمي، المترجم والمعجم الثنائية، ص: 130.
- 34 - ينظر المنهل (قاموس فرنسي - عربي) د. سهيل إدريس ود. جبور عبد النور، دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، ط 8، 1985.
- 35 - الكامل الكبير زائد يوسف محمد رضا، مكتبة لبنان ناشرون، 1999.
- 36 - ينظر أحمد الشاوي، من مشاكل الدلالة، ص: 133.
- 37 - المنهل، ص: 148.
- 38 - المنهل، ص: 457.

- 39 - المنهل،ص:652
- 40 - المنهل،ص:1025
- 41 - المنهل،ص:1025.
- 42 - ينظر علي القاسمي، المترجم والمعجم الثنائية،ص: 131، وينظر العين للخليل بن أحمد، مادة (لحد) و(قبر) و(رمس) و(ضرح).
- 43 - ينظر علي القاسمي، المترجم والمعجم الثنائية،ص:131
- 44- LE Petit Robert,P:1974.
- 45 - ينظر المنهل،ص: 100، 115، 149، 171، 491، 650
- 46 - وديع فلسطين، عن يعقوب صروف، العلم والإنسان ص:37.
- 47- Voir, Joelle Rédouane, Stylistique comparée du français et de l'anglais,P:11.
- 48 - ينظر أحمد الشاوي، من مشاكل الدلالة،ص:135
- 49 - بسام بركة، المصطلح في المعجم الثنائي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 2، صيف 1999، البحرين ص:175، والمنهل،ص:450 - 915 - 924.
- 50 - ينظر بسام بركة، المرجع نفسه،ص:175
- 51-LE PETIT ROBERT T:1;P:1722
- "La rivière (l'oued de Saida),fleuve là-bas,ruisseau pour nous,s'agite dans les pierres sous les grands arbustes épanouis »
- 52 - ينظر أحمد الشاوي، من مشاكل الدلالة،ص:134
- 53 - Voir, Georges Mounin, problèmes de traduction, P:22
- 54 - Voir, Ibid, P:75-76
- 55 - Voir Georges Mounin, problèmes de traduction, P:76

في رحاب المصطلح العلمي العربي

أ. محمد حازي

قسم الرياضيات / المدرسة العليا للأساتذة " القبة " الجزائر

تصدير

إنّ موضوع الترجمة موضوع هام ومنتشعب الأطراف ، لا يمكن الإحاطة به ولا يوفى حقّه من المحص في مثل هذه المحاضرة . وأبادر إلى القول بأنّي لست بصدد دراسة تتبعيّة لعلامح وتطور الترجمة ، فنّا أو تخصصا . حسبي أن أشير إلى الاستفادة المشهودة لعلماء العرب ، عن طريق ترجمة ودراسة إسهامات الأمم التي سبقتهم في شتى مجالات المعرفة العلمية ، في إرساء تقاليد رياضية وعلمية عربية ، مكنتهم من تطوير البحوث العلمية في مختلف الفنون وفروع المعرفة الصرفة والتطبيقية ، وتمهيد هذا التطور بدوره لظهور نهضة علمية جديدة في أوروبا انطلاقا من القرن الرابع عشر إلى يومنا هذا ، وذلك بعد فترة الترجمة والدراسة التي سمحت بنقل عدد من المؤلفات العلمية العربية واليونانية إلى اللاتينية .

أروم بهذه الكلمة المختصرة ولوج عالم الترجمة من أحد أبوابه الذي يعنى بنقل العلوم إلى العربية بصفتي معنيًا بتدريس الرياضيات بهذه اللغة ، التي يحتاج استمرار العمل بها إلى بقاء مصنع توليد المصطلحات مشتغلا وأهله وذويه مستنفرين . إنَّها ليست محاضرة أكاديمية تخضع لمقاييس معروفة ، تجمع لها الشواهد وبشفع بالإحصائيات وتنتج بالمقارنات. أردتها لضيق الوقت فرصة ل طرح تساؤلات ومشكلات ، بل صيحة تضاف دونما شك إلى صيحات أخرى سوف نستمع إلى دويها بعد حين . إنَّها من شقّين :

1. الترجمة : واقع وخواطر

يعتبر العلم بنيران الحضارات ووسيلتها . إنَّ الأمم التي لا تنتج علوما لا تعمّر طويلا وأيلة إلى الزوال . واللغة لسانها وركيزة كيانها الأولى .

لا يخفى على أحد أنّ موقع الأمة العربية من حيث انتاج العلوم والتكنولوجيا لا يكاد يرى على خريطة العالم . إنَّها من الأمم المحتاجة التي اصطلح على تصنيفها تعففا ضمن الأمم السائرة في طريق النمو . إنَّها في سعيها الحثيث في اكتساب هذا الموقع والاتحاق بركب الأمم المنتجة للعلوم حائرة في أي من السبيلين¹ تسلك :

1 . إحلال لغة العلم (الإنجليزية أو الفرنسية في الغالب) محل اللغة العربية واستعمالها المباشر لاقتناء ما كتب من علم وتكنولوجيا مع التخلي عن اللغة العربية ، مقرةً بذلك بعجز هذه الأخيرة عن المساهمة في الإبداع والاكتشاف.

2 . نقل العلم والتكنولوجيا من لغتهما الأصلية إلى اللغة العربية والسعي إلى تطوير هذه اللغة لتساير وتعبّر عن مختلف المعارف العلمية والتكنولوجية .

إنّها لحد الآن لم تهتد إلى حل ، فنراها تارة تقبل على الأوّل وتارة على الثاني . ويكاد الأمر يكون طبيعياً لعدم خلوّ كل من السبيلين من قيود وسلبات . فالأوّل محفوف بإغراء السهولة وخطر الاندماج في حضارة اللغة المنقول منها ؛ والثاني ملفوف بإغراء الأصالة وخطر القصور اللغوي عن أداء معاني العلم والتكنولوجيا .

إنّ وتيرة التسارع المذهلة لتقدّم العلوم والتكنولوجيا تجعل من الصعب الظفر باستراتيجية معيّنة تحفظ للأمة أصالتها وتضمن لها مكانة بين مثيلاتها المنتجة للعلوم . إنّه دور الهيئات والقنوات الطبيعية الراعية فنياً وتقنياً للغة ، من أكاديميات ومجامع وجامعات . عليها ، في ظل ضوء دائم الاخضرار من السلطة السياسية ، أن تحتضن المشكلة وتقترح حلولاً فورية تضمن المسايرة للصيقة لما يعرفه العالم من تطوّر .

إنّ نظرة متحصّصة في الواقع العربي تكشف عن ساحة راكدة . الكل أحل في تعليمه الجامعي للعلوم لغة مستعمره . فالأجهزة الواضعة للقواميس من أكاديميات ومجامع لغوية قليلة التأثير في الميدان ، فهي إن وجدت كهياكل غابت كإنتاج لتوقعها وانزوائها بل وجمودها أحياناً ، وإن حضرت كإنتاج غابت كتتسيق وتسييق للمنتوج وفرض على محك الواقع للكنوز التي أغناها بها المخلصون . إنّ اتساع الرقعة الجغرافية العربية بدل أن يكون عامل ثراء جاء عامل عرقلة وتكدّس للعقبات لصعوبة تطبيق أيّة استراتيجية بل لغياب الإرادة أحياناً . لعل ظهور وشيوع التقنيات المتقدّمة في الآونة الأخيرة يساهم في تقريب النشطين في هذه الساحة وتدليل صعوباتهم وتثمين واستثمار جهودهم .

تعتبر الجزائر ، من المنظور التاريخي الحديث ، إذا ما قورنت بالأقطار العربية الأخرى، أتعب حقا لما تعرّضت له من زعزعة في كيانها ومسوخ لشخصيتها وطمس لهويتها وجذورها . ومع ذلك فإنّ انشغالها بهذا الجانب أكثر تحمّسا وإيمانها به أكبر عمقا . لم يمر من استقلالها عقد من الزمن حتى بادرت بأول إصلاح للتعليم الجامعيّ ضمّنته انطلاق عملية التعريب في الفروع العلمية بالجامعة. لم يعرف هذا الفعل بكل أسف، رغم صدق النية، النجاح الذي ينبغي أن يكون ولم يكن في مستوى الآمال التي وضعت فيه، إذ اكتتفته عقبات وراودته ردّات ألحقت به كبوات متلاحقة وتعثّرات مزمنة . فالافتتاح بالسير في درب التعريب لم يحدث لدى الجميع ؛ وإلا كيف نفسّر ، بعد ثلاثين سنة من انطلاق قطار التعريب ، غياب الإجماع حوله وبقاء التساؤل المحيرّ : هل نعرب أو لا؟ إذا استتبأنا الواقع واستقرأنا الزمن الذي استهلكناه منذ الاستقلال تجلّى لنا أنّ المسيرة لم تكن خطيّة ومنتظمة . بل وكيف يكون الحال غير ذلك إذا كانت أركان اللغة هشّة وكان الإيمان بها ضعيفا²!

لكل المشاريع الحضارية أطر مسطّرة وأهداف محدّدة ، تجنّد لها الوسائل بكل أصنافها وتهون دونها الجهود بكل ألوانها ؛ ولها وقفات حوصليّة تصحّح وتمحصّ الأشواط المنجزة وترصد الآفاق وتحدّد الأشواط المتبقية ضمّانا لنجاحها . أين نحن من هذه الوقفات والاستراتيجيات ؟

2- في 1978 رفضت جامعة جزائرية مختصة في العلوم والتكنولوجيا استقبال طلبة العلوم الطبيعية من فرع اليسانس المرعب .

- في 1999 تقدمت وحدة من المدرسة العليا للأساتذة - القبة - تبحث في إثراء المصطلح العلمي العربي بمشروع ، ضمن المخطط الوطني للبحث ، ما كاد يفوز بموافقة المقيمين .

يبدو لي أنّ الانطلاقة المذكورة لم توفّ حقّها من التدبّر وتوفير الأسباب ولم تحظ ، رغم أنّ جهودا مضيئة بُذلت وأموالا طائلة أُنفقت ، بالتروي والتجنيد اللازمين لمثل مشروع حضاريّ من هذا الحجم والثقل . فقد شلّها نقص تحضيريّ فادح من كل الجهات : النفسية والبشرية والمادية .

تعتبر الترجمة بمثابة مركبة هامة في وقود قطار التعريب . ولعل الاعتناء بها قبل انطلاقه أضمن لسيره وطول نفسه . والمصطلح العلميّ العربيّ من المكونات الأساسية لهذه المركبة . له جبهات طبيعّية ثلاث :

الوجود والجودة والتوحيد .

لا سبيل إلى الخوض في الجبهتين الأخيرتين في غياب الأولى ، بل إنّ التحكم المحكم في هذه الأخيرة والإحاطة التامة بها كفيلان بضمانهما .

فالكلمة كائن حي يولد نحنا أو اشتقاقا أو تعريبا ، أو نحو ذلك ، يحبو ثم يدبّ على قدميه ، يسعى ويصقل بالاستعمال .

تكاد ساحة هذه الجبهة تخلو من المنشطين المنتجين ؛ وهل يكون الأمر غير ذلك في ظل عدم وضوح الرؤية التي تكتنف وضع التعريب ، القاطرة الكبرى التي تعدّ الترجمة مصدرا حيويا لطاقته ، وفي غياب هيئة وطنية دائمة ، تسهر على تغذية هذا بنّك ؛ تحسّس الغافلين وتحمّس المتردّدين وتحفّز المهتمّين . إنّ كل ما هو موجود في الساحة نتاج لجهود أفراد مخلصين ، مشتتّين عبر جامعات الوطن ، يعانون من كل ضروب الصعاب . لعل ميلاد المجلس الأعلى للغة العربية يسهم في تقريبهم ولمّ شملهم والتحسين من ظروف عملهم . إنّها رسالته المستعجلة الأولى .

أما بخصوص من يتكفل بالمنتوج ، على قلته ، طبعا ونشرا ، فحدثت ولا حرج . فالجامعة الجزائرية لم تصل بعد إلى اعتبار هذا الجانب الحيوي من حقل أعبائها . أما دور النشر ، الخاصة أو العامة ، بدرجة أقل ، فإنها تخضع لمقياس المردودية المادية أساسا . فالهَمّ العلمي أو الثقافي أو اللغوي بالخصوص لا تكثر به إلا بالمقدار الذي يخدم هذا المقياس ولا يتعارض معه . يحضرنى في هذا الصدد تحفظ دار نشر إزاء عنوان لكتاب لي في الرياضيات (الفالج المقروض في الامتحانات والفروض) رأيت فيه إبهاما وخروجا عن المؤلف وبالتالي خطرا على المبيعات فاقترحت العمل بالعناوين المبتذلة في الحقل المذكور ، حتى وإن كان الأول أبلغ للمعنى وأشع للأصالة . ولا سيما عندما يتعلّق الأمر بالعلمي الجامعي . كم من مؤلف حمل مخطوطه وطاف به " يستجدي هذا الدور ، فيرجع بعد لأي مضن ووعود تبخرت يجر أذيال الخيبة والحسرة ؛ حتى دار ديوان المطبوعات الجامعية التي أوجدت في الأصل لتكون الرئة التي يتنفس بها الجامعيون ، ورغم صمودها لسنوات ، انطفأت جذوتها ولحقت بأخواتها في الظلام .

كاد الدخول الجامعي 1989-1990 أن يكون نقطة تحوّل في مجال التعريب ، إذ أعلن منطلقا للتعريب الشامل للجامعة العلمية :
. فأقيمت من أجل ذلك تربية الشتاء والصيف ، جمعت الأساتذة المدرسين بالعربية والمدرسين بالفرنسية لإزالة الحاجز النفسي ،
. صورت دروس سمعية بصرية ،
. كثفت ترجمة المطبوعات .

لكن لم تدم هذه الصحوة طويلا (ثلاثة فصول من السنة) ، إذ سرعان ما لفّ العملية شكّ وتراجع أدخلها بأكملها طي النسيان نتيجة التغير الذي عرفته الجهات المدبّرة ، حيث خلف من بعدها خلف تنكر لها وأنكر جدواها .

الترجمة تأتي لما تكون في البلاد حياة بلغتها عقلا (تصورًا) وتصرفًا وتفكيرًا؛ يعتزّ القوم بلغته ويجلّها ، يحزّ في نفس كل فرد فيه أن يخطأ في حقّها سهوا فما بالك قصدا، أين نحن من هذا؟ نحن في وضع غير مريح.

جميل أن تصدر المراسيم ونسّن القوانين للحماية ، ونشكل جمعيات للدفاع عن اللغة ، لكن ما عسى أن تفعل المراسيم إذا خلت الساحة من العمل القاعدي الدؤوب الذي لا يضمن للغة بقاءها على قيد الحياة فحسب بل ومواكبتها لإفرازات تطوّر الحياة وتقدّم العلوم . ينبغي أن نكون مثل الطبيب المداوي الذي يشقّ الصدر والبطون بحثا عن العلل واجتثاثا لها ، لا أن ندهن وننمّق المظاهر، نشكل لجانا تدافع مناسباتيا فتطلق مدافعها لأغراض وتسكنتها لأخرى، هذه ومضات من واقع التعريب وواقع الترجمة رافده الأساسي . أرجو ألا يكون سواد الصورة تثبيطا للعزائم ، فقد أردتها صيحة ودقا للجرس لتصحى العقول وتنبّ الهمم لتجلي عن أديم اللغة العربية غلسها وعن بحر التعريب كدره.

2 . إشكالية المصطلح العلمي العربي³

إنّ سلامة السلوك اللغوي من تمام سلامة السلوك العلمي التربوي، ومع ذلك نجد من الناس من يستخف بالغة ويبيح إهمالها بدعوى التخصص العلمي، ولا يضيره إن كان أستاذا، أن تقع صور المعاني في ذهن مخاطبه مبهمّة مختلطة. يقول الأستاذ محمد غانم الرميحي⁴ ، معلقا على اختلاف المصطلحات عند كتاب العرب:

3 - التقرير السنوي لوحدة البحث في إثراء المصطلح العلمي والتقني العربي، R 1611/04/93 ، المدرسة العليا للأساتذة القبة - الجزائر .

4 - الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ، العدد 471 من جريدة البلاد .

" عندنا مشكلة في المصطلحات. في بعض الأوقات هذه المصطلحات تضلل. أنت تتحدث عن شيء وأنا أتحدث عن الشيء ذاته ونختلف، ويتبين أنّ اختلافنا في المصطلحات . هذه إحدى معضلات الثقافة العربية الحالية ."

فلا غرابة أن يستتف الشاب عن الاهتمام باللغة وهو يشهد في مؤسساته التربوية ذاتها استخفافا باللغة وبمواد أخرى مثل الآداب والعلوم الإنسانية وهيمنة تصنيف ضروب المعارف ومدرسيها على أسس لا تستند إلا إلى نظرة جزئية لتكوين الإنسان .

لقد تطوّرت العلوم لأنّ الفلاسفة دقّقوا ملاحظاتهم ووصفوا في لغتهم نفس الدقّة والضبط ، وهكذا ضمنوا بتصحيح اللغة سلامة التفكير. فبين اللغة والفكر صلة وثيقة .

إنّ اللغة أكثر من أداة إيصال . فاختيار الناطق صيغا معيّنة دون غيرها من الصيغ المحتملة له أثر كبير في فهم رسالته، وبالتالي على النتائج المتوخاة من عمله . لقد أجمع على هذه المسلمة علم اللسانيات الحديثة وعلم النفس المعرفي والانثروبولوجيا المعرفية . إنّ طبيعة لغة المعلّم مؤثّر على كفاءته العلمية وإنّ انعدام امتلاك اللغة يؤثّر سلبا على مردود المتعلّمين.

إنّ إشكالية المصطلح من أبرز الإشكالات التي تظهر وتطفو كلما أردنا مباشرة تدريس أو نقل العلوم الأساسية والتطبيقية والطبية الحديثة باللغة العربية . وهي عملية تعرف حاليا بالتعريب . والتعريب مفهوم له معان عدة أوسعها يفيد نشر استعمال اللغة العربية على أوسع نطاق ممكن وجعلها أداة طبيعية صالحة للتعبير عن كل ما يقع تحت الحسّ ، وعن كل العواطف والأفكار والمعاني التي تختلج في ضمير الإنسان.

وللتعريب معنى آخر متداول في كتب فقه اللغة يقصد به إدخال اللفظ الأعجمي في اللغة العربية بعد تهذيبه وتبديله في لفظه ووزنه بما يناسب العربية ، وهو طريق نهجه العرب في نقل بعض الكلمات إلى العربية . بالرغم من تعدد الهيئات المهتمة بوضع المصطلح العربي لكثير من الألفاظ الحديثة في العلوم المختلفة وصدور معاجم في مختلف التخصصات فإن مسألة وضع المصطلح العلمي العربي ما تزال مطروحة بحدّة وذلك لعدّة أسباب أهمها :

1 . عدم تبنّي منهجية واحدة في صنع المصطلح العلمي العربي وتطبيقها ميدانيا في جميع البلدان العربية ، بالرغم من الأهمية البالغة لهذه العملية ووجود هيئات مختصة لهذا العمل كمركز تنسيق التعريب بالرباط⁵ . في هذا الإطار ذكر الدكتور شاكر الفحام ، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق⁶ : " إنّ توحيد المصطلح أمر هام وأساسي لأنّه يوحد لغة العلم العربي ، فيتّم التقاهم بين الباحثين والعلماء العرب في سهولة ويسر . وهو الخطوة الأولى التي لا بد منها للتأليف والبحث بالعربية ، وتبادل المعارف بين العلماء العرب في شتى أقطارهم ، مما يهيئ لتكامل البحوث وجمع الطاقات العلمية وإسقاط التكرار والهدر " .

2 - دعوى البعض بصعوبة نقل الفيض الهائل من الأبحاث التي تنتجها الدول المتقدمة في العلوم الحديثة ، نظرا لكون حركة النقل بطيئة ولتشكيك البعض الآخر في مقدرة اللغة العربية للقيام بهذه المهمة . يردّ الأب الكرماي على مثل هذا الزعم بتوصيات ثلاث⁷ :

5- محمد أفسحي ، مكتب تنسيق التعريب (منجزات وأهداف) ، يناير 1991 .

6 - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ج3 مجلد 69 ، يوليو 1994 .

7- سعيد الأفغاني ، من حاضر اللغة العربية ، دار الفكر ، ط 2 ، 1971 .

أ - على كل عربي متفرنح ألا يقطع بعجز اللغة أو ضعفها إن لم يكن له وقوف على أسرارها وألفاظها ودقائق معانيها ومبانيها.

ب - يحسن به أن يستفتي أحد الأدباء أو يستشيريه أو يبحث هو بنفسه عما ينشده من ضالته .

ج - إن لم يغر بالطائل فلينسب العجز إليه أو إلى ما أراد أن يغترف من بحار أفكارهم ولا ينسب شيئا إلى اللغة . فاللغة كنز مدفون أو كالمدفون ، فإذا كان لا يوجد من يدلك عليه فهذا لا ينفي وجوده .

3 - إن نشر أعمال المؤتمرات والمجامع والهيئات في التعريب محدود على هيئات وأشخاص معينين فقط دون سواهم . فكثير من فرق البحث والمهتمين تجد مشقة كبيرة للظفر بهذه الأعمال .

4 - قلّة الاهتمام بنشر المعجمات التي تحوي المصطلحات الموحدة التي ألفت في فنون مختلفة وبذل فيها مجهود معتبر . وهي أعمال ثمينة تحتاج إلى ترويج لاستعمالها وإلى إلزام المدرّسين ودور النشر والصحف لاستعمال مصطلحاتها ، لأنّ المصطلح العلمي لا يحي بدون استعمال ومراس .

إليك في النهاية هذه الاستشارة بآراء بعض المفكرين والمهتمين بمفهوم المصطلح من حيث أهميته وغاياته وأهدافه وتطوّره . فحسب المرحوم مصطفى الشهابي⁸:

" المصطلح هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العامة "

8- محمد طي ، وضع المصطلح ، م.إ. لترقية الحديد والصلب (بروسيدار) الجزائر .

"المصطلحات لا توجد ارتجالاً ولا بد من مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي " .

" إنَّ اتفاق العلماء على المصطلح شرط لا غنى عنه ولا يجوز أن يوضع للمعنى العلمي الواحد أكثر من لفظة اصطلاحية واحدة " .

أما المرحوم المهدي البوعبدلي فكتب حول الموضوع⁹:

" التعريب يعني عملية نقل للمعاني من لغات غير عربية إلى اللغة العربية فتصاغ من ألفاظ متناسبة ومتناسقة في صياغة فنية تعطي المعاني المنقولة شكلاً معوضاً أصالة عن الشكل السابق . وقد يعطينا الشكل الجديد المعرب قوة ، وقد يكتسبها جدّة ، فتصبح منقولة وكأنّها لم تنقل ، وهذا هو المعنى الثقافي للتعريب . إنّه المنهاج الذي اتّبعه العرب الأوائل في تعريب العلوم والفنون " . تجدر الإشارة إلى نقطة هامة تخصّ مدلول ومعنى المصطلح وهي أنّ بعض الطرائق المتبعة في وضع المصطلح ، كالمجاز مثلاً ، يمكن أن تخرج الكلمة عن أصل معناها اللغوي لتدل على معنى اصطلاحيّ . وفي هذا الصدد نقل محمد المنجي¹⁰ آراء المجمع العراقيّ مصطفى جواد:

« المصطلح لا يعني تسمية جامعة للمسمّى كما يظنّ الذين لم يدرسوا علوم اللغات بل يرمز رمزا لصلته بين الرمز والمرموز إليه . وهذه الصلة تختلف قوّة وضعفا على حساب الأحرف المؤدية للمعنى . فالاصطلاح مقصّر دائماً عن

9 - مجلة الأصالة ، العدد 57 ، 1978 .

10 - محمد منجي العيادي ، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ديسمبر 1980 .

الإحاطة بمعنى الشيء المسمّى اصطلاحياً " . ويقول الدكتور سلطان الشاوي¹¹ حول استعمال المصطلح وتطوره:

" لا يمكن للمصطلح العلمي أن يحي بدون الاستعمال . إنّ العمل العلمي ومصطلحاته يسيران معاً ولا يسبق أحدهما الآخر . إنّ التعريب عملية متحرّكة تتم عبر الممارسة التي تساعد على إيجاد المصطلحات العربية تدريجياً وتستعين بمصطلحات أجنبية إذا اقتضى الأمر ، ولكنها ترمي في النهاية إلى تحقيق التعريب الكامل عن طريق التشذيب والتنسيق المتواصل . إنّ استعمال الألفاظ اللغوية هو الذي يرسّخها ويحكم دلالتها ، إذ ما الفائدة من تكديس المصطلحات والمعاجم الفنية الضخمة لتبقى حبيسة الرفوف دون استعمال ، بينما نستمرّ في تعليمنا وفي بحثنا العلمي في مؤسساتنا العلمية باللغة الأجنبية ."

وحذر ساطع الحصري¹² من خطورة بقاء المصطلحات والمفردات محفوظة في معاجمها دون إدماجها في الممارسة اللغوية الحية فيقول :

" الغنى في اللغة لا يقاس بعدد الكلمات المسطّورة في القواميس ، ولا بكثرة المترادفات المطمورة فيها . فإنّ القواميس لم تكن مجعاً للكلمات الحية فقط ، بل هي مدفن الكلمات الميتة أيضاً ."

يصف الجاحظ أعمال السلف في نقل العلوم إلى العربية¹³ ، فيقول :

11 - محمد جابر الأنصاري ، التعريب الجامعي وحتمية المقارنة الميدانية ، رسالة الخليج العربي ، السنة الثامنة ، العدد 24 ، 1988 .

12 - محمد جابر الأنصاري ، التعريب الجامعي وحتمية المقارنة الميدانية ، رسالة الخليج العربي ، السنة الثامنة ، العدد 24 ، 1988 .

¹³ - البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص 139 .

" ... وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء . وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع " .

أما أعمال المحدثين المتأخرين فيصفها الأستاذ محمد السويصري¹⁴ ::
 " ... أكبّ العديد من الأخصائيين جاهدين على انماء ما يقابل في العربية المصطلحات العلمية الجاري بها العمل . ولكن هذه المساعي كانت مشتتة وكانت نتائجها متباينة مختلفة ، فصار المعجم العربي الحديث ملقفاً مصطبغاً بالعديد من الألوان ، وهو مائج متحرك يعرض من المستحدثات أفواجا من الألفاظ المشتركة التي قد توازي المدلول المقصود موازاة تامة أو هي لا توازيه ، والتي تتميز بحسب البيئات وتختلف باختلاف الأشخاص . فعرب كل أخصائي بعض مصطلحات اختصاصه متأثراً باللون الذي طفا على اللفظ المستعمل في لغة الأصل التي أسندت إليها وجعلها أساساً في بحثه ، فتراكمت المفردات وتعددت لأداء المفهوم الواحد أو لوصف الظاهرة الواحدة . ولا يدلّ هذا الازدحام وهذا الخصب الظاهر على السعة والثراء بل يدلّ على ما يسود طرق العمل من فوضى وعلى عيب أساسي هو فقدان الأسلوب المنطقيّ والخلوّ من النظرات الفلسفيّة العامّة في مادة التعريب " ، زبدة القول في الختام إنّ طريق تعريب العلوم طويلة وشاقة . للترجمة دور مركزيّ في اختصار المسافة والزمن فيها . ينبغي الاسراع بالعمل على تثمين الجهود الكبيرة التي بذلت والتي ستبذل في ميدان صناعة المصطلح العلميّ العربيّ لتشمل جميع العلوم والتكنولوجيات والفنون . سوف يكون لهيئة وطنية دائمة ، ترصد الساحة وتتقّى الجهود وتعزدها، الأثر الطيب .

¹⁴ - محمد السوسي ، لغة الرياضيات ، الدار التونسية للنشر (تونس) والمؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) ، جانفي

شروط بعث حركة الترجمة

أ. عيلان نسيمة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة عنابة

تمهيد:

كانت الترجمة وما تزال من أهم العوامل في نهضة الأمم ، فمهمتها خلق جسور التواصل المتوازن بين الثقافات ، وبالتالي فهي تسهم في تعزيز التعاون الثقافي الدولي . والترجمة ضرورة في عالم تعددت لغاته، وأصبحت من الضرورات الملحة في أيامنا هذه نظرا للتطور الكبير الذي شهده وما زال يشهده المجال المعرفي أي الأدبي و العلمي والاقتصادي.

ولقد شهد العالم العربي، وهو جزء من هذه المعمورة ، نشاطا متزايدا في حقل الترجمة من اللغة العربية إلى لغات أجنبية والعكس ، إذ أدرك ما للترجمة من إسهام في تطوير وارتقاء اللغات والآداب ، بما تنقله إليها من صور وأفكار

ومعاني تساعد الإنسان على التطور والإبداع ، وبالتالي التجدد المستمر . ذلك لأن التمازج بين الشعوب والأمم يؤدي دوماً إلى إحداث الأثر العميق في الثقافة ، ونعني بالتمازج الاتصال الذي يتم بين الشعوب وتزدهر من خلاله الثقافة مثل ما حدث مع العرب إثر انفتاحهم على العالم ، وكذا الرومان بعد بسط نفوذهم على بلاد اليونان ، وأوروبا بعد اتصالها المباشر وغير المباشر بالتراث الإغريقي اللاتيني ، والتراث العربي الإسلامي .

وإذا كانت الترجمة وسيلة من وسائل هذا التمازج بين الشعوب والأمم، إذ تسهم في رقي حياتها الأدبية والعلمية بما تنقله إليها من معارف وعلوم تزخر بها حضارات وثقافات أخرى ، فهي أيضاً " سلاح بيد اللغة لأنها الوسيلة إلى إعادة إنتاج المعرفة ، وهذا المبدأ هو الذي توسلت به الحضارات العربية ، وجاء تراثها شاهداً به وشاهداً عليه . إذ يستكشف الدارس بانبيهاً وهو يراجع التاريخ، ما أولاه العرب من عناية للترجمة حتى تكون عوناً لهم على نقل معارف الأمم الأخرى وعلوم الحضارات التي سبقتهم " (1) .

" والترجمة هي أيضاً سلاح بيد اللغة التي يظل أهلها مصرين على احقيتهم في ان يكونوا الأقوى فيتمثلون اللغة عبر الترجمة ليتمثلوا المعرفة حتى يساهموا في إعادة إنتاجها كما انتجوها أول مرة " (2) .

والترجمة هي نقل نص من لغة إلى لغة أخرى . والنص موجود لساني مؤرخ وموقع أي أنه منتج جاهز متعدد المستويات والدلالات والإحالات ، وله موقعه في السياق الحضاري ، بما يتناسب مع مستواه .

والنص حينما يتصدى له المترجم بالقراءة والتفسير ليتمكن من نقله فإنما يتصدى له وهو يحمل ثقافته الخاصة التي هي حصيلة تجاربه التي عاشها فلا يستطيع أن يكون حيادياً .

فترجمة نص ما من لغة إلى أخرى هي في الحقيقة إقحام عالم في عالم آخر، وتاريخ في تاريخ آخر وثقافة في ثقافة أخرى . لذا كان النص موضوع رهان المترجم والترجمة ، مما يُنتج صعوبات في الترجمة ويطرح اشكالات يجب فهمها والبحث عن سبل تجاوزها .

وقد تساءل الدارسون والمهتمون بحقل الترجمة عما إذا كانت الترجمة علماً ، والعلم موضوعي أم هي فن والفن ذاتي . ويبحث علماء اللغة في المسألة بعد برهنتهم على وحدة الفكر الإنساني ، فوضعوا أسساً نظرية لترجمة علمية لكنهم لم يحققوا بذلك نتائج كبيرة في حين استخلص مترجمون قواعد من تجاربهم في الغالب فتيسرت بها ممارسة المترجم .

فالترجمة علم وفن معا، والفاصل بينهما هو حيث يجب أن نبحث عن موقع مشكلة الترجمة ، وأولى مشكلات الترجمة في اللغة أي قدرة الإنسان المترجم على التلقي وإخراج ما يتلقاه عن الآخر بلغة دالة تقترب من الكمال في ميدان تخصصه ، لأن المترجم عليه أن يعرف الموضوع الذي يتناوله النص الذي يعتزم نقله .

فالترجمة إن هي إلا طريق إلى الآخر، والمترجم إن هو إلا سبيل متميز للتعاقب بين البشر على كافة الأصعدة . ومهما قيل عن الترجمة فهي شر لا بد منه وعلى حد قول الأستاذ عبد السلام المسدي " اللغة بأهلها والترجمة مدد لها لأنها صورة من صور حيويتها ساعة تختلط باللغات الانسانية الأخرى " (3)

وقد تحولت الترجمة إلى مهنة في أيامنا نتيجة التقارب بين البشر والحاجة إلى التفاهم بينهم . وقد نتج عن هذا التحول تأسيس مدارس ومعاهد في الترجمة تُعنى بتعليم اصولها وتطبيق قواعدها .
كما أن للترجمة اختصاصات في اللغات والعلوم . وأصبح لها اتحادات ووكالات اقليمية ودولية . ومن ثم صار للمترجم حقوق هي بمثابة حقوق المؤلف نفسها في الدول المتقدمة ، كما اصبحت لمهنة الترجمة ضوابط تنظم علاقات المترجم بمن يستخدمه .

لكن من هو المترجم ؟

ليس مترجما من اراد ذلك ، بل المترجم هو من كان في مقدوره تطبيق جملة من المعارف النظرية والتقنية حين قيامه باثراء التراث الثقافي المتنوع والكثيف الذي يحمل قدرات يبرز قيمتها المترجم بفضل المناهج المتطورة جدا التي احدثتها الترجمة .

ولتؤدي الترجمة الدور المنوط بها من حيث مواكبة العصر وذلك بنقل المعارف إلى لغتنا العربية وتمثلها وتطوير لغتنا ، وجب بعث حركة ترجمة رشيدة في المرحلة الراهنة لتكون بداية الطريق إلى التعريب الذي هو أول هدف للترجمة ومن ثم التأليف

شروط بعث حركة الترجمة :

ولن يتم بعث مثل هذه الحركة إلا إذا تأسس وفق الشروط التالية :

1 - **تعليم اللغات** : الاهتمام بتعليم اللغات لأن تعلم اللغات ضرورة لامفرّ منها من أجل معرفة الآخر والاطلاع على آدابه والتواصل معه . وهذا يتطلب تغيير الذهنيات بالدرجة الأولى حتي يصبح الإنسان الجزائري متفتحا على العالم

بإتقان لغات هذا العالم ، وقدرته على استيعاب مسيرته حتى لا يسقط في فخ الانبهار ، ومن ثم التقليد وعدم القدرة على الابتكار مما يهيئه لتبعية ثقافية فاقنصادية كاملة والنهوض بمثل هذه المهمة يتطلب سياسة لتعليم اللغات تضعها الدولة ، إذ يجب أن يُدرج في برامج التدريس على مستوى المرحلة الاكاديمية ثم المرحلة الثانوية عدد من لغات العالم ، يترك الخيار للتلميذ، وهذا قصد التنوع في تعلم اللغات وتخريج دفعات ممن يتقنون اللغات الأجنبية المتعددة ، مما يساعد لاحقا على وضع استراتيجية لترجمة روائع أدبية ومعارف علمية عالمية بعيدا عن التقيد بلغتين ، كما هو الحال الآن حيث نسهر على تدريس الفرنسية ثم الانجليزية لنكرس تبعية نحن في غنى عنها ، إذ بانفتاحنا على العالم ننأى عن التعصب في الرأي ونتبنى مواقف على مختلف الأصعدة تعود بالفائدة على مصالحنا الخاصة والعامة .

وهذا النظام الذي يراعي التعدد اللغوي عملت به الجزائر بعد الاستقلال مباشرة وكان مثمرا جدا.

وبإزالة هذا العائق النفسي الاجتماعي التربوي تنهياً سبل تكوين الأجيال في اللغات ، وعلى حد قول الأستاذ عبد السلام المسدي " اللغة ترجمان الإنسان عن الإنسان ساعة يكون للواحد منهما لسان غير الذي للآخر " (4) .

2 - توفير الوسائل المادية والبشرية : القضاء على عائق آخر ليس أقل أهمية وهو مادي ، ويتم ذلك بتوفير الوسائل المادية ، فنوعية الترجمة ترتقي بارتقاء نوعية المترجمين.

أما الوسائل المادية فنحن ي بها الوسائل السمعية البصرية ، الكتب والمجلات العلمية المتخصصة ، المعاجم العامة والمتخصصة ، الهياكل القاعدية

أي المقررات وتهيئتها بما يوفر الجو لعمل مثمر ، تيسير الاتصالات بالمؤلفين والدارسين للمؤلفات التي يُرمع نقلها إلى اللغة العربية .. الخ .

أما الوسائل البشرية فهي في توفير طقم من الأساتذة ذوي الكفاءة العالية في المعاهد المختصة في الترجمة أو أقسام الترجمة في الجامعات ليتم تكوين مترجمين من طراز عالي باعتماد أحدث الطرق والتقنيات في مجال الترجمة ، واستقطاب هؤلاء لن يكون إلا بتوفير جو علمي مريح أي توفير شروط الدراسة كاملة للمدرس وللمتعلم ، من هياكل (قاعات التدريس ، ورشات العمل ، اقامات الطلاب) ووسائل مادية أخرى (كل ما تتطلبه عملية الترجمة وتلقين أسسها من أجهزة وكتب وظروف عمل مريحة تساعد على بذل الجهد المتصل) . فالمترجم هو الطاقة المحولة للركام المعرفي العالمي وهذه المهمة الموكلة إليه خطيرة ، إذ هي وطنية وتهدف إلى حماية التراث المعرفي الخاص أي القومي بإثرائه وتطويره ، ومن ثم تفعيله وتجديده .

3 - **تكوين المترجم** : وحتى تتمكن المؤسسات العلمية المعنية من تخريج هذه الكفاءات في مجال الترجمة، وجب السهر على وضع برامج تقوم على أساس التخصص بعد سنة لا أكثر للتمهيد أي " جذع مشترك " حيث تُعطى للطالب المبادئ العامة للترجمة وتاريخ وجيز عن حركة الترجمة في العالم ، وتحسيسه بأهمية الترجمة في النهوض بالأمم مع التركيز على حركة الترجمة عند العرب قديما وحديثا .

ويُعدُّ التخصص في الترجمة أمرا لامناس منه لأن المعارف كثرت والعلوم اتسعت وتنوعت وتفرعت إلى اختصاصات جد دقيقة ، ومن ثم وجب على الطالب مترجم الغد أن يتخصص أولا في عدد من اللغات بحيث يتقنها ثم

يتخصص ثانيا في مجال معرفي بعينه حتى يستطيع أن يقوم بترجمة دقيقة للموضوع الذي يختاره ويكون على علم به .

فالمخصص في الأدب لا يقوى على ترجمة أعمال في علم البيولوجيا أو في علوم الأرض، وهكذا يتوفر المتخصصون في الترجمة الأدبية، والترجمة العلمية، وكذا متخصصون في الترجمة الفورية والترجمة على الشاشة أو الدبلجة .. الخ ، مما يدفع دون شك إلى ازدهار حركة الترجمة .

4 - آليات النهوض بالترجمة : من أهم هذه الآليات وضع استراتيجية عمل عربية في مجال الترجمة من أجل اختزال الوقت وتوفير الجهد والمال ، وذلك من أجل نقل كم أكبر من التراث المعرفي العالمي سواء عن طريق الجامعة العربية إن تم العمل بسرعة لأن التماطل ليس في صالحنا ، أو بإنشاء وكالة عربية للترجمة تنسق الجهود وتيسر الاتصالات بالمؤسسات العلمية عربيا ودوليا ، فتوفر الجهد على المترجم من أجل سرعة الإنجاز . وإن لم تثمر الجهود على المستوى العربي بسرعة فيجب أن نعمل على مستوى وطني أي جزائري حتى لا نضيع الوقت ، وذلك بوضع رزنامة عمل لحركة الترجمة تتضمن ما يلي :

أ - إحصاء ما يجب نقله بالاعتماد على خبراء في المجالات المعرفية المختلفة .

ب - جدولة العمل على أساس ترتيب يراعي الأولويات ويحدد ما يجب نقله على المدى القريب ثم على المدى المتوسط . وهنا من الأولويات حسب رأيي المتواضع أن نبدأ بنقل كل ماله صلة بتنشئة الأجيال من معارف متصلة بالبرامج التعليمية .

- ج - إسناد مهمة ترجمة هذا الركام المعرفي إلى مترجمين أكفاء ، وكل بحسب اختصاصه مع ضبط آجال لإنجاز العمل . وهكذا نمكن الجزائر من التوفر على مخزون معرفي في مختلف مجالات العلم والمعرفة .
- د - كما يجب بعث هيات تدعم التعاون بين المترجمين وعلماء اللغة حتى يتم استغلال التوسع السريع الذي حصل ويحصل في ميدان الدراسات اللغوية .
- هـ - تخصيص مجالات فصلية تُوزَع على الاختصاصات وتعنى بشؤون الترجمة في كل اختصاص مما يمكن من تجاوز العقبات التي تعترض سبيل المترجم عن طريق الحوار والتشاور داخل كل اختصاص .
- و - الاهتمام بنقد الترجمة وما يثيره من مسائل وينبه إليه من قضايا وانحرافات ، ومناقشة هذه المسائل والقضايا والبحث عن حلول لها .
- ز - تنظيم لقاءات دورية للمترجمين يتدارسون فيها مشاكل الترجمة ويتحاورون حول قضاياها .
- ح - تصنيف الأعمال الجزائرية التي يجب ترجمتها إلى مختلف اللغات الأجنبية ، ووضع جدول زمني لإنجاز هذا العمل .
- ط - توثيق الصلة مع المؤسسات المعنية بالترجمة في الوطن العربي .

حقوق المترجم وواجباته :

إن المترجم بصفته وسيطا مبدعا لا يمكن أن تستغني عنه أية أمة تدرك حقا مدى فاعلية هذا الجسر الذي من خلاله يتم اللقاء بين الشعوب عبر ثقافات وتواريخها وتجاربها المتفردة . وعليه حتى نحافظ على هذا المترجم ونشجعه على المهمة الصعبة المنوطة به ، وجب التكفل بحقوقه . ولا شك أن الحديث عن حقوق المترجم يستوجب الحديث عن واجباته .

1 - ومن واجبات المترجم إتقان اللغات وعلى رأسها لغته الخاصة (أي الوطنية والرسمية) ، الإلمام الشامل ، وإن لم يكن دقيقا بمسيرة الحضارة التي ينتمي إليها ، وبالتالي الاطلاع الكافي على الركام المعرفي لهذه الحضارة في مجال تخصصه ، وهذا ما يدعم الانتماء ويكرّس الأصالة ويحافظ على الهوية، ويقوّي إدراكه وقناعاته بأن ما يقوم به من عمل وإنجاز في حقل من حقول المعرفة ، إنما الهدف منه بالدرجة الأولى هو خدمة ثقافته وإثرائها من خلال تطويرها بما يضاف إليها من معارف وتجارب لدى الآخر كذلك الالتزام بالمعارف النظرية والتقنية للترجمة والسهر على معرفة ما يجدّ من تطورات في حقل الترجمة أن يكون المترجم أيضا واسع الثقافة ، ذا ذوق رفيع يمكنه من انتقاء جيد لما يجب ترجمته إلى لغته . ومادام أداة حوار إذ يؤسس بعمله لهذا الحوار بين الأمم ، فلا يجب أن يكون متعصبا لرأيه بل عليه أن يتحلى بموضوعية العالم مما يساعده دون شك على إنجاز أوفر للأعمال المترجمة، ولا يعوق سيره قدما نحو تحقيق الأهداف النبيلة من الترجمة .

2 - أما الحديث عن الحقوق فصعب ، إذ يجب توضيح هذه الحقوق أولا لأنها غير واضحة في بلادنا ، بل هناك من يزدرى هذا العمل حتمن بين رجال العلم والثقافة .

فالعناية بالمترجم يدخل ضمن استراتيجية ثقافية شاملة تضعها الدولة من أجل دعم السيادة والحفاظ على الهوية وتكريس التفرد لتمكين الفرد من القدرة على العطاء والإسهام في المسيرة الحضارية الإنسانية ، لأن الفرد ما لم يكن أصيلا لا يمكن أن يكون متفردا في تجربته وبالتالي لن يكون قادرا على العطاء والإسهام ، بل سيسهل احتواؤه . أو ليس المترجم الحقيقي بالمواصفات التي سبق أن تحدثنا

عنها هو السبيل المتميز للتواصل بين الأمم والذي نستطيع من خلاله أن نعدّل ميزان القوة لصالحنا إذا صدق العزم وخلصت النية. وأول هذه الحقوق أن يُحصر عدد المترجمين الذين تتوفر فيهم مواصفات المترجم الذي يؤمن بالمهمة الوطنية الصعبة التي تتطلب التضحية . فكثير من هؤلاء المترجمين مغمور .

ثم تهيئة الظروف الملائمة للعمل على مستوى مناطق عديدة من الوطن باستغلال الهياكل التي تتوفر عليها الدولة في مؤسساتها التعليمية التربوية . كذلك يجب الاهتمام بالمقابل المادي لعمل المترجم وهو حافز قوي جدا يساعد على ترقية المترجمين . وما دامت المهمة وطنية فتخصيص ميزانية معتبرة للترجمة يُعدُّ من الأولويات .

معوقات يجب إزالتها

من حقوق المترجم أيضا ألا نفرض عليه بناء على الدقة والأمانة في النقل أن ينقل النص كاملا غير منقوص على مستويات اللغة والمضمون والأسلوب. فهو مدرك لخطورة الموقف ويمنحه الثقة نسمح له بتجاوز النص عند الضرورة .

من المعوقات التي توضع في طريق المترجم أيضا أن نلزمه بالنقل عن الأصل فقط ونرفض أن تصدر ترجمة عن ترجمة أخرى ، وهذا فيه تعطيل لمهمة المترجم ، لأن الكثير من الأعمال القديمة والحديثة لايتسنى لنا نقلها إلى اللغة العربية إلا من خلال ترجماتها في اللغات الأخرى ، ولن نعرف الكثير من المؤلفات طريقها إلى اللغة العربية إلا بواسطة هذه اللغات .

ومن المشاكل التي يعاني منها المترجم مشكلة المصطلحات التي لم تتوحد بعد على مستوى الوطن العربي . كما أنه يلقى صعوبة في النشر (نشر أعماله) يجب تذليلها .

الخاتمة :

بهذا القدر أرجو أن أكون قد وفقت في الإسهام ببعض ما يساعد على بعث حركة الترجمة في بلادنا من لغات العالم إلى لغتنا ، ومن لغتنا إلى لغات العالم.

أشكر جزيل الشكر المجلس الأعلى للغة العربية الذي أتاح لي فرصة المشاركة في ندوة الترجمة هذه ، راجية من الله تعالى أن يكلل كل مساعيه في دعم اللغة العربية بالنجاح .

الهوامش

- 1 - د . عبد السلام المسدي . ما وراء اللغة . بحث في الخلفيات المعرفية .
مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع . تونس . أكتوبر 1994 . ص
123 .
- 2 - المرجع السابق . ص 123 .
- 3 - د . عبد السلام مسدي، ما وراء اللغة - المرجع السابق ص.123
- 4 - نفس المصدر السابق ص 113 .

مختبر اللغات والترجمة جامعة منتوري قسنطينة - أهدافه، مهامه، أنشطته، خدماته وآفاقه -

أ. يحي بعيطيش - أ. حسن بوساحة
أ. نور الدين مباركي - أ. عمر عيلان

مقدمة:

تعرف ساحة الفكر والإبداع بصفة عامة، والاكتشافات العلمية والتكنولوجية بصفة خاصة، في العالم المتقدم، انفجارات كبيرة إن على مستوى النظريات أو التطبيقات، ظهر أثرها جليا على الطاقات التعبيرية للغات شعوب ذلك العالم، حيث أصبحت هذه الأخيرة غنية، برصيد فكري إبداعي، خاصة في مجال العلوم والتكنولوجيا.

في حين، تتحرك اللغة العربية، في تلك المجالات الإبداعية تحركا بطيئا، لا يسمح لها باللاحاق بالركب الحضاري المعاصر، فضلا عن مواكبته.

وبناء عليه، نبعت فكرة إنشاء مختبر اللغات والترجمة، بجامعة قسنطينة، ليستقطب فرق بحث متعددة الاختصاصات، تضم باحثين أكفاء، متعددي اللغات، درس أغلبهم في جامعات عالمية أوروبية مشهورة، ولهم تجارب وخبرات وطنية وعالمية في مجال الترجمة، ويؤمنون بالعمل الجماعي المنظم، الذي يقتضي صفة التركيب، التي تستلزم عملاً جماعياً منسقاً، تأطره رؤية واضحة ومقاصد موحدة، وإن اختلفت العدة المفهومية والمناهج الموظفة وطبيعة المادة المعالجة، لأنها تفضي في النهاية إلى غاية مشتركة، هي إحداث تراكم معرفي كمي ونوعي، في مجال الإبداع الفكري والتكنولوجي، من شأنه أن يتدارك النقص الذي تتحرك فيه اللغة العربية، ويعطيها دفعا قويا، وديناميكية تبعث فيها الحيوية ويضعها بدم جديد، يعيد لها إشراقها ومكانتها، التي عرفتها إبان عصور ازدهارها وإشعاعها، بحيث تصبح طاقة تعبيرية، تستوعب منجزات الإبداع الفكري والأدبي والتكنولوجي العالمي، وتلاحق المصطلحات المستجدة، في مجال العلوم الإنسانية بصفة عامة والتقنية بصفة خاصة، ويكون لها موقعها على مستوى الشبكة المعلوماتية العالمية، تمتد بها جمهور الباحثين والدارسين، بما يحتاجونه من معلومات جديدة.

انطلاقاً من الغايات السالفة الذكر، المستمدة من روح العمل الجماعي المنسق، يعتبر مختبر اللغات والترجمة، مساهمة جادة في تجسيد تلك الغايات، وإخراجها من حيز التنظير إلى العمل الملموس، من خلال استراتيجية عملية ذات أهداف واضحة، ومهام محددة وأنشطة ميدانية وخدمات إجرائية واقعية، وآفاق مستقبلية قابلة للتجسيد على أرض الواقع.

وفيما يلي بطاقة فنية موجزة، لمختبر اللغات والترجمة بجامعة قسنطينة، تحاول من خلالها ورقتنا هذه، أن تقدم الخطوط العريضة لاستراتيجيته

العملية، هادفة من وراء ذلك إلى تعريف وإعلام كل المؤسسات العلمية والثقافية، التي يهتما من قريب أو بعيد، تنمية الطاقة التعبيرية للغة العربية وتطويرها، وعلى رأسها المجلس الأعلى للغة العربية، بوصفه مؤسسة مسؤولة على نشر اللغة العربية وترقيتها، من أجل الإفادة والاستفادة والتنسيق والتعاون وتبادل الخبرات في شتى الميادين، التي تدفع اللغة العربية قدما، لتتفتح على العولمة باطمئنان ونجاح، وتستعيد مكانتها على ساحة الإبداع والإشعاع.

الفصل الأول:

الإطار القانوني:

أنشئ مختبر اللغات والترجمة، بجامعة قسنطينة، في إطار قانون رقم: 98.11 بتاريخ: 19 ربيع الثاني 1419 هـ الموافق لـ 22 أوت 1998 المتضمن لقانون التوجيه والبرمجة لمدة خمس سنوات 1998 . 2002 . وفي إطار المرسوم التنفيذي رقم: 99.244 من 21 رجب 1420 هـ الموافق لـ 31 أكتوبر 1999 المحدد لقواعد إنشاء وتنظيم وسير مختبرات البحث ، وقد اعتمد رسميا بقرار رقم: 42 بتاريخ 05 فيفري 2001.

الفصل الثاني:

فرق البحث:

- يضم المختبر حاليا ست فرق بحث، هي على التوالي:
- 1 . فرقة الأدب المقارن: وتهتم بإعداد وترجمة مؤلفات جامعية في الأدب المقارن.
 - 2 . فرقة الترجمة واللسانيات: وتهتم بترجمة وتأليف كتب في مجال الترجمة ونظرياتها، ومجال علوم اللسان ونظرياته.

- 3 . فرقة الترجمة التطبيقية: وتهتم بإعداد نصوص ومؤلفات من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية والإنجليزية، ومن اللغتين المذكورتين إلى اللغة العربية.
- 4 . فرقة الترجمة العامة: وتهتم بترجمة المؤلفات الجامعية في مختلف مجالات المعرفة في العلوم الإنسانية.
- 5 . فرقة الترجمة والمصطلح: وتهتم بإعداد قواميس ومعاجم مزدوجة اللغة، ووثائق أخرى مماثلة.
- 6 . فرقة الترجمة العلمية المتخصصة: وتهتم بترجمة المؤلفات العلمية الجامعية، والوثائق التقنية والمهارات العالمية، وإنجاز قواميس متخصصة.

الفصل الثالث:

الأهداف:

1 . الأهداف المستعجلة:

- 1 . 1 . توفير المراجع الأساسية وإنشاء مكتبة خاصة بقسم الترجمة.
- 2 . 1 . جمع المقالات والمراجع ذات الجودة العلمية والصيت العالمي في شتى مجالات المعرفة الإنسانية وترجمتها إلى اللغة العربية.
- 3 . 1 . إعداد نصوص تطبيقية لطلبة الترجمة:
 - 1 . 3 . 1 . من الفرنسية إلى العربية
 - 2 . 3 . 1 . من الإنجليزية إلى العربية
 - 3 . 3 . 1 . من العربية إلى الفرنسية والإنجليزية
 - 4 . 3 . 1 . من لغات حية أخرى إلى العربية، والعكس.

2 . الأهداف المتوسطة:

- 2 . 1 . إعداد قواميس ثنائية ومتعددة اللغات للمفردات والعبارات الشائعة الاستعمال.
- 2 . 2 . إعداد قواميس ثنائية ومتعددة اللغات للمصطلحات الأساسية، في مجال العلوم الإنسانية: كعلوم اللسان والأدب المقارن والنقد الأدبي.. وعلوم الاتصال والتكنولوجيا..
- 2 . 3 . ترجمة البحوث والدراسات القيمة في مجال اللسانيات ونظريات الترجمة وغيرها من العلوم الإنسانية والتقنية.
- 2 . 4 . إعداد دراسات تطبيقية، بين اللغة العربية وبين اللغتين الفرنسية والإنجليزية . كمرحلة أولى . تمس مستويات لغوية مختلفة (.. صرفية، نحوية، دلالية، أسلوبية..)
- 2 . 5 . نشر البحوث التي تنجزها فرق البحث، في كتب تحت رعاية مختبر اللغات والترجمة.

3 . الأهداف البعيدة:

- 3 . 1 . تنمية روح البحث والدراسات المنظمة والموجهة، وتكوين الباحثين والمترجمين في شتى مجالات المعرفة، بهدف إنشاء مدرسة جزائرية للترجمة، تسهم إسهاما فعالا في التنمية الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ... بنقل المعلومات التي تساعد على ذلك.
- 3 . 2 . إعداد بحوث مقارنة متخصصة بين نسق اللسان العربي: المنطوق والمكتوب والفصيح والعامي، وبين انساق اللغات الحية.
- 3 . 3 . إعداد معاجم ثنائية ومتعددة اللغات، بين العربية وغيرها من اللغات الحية.

- 3 . 4 . إنشاء مجلة علمية محكمة، لنشر البحوث والدراسات التي لها صلة بمجال الترجمة.
- 3 . 5 . احتلال مكانة في الشبكة العلمية العالمية لرصد كل ما هو جديد ومفيد.
- 3 . 6 . إعداد وتكوين مترجمين أكفاء في تخصصات مختلفة.
- 3 . 7 . إعداد وتكوين مترجمين فوريين في لغات حية مختلفة.
- 3 . 8 . إعداد برامج حاسوبية للترجمة الآلية.

الفصل الرابع

المهام :

- يقوم مختبر اللغات بجامعة قسنطينة ، بإنجاز المهام التالية :
- 1- تأليف وترجمة كتب جامعية في مجال علوم اللسان، والترجمة التطبيقية ووضع المصطلحات في مجال العلوم الإنسانية والعلوم التقنية .
 - 2- ترجمة الكتب الجامعية الأكثر استعمالا في الجامعات العالمية الكبرى في مجال الأدب المقارن ونظرية الأدب والنقد الأدبي ، وفي مجال العلوم الدقيقة : كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والهندسة المعمارية و الجيولوجيا ...
 - 3- تقويم وترقية ونشر الكتب المترجمة أو المؤلفة ذات الجودة والصيت العالمي ، لتوفير الكتاب الجامعي .
 - 4- صناعة معاجم لحقول معرفية مختلفة في العلوم الانسانية والتكنولوجية .

الفصل الخامس

النشاطات :

وتتمثل في الأنشطة المختلفة التي قام بها الباحثون المنتسبون للمختبر في شتى التظاهرات العلمية الخاصة بالترجمة وما يتعلق بها ، أو بالأنشطة التي يعترم المختبر برمجتها مع شخصيات علمية وطنية وعالمية .

ففي المستوى الأول شارك معظم الباحثين المنتسبين للمختبر في فعاليات ملتقيات وطنية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

1 - مشاركة الباحث يحي بعبطيش في التظاهرات العلمية الآتية :

- الملتقى الدولي الأول حول استراتيجية الترجمة : 6 7. 8 ماي 2001 جامعة وهران ببحث موسوم نحو استراتيجية لحل إشكالية المصطلح:المصطلح اللساني نموذجاً.

- ندوة تيسير النحو: 23. 24 / 04 / 2001 المجلس الأعلى للغة العربية ببحث تحت عنوان : النحو العربي بين التعصير والتيسير .

2 - مشاركة الباحث حسن بوساحة في التظاهرات العلمية الموالية:

- ملتقى الأنا وتمظهر الآخر 16/18 / 04/2001 المركز الجامعي العربي التبسي ببحث موسوم بـ صورة انجلترا في الرسائل الفلسفية لفولتير .

- الملتقى الدولي الأول حول استراتيجية الترجمة : 6 7. 8 ماي 2001 جامعة وهران ببحث موسوم بـ دور الترجمة في التنمية والإشعاع الثقافي.

3 - مشاركة الأستاذ الباحث عمر عيلان في ملتقى الأنا وتمظهر الآخر
18/16 / 2001/04 المركز الجامعي العربي التبسي ببحث موسوم بـ وعي
الذات والآخر، المثقف العربي ورهانات العولمة .

4 - مشاركة الباحث صالح خديش في ندوة تيسير النحو: 23. 24 / 04
2001/ المجلس الأعلى للغة العربية ببحث تحت عنوانه : نحو مقارنة ملفوظية
لأسلوب الاستفهام في اللغة العربية .

5 - مشاركة الباحث رشيد قريبع في ملتقى الأنا وتمظهر الآخر 18/16 /
2001/04 المركز الجامعي العربي التبسي ببحث موسوم بـ صورة العربي في
بين ألبير كامو و كلود سيمون .

أما فيما يخص المستوى الثاني ، فإن المختبر يرغب في ربط علاقات
تعاون وتبادل خبرات مع أي مؤسسة علمية أو ثقافية تهتم من بعيد أو قريب بتنمية
اللغة العربية وتطويرها لاستيعاب منجزات العلوم والتكنولوجيا.

وفي هذا الصدد، ترغب إدارة المختبر في برمجة لقاءات علمية مع
شخصيات علمية وطنية وعالمية في مجال الترجمة وعلوم اللسان ، من أجل
تدعيم المختبر وإغنائه بتجاربيها، وإلى جانب ذلك، ينوي المختبر عقد ملتقيات
ومؤتمرات وطنية ودولية، يعالج فيها مواضيع وإشكاليات وصعوبات الترجمة
الحديثة ، ضمن محاور مدققة ومعقدة .

الفصل السادس

الخدمات :

يقدم المخبر لجمهور الجامعيين (طلبة, باحثين, أساتذة ...) جملة من الخدمات شرع فعلا في تقديم بعضها، وينوي تقديم خدمات أخرى مستقبلا.

فعلى المستوى الأول، وصلت طلبات كثيرة إلى إدارة المختبر راغبة في ترجمة المقالات العلمية الحديثة مستقاة من شبكة الأنترنت ودوائر المعارف العالمية. وفي هذا الصدد تمت فعلا ترجمة العديد من المقالات العلمية، من اللغات : الفرنسية والانجليزية إلى اللغة العربية في العلوم التالية:

1 - البيولوجيا : ترجمت إليه عدة مقالات، نذكر منها : الجهاز العصبي، الفيتامينات والأكسدة، الفيتامينات الميتابولية، من التغذية إلى الأدوية، مستخلصات المواد الخ ...

2 - الاقتصاد : ترجمت له عدة مقالات في :

- العقود البنكية والإعارات المالية، إدارة وتسيير المبيعات، الرقابة الجبائية .

3 - الحقوق :

- ترجمت فيه محاضرات في حقوق الإنسان لأساتذة الحقوق ...وعلى المستوى الثاني، ينوي المختبر تقديم الخدمات التالية :

1 - عقد دورات لتحسين التمكن من اللغات : العربية، الفرنسية، الإنجليزي لصالح الطلبة والأساتذة والباحثين وفق المناهج التعليمية الحديثة .

2 - عقد دورات خاصة بتحرير المقالات العلمية طبقا للمقاييس العلمية العالمية، باللغتين الفرنسية والإنجليزية .

الفصل السابع :

الآفاق المستقبلية

ينفتح مختبر اللغات والترجمة على كل ما هو جديد، ويشجع كل الكفاءات العلمية المتخصصة، ويرحب بعضويتها، وفي هذا الإطار، قبلت إدارة المختبر ومجلسها العلمي بارتياح التصور الذي قدمه الأستاذ الخبير نور الدين مباركي حول الآفاق المستقبلية للترجمة العلمية والإنتاجية والذي نقدم خطوطه العريضة فيما يلي :

إن تحديات العصر الحديث ومتطلباته يستوجب منا التفكير في طرق جديدة ومعاصرة لتجديد طاقاتنا العلمية والاحتكاك بما يجري في الخارج واكتساب التقنيات اللازمة للنهوض بالترجمة العلمية والإنتاجية والارتقاء بها لخدمة اللغة العربية وتوفير المراجع العلمية الضرورية للبحث وتسهيل الاتصال بالعالم المتحضر والدخول في المنافسة البناءة عبر ظاهرة العولمة .

الترجمة العلمية والإنتاجية :

إن النقص الكبير الذي تعاني منه مكتبتنا العلمية والعزلة التكنولوجية التي نعيشها في وقتنا الحاضر أجبرنا على إعادة النظر في المنهجية المتبعة والأساليب التقليدية التي أصبحت لا تساير العصر .

بالفعل ونحن نعيش في هذه الثروة العلمية الكبيرة , عصر المعلوماتية والانترنت والتكنولوجيا المتطورة أصبح العالم بموجبها قرية صغيرة حيث الاتصال اللحظي والمباشر , وهذا يتطلب وضع آليات تسمح لنا بمواكبة الدول الأخرى وتقديم الخدمات اللازمة والضرورية التي تحتاجها أمتنا العربية الإسلامية وبطريقة متحضرة وخاصة في مجال الترجمة العلمية للاحتكاك بالخارج (خاصة في الجانب العلمي والتكنولوجي) والنهوض باللغة العربية وجعلها لغة علمية عالمية,

وذلك بإثرائها وتوحيد مصطلحاتها في كل الاختصاصات : الفيزياء, الكيمياء, الإلكترونيك, البيولوجيا, الطب, الهندسة المعمارية والرياضيات الخ

الأهداف المسطرة:

إن مختبر الترجمة واللغات كان بالنسبة لنا إطارا تترجم وتغذى فيه أفكار جديدة تعتمد أساسا على الواقع الذي نعيشه وظاهرة العولمة التي تحاصرنا وتدخلنا باب المنافسة العلمية البناءة .

فالعالم العربي اليوم , يعاني من عدم توفير الكتاب العلمي والمنشورات العلمية العالمية باللغة العربية وهذا يجعله لا يساير متطلبات العصر ولا يحتك مع الخارج لكسب تقنيات جديدة تعود بالفائدة على المجتمع . وحتى وان كانت من حين إلى آخر بعض الاجتهادات المحتشمة فيما يخص توحيد المصطلحات العلمية والتقنية باللغة العربية فإنها بعيدة كل البعد عن الأهداف المرجوة منها.

لذلك ارتأينا من خلال هذا المختبر جمع كفاءات علمية من ذوي الاختصاص للتفكير في طرق جديدة ومعاصرة للمساهمة الفعالة في مجال الترجمة العلمية والإنتاجية . فمن الأهداف المسطرة نذكر ما يلي :

1- إدخال المعلوماتية والانترنت.

أ - خلق موقع في شبكة الانترنت وتقديم الخدمات اللازم ة وإعطاء المعلومات الكافية.

ب- خلق مدرسة افتراضية متخصصة في الترجمة واللغات من خلال شبكة الانترنت.

ج - تكوين بنك معلومات في الترجمة حسب الاختصاص.

د - إنتاج معاجم علمية على شكل أقراص مترابطة (CD).

هـ - كتابة برامج معلوماتية للتعرف على الكلام ومن ثم الترجمة الفورية.

و - كتابة برامج معلوماتية للتعرف على الكتابة ومن ثم الترجمة الفورية.

2- توفير الكتاب الإلكتروني للترجمة.

وهو عبارة عن جهاز (يمكن أن يرفق مثلا بالهاتف النقال) ويمكننا الاتصال بواسطته بموقع الأنترنت حيث يوجد بنك المعلومات والترجمة حسب الاختصاص وهذا يساعد المسؤولين ورجال الأعمال والعلميين على الترجمة الفورية في أي مكان وزمان وتقديم المعلومات العلمية الكافية.

3- الترجمة العلمية المتغيرة.

وهو برنامج معلوماتي يسمح بإضافة وتحديث المعلومات والمصطلحات وإثراء الرصيد العلمي الموجود , ويستطيع كل واحد استعماله وخلق معجمه الخاص.

4- الترجمة الاستنساخية.

وهو برنامج معلوماتي يسمح لنا باستنساخ نصوص علمية كما هي , ثم ترجمتها تلقائيا . ويساعد هذا البرنامج على ترجمة الكتب ذات الشهرة العالمية والملتقيات العلمية ذات الأهمية التكنولوجية دون كتابتها.

5- الترجمة الكلامية.

وهو برنامج معلوماتي يسمح لنا بترجمة كلامية لنص علمي يساعد خاصة المكفوفين.

6 - الترجمة بكتابة برايل.

وهو برنامج معلوماتي يسمح لنا بالتعرف على نصوص مكتوبة بالبرايل وترجمتها كتابيا أو كلاميا إلى مختلف اللغات والعكس وهذا يساعد المكفوفين بالاحتكاك والمساهمة في مختلف مجالات الإنتاج العلمي والفكري.

7- الترجمة الإشارية.

وهو برنامج معلوماتي يسمح بترجمة إشارات الصم البكم إلى رموز ومنه إلى كتابة حسب اللغة المستعملة .

8- كتابة معاجم علمية متخصصة عربية - إنجليزية - فرنسية.

ووضعها في متناول الأقراص المتراسة (CD) وذلك في جميع الاختصاصات : الاقتصاد, البيولوجيا, علم النفس, علم الاجتماع, التاريخ, الجغرافيا, الفلسفة, الفيزياء الكيمياء, الرياضيات, علم التغذية, الهندسة المعمارية

والمدنية، الجيولوجيا والطب، الحقوق، الالكترونك، الميكانيك، المعلوماتية الخ...
وهذا لتسهيل فهم المواضيع العلمية حسب الاختصاص ومساعدة الباحثين في
تحضير رسائلهم العلمية .

انعكاس تكوين المترجم على نص لغة الهدف

أ. حفصة نعماني

قسم الترجمة كلية الآداب واللغات - جامعة الجزائر

يُفترض أن يظهر المترجم في نص لغة الهدف قدراته اللغوية ومدى اطلاعه على ثقافات الشعوب، فاللغة وحدها وإن كانت -ربما- أحسن وسائل الاتصال قد لا تشفي غليل قارئ الترجمة أو سامعها في بعض المواطن كالترجمة الحرفية المؤدية إلى عدم فهم فحوى النص. وغالبا ما لا يتوصل هذا القارئ أو السامع إلى المعنى لأنه في أغلب الأحيان غير ملمّ بلغة المتن أي لغة النص الأصلي، وما عدا ذلك فقد تكون قراءة النصين -نص المتن ونص الهدف- متزامنة بغية الاطلاع على الأخطاء الترجمة، وذوو الاختصاص أهل لذلك.

وسنتحدث في هذه المداخلة عن الترجمة التحريرية فقط، إذ كثيراً ما نقرأ ترجمات غريبة لا تمت بأي صلة إلى مبادئ هذا الفن¹، فما مردّ ذلك؟

أنكمن المشكلة في عدم فهم المترجم لنص لغة المتن واكتفائه بالترجمة الحرفية؟ أم أنّ عدم تمكن المترجم من لغة الهدف يحول دون التعبير الصادق عن معنى نص المتن؟ أم أنّ هناك تعابير تتعذر ترجمتها إلى لغة الهدف؟

وتجعل هذه التساؤلات -التي سنحاول الإجابة عنها- مداخلتنا تتناول عنصرين رئيسيين:

I/ معايير الترجمة الجيدة: وسنوجز الحديث حول هذه المسألة.

II/ مسببات الترجمة السيئة: وسنتطرق في هذا الشق إلى تحليل بعض الأخطاء الترجمة.

I/ معايير الترجمة الجيدة: لا أحد ممّا ينكر أن لا وجود للمثالية والكمال في الترجمة، غير أننا درجنا على التفريق بين الترجمات المختلفة بالكلمات: "جيدة، ومقبولة أو لا بأس بها، وسيئة"، فعلام تقوم الترجمة الجيدة؟

يرى أ. ف. تايتر A.F. TYTLER في كتابه " Essay on the Principles of Translation" (دراسة حول مبادئ الترجمة) الذي ظهرت أول طبعة له عام 1791 أن الترجمة تقوم على ثلاثة أسس:

1-وجوب تجسيد أفكار الأصل،

2-وجوب المحافظة على أسلوب الأصل وطريقة كتابته،

¹ لا نرمي باستعمال كلمة فن إلى إنكار الجانب العلمي للترجمة.

3-وجوب الاتسام بسهولة التعبير لإفهام الأصل. (تاينلر 1907، ص 9)
عن (حتيم HATIM و ماسن MASON 1990، ص 15-16).
وحذا أوجين نايدا E.NIDA حذو تاينلر فبنى الترجمة الحقّة على أربعة
أسس:

- 1-تأدية المعنى،
- 2-توصيل روح الأصل وأسلوبه،
- 3-الاتسام ببساطة التعبير،
- 4-إحداث استجابة تماثل استجابة قارئ الأصل. (نايدا، 1964، ص 164).

ويُلاحظ أنّ نايدا يتفق مع تاينلر في أسسه الثلاثة.
وفي نظرنا لا تتأتى الترجمة الجيدة إلا بتوفر عاملين أساسيين:
I-1) القراءة الأولى لنصّ المتن تحصيل للترجمة الأولية:

لا نقصد بالترجمة الأولية وضع مسودة انطلاقاً من لغة المتن وصولاً إلى لغة الهدف مع ترك فراغات – أي عدم ترجمة الوحدات النصية التي لا تفهم في هذه المرحلة – وإنما على المترجم البدء بقراءة النص قراءة تحليلية توصله إلى فهم المضمون واختيار المستوى اللغوي وطابع الأسلوب اللذين يقتضيهما الحال، كما أنّ هذه القراءة تمكّن من تحديد الوحدات الترجيحية²، فالمترجم قارئ بالدرجة الأولى قبل أن يصل إلى مرحلة الصياغة التي يُفترض أن يكون فيها كاتب نص

² يعرف موضوع الوحدة الترجيحية ثلاثة اتجاهات: الاتجاه اللساني الذي يرى مثالية وحدة الترجمة في الجمل والعبارات باعتبار أنّ الجملة تشكل كياناً نحويّاً مستقلاً، والاتجاه التفسيري الذي تنزعه المدرسة العليا للترجمة والمترجمين بباريس وهو اتجاه يرى مثالية وحدة الترجمة في المعنى الإجمالي المحصل في الذهن، والاتجاه الاجتماعي اللساني الذي يقسم النص إلى وحدات نصية ويعتمد على ترجمة البلاغات.

يحاول فيه قدر المستطاع الوفاء لنصّ لغة المتن معنى وأسلوباً، وقد قال جون دوليل J.DELISLE في هذا الشأن:

" إنَّ المترجم ليجد نفسه إذن أمام نص للترجمة في وضع يماثل وضع قارئ أحادي اللغة يتعرف على المضمون"(دوليل، 1980، ص 70).

ولكن الواقع لا يثبت ما سبق ذكره، فكثيراً ما يبدأ طلبة الترجمة على سبيل المثال في الامتحانات بتدوين الترجمة أثناء القراءة الأولى، ويبدو أنّ الصحفيين يسلكون الطريق نفسه ربحاً للوقت.

I-2) الملكتان اللغوية والثقافية دعامتان للترجمة:

تعرف اللغة على أنها:

"نتاج اجتماعي للقدرة اللغوية ومجموعة من التواضعات الضرورية تبناها المجتمع كله للتمكين من ممارسة هذه القدرة عند الأفراد" (ف. دوسوسور F. de SAUSSURE، 1969، ص 25).

أما الثقافة فهي مجموع المظاهر الفنية والدينية والفكرية التي تميز مجتمعاً بشرياً عن سواه من المجتمعات، وهي على نطاق أضيق جملة المعارف التي يكتسبها الفرد في ميدان أو أكثر.

وكثيراً ما يكون المترجم متحكما في اللغة التي يترجم إليها غير أنّ عدم إلمامه بموضوع الترجمة يؤدي به إلى خيانة نصّ المتن، ونستشهد بمثالين يظهر فيهما الخطأ الترجمي دون الحاجة إلى مراجعة نصّ المتن.

أ) وقع الدكتور حسن غزالة مترجم كتاب نيومارك NEWMARK "A Textbook of Translation" (الجامع في الترجمة) في خطأ معرفي حيث جعل سليسكوفيتش SELESKOVITCH رجلاً والمعلوم عند ذوي الاختصاص أنّها

امرأة. ونشير إلى أننا اعتقدنا الخطأ عند اكتشافه للمرة الأولى مطبعياً: "هل يعني هذا، وكما يزعم سليسكوفيتش، أن....." (نيومارك، 1992، ص 26، ترجمة حسن غزالة).

غير أننا تأكدنا من أنّ المترجم غفل عن الحقيقة في: "ربما أخبرنا مراراً (كما فعل سليسكوفيتش)... " (نيومارك، م ن، ص 303).

ب) جاء في "زقاق المدق" لنجيب محفوظ (1972، ص 26):
"أصوم وأفطر على بصل³؟"

ولم يفهم المترجم لوغاسيك ترافر Le GASSIK TRAVER (1975، ص 20)

معنى هذا المثل المصري، فجاءت ترجمته الحرفية غير مؤدية للمعنى:
« What, break a fast by eating an onion?! »

II/مسببات الترجمة السيئة:

تعرف حركة الترجمة بالجزائر في أيامنا وضعاً مأساوياً ولعل مرد ذلك:

II-1) تكوين المترجم الجزائري:

عرف فرع الترجمة منذ سنوات تزايداً في إقبال الطلبة عليه لأنّ التسجيل به أصبح سهلاً مقارنة بالسنوات التي كان الأمر فيها يتوقف على معدل مجموع لغات ثلاث -اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية أو اللغة الإسبانية أو الألمانية وذلك حسب ما يدرسه الطالب في الثانوية وما يثبتته كشف نقاط شهادة البكالوريا- إضافة إلى إجراء مسابقة الدخول وتلك السنوات التي ألغيت فيها هذه

³ جاء هذا القول في "زقاق المدق" على لسان الستّ سنية عفيفي كردّ فعل على إحدى زوناتنا (أم حميدة) التي أرادت تزويجها برجل مسنّ.

المسابقة. غير أنّ العدد قد تضاعف لما أصبح قبول الطلبة في هذا الفرع محدداً بالمعدل العام المحصل عليه في شهادة البكالوريا وليس بمعدل مجموع اللغات الثلاث، ويبدو أنّ لبطاقة الرغبات أثراً سلبياً بحيث يُرغم الطالب على اختيار عشر (10) شعب وفقاً لمعدله ثم لا يسمح له بالطعن إن وجد نفسه مسجلاً مثلاً في آخر شعبة وضعها اضطراراً. وقد تكون الترجمة إحدى هذه الشُعب لأننا إذا رجعنا إلى دليل سنة 2000 نجد المجال مفسوحاً للشُعب الآتية: الآداب واللغات الأجنبية، الآداب والعلوم الإنسانية، الآداب والعلوم الإسلامية، علوم الطبيعة والحياة، العلوم الدقيقة، التسيير والاقتصاد، التكنولوجيا، الهندسة المدنية، الهندسة الميكانيكية، والهندسة الكهربائية.

فكيف يكون مصير الطالب الحائز على شهادة البكالوريا في العلوم الدقيقة مثلاً؟ أيتأتى له أن يصبح مترجماً بارعاً وهو غير متمكن من اللغات لإهماله إياها في الثانوية اعتباراً منه أنها مواد غير أساسية؟

وإذ أردنا الحديث عن قسم الترجمة التابع لجامعة الجزائر، فالمشكلات به عديدة نذكر أهمها:

أ- **كثرة عدد الطلبة:** يعرف قسم الترجمة تزايداً في عدد الطلاب، فالأفواج مكتظة إلى درجة لا تسمح للأستاذ باستجواب كل طالب وتقييمه على حدة في الحصة الواحدة. وقد دفع هذا الأمر بأساتذة الوحدات الشفوية كالترجمة اللاحقة بالنسبة لطلبة السنة الرابعة مثلاً إلى تقسيم الفوج الواحد إلى فوجين فرعيين حرصاً على منح كل الطلبة فرصة المشاركة في الدرس.

ب- **قصر المدة الزمنية المخصصة لتدريس وحدات الترجمة:** لا يستطيع الأستاذ في ظرف تسعين دقيقة أن يوفي تحليل النصوص الذي يسبق الترجمة حظه

والتعقيب على كل الترجمات التي يأتي بها الطلبة عند المرور إلى عملية الترجمة.

ج-نقص الأساتذة الدائمين المختصين في تدريس الترجمة: نظراً للنقص الذي يعانيه قسم الترجمة -جامعة الجزائر- في الأساتذة المختصين، نجده مضطراً إلى توظيف أساتذة مؤقتين حديثي التخرج ودون خبرة في الميدان، وأحيانا توكل مهمة تدريس الترجمة إلى أساتذة ليسوا من ذوي الاختصاص، فكيف لهؤلاء وأولئك أن يكوّنوا مترجمين مهرة والمثل العربي يقول: "فاقد الشيء لا يعطيه"؟

II-2) الترجمة الحرفية:

تعدّ الترجمة الحرفية أوفى أساليب الترجمة لأنّ المترجم لا يشغل باله إلا بالمستلزمات اللسانية إذا كان النص خاليا من المجاز والمفاهيم الثقافية من عادات وفنون ومأكولات وما إلى ذلك، وإذا ما اتفق أن وُجدت إحدى هاتين الظاهرتين أو كليهما في نص ما فالأصوب أن يعتمد المترجم إلى إيجاد المقابلات بالنسبة للحكم والأمثال والإبقاء على ألفاظ نص المتن في الأمور الأخرى مع شرحها في الهامش التفسيري الذي يعتبره البعض وصمة عار بالنسبة للمترجم (دومنيك أوري، Dominique AURY، 1963، ص 11) عن (جورج مونين Georges MOUNIN، 1963).

II-3) ضعف الملكة اللغوية والتسرع في الترجمة:

تؤثر هاتان الظاهرتان بالغ الأثر في الترجمة لأنّ النقطن لهما لا يستدعي بالضرورة الرجوع إلى نص المتن، وهذه بعض الأمثلة التوضيحية:

أ- نشرت يومية الخبر يوم الاثنين 08 فيفري 1999، ع 2475، ص 14 مقالاً تحت عنوان "لماذا يلجأ البعض إلى المخدرات"، وقد تضمن هذا المقال تعابير تدل على أنّ النص مترجم، نأخذ منها:
- ".....بالإضافة إلى الضرر الذي يسببه هذا الإدمان للمدمن نجد العواقب التي تتجم عن ذلك والتي تضر المجتمع مثل الطابع العدوي للآفة (ارتكاب الجرائم) واتباع بعض الديانات المبدعة، المخدرات القاسية كالهيروين ومشتقات الأمفيتامين، تمثل المواد المسببة أكثر للإدمان".

ومثل هذا التعبير غير متسق - من الناحية النحوية- كما أنه يخلو من الروابط المنطقية، ولعلكم توافقوننا الرأي في أنّ المسايرة الحرفية لنص المتن الذي لم نتمكن من الاطلاع عليه قد أخلّت بالأسلوب، كما أنّ استعمال الصفة "عدوي" بدلاً من "عدواني" دليل على عدم الإلمام باللغة العربية، ويقال الشيء نفسه عن الصفة "المبدعة"، لأنّ الصواب "مبتدعة".

- "منذ القدم وفي جميع الحضارات والثقافات حاول الرجل الهروب والتنشيط الفكري والإبداعى بفضل المخدرات".

يتسم هذا التعبير بركاكة الأسلوب وبتر الكلام، فممّ الهروب؟ غير أنّ استعمال كلمة رجل يشدّ انتباه القارئ، فلم خصّ صاحب النص بالكلمة الفرنسية "homme" الرجل دون المرأة، وكان أحرى به أن يستعمل كلمة إنسان؟ فهل أثبت التاريخ تعفف المرأة عن تعاطي المخدرات؟

ب) نشرت جريدة الخبر يوم الأربعاء 17 جانفي 2001 ع 3070 ص 10 إعلاناً تحت عنوان: "إعلان عن مناقصة وطنية مفتوحة لكراء المحطة المعدنية حمام الشيقر" "AVIS D'APPEL D'OFFRES OUVERT" باللغتين

العربية والفرنسية، وأول ما يعاب على هذا الإعلان استعمال كلمة "مناقصة" لأنّ الأمر يتعلق في الواقع بمزاد علني، أما من الناحية الترجمية فنختار آخر عبارة في النص العربي ونحاول تحليل ترجمتها الفرنسية:

"الظرف الداخلي يحمل مبلغ العرض وتسمية المتعهد، الظرف الخارجي يحمل العبارة التالية: "مناقصة وطنية مفتوحة لكراء المحطة المعدنية حمام الشيقر - لا يُفتح".

"L'enveloppe intérieure contenant les offres ne devra comporter que la mention : « Avis d'appel à la concurrence national ouvert pour la location de la station thermale Hammam Chigueur-ne pas ouvrir ».

ألا تعدّ هذه الترجمة عدم وفاء بل خيانة لنص لغة المتن؟ والترجمة العكسية تبين ذلك:

(ولن يحمل الظرف الداخلي المتضمن مبلغ العرض إلا عبارة: "إعلان وطني مفتوح عن منافسة لكراء المحطة المعدنية حمام الشيقر" لا يفتح".)

ويلاحظ القارئ عدم احتواء النص الفرنسي على ترجمة "الظرف الخارجي" (enveloppe extérieure) و"تسمية المتعهد" (nom du soumissionnaire)، كما أنّ المترجم نسب التعبير "يحمل العبارة" - لا يفتح" إلى الظرف الداخلي، وبهذا يكون قد وقع في التناقض.

ج) نشرت الجريدة نفسها أيضا يوم الاثنين 08 جانفي 2001 ع 3062 ص 16 إعلاناً عن مناقصة وطنية دولية تخص مشروع إنشاء معمل لتكرير البترول بولاية أدرار، وقد حرّر هذا الإعلان باللغة الإنجليزية، ويؤسفنا أنّه يحوي أخطاء يبين بعضها تأثر كاتبه (مترجمه) باللغة الفرنسية فيما ينم بعضها الآخر عن عدم التحكم في اللغة الإنجليزية، وقد انتقينا من بين هذه الأخطاء ما يلي:

- كان يُفترض أن يُعنون النص كما يلي:

« A Call for National and International Bids for the Construction and Exploitation of a Refinery in the Adrar Region ».

- يلاحظ أن مترجم النص لا يفرق بين "within" و "in" ، إذ استعمل

الحرف الأول عوض الثاني خطأ مرتين (السطرين الأول والخامس عشر).

- أضاف كاتب النص الإنجليزي كلمة "plant" (مصنع أو معمل) بعد

كلمة "refinery" وهذا حشو في اللغة الإنجليزية (السطر الثاني).

- لا حاجة للأداة "an" قبل الصفة "important" (السطر الرابع).

- يقال في اللغة الإنجليزية "interested in" وليس "interested by"، وهذا

خطأ تداخلي ناتج عن التعبير الفرنسي "interressé (e) par" (السطر العاشر).

- ويقال في اللغة الفرنسية "participer à..." وقد وقع مترجم النص في

خطأ تداخلي في التعبير "to participate to" (السطر العاشر)، علماً أن اللغة

الإنجليزية تستعمل "in" بعد الفعل "to participate".

- جاء في النص الإنجليزي "A first covering.....and a second ..."

"phase involving" وكان أخرى بمترجم النص ذكر كلمة "phase" بعد الصفة

"first" والاستغناء عنها بعد الصفة "second" عملاً بنظام الإحالة (reference)

في اللغة الإنجليزية (السطران الثاني عشر والثالث عشر).

- كان أصوب أن يقال "the companies proposals may include..."

وليس "the companies may include within their proposals..." (السطر

السابع عشر).

- ورد في النص "as sealed envelopes" (السطر الثالث والأربعون)، غير

أن السياق يفرض استعمال "in sealed envelopes".

II-4) التطفل على الترجمة:

تعمدنا فصل هذا العنصر عن سابقه وإن كان يعدّ متمماً له لأنّ الأمثلة المستقاة من الواقع توحى بمجازفة في الترجمة، وإليكم بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ) لازم لسنين عديدة جواز السفر الجزائري خطآن في ترجمة العبارة "معلومات إضافية" بحيث ترجمت إلى اللغة الإنجليزية بـ "Complemental Informations" ولم يصحح هذان الخطآن إلا عند تغيير شكل جواز السفر فأصبحت "Other Information".

وإذا أردنا تحليل الخطأين يمكن القول إنّ الخطأ في الصفة "Complemental" وليد عدم التحكم في اللغة الإنجليزية لأنّ هذه الكلمة غير موجودة فيها بتاتا. أما الخطأ في الكلمة "informations" فهو ناتج عن التأثر باللغة الفرنسية التي تضيف الحرف "S" لجمع كلمة "Information".

ب) يقف القارئ مشدوها عندما تقع عينه على لافتة وضعت على الطريق الرابط بين البويرة وسور الغزلان كتب عليها "محجر الحصى" و "Carrière El Hassa" وكأنّ الحصى اسم لهذه المحجرة.

ج) يستغرب المار بالطريق الرابط بين تيزي وزو وذراع الميزان -تحديداً في المنعطف المؤدي إلى بلدية معاتقة- كلمة "معنقاس" التي ما هي في الأصل إلا تعريب لاسم "MAATKAS" فحرف "S" لا أصل له في العربية لأنه يشير في الفرنسية إلى الجمع ليس إلا.

يُستخلص مما سبق ذكره أنّ مرد الترجمة السيئة بالدرجة الأولى عدم تحكم المترجم -سواء تلقى تكويناً في هذا الميدان أم اضطرتّه الظروف المهنية للانساب إليه- في إحدى اللغتين أو في كليهما، وتبقى الترجمة مرآة عاكسةً لقدرات المترجم، فما الحل أو ما هي الحلول لإعادة بعث حركتها في الجزائر حتى يكون نص لغة الهدف مكتوباً على نحو يُرغّب القارئ فيه؟

وما الحلول التي نقترحها إلا رأي، والآراء متباينة من شخص إلى آخر:

1- حصر الفئات الطلابية الواجب قبولها لدراسة الترجمة في ثلاث شعب

فقط وهي: شعبة الآداب واللغات الأجنبية، وشعبة الآداب والعلوم الإنسانية، وشعبة الآداب والعلوم الإسلامية.

2- تمديد المدة الزمنية الخاصة بتدريس وحدات الترجمة.

3- عدم توظيف الأشخاص الذين يأتون للتدريس مباشرة بعد نيل شهادة

الليسانس أو -إن اقتضى الأمر ذلك- أخذ علاماتهم المحصل عليها في وحدات الترجمة خلال السنوات الأربع بعين الاعتبار.

4- برمجة وحدات لتدريس الترجمة المتخصصة كالترجمتين القانونية

والاقتصادية، لأنّ مثل هذه الترجمات لا يكفي تناولها من حين لآخر مع أستاذ الترجمة العامة.

5- مراجعة الترجمة قبل نشرها بالنسبة لأولئك الذين يمارسونها في مختلف

الميادين.

وقد صدق غسان غصن في مقدمة كتاب "المفيد في الترجمة والتعريب"

(1999 ص 15) حين قال: "أنا... وأنا لا ننفق بين يوم وآخر إلا نادراً"، عن

(أحمد جبوري، لورنس كساب، هالة سنو محيو، 1999).

المراجع:

- غصن، غسان (1999، ص 15) عن (أحمد جبوري، لورنس كساب، هالة سنو محيو 1999 "المفيد في الترجمة والتعريب"، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- محفوظ، نجيب. (1972): "زقاق المدق"، ط 7، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة.
- نيومارك، بيتر. (1992): "الجامع في الترجمة"، ترجمة حسن غزالة، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، الجماهيرية الليبية.
- يومية الخبر، الأعداد: 2475 ، 3062 ، 3070.
- AURY.D. (1963, p11) in Mounin.G.(1963): « Les Problèmes Théoriques de la Traduction », Gallimard, France.
- Delisle, J. (1980): « L'Analyse du Discours comme Méthode de Traduction : Théorie et Pratique, Université d'Ottawa.
- Mahfouz, N.(1975): « Medaq Alley », Translated by: Trevor le Gassik, 2nd Ed « corrected », Heinemann, London.
- Nida, A.E. (1964): « Toward a Science of Translating », Leiden, Brill.
- Saussure, F.de. (1969): « Cours de Linguistique Générale », Payot, Paris.
- Tytler, A.F.(1907) « Essay on the Principles of Translation » London, Dent ,in Hatim, B. and Mason, I.(1990): « Discourse and the Translator », Longman, London.

المترجم بين الواجبات والحقوق

أ. الأزهر بوغمبوز

جامعة الجزائر

لا نهدف من وراء هذه الورقة تقديم تعريفات للترجمة والكلام عن فوائدها وأنواعها ودورها في بناء صرح الحضارات وإثراء التراث الإنساني، فقد تطرق لذلك السادة الفضلاء الذين سبقوني ... لقد أردنا - في هذه العجالة- ونحن نتكلم عن الترجمة وواقعها في بلادنا ، الإشارة إلى صانع الترجمة ، إلى المترجم ، إلى المشاكل التي تعترض هذا الرجل الأديب ، العالم، الفقيه ، المعلم، الذي يبحث الكل عن وده عند الحاجة إليه و يصرفون النظر عنه متى انتهت مهمته ... كأنه نكرة منسية ؛ فالمترجم في نظر كثير من الناس عبارة عن جندي بسيط في جيش الأدباء . فنظرا لغياب سياسة واضحة ومحكمة ودقيقة في مجال الترجمة فقد اقتصر دور المترجم من الاستقلال حتى الساعة الراهنة على مجرد النقل من لغة لأخرى .. لقد كان وما زال في خدمة الإدارة بالمفهوم الدقيق للكلمة ... فقد كان بمثابة آلة استنساخ أو تصوير مزدوجة اللغة ... يحتاجه المدير أو الوزير

أو المسؤول الذي لا يفهم أو لا يريد أن يفهم العربية – في انتظار الحصول على معاشه – فيرسل إليه نصا محررا بالفرنسية و يطلب منه نقله للعربية . و في أغلب الأحيان ، فإن هذا المسؤول لا يستطيع حتى مراقبة هذا العمل ليرسله بدوره للمسؤول الذي يليه والذي يكون أمام أحد الأمرين إما إرساله للجريدة الرسمية لنشره أو يطلب من مترجم آخر إعادة ترجمة النص للفرنسية ليطلع عليه .. و ... هكذا دواليك.

لو وضعت منذ الاستقلال خطة محكمة في مجال التعريب و الترجمة لما آلت الأمور لما آلت إليه ... فلو وضعت أي جهة من الجهات الرسمية برنامجا سنويا أو متعدد السنوات لترجمة مجموعة من العناوين –100- أو ألف ... مثلا لتقدمت عملية الترجمة من و إلى العربية و لاستفادت منها مختلف المؤسسات ...

وأمام هذا الفراغ المخيف وأمام غياب أي حوافز بل وأمام الجبال العاليات من الصعاب حاول بعض المترجمين تجاوز كل ذلك ليس طمعا في المال أو الجاه لأن حب المال شيء مشروع إلا أنه ليس من شيم المثقفين بل من أعمال التجار المضاربين ، لقد حاول هؤلاء كسر طوق البيروقراطية وروح الاحتقار والازدراء الذي يتعرض له رجال العلم من مؤلفين وكتاب وأساتذة وعلماء ... ولكن دون أي جدوى .. فكيف يمكن للمترجمين أن يتهافتوا على ترجمة المؤلفات العلمية والأدبية و الثقافية إذا لم تتوفر لهم أدنى شروط العمل الكريم. وهنا تكمن المشكلة ، فهل وفرت للمترجم والأديب والعالم سبل العمل أو على الأقل نسبة ضئيلة من مزايا يتحصل البعض على أضعافها دون أن يقدم شيئا يذكر ، حتى يستطيع كل على مستواه أداء المهمة المنوطة به ؟

فالمرّة الوحيدة في تاريخنا العربي الإسلامي الطويل التي قام فيها المسؤولون على المستوى المركزي بإعطاء الترجمة وعملية النقل كما كانت تسمى أهميتها ازدهرت وشاعت وترعرعت وفاقّت كل توقعات وجعلت من هذه الأمة البدوية البسيطة أمة أدب وعلم . فاسمحوا لي أن أنوه اليوم و أحيي وأترحم على روح خالد بن يزيد بن معاوية الأموي وأبو جعفر المنصور وخاصة المأمون (ت 833م) الذي أسس " بيت الحكمة " الذي كان في زمانه رغم محدودية الإمكانيات وعدم وجود مدارس لتعليم الترجمة كما هو الحال اليوم منارة أشعت على الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم التي سارت على خطاها ونهلت من مناهلها . فهؤلاء الحكام لم يتركوا لا مذكرات ولا أي شيء آخر ، فقد كانوا وراء العلم الذي وصلنا والذي سمح بالنهضة الأوروبية الحديثة عبر مدرسة طليطلة فيما بعد .

ويبرز بكل جلاء أن إدراك حكام ذلك الزمن لأهمية الترجمة و نقل العلم من اللغة اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والقبطية إلى العربية يعد معجزة من معجزات الحضارة العربية الإسلامية . فيجب علينا أن نضع عملية النقل والتعريب والترجمة في مصاف المعجزات الكبرى لأنه لولاها لما حدث ما حدث . وتأتي بعد هذه المعجزة ربما المعجزة اليابانية في العصر الحديث .

فأين نحن الآن من ذلك ؟ فهل حكامنا اليوم في مستوى هؤلاء الحكام ؟ وهل مترجمونا ونقلتنا في مستوى هؤلاء النقلة والمترجمون ؟ وهل لنا الإرادة السياسية والأدبية في النهوض بهذا الميدان ؟

وبصراحة، فإن الإجابة عن هذه الأسئلة هينة. فما من شك أن الحكام في المستوى المطلوب والمترجمون متوفرون ومستعدون للعمل إلا أن الشيء الذي

ينقصنا هو توفر الإرادة السياسية والمتابعة الكافية لهذه العملية التي تقتضي النفس الطويل والوقت الكافي وخاصة الإمكانيات.

وبما إننا لسنا هنا للكلام عن المسؤولين وان كان هدفنا هو توعيتهم بأهمية الترجمة، فإننا سنحاول، فيما يلي، إعطاء بعض رؤوس الأقدام للنهوض بالترجمة. ولن ترفع الترجمة -التي أشبهها بالقاطرة التي تجر بقية القطاعات- رأسها إلا إذا روعيت مجموعة من العوامل تتداخل فيها الحقوق والواجبات .

في ميدان التكوين:

تبين حتى الآن، أن عملية التكوين المتبعة غير مجدية وغير نافعة، لأنها باستثناء السنوات الأولى التي تلت الاستقلال ، يمكن أن نصفها بالفاشلة . وبهذا الصدد ، يمكن أن نشير إلى أن العشرية الأخيرة كانت من أسوء المراحل في هذا المجال. وتعود أسباب ذلك من بين ما تعود إلى: مغادرة مجموعة كبيرة من أساتذة الترجمة الجامعة الجزائرية لعدة أسباب منها المعروفة وأخرى المرتبطة بشروط العمل. تضاعف عدد الطلبة الذي بلغ أعدادا غير معقولة بالنسبة لقسم صغير كقسم الترجمة.

تعويض الأساتذة المغادرين بطلبة حديثي التخرج و منعدمي التجربة، حتى أن فارق السن بين المعلم والمدرس /تعدم نهائيا . عدم ملاءمة البرامج و تغييرها المستمر من سنة لأخرى . لتعدم أدنى شروط العمل (غياب المختبرات، اكتضاض الأقسام، توقيف العمل بمذكرات التخرج، عدم وجود فترات تدريبية لصالح الطلبة المتخرجين لدى الهيئات العمومية أو الخاصة...)

فتح أقسام للترجمة شرقا وغربا دون مراعاة الإمكانيات المتوفرة.
وإذا بقينا في الجامعة، لأنها هي مكان التكوين، فإنه يجب علينا أن نعيد
النظر نهائيا وجذريا في عملية التكوين وتوظيف أساتذة الترجمة.

عملية التكوين:

إعادة النظر في نمط التكوين
إعادة النظر في طرق استقبال الطلبة حيث أنه يقترح تخصيص شهادة
عادية للترجمة من النوع القصير المدى وشهادة أخرى عالية تحدد شروطها.

توظيف الأساتذة:

ليست الترجمة علما يشبه الرياضيات أو الفيزياء أو حتى الأدب، فهي
عبارة عن تداخل وتشابك لعدة علوم إنسانية. وبالتالي، فإن أهم شيء يعتمد عليه
في الترجمة هو الخبرة. و لهذا يجب على الجامعة والوظيف العمومي أن يوظفا
أساتذة الترجمة على أساس الخبرة المكتسبة في الميدان وإعطائهم الأجور المغربية
لهم ولغيرهم من الأساتذة بالطبع ليشاركوا في عملية التكوين لأنه لا يعقل أن
يتلقى المترجم مقابل يوم عمل في مؤتمر ما، ما قدره مئات من الدولارات و
تعطي له الجامعة -مقابل تكوين أبناء المجتمع- أقل من مائتي دينار للساعة.

ونظرا للعلاقة بين التكوين و الحياة العملية فإنه لا بد من وضع مجموعة
من المعايير للرفع من عملية الترجمة :

أ. تقنين مزاولة مهنة الترجمة (التجربة الحالية/ نتائجها) التوقعات.(الإشارة

إلى ذلك)

أ. تحديد الأسباب التي تقف دون نجاح عملية الترجمة من والى العربية:

- أ. انعدام سياسة الكتاب.
- أ. انعدام سياسة الكتاب.
- ب. انعدام سياسة للنشر.
- ج. تدعيم الكتاب.
- د. عدم وجود حوافز مادية وأدبية للترجمة والتأليف.
- هـ. عدم وجود خطة وطنية للترجمة.
- و. عدم وجود قانون خاص يحمي المترجمين.

وللخروج من هذا الركود لا بد من اتباع سياسة مرسومة مسبقا تتمثل في:

- غرس حب القراءة لدى الفرد الجزائري حيث أن المطالعة أساس أي نجاح لأي سياسة كانت، وذلك عن طريق تخصيص حصة قراءة أسبوعية في المدارس والثانويات تدخل في معدل التلميذ الفصلي.
- إحداث صندوق وطني لتشجيع الترجمة تقترحه الحكومة أو المجلس الشعبي يمول ب 0.5 % من أي رسم من الرسوم الجمركية و ما أكثرها .
- تخصص موارد لتدعيم الكتب المترجمة و دفع أتعاب المترجمين
- وضع بنوك معلومات يستطيع المترجم الرجوع إليها تعنى أساسا بتوحيد المصطلح.
- وضع خطة وطنية لترجمة مجموعة من الكتب سنويا (انظر تجربة فرنسا / اليابان...)
- العمل على توحيد صفوف المترجمين الجزائريين بواسطة انتخاب رابطة وطنية للعاملين في حقل الترجمة.

دور المترجم بين تقنيات الترجمة وواجبات الحضارة

أ. محمد الأمين بحري
قسم اللغة العربية - جامعة بسكرة

أولاً: المترجم وتقنيات الترجمة.
1- المترجم والموسوعية.
أ- الموسوعية المعرفية:

كيف يمكن تحديد هذه الموسوعية التي تشاع كأحد أهم شروط الترجمة وهي متروكة تلهو بها يد الاطلاق كما يدل عليها لفظ الموسوعية؟

وتعتبر الموسوعية لدى المترجم واجبا وضرورة علمية يجسدها الاطلاع على بيئة النص وتتبع أصوله من حيث الأعراق والأجناس والأنواع البشرية التي

نشأ فيها ومستواها الحضاري والثقافي وبعدها التاريخي، إنها بيئة المجتمع الأصلي للنص بمعناها الأوسع.

إن معاني النص تتجاوز حدوده اللسانية والخطية بل حدود الألسنية الداخلية إلى بيئات وأبعاد وظروف تؤثر في عملية الكتابة لأن النص المنقول من بيئة لأخرى لابد أن ينقل الجوهر الأصلي للمعنى من البيئة الأصل إلى البيئة الهدف والنابع من محيط المجتمع واختلاجاته أي ذا المعنى الأصلي للنص يفهم بسهولة في البيئة الأولى لأنها منبعه لكونه نشأ وسط تضاريس تلك الحضارة متطورة كانت أم بدائية.

فحري بنا أن نختلق تضاريس أو وصفا لتلك التضاريس ونقلها حية إلى المجتمع الثاني (الهدف) وهذا يستلزم معرفة معمقة بطبائع الجنس البشري في البيئة الأولى للنص لأنه مصدر المعنى والاطلاع من جهة ثانية على خصائص وظروف المجتمع الثاني المنقول إليه النص مما يتطلب معرفة معمقة بتقاليد المجتمعين وكيفية تجلي مختلف المعاني لديهما، فالعملية هنا تتجاوز المطابقة بين لغتين أو التعبير عن المعنى الواحد بلغتين مختلفتين بل هو التقاء كتلتين حضاريتين ثقافيتين لا يمكن الوفاء للمطابقة بينهما إلا بالاطلاع على بناهما التحتية من حيث الجنس البشري وعلاقته ببيئته لأن بين الجنس والبيئة تعايش وتلاحم ثقافي قد يتجسد في أمثال شعبية، في عادات وطقوس، وصناعات ونحل في عبارات تضمينية قد تحشن بكل تلك المظاهر أو ببعضها فالأمر هنا يتوقف على سعة اطلاع المترجم وبالتالي كيفية تصوير تلك المظاهر الحضارية على مقياس المتلقي للمجتمع الثاني وبالكيفية التي يفهم بها الأمور واللغة التي تناسب فهمه، مما يقوده إلى الاستقصاء والإحاطة بالظروف الحضارية والبيئية وحتى المناخية فتغير المناخ من مناخ صحراوي مثلا إلى مناخ استوائي أو قطبي يؤدي

في كل الأحوال إلى تغير طبائع البشر في البيئتين، لذلك تختلف ترجمة النص الواحد من مترجم إلى آخر لاختلاف الاطلاع الموسوعي لديه، ولكل منهم شخصية وخزان معرفي يصيغ وفقه تجربته الترجمة.

ب - الموسوعية الفنية:

كما أن هناك موسوعة فنية لأن كل مترجم هو فنان على طريقته وله وسائله وتقنيته وحيله ازاء حوار مع مختلف المواضيع وبهذه الوسائل الفنية والبراعة التقنية يمكن للمترجم أن يصيغ تجربة على نحو جمالي وفني راقى قد يتجاوز بعض الأحيان القيمة الجمالية من النص الأصلي ذاته، كما يمكن لهذه الفنيات المبدعة أن تغطي الجوانب التي لا يمكن الوفاء لها بحال من الأحوال وتغطي مواضع الخيانة في النص والتي تحمل كل منها رسالة لها تأثير خاص على منحى النص مثل الجانب الصوتي والصرفي والمعجمي،...إلخ.

2- المترجم والإجراء القرائي:

فقراءة المترجم تختلف عن قراءة القارئ العادي لأنه ملزم بالبرهنة على صحة قرائته وتحديد موقعها من مبدعها ومن متلقيها، حيث يعرض المترجم امكانات القراءة العادية لنص غير عادي بالضرورة لكن طرح هذه المعطيات القرائية أو مقروئية النص أو كيف يمكن لهذا النص أن يكون مقروءا لدى المجتمع الثاني؟

حيث تتطلب الاجابة عن هذا السؤال بحثا آخر في أسلوب الكاتب والتعرف على الامكانات التي منحها الكاتب لقارئه المباشر (أي باللغة الأصلية للنص)، وبالتالي الاستفادة منها لإعطاء امكانات قد تكون مشابهة لتلك التي منحها كاتب النص ولا يمكن هنا أن يستغني المترجم عن تلك المعطيات القرائية

التي يمنحها الكاتب لأنها عونه الأول لتحديد موقع النص ومنحه قرائته الصحيحة المتوخاة، لذلك أطلقنا على قراءة المترجم للنص مصطلح الإجراء لأن تجربته القرائية تمر باجراءات عملية تعطي فعلا القراءة لديه صبغة الاجراء.

وموقعة الاجراء القرائي تختلف عن موقعة النص العادي لأن الأولى تطرح جميع امكانات القدرة القرائية لدى المترجم، الذي يستعرض بدوره جميع احتمالات مقروئية النص المتاحة من طرف المؤلف وملايسات خطابه الموجه إلى القارئ، حيث يقف المترجم هنا باحثا ومبرزا ليس فقط المستوى الأسلوبي، كما هو الشأن لدى الدارس العادي أو الناقد في تحديد موقع النص بل من وجهة وظيفية أكثر عمقا تسعى إلى اكتشاف مستوى تلك التجربة المزدوجة من طرف المؤلف والمتوخاة من ذلك القارئ، حيث يلعب المترجم هنا دورا ازدواجيا يجسد موقع النص من الجانبين، كما يرغب في قرائته المؤلف وكما يجب أن يتلقاه القارئ فمن هذا الجانب الوظيفي تبرز ثلاثة فنيات يمكن من خلالها تحليل موقع ذلك المستوى القرائي، الذي يطالب المترجم بتجسيده والذي يتجاوز في الحقيقة المستويات التاريخية واللهجية والثقافية التي عرفناها قبل قليل وهذه العناصر هي: المجال، الكيفية، الطابع.⁽¹⁾ تجتمع لتحديد مقولة النص.

أ- المجال:

ويتعلق بالدرجة الأولى بالإطار الموضوعي ومحتوى النص وبالتالي الملامح اللغوية (تركيب نحوي، مكونات معجمية)، التي يمكن أن تتناسب مع ذلك المضمون ومن ثم طبيعة اللغة تبعاً لها، فالمجال هو الذي يحدد نوع النص الذي اختاره المؤلف، حيث يبدو في غاية الوضوح أن نصا غير أدبي يمارس المجال تأثيرا بارزا على تركيبه النحوي ومكوناته المعجمية الخاصة، فالفنان حر

في اختيار مجاله الكتابي الذي شاء على ان يستخدم على ضوءه الوسائل اللغوية المتصلة بمجالات متخصصة ويتمثل تأثير المجال على كل نص من خلال اللغة التي تملئها طبيعته (نص ديني، سياسي، قصصي، مسرحي، مأساة، ملهاة)، وذلك لأهداف درامية - شعرية - استثنائية، حيث نتوخى من خلال هذا البعد الإحاطة بلغة الكاتب سواء كانت أدبية او غيرها على أن يكون المجال ثابتا في المؤلف الواحد وان تغير المجال في العمل الواحد - وقد يحدث ذلك في المؤلفات المطولة - فعلى المترجم التنبيه على ذلك وأن يتأقلم مع كل تغير في المجال لأن اللغة ستأخذ منحى آخر تبعا لمجال النص.

ب- الكيفية:

أما الكيفية فهي شبيهة بتلك الفروق بين صورتى النص المكتوبة والمقروءة، ولا تقتصر هذه الفوارق على مجرد الإختلاف بين المادة الخطية والصوتية بل يمكن أن نقارن بينها نتيجة الإختلاف الوظيفي بين الصورة المكتوبة والمنطوقة للنص، والتقاليد الخاصة بكل صيغة منهما، وتتجسد هذه التقنية في محاولة المؤلف أن يجعل ما يكتبه وكأنه مقروءا شفويا ومعناه أن تحتوي اللغة المكتوبة على بعض الخواص العضوية للغة المنطوقة وأن تتوفر بعض العناصر الكافية كي تعطي انطبعا قرائيا بالقول المنطوق.

وهو الدور الذي يستحضر من خلاله المؤلف قارئه المثالي أو يريده ونفسه الحضور أمام قارئه ليخاطبه مباشرة أو شفويا وهو ما على المترجم أن يدركه أيضا كما عليه أن يدرك ما مدى توفر لغة المؤلف على الخواص النطقية أي ما نسبة الأداء في هذه اللغة وما مدى نجاح المؤلف في جعل ما يكتبه مقروءا

صوتياً، إذ عليه أن يجمع شمل المؤلف وقارئه وأن يحضر في الموعد الذي ضرباه للقاء والتخاطب في مكان ما.

ج- الطابع:

أما طابع المقال فهو ذلك الجانب المتعلق بالشكل الذي تتخذه اللغة والذي يستدعيه الموقف والذي يحدده خطاب المؤلف، الذي قد يعمد إلى تغيير طابع الخطاب من رسمي إلى غير رسمي، من مباشر إلى غير مباشر، استعمل راوي أم لا لغرض إنتاج تأثيرات معينة وقد يفعل ذلك لتحديد علاقته بالقارئ مما يترتب عليه نتائج لغوية محددة تغير ملامح الخطاب ولذلك نوع آخر من الخصوصية والدلائلية على المترجم أن يكشفها ويتطلع عليها بوضوح.

حيث تعمل تلك التقنيات بالإضافة إلى عناصر ثقافية وتاريخية وخصوصيات لهجية وحضارية كمؤشرات وظيفية تتحكم في الخطاب الأصلي للنص وبالتالي المنجز من طرف المترجم كي تضمن له نوعاً من الأمانة في استتساخ النص وفاءاً للترجمة الموضوعية حيث يصبح من الضروري في خطوة لاحقة مقارنة هذا النص بنظائره من النصوص المجاورة والمشابهة له، وتكشف المقابلة والمقارنة عن مدى احتواء النص على عناصر خصوصية تميزه عن البقية، وإذا وجدت هذه العناصر الخاصة نقارنها بالعناصر المشتركة بين تلك النصوص لتحديد مواضع الشدود والحياد عن النموذج المشترك أو القاعدة الموحدة لتلك النصوص. فنتيح هذه العمليات المتتالية من التحديد والمقابلة للمترجم تأكيد فرضياته حول النص وتطويري أحكامه وإضفاء صفة التلقائية

والحدسية في رصد نتائجه واثبات توقعاته الأولية والتمكن أكثر فأكثر من إدراك وتحليل وعرض معطيات النص دون كبير عناء أو ارتجال أو تردد.

3- المترجم والفعل الحضاري:

نناقش هنا إشكالية قابلية الفعل الحضاري للترجمة باعتبار النص هو ذلك الفعل الحضاري في محاولة إخضاعه لعملية الترجمة من خلال مظهرين الاجتماعي والتاريخي.

أ- المظهر الاجتماعي:

حيث يتزيا المترجم هنا بالثوب الاجتماعي لأن وظيفته في هذه الحالة تحمل طابعا اجتماعيا كونه يساهم بطريقة أو بأخرى في حوار المجتمعات والحضارات بدافع اجتماعي وضرورة حضارية لا بدافع فردي، لأن عمله لا يثمن في الواقع إلا في إطاره الاجتماعي ومن هذا المنطلق الاجتماعي والحضاري بالذات تصاغ قيمته الحقيقية.

ب- المظهر التاريخي:

أما القيمة التاريخية للعمل فتحمل الصبغة الحضارة لهذا الشعب والمرتبطة بشكل عميق بجذوره التاريخية وإذا تناول المترجم عمله بهذا المنظور فإنه يقدم خدمة جليلة لنشر التاريخ الإنساني وعولمته ويسجل في الوقت ذاته موقفا تاريخيا

للترجمة في مرحلة ما، لأن ترجمة عمل ما في فترة معينة لا ولن تكون نفسها بعد عقد من الزمن، لأن الأمر متعلق بما يسمى ذاكرة اللغات في جانبيها التاريخي والتزامني *le coté synchronique et diachronique* لأن الترجمة هنا تكون بمثابة التأريخ في مرحلة لغوية وحضارية واجتماعية ما مثل ما عكسته ترجمة كلية ودمنة، التي صيغت بلغة تستعمل في جل مظاهرها صيغة اجتماعية وحضارية لوسائل العيش التي يستعملها الانسان العربي آنذاك من خلال لغتها فهي بالتالي ترجمة فعل حضاري له موقع ومساحة في تاريخ أمة من الأمم.

3- نظريات السياق الثقافي:

أندريه مارتيني: يقول مارتنيه: " لا يكتسب أي عنصر لغوي معناه حقا إلا في سياق معلوم وحالة معلومة: فأى مونيم أو رمز لغوي لا يتضمن في ذاته إلا افتراضات دلالية يتحقق بعضها دون الآخر في العملية الكلامية، فالسياق يظهر في كل حالة بعض الافتراضات فقط بينما يطرح البقية جانبا (2)

موقف ليونارد بلوم فيلد: الذي يحيلنا إلى المرحلة النهائية والحاسمة للمعنى في حالة عجز السياق عن الاحاطة بالمعنى وتحديد بدقة فيحاول فتح بوابة في الزمن أمام المترجم كي يكون حاضرا في اللحظة التي يتحدد فيها صاحب النص إلى متلقيه وليشهد ويعاين كل الظروف المحيطة بسلوك المتكلم أثناء تأدية خطابه وكيفية تلقي ذلك الخطاب من طرف القارئ وبالتالي يتحاشى بلوم فيلد أي تحديد ذهني لمفهوم المعنى ليحل محله التحديد السلوكي: "فمعنى عبارة ما هو الحالة التي يتلفظ فيها المتكلم لهذه العبارة بالاضافة إلى رد الفعل للجواب الذي تنتزعه هذه العبارة من جانب المستمع"(3).

يقول أندريه رومان: إذا كان لأهمية الكلمة من الناحية الاجتماعية مدلول ما فإن لها من الناحية النفسانية وفي معجم كاتب ما نصيب أكبر من الاهتمام(4) ويبدو أن تلك السياقات الثقافية والحضارية تخرج بنا عن حدود الألسنية الداخلية وتتجاوزها إلى أنماط تواصلية أخرى خارجية تستمد حياتها من علاقات ومجالات محيطة بالظاهرة اللغوية، قد تأتي حتى من علوم مجاورة تلقي بصورتها على أهمية الألسنية الخارجية كعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ والأسلوبيات اللغوية وآثارها لتصب كل تلك الميادين الشاسعة في إطار رحب هو ما أطلقنا عنه أولا بموسوعية المترجم المطالب بتتبع أصداء المعنى عبر تلك المجالات، كي يصيغ تجربة متميزة تمنحه الجدارة بمركزه الذي يتسم بالوسطية بين مؤلف بلغة وبيئة وتجربة تختلف كل الاختلاف عن تلك التي يعيشها القارئ فيجد المترجم نفسه يبحث عن قناة تصيغ للقارئ فهم تجربة المؤلف بلغته وتتجسد تلك القناة في لغة المترجم الخاصة، والتي تخول له لعب الدورين في ذات الوقت في دور واحد، مجسدا العبقورية بكل أبعادها بدوره كأول قارئ للنص وثاني مؤلف له جراء ما يستلزم النص من تغيرات ضرورية تفرضها شروط لغوية وبيئية ومفهومية لا يعيشها غيره.

وسائل تدعيم الترجمة في الجزائر:

بما أن لدينا مجلس أعلى للغة العربية وآخر للغة الأمازيغية فلا مناص من إنشاء هيئة عليا للترجمة كمجلس أعلى تتضوي تحت لوائه بقية اللغات المتداولة في الجزائر وتتساوى فيه كل اللغات الأجنبية بغرض ترجمتها بطابع علمي دون إجحاف في حق أي لغة، وكأننا نمنح لكل لغة تحت هذه الهيئة مجلسا أعلى تتشط وتترجم فيه إلى العربية، حيث يكون المجلس الأعلى للترجمة هو الهيئة الرسمية التي تشرف على نشر الأعمال المترجمة بكل اللغات عن طريق خبراءها

دون أي إقصاء، وتنشط كهيئة لها بعد قطري عربي وقاري ودولي بمبادئ عالمية راقية، وهي الهيئة التي تفرض نفسها للمعطيات الحالية كضرورة حضارية يفرضها الواقع العلمي العالمي، ولا يمكن للترجمة في الجزائر أن تحرم من مثل هذه التنظيمات الرسمية، التي تدعم الترجمة في بلادنا على نحو رائد و منظم و كقاعدة معرفية يستند إليها البحث الترجمي وتشرف على مختلف أبحاثه بأي لغة كانت و تمنحه كل الإمكانيات التقنية التي تعطيه بعده و مساحته المستحقة في إطار عالمي معاصر.

الهوامش:

(1) - صلاح فضل: من الوجهة الإحصائية في الدراسة الأسلوبية، مجلة فصول المجلد الرابع، العدد الأول، 1983، ص: 129 و أنظر Ibid P64

2 - André MARTINET Eléments de linguistique générale p26

3 - Georges MOUNIN : problème théorique de la traduction P 27. cit Bloomfield.

4 - André Roman note liminaire à la traduction P2

تكوين المترجم

أ. ناصر الجيلالي

قسم الترجمة - جامعة وهران " السانية "

مقدمة

الترجمة فعل لغوي ذو بعد حضاري. وتتبدى وظيفتها في نقل المعارف بين شعوب مختلفة اللغات. وهي ضرورة فرضتها حتمية النقاء هذه الشعوب في السلم والحرب.

وقد فقه العرب المسلمون دور الترجمة في الاطلاع على العلوم والمعارف الموجودة عند غيرهم من الأمم. فجمعوا لها المترجمين الاكفاء وأنشؤوا لها الدور

التي تحتضنها واجزلوا العطايا لكل من نقل علما أو معرفة معينة إلى اللغة العربية.⁽¹⁾

بيد أن ما يعنينا في هذه المداخلة ليس سرد وقائع تاريخية تتعلق بالترجمة أو ذكر ما أنجز، فتلك مآثر نعتز بها ويمكن الرجوع إليها في مظانها. وإنما الذي أود الإشارة إليه وما يعنينا من تلك الحركة الترجمية الفريدة من نوعها هو كيف نظر العرب المسلمون إلى الترجمة، وبعبارة أخرى هل كانت الترجمة نشاطا علميا يأتيه من يمتلك المعرفة بلغات العجم بمحض إرادته، أم أنها كانت فعلا حضاريا لم يترك لأفراد بل نهضت به الأمة بكاملها

إن الثابت تاريخيا أن الترجمة في العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية قد عنيت بها مؤسسات الدولة الرسمية كما يقال اليوم. فبيت الحكمة الذي أنشأه المأمون كان تابعا لديوان الخلافة بشكل مباشر. وهذا ما يفسر المسار الذي أخذته الترجمة. فقد اتجهت جهود المترجمين إلى ترجمة العلوم البحتة خاصة الطب والرياضيات والفلك، ولم يشجع نقل الآداب والفنون بشكل عام لأسباب موضوعية ليس ها هنا مجال بسطها.

فالفكرة التي يمكن الخروج بها من قراءة سريعة لحركة الترجمة العربية الأولى هي أن الترجمة في وقتنا الحالي لا يجب أن ينهض بها الأفراد الذين قد تنتفق ميولهم بالضرورة مع ما تطمح إليه امتنا من رقي وازدهار، بل ينبغي أن

(1) يراجع يوسف زيدان - الترجمة في الوطن العربي - مركز دراسات الوحدة العربية، فبراير 2000

و د. علي ابو المكارم - تقويم الفكر النحوي - دار الثقافة، بيروت ص 30 وما بعدها.

تكون الترجمة اليوم حجر الزاوية في مشروع حضاري واسع ينطلق من قيم وثوابت الأمة في تعامله مع مستجدات الحضارة الحالية من سوق حرة وعولمة وإنترنت.

وقبل الخوض في موضوع المداخلة، لابد من التذكير بحقيقة قد يغفل عنها كثير من الناس، وهي انه اذا ما بقيت حركة الترجمة في الجزائر من دون مؤسسة تتبناها ومن غير مشروع حضاري يحتضنها، فلا نجد آخر الكتب او المجلات المتخصصة الصادرة في لندن أو برلين أو طوكيو في الطب او الالكترونك أو الآداب أو الفنون مترجما الى العربية، فإن ذلك كله سيقوي شركة من يعملون عن قصد او غير قصد الى إحلال لغة أخرى محل العربية في المدرسة والجامعة، ويجعل لهم صوت في الناس مسموع، ولات حين مناص.

من هنا وجب التكفل بإعداد مترجمين ذوي مستوى عال توكل اليهم مهمة نقل العلوم السائدة في الغرب، ولن يتأتى ذلك الا بتكوين متكامل يراعى فيه على الأقل جانبين:

جانب ثقافي حضاري، وسنتحدث عنه بشكل مقتضب، وجانب لساني سنتوسع فيه الى حد ما لأنه المجال الذي يمكننا من ايجاد ادوات عملية يمكن استغلالها في تكوين المترجم.

أولاً: الجانب الثقافي

تعد معرفة ثقافة الأمة التي نترجم عنها ذات أهمية بالغة، ذلك ان نجاح أو فشل الترجمة إنما يحدده مدى إطلاعنا على هذه الثقافة، فالثقافة كما يقول لادو Lado هي: ⁽¹⁾ « A structured system of pattern behaviour » " نظام مبني لنمط السلوك" وبعبارة أخرى تتكون الثقافة من أنماط حركية في أنظمة systems يراد بها توجيه سلوك أفراد مجتمع معين. وتعتبر الثقافة عن اللغة والأفكار والمعتقدات والطقوس الدينية والتقاليد والفن ومؤسسات المجتمع والأدوات التقنية. لذلك يجب ان تركز دروس الحضارة على هذه العناصر، لأن النصوص التي يتعامل معها المترجم لن تخلو من إشارة صريحة أو ضمنية إلى هذه العناصر.

غير انه مهما كانت النوايا حسنة ومهما بذلنا من جهد فمن الصعب جدا حتى لا أقول من المستحيل تكوين مترجمين تكون معرفتهم باللغة الأجنبية - ولتكن الإنجليزية مثلا- تماثل معرفة المتحدثين الأصليين native speakers بها، خاصة فيما يتعلق بالتعرف على التعبيرات الاصطلاحية والتعبير الجاهزة (الثابتة) idioms and fixed expressions وهذا ما تقرره مونا بايكر Mona Baker المحاضرة والباحثة في مجال الترجمة حيث تقول: « a person's competence in actively using the idioms and fixed expressions of a foreign language hardly ever matches that of a native speaker »⁽¹⁾

" من النادر جدا أن تضاهي قدرة الفرد في الاستعمال الفعال للتعبير الاصطلاحية والعبارات الثابتة للغة الأجنبية قدرة المتحدث الأصلي بهذه اللغة".

⁽¹⁾ Mona Baker, in other words Routledge London and New York 1996 p 64.

⁽²⁾ Shank and Abelson in Hatim, B and Mason, I discourse and the translator, Longman, London and New York 1994 p 35.

فإذا كان فهم النص يرتكز على المعرفة⁽²⁾، وأننا لا نستطيع الوصول إلى تزويد طالب الترجمة بكل ما يتعلق بالثقافة البريطانية خاصة والثقافة العربية بشكل عام، فالأولى أن نزوده بأدوات أو تقنيات تساعده في تخطي العقبات التي تعترض سبيل الترجمة.

وفي هذا السياق اقترح إدخال مقياس يتعلق بالبحث في القواميس احادية او ثنائية اللغة، وكيفية البحث عن المعلومات سواء في الموسوعات وهي متوفرة اليوم في الاقراص المدمجة او في الشبكة العالمية للمعلومات الانترنت. لأن البحث عن المعلومات والوصول اليها في مظانها يعتبر من الشروط الاساسية التي ينبغي ان تتوفر في كل مترجم.

ثانيا: الجانب اللساني

تكمن أهمية تدريس اللسانيات للمترجمين في جعلهم ينظرون الى النصوص التي يتعاملون معها -سواء في ذلك نصوص لغتهم الام ام نصوص لغة أخرى- بمنظور واحد، ويرجع هذا لطبيعة المناهج اللسانية عامة على اختلاف مدارسها.

فالمبادئ اللسانية الأولى تساعد الطالب على إدراك أن اللغات على اختلافها يمكن التعامل معها بمناهج ووسائل إجرائية واحدة، خاصة وان غاية اللسانيات هي الوصول إلى نظرية عالمية للغات.⁽¹⁾

(2) البرنامج الجديد الخاص بالسنتين الاولى والثانية -ليسانس ترجمة-

(1) اجهاغ اللجان المكلفة بالمشاريع الوطنية (PNR) قسنطينة 28-04-99

كما تساهم اللسانيات -إلى حد ما- في إزالة ذلك التعصب غير الموضوعي والموروث للغة آلام, اذال أحد يجهل ما أحدثته محاضرات دوسوسير De Saussure في دراسة اللغة. وتدعو اللسانيات الى ضرورة التعرف على مصطلحات ومفاهيم ومناهج أهم المدارس اللسانية الحديثة, لأنها مست بطريقة أو بأخرى كل المناحي الحضارية للشعوب.

لكن كيف يتم الاستفادة من اللسانيات في تكوين المترجمين ؟
من خلال معاينتنا لم يتم تدريسه من لسانيات في بعض أقسام الترجمة في جامعاتنا, يبدو واضحا أن توظيف المعارف اللسانية في تكوين المترجمين بعيد عن أن يوتي أكله, ويمكن توضيح ذلك من خلال البرامج المقترحة على الأستاذ المؤطر, ونأخذ برنامج اللسانيات المقترح على طلبة السنة الأولى.⁽²⁾

محتوى المقياس: مدخل إلى اللسانيات العامة:

رمز المقياس 151

مدخل إلى اللسانيات

- الدراسة اللغوية القديمة:
- الدراسات التاريخية،
- الدراسات التفاضلية،
- الدراسات الحديثة،

المفاهيم العامة:

- الوسائل اللسان،
- اللغة،

(2) البرنامج الجديد الخاص بالسنتين الأولى والثانية ليسانس ترجمة.

- القول،
- الكلام،
- الجملة،

الوسائل التبليغية الأخرى
الدراسات اللغوية الحديثة العربية
الازدواجية اللغوية
الدلالة والمعجم

نلاحظ على هذا البرنامج التفريق بين الدراسة اللغوية والمفاهيم. بحيث نجد سردا متتابعا لأطوار الدراسة اللغوية القديمة دون تحديد هل أوروبية هي أم عربية.

ونتساءل بعدها ما جدوى فصل المفاهيم العامة عن القسم الأول المتعلق بالدراسات إذ لا يمكننا تلقين الواقع اللغوي القديم أو الحديث بعيدا عن المفاهيم المؤسسة له، أضف إلى ذلك تنوع المفاهيم المقترحة بين التراث والحداثة التي يستحيل دراستها بعيدا عن السياق المنهجي الواردة فيه دون إهمال المقاربة الواجب القيام بها بين المفاهيم التراثية والحداثيّة.

كما نلاحظ على هذا البرنامج طول المواد المقترحة والتي من المفروض أن تخصص لها مقاييس منفصلة لأهميتها مثل الدلالة والمعجم.

أما بالنسبة للسنة الثانية فإن طول البرنامج المقترح لا تكفيه سنة دراسية للإحاطة به. ونقترح فصل المدخل وإحاطة ببرنامج السنة الأولى، ثم فصل ماله علاقة بالجانب الأدبي النقدي مثل مدرسة الشكلانيين الروس ونظرية القراءة والذي يمكن تدريسه في مقياس مستقل.

إن الغاية من تكوين المترجم هو رفع مستواه في اللغة العربية لأن الهدف المنشود هو نقل المعارف الحضارية إليها. وهذا لا يتأتى إلا بتكوين دقيق وجاد في اللغة العربية، فقد جاء في الوثيقة التي أعدتها اللجنة المكلفة بالمشروع الوطني للبحث في الترجمة فيما يتعلق بضعف مستوى الطلبة في اللغة العربية انه: "إلى لحظتنا هذه لا توجد قسّمات مشرقة ولا ملامح واضحة لوحدة اللغة العربية التي يتعلمها الطالب بهذا المعهد" (1)، ومن خلال تجربتي المتواضعة في تعامل مع طلبة السنة الرابعة في مقياس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، ومن الإنجليزية إلى العربية لاحظت أن الطلبة -بشكل عام- لا يتقنون اللغة العربية بمستوياتها المختلفة بله أساليب البلاغة والبيان. فأني لهؤلاء أن يترجموا إلى لغة يجهلونها ولا يستعملونها لا في أحاديثهم ولا في قراءاتهم، فإذا اتفق وإن وجد فيهم من يقرأ فانه يقرأ باللغة الفرنسية خاصة أو الإنجليزية أو الإسبانية.

في الواقع إن الطلبة لا يفيدون كثيرا من درس اللسانيات لأنه -في الشكل الذي يقدم لهم اليوم- يعتبر بعيدا عن معالجة المشاكل الحقيقية التي يواجهونها في الترجمة، ذلك ان من يضطلعون بتدريس اللسانيات ليس لهم -في الغالب- معرفة راسخة في هذا العلم وغير مختصين في الترجمة. علاوة على أن مادة

(1) اجتماع اللجان المكلفة بالمشروع الوطني (PNR) قسنطينة 28-04-99

اللسانيات المدرسة من خلال البرامج المقترحة تبقى اقرب الى النظرية منها إلى التطبيق.

لذا وجب الاهتمام بالجانب الإجرائي الذي مسته اللسانيات, والذي يخدم الترجمة فوجب تلقينه للمترجم, من ذلك ما يأتي:

1. النص:

من المفارقات الغريبة انه لا يوجد مقياس واحد -بما في ذلك مقياس اللسانيات -يتناول النص بالدراسة والتحليل مع ان النص هو المادة التي يعمل عليها المترجم, فلا غرو أن يكون تكوين المترجمين في الوقت الراهن دون الآمال المرجوة مادام طالب الترجمة ليس لديه معرفة مناسبة عن النص, لذلك أكد أن طالب الترجمة يجب أن يعي جيدا أن النصوص:

« are manifestations of discourses and the meanings of discourses and the sites of attempts to resolve particular problems »⁽²⁾

" تعد تجليات لخطابات ومعاني لخطابات وهي المواقع التي تجري فيها محاولات إيجاد حلول لمشاكل محددة . " (الترجمة لنا)

والحديث عن النص إنما مبعثه أن المترجم مهما أوتي من معرفة باللغات أو الحضارات التي يتعامل معها إلا انه سيظل قاصرا عن تأدية عمله على اكمل وجه, ما لم يكن له تعامل ومعرفة وخبرة بأنماط النصوص, ذلك ان نمط النص هو الذي يحدد نمط الترجمة.

⁽²⁾ Kress, G, linguistic processes in sociocultural practice, Victoria : Deakin university press, 1985 p 12

وما يجب أن يعلمه طالب الترجمة أن سائر النصوص تقوم على معايير معينة يجب أن تتوفر في كل نص ليكون تواصليا. وجاء في كتاب دويغراندر ودراسلر " مدخل الى لسانيات النصوص " ان هذه المعايير تتميز بصفات ثلاث هي:

(1) Efficiency, effectiveness and appropriateness

" الفعالية, القدرة على التأثير والملائمة. " فإذا حدث وإن انتفى واحد من المعايير السبعة التي سبقت الإشارة إليها, فان النص لن يكون تواصليا, وسيكون مجرد رصف لكلمات وأصوات وحروف, وقد وضعت هذه المعايير لتجيب عن الأسئلة التي يفترض أن يطرحها المترجم عن النص وهذه الأسئلة (2) هي:

- 1 كيف ترتبط الجمل بعضها ببعض ؟ الاتساق cohesion .
- 2 كيف ترتبط الأفكار المتضمنة في النص ببعضها البعض ؟ الانسجام coherence .
- 3 ماهي الغاية التي جعلت الكاتب ينتج نصه ؟ القصدية intentionality .
- 4 كيف يتقبل القارئ هذا النص ؟ المقبولية acceptability .
- 5 ماذا يقول لنا هذا النص ؟ المعلوماتية informativity .
- 6 ماذا يراد بهذا النص ؟ الموقفية situationality .
- 7 ماهي النصوص الأخرى التي يشبهها هذا؟ التناص intertextuality

2. التضام Collocation :

(1) De Beaugrande and Dressler, W, introduction to text linguistics, Longman, London 1981 p 105

(2) Roger, T. Bell, Translation and Translating, Longman, London 1997 p 41

لعل من بين المشاكل ذات الطابع اللغوي التي ينبغي تدريسها للمترجم التضام، فعوض البحث عن الكلمات التي يمكنها أن تتضام Collocate فيما بينها، قد ينساق المترجم مع النص المصدر، فيخدش عبقرية اللغة المستقبلية، وذلك بجمعه بين كلمات قد لا تجتمع في الاستعمال اللغوي العادي، فالكلمة قد تنزع إلى أن تستعمل مع كلمات أخرى بشكل يجعلنا نتوقع هذا الأمر، فمع كلمة pluie مثلا نتوقع كلمات مثل: diluvienne, fine أو torrentielle و الشيء نفسه مع كلمة " أمطار " نتوقع كلمات مثل: وابل، طوفانية.

والتضام كأحد الأدوات المعجمية التي تتواجد في النص ليس آليا، بل أنه يعبر تعبيرا واضحا وقويا عن قصدية النص. ولنأت الآن إلى وصف العملية المتضمنة في التضام حيث يقول هاليداي وحسن في هذا السياق:

« In general, any two lexical items having similar patterns of collocation that is, tending to appear in similar contexts will generate a cohesive force if they occur in adjacent sentences »⁽¹⁾

" بشكل عام فإن كل عنصرين معجمين لهما نفس أشكال التضام - بمعنى انهما ينزعان إلى الظهور في سياقات مماثلة- فإنهما سينتجان قوة اتساقية إذا ظهرا في جمل متجاورة "

إن الكلمة المفتاح في هذا النص هي " السياقات المماثلة " فما يكون تضاماً بالنسبة لمستعمل معين في لغة ما قد لا يكون كذلك عند مستعمل آخر، وبهذا الشكل يمكن أن يكون التضام مؤشرا عن معنى مقصود لا يتأتى تحقيقه بأدوات معجمية أخرى.

⁽¹⁾ Halliday et Hasan cité par B. Hatim et I. Mason, op.cit p 204

إن تدريس التضام والتفكير في إعداد قاموس للمترادفات مثلاً قد يزيلان الكثير من الغبن الذي يتعرض له المترجم في اللغة العربية. فغاية الترجمة إلى اللغة العربية، فيما نرى أن يكون النص ذا مقروئية عربية، بمعنى ألا يحس قارئه بغربة أو أجنبية من خلال استعمال تضام غير مألوف في الإنشاء العربي.

فالإنجليزية والعربية لكل منهما تضام خاص بهما، ومعرفة التضام في اللغتين جزء هام من المعرفة اللغوية التي ينبغي أن تتوفر للمترجم. فالصفتان pretty و handsome مترادفتان في كونهما يدلان كلاهما على " منظر جميل " good looking غير انهما يختلفان من حيث الكلمات التي تلحق بكل منهما على هذا الشكل:

Girl - boy

Boy - man

Pretty - woman - handsome - car

Flower - vessel

Garden - overcoat

Colour - airliner

Village - typewriter

..etc, ..etc

والشيء نفسه بالنسبة للغة العربية:

الثلثن - السعر

باهض القيمة - مرتفع البناء

التكاليف - الأجر

فالكلمات handsome و pretty، وباهض ومرتفع وإن كانت مترادفة، وتتداخل معانيها أحياناً، إلا أن لكل كلمة سلسلة معينة من كلمات ترتبط بها، وهي مكرسة في الاستعمال اليومي وفي الكتابة، ونعرض فيما يلي لبعض مشاكل التضام نوردها من الترجمة العربية لرواية جورج اورويل 1984:

his predicament would be meaningless

تعطينا الترجمة العربية: " تكون نبوءته ليست بذات موضوع". والأولى أن تتضام ذات مع: بال-أهمية-قيمة-معنى فنقول: ليست ذات بال / أهمية / قيمة / معنى.

و للعبارة الآتية: the rough hand shaking your shoulder

(رواية 1984 ص 172)

تعطينا الترجمة العربية: " تمتد يد الى كتفه وتهزه بغلظة ". والأحرى أن يتضام الفعل هز مع: بشدة-بعنف, فنقول: وتهزه بشدة / بعنف.

ولترجمة: your name was removed from the registers

(رواية 1984 ص 172)

تعطينا الترجمة العربية: " لقد رفع اسمك من السجل " فالكلمات التي تتضام

مع سجل هي: كتب-نسخ-محا-أزال, وليس رفع, فتكون الكلمة الصائبة: لقد محي / أزيل اسمك.

ولترجمة: the sting of the catapult bullet had worn off (رواية 1984 ص

177)

تعطينا الترجمة العربية: " وانقشع عن ونستون الألم". مع أن الفعل انقشع لا

يرد إلا في سياق واحد هو: انقشعت الغيوم, والأولى أن نترجم هكذا: وزال عن ونستون الألم.

3. الموضوع والمحمول: Theme / Rheme

يعتبر إدراج هذا الموضوع في سياق تعليم الترجمة هاما, ذلك انه يمكن المترجم من إدراك العلاقات التي تنتظم الجمل من خلالها باعتبار الجملة تتكون

من جزئين، يسمى الجزء الأول بالموضوع Theme ويتعلق بما نتحدث عنه الجملة، فإذا أخذنا الجملة الآتية:

Ptolemy's model provided a reasonably accurate system for predicting the positions of heavenly bodies in the sky.

فان الموضوع هنا هو نموذج بطليموس Ptolemy's model وهو ما نتحدث

عنه الجملة. وعلى مستوى الجملة يعلن الكاتب عن رسالته بجعلها في اول الجملة. أما الجزء الثاني من الجملة فيدعى المحمول Rheme. فالمحمول هو ما يقوله الكاتب عن الموضوع، وهو غاية الخطاب، ويعتبر أهم شيء في تركيب الجملة أو العبارة كرسالة لأنه يمثل المعلومة الخالصة التي يريد الكاتب أن يوصلها إلى القارئ، فالمحمول إذا هو الذي يقوم بالغاية التواصلية في جملة ما. وفي الجملة السابقة، فالمحمول هو:

Provided a reasonably accurate system for predicting the positions of heavenly bodies in the sky.

وهو ما يريد الكاتب أن يقوله عن نموذج بطليموس لذلك يمكننا القول بأن

كل جملة تحوي في تركيبها رسالة معينة، فهي تقول شيئاً (وهو المحمول) عن شيء ما (وهو الموضوع).

وسنرى الآن بشكل أكثر توسعا كيف يتم التحليل الموضوعاتي من وجهة

نظر هاليداي Halliday في اللغة الإنجليزية⁽¹⁾ وهذا مثال على ذلك:

Aristotle thought that the earth was stationary and that the sun, the moon, the planets, and the stars moved in circular orbits about the earth, he believed this because he felt, for mystical reasons, that the earth was the center of the universe and that circular motions was the most perfect.

(A brief history of time, Hawking 1988)

⁽¹⁾ Halliday, cité par Baker. M, In Other Words, Routledge, London 1996

التحليل المقترح:

موضوع 1 Thought that Aristotote

The earth = 2 م	}
was the stationary = 2 مح	
the sun, the moon, the planets, and the stars = 3 م	
moved in circular orbits about the earth = 3 مح	
He believes this (because) 1 موضوع	}
He felt for mystical reasons (that) 2 م	
The earth 3 م	}
Was the center of the universe 3 مح	
Circular motion 4 مح	
م = موضوع	
مح = محمول	

يتضح مما سبق أنه يمكن تمثيل التحليل الموضوعاتي بشكل متسلسل،
وبما أن الجمل في الإنجليزية تتكون عادة من أكثر من عبارة clause سيكون
هناك عدة مستويات من التركيب الموضوعاتي فكل عبارة يكون لها موضوعها
ومحمولها الخاص بها، والذي يتعلق بدوره بموضوع ومحمول أوسع على مستوى
النص.

ويتجلى الفرق بين الموضوع والمحمول على مستوى النص، ولا تتحدد قيمتهما في شرح تركيبية الجمل المنفردة و إنما في تسليط الضوء على مجالات عديدة تتحكم في سيولة المعلومات.

4. منهجية للترجمة

لا ينبغي أن تكون أقسام الترجمة مدارس لتعليم اللغات. فالطالب المتقدم إلى قسم الترجمة يفترض أن يكون له إلمام باللغات التي يود التخصص فيها، ومع ذلك يتلقى الطلبة في أقسام الترجمة دروسا لتحسين مستواهم في هذه اللغات.

وفي سبيل الوصول الى منهجية عملية لتدريس الترجمة، ننطلق من كتاب ألفه أحد تلامذة المدرسة العليا للترجمة التحريرية والفورية لباريس (ESIT)

بعنوان: L'analyse du discours comme méthode de traduction

" تحليل الخطاب كمنهجية للترجمة "

يبدأ المؤلف من معاينة أولية مفادها أن المادة المدرسة في إطار الترجمة هي في واقع الأمر عملية فكرية، وان هذه المادة المدرسة هي عملية مجردة للتحليل والتركيب⁽¹⁾، وتتعلق هذه المنهجية بنصوص واقعية عامة، وينظر إلى المترجم في إطار هذه المنهجية كمتخصص في التواصل الكتابي وكمحرر لان:

La traduction de textes pragmatiques est un art de réexpression fondé sur les techniques de rédaction et sur la connaissance préalable de deux langues⁽¹⁾

⁽¹⁾ Delisle cité par Elisabeth Lavault, fonctions de la traduction en didactiques des langues, Didier, Edition Paris 1985 p 61

⁽¹⁾ Demanueli, C et J, Lire et Traduire, Masson, Paris 1990 p 67

" ترجمة النصوص الواقعية هي فن إعادة صياغتها على أساس تقنيات التحرير والمعرفة القبلية للغتين."

وما نود الوصول اليه من خلال هذه المنهجية هو تنمية قدرات مزدوجة لدى المترجم:

قدرة على الفهم لتقييم ما يود النص الأصلي قوله (le vouloir dire) وقدرة على إعادة الصياغة من أجل إعادة بناء هذا النص في لغة أخرى (ونعني بها تقنيات التحرير). وهذا يتطلب كفاءتين عاليتين الأولى تأويلية والثانية تعبيرية⁽²⁾.

مما سبق يمكننا أن نستنتج أن الترجمة لم تعد فنا يخضع لذوق المترجم، بل هي علم يتحقق من خلال تقنيات معينة تكتسب بالدراسة والممارسة، وسأذكر هنا ثلاثة أساليب إبداعية وهي الإبدال transposition والتطويع la modulation وإعادة الصياغة rewording. لها أهميتها البالغة في درس الترجمة.

وتسمح دراسة أسلوب التطويع بفهم الغاية من بعض التمارين في استعمال وإتقان لغات العمل.

وليست إعادة الصياغة سوى ممارسة للتطويع داخل اللغة، فهي ليست فقط اختبارا لفهم النص، فالإي جانب كونها تسمح بتسليط الضوء على عنصر معين في الجملة دون آخر، فإنها تمرين على الأسلوب، ولتوضيح هذا الأمر نأخذ هذا المثال الذي يسوقه أوجين نيدا⁽³⁾ : Jesus rebuked Peter

⁽²⁾ Lavault, E, Fonctions de la Traduction, Didier Erudition, Paris 1985 p 61

⁽³⁾ Demanueli, op.cit, p 61

والذي يقترح له ثمانية صياغات أخرى, وبغض النظر عن الجوانب النحوية, فإن الامر يتعلق بلعبة الظل والضوء, او بعبارة أخرى ابراز عنصر من الجملة أو حجه:

1. Peter was rebuked by Jesus.
2. Jesus' rebuking of Peter.
3. Peter's being rebuked by Jesus.
4. The rebuke of Peter by Jesus.
5. Peter's rebuke by Jesus.
6. The rebuking of Peter by Jesus.
7. It was Jesus who rebuked Peter.
8. It was Peter who was rebuked by Jesus.

تهدف هذه المنهجية المقترحة إذا إلى جعل طالب الترجمة يشتغل على كل ناحية من نواحي اللغة, والغاية هي الوصول إلى اصطلاحات الكتابة في اللغتين وهذا ما يقرره دوليل:

conventions de l'écriture Delisle:

L'objectif général des cours pratiques de traduction n'est pas la description (même comparative) des langues, mais l'analyse de l'articulation des pensées d'un message et leur reformulation dans une autre langue⁽¹⁾

" إن الهدف العام للدروس التطبيقية للترجمة ليس وصفا (ولو مقارنا) للغات, وإنما تحليل أفكار رسالة وإعادة صياغتها في لغة أخرى."

ولن يتم تحليل الأفكار المتضمنة في النص إلا بالمرور بالتحليل المعجمي, وتحليل الأسلوب بإبراز الكاتب, والموضوع وجنس النص ومستقبله, وتحديد مستويات اللغة والسجلات المستعملة فيه.

⁽¹⁾ Delisle in Lavault op cit p 62

أ. إعادة النظر في امتحانات الدخول إلى أقسام الترجمة:

تماشيا مع طرق العمل المتبعة في الجامعات الغربية ذات التقاليد الراسخة في تدريس الترجمة، وبغية الوصول إلى تكوين راق فلا ضير من الاستفادة من تجارب بعض المدارس مثلا مدرسة باريس أو جنيف للترجمة اللتان تفرضان شروطا صارمة للالتحاق بها⁽¹⁾

إن الالتحاق بأقسام الترجمة يتطلب مستوى عال جدا في إتقان لغتين على الأقل اللغة الأم، ولغة أو لغتين أجنبيتين ويكون التركيز على اللغة الأم أو لغة الوصول حسب مصطلحات الترجمة لأنه كما يقول مارسيل بريون Marcel Brion: C'est dans sa propre langue que le traducteur trouve les plus grandes difficultés⁽²⁾

كما يتطلب ولوج عالم الترجمة ثقافة واسعة، وهذا ما جعل مدرسة جنيف تفتح أبوابها لحملة الإجازات في الحقوق والاقتصاد ليلتحقوا بالسنة الثالثة مباشرة بعد اجتياز امتحان تحديد المستوى، أما فيما يتعلق بالجزائر فيمكن إجراء امتحان يحدد ثقافة الطالب الذي يريد الانتساب إلى قسم الترجمة ومدى استعدادة لتكوين دقيق وطويل الأمد قد يستمر العمر كله.

وما يبرر دعوتنا إلى إعادة النظر في امتحانات الدخول إلى أقسام الترجمة أننا أدركنا بعد معاينة ميدانية لعدد كبير من الطلبة أن الكثير ممن يحضرون للإجازة في الترجمة لم يأتوا إلى الترجمة عن اختيار وقناعة وإنما لأسباب تقنية -

⁽¹⁾ Redouane, J la traduction, science et philosophie de la traduction, OPU, Alger 1985 p 197

⁽²⁾ Mounin, G, linguistique et traduction, Dessart et Mardaga, Bruxelles 1976 p 19

التوجيه الآلي عن طريق الحاسوب- أو لاعتبارات اجتماعية, وكلا الأمرين يحول دون تكوين مترجمين ذوي مهارات عالية.

وفيما يتعلق بتحديد الكفاءة اللغوية لمن يريد الالتحاق بقسم الترجمة فإن بعض البيداغوجيين يدعون إلى إجراء اختبار انتقاء غايته التحقق من إمكانيات الطالب في لغته الأم وفي اللغة أو اللغات الأجنبية. ويؤكد ويبر Weber على إجادة اللغة الأم بقوله:

It would fair to say that only students who receive straight « A » in their native language courses can aspire to the degree of perfection needed y the translator⁽¹⁾

" إن من الإنصاف القول بأن الطلبة الذين يحصلون على الدرجة " أ " هم وحدهم من يمكنهم أن يطمحوا إلى درجة الكمال التي يحتاج إليها المترجم."

بعد كل ما تقدم يمكن القول أن امتلاك ناصية العربية أمر ضروري للتصدي لمهنة الترجمة, ويمكن تحديد العلامة التي يمكن بموجبها قبول الطلبة لدراسة الترجمة, لأن الضعف اللغوي وانعدام الرغبة لهما نتائج سلبية أكيدة على الأداء العام للطلبة.

ب. التحفيز على القراءة:

تعتبر القراءة أولى العمليات التي يقوم بها المترجم من أجل نقل نص من لغة إلى لغة أخرى, والقراءة ليست فعلا سلبيا يقوم به المترجم من أجل الوصول إلى معنى معين وثابت في النص, ولا هي تلك العملية الآلية التي يكفي استخدام

⁽¹⁾ Weber, cité par A, Abachi, The Academic Training of Translators, cahiers de traduction n°2 1996

أدوات إجرائية تتعلم في قاعات الدرس للقيام بها، إنما القراءة استعمال لتجربة المترجم الذاتية في محاولة فهم النص.

القراءة في سياق الترجمة هي في حقيقة الأمر مقدمة لإعادة كتابة نص جديد في اللغة الهدف، فالمترجم باعتباره قارئاً لن يقرأ في فراغ، بمعنى أنه لن يتسنى للقراءة أن تتم بمنأى عن السياق النفسي والاجتماعي اللذين ينتمي إليهما المترجم. وسيقف هذا المترجم أثناء عملية القراءة في موقف حرج، فهو مطالب بان يعيد بناء رسالة جديدة في اللغة المستهدفة كما أسلفنا، ولن يتأتى له أداء هذه المهمة دون أن يحمل النص المترجم آثاراً من ثقافته.

ولقد سبق وأن ذكرت إن إقبال الطلبة على القراءة محدود جداً، ولا يمكن تبرير هذا العزوف عن القراءة بوجود مصادر معلومات جديدة، فوسائل المعلومات الافتراضية كما تسمى اليوم ونقصد بها الإنترنت والأقراص المدمجة لا يمكنها أن تحل محل الكتاب الذي يبقى مصدراً هاماً للحصول على المعرفة خاصة بالنسبة لطلبة هم في طور بناء ثقافتهم الخاصة.

وحتى يكتشف الطالب سحر الكتاب وجاذبية المقروء ينبغي أن تفرض قراءة عناوين يمكن تحديدها في ورشات لاحقة.

ويمكننا أن نقترح في سياق مقياس مدخل إلى اللسانيات العامة قراءة أو على الأقل الاطلاع على كتابين أساسيين، الأول: مدخل إلى علم اللغة العام لماريوباوي، الذي يتعرض للجانب التاريخي للغات أو اللسانيات من سقراط إلى دو سوسير، ثم كتاب محاضرات في اللسانيات العامة لسوسير، باعتباره محور الدراسات اللسانية الحديثة.

وفي مقياس " حضارة عالمية " الذي يتناول الحضارة العربية الإسلامية والحضارات الغربية على اختلافها, نرى انه يجب الابتعاد عن السرد التاريخي للأحداث الذي يجعل الطالب يتلقى المعلومات آليا, بل ينبغي تعويد الطلبة على النظر بحذر لما يؤرخ للحضارات على اختلافها.

ومن الكتب التي نقترحها على الطالب في الحضارة العربية الإسلامية كتاب الالمانية زغريد هونكه " شمس العرب تسطع على الغرب " وكتاب تاريخ العرب لجورج حتي, وكتابات شكيب ارسلان, ثم قراءة ناقدة للمعلومات التاريخية والحضارية الواردة في سلسلة الروايات الإسلامية لجورجي زيدان. كما يمكن انتقاء بعض النصوص من الكتب التراثية كالأغاني للاصفهاني, والعقد الفريد لابن عبد ربه. ويمكن انتقاء كتب مماثلة في اللغة الانجليزية مثل The History of England لمؤلفه لورد ماكولي Lord Macaulay , و Making America لصاحبه لوثر لودكه Luther.S. Luedtke. إلى جانب ذلك يحتاج الطالب إلى تكوين آخر يكمل ما سبق ويتجلى في العلوم الاجتماعية.

انطلاقا من المقولة النقدية الشهيرة " الأدب ابن بيئته " ندرك أنه لا يوجد نص لا يعكس تركيبه صورة ما لعصره أو بيئته.

ففهم الجانب الاجتماعي الذي انتج النص المراد نقله ضروري. ونقترح هنا اطلاع الطالب على نظرية العصبية عند ابن خلدون, وبالإضافة إلى فكر دور كايم من خلال دراساته الميدانية ويستوجب ذلك أيضا توضيح بعض المفاهيم الاجتماعية، إن سياقات النص ضرورية في نقله وتبقى أساسية إلى جانب البنية الداخلية له, فيفترض إذا تنسيق التكوين بين الجانب اللساني والجانب الحضاري الثقافي.

الخاتمة

في الأخير إن ما تعرضت له يحتاج إلى بحث وتوسيع أكبر من حيث تناوله، ويحتاج من جهة الطالب إلى جهد أكبر، من هنا لا أزعم أنى قدمت جديداً لكن تبقى هذه محاولة تفتح أبواب التفكير من جديد فيما يخدم الترجمة ليتسنى لنا تكوين مترجمين ذوي مستوى عالٍ، لهذا وجب تشجيع العمل على تطوير تدريس الأسلوبية المقارنة بين اللغتين الإنجليزية والعربية التي تهدف إلى إعطاء أدوات تساعد المترجم على تيسير مهمته كذلك التي تعرضنا لها في بحثنا هذا.

يبقى أن نشير إلى أنه مهما بلغ ثراء البرامج وتنوعها فإنها لن تعطي الفائدة المرجوة منها ما لم يعمل على تطبيقها أستاذ كفؤ يملك ناصية اللغتين، وطالب غايته الوصول بمستواه إلى ما يؤهله لأن يكون مترجماً حقاً.

المراجع

العربية

الترجمة في الوطن العربي - ندوة فكرية حول الترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2000
علي أبو المكارم - تقويم الفكر النحوي - دار الثقافة، بيروت

الأجنبية

Baker, M. In Other Words, Routledge, London, 1996

Beaugrande (de) and Dressler, W, Introduction to Text-linguistics, Longman, London 1981

Bell, R.T, Translation and Translating, Longman, London 1997

Demauelli, C et J, Lire et Traduire, Masson, Paris 1990

Hatim, B and Mason, I, Discourses and the Translator, Longman, London 1994

House, J, Translation Quality Assessment, Tübingen Narr 1997

Kress, G, Linguistic Processes in Sociocultural Practice, Victoria, Deakin University Press 1985

Lavault, E, Fonctions de la traduction en didactique des langues, Didier Erudition, Paris 1985

Mounin, G, Linguistique et Traduction, Dessart et Mardaga, Bruxelles 1976

Redouane, J, La Traductologie, Science et philosophie de la traduction, OPU Alger 1985

Youcefi, F, Grammatical, Lexical and Cultural Shifts in English Arabic Translation, PhD Thesis, submitted to the University of Bath 1990, Algiers University Library.

دوريات ووثائق

- برنامج السنتين الأولى والثانية، ليسانس ترجمة للعام الدراسي 2000-2001 الصادر عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

- تقرير اللجان الوطنية المكلفة بالبحث في الترجمة، قسنطينة 1999

- دفاتر الترجمة, مجلة معهد الترجمة, جامعة الجزائر, العددان: 1 سنة 1993
و 2 سنة 1996

- اللغة والأدب, مجلة معهد اللغة العربية, جامعة الجزائر, عدد 12 سنة 1997

حول ثقافة المترجم

أ.شعيب مقنونيف

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

مدخل:

يتّضح للمتعمّن في تاريخ لغة الضاد أنها سلكت نهج الأخذ والعطاء منذ أقدم عصورها، شأنها في ذلك شأن اللّغات الحية القوية، التي تملك قابلية للبقاء، ذلك أن لديها استعدادا لتقبّل ما يجدّ في الحياة من تغيّر وتطوّر ، وغير خاف علينا جميعا أنها أخذت من اليونان والفرس والهند كثيرا من المفردات، فعربتها تعريبا مكينا حتى أصبحت مفردات عربية لا يكاد ينتبّه لها إلاّ العلماء: كالاستبرق والدمقس والفردوس وقسطاس وقرطاس وصلاة ودر، وقد جاء ذكر الكثير منها في القرآن الكريم ⁽¹⁾ ، وتتبعها كثير من العلماء والمفسرين وأعادوا كل واحد منها إلى أصله، نذكر منهم، على سبيل المثال، "أبو منصور الجواليقي" مؤلّف كتاب "المعرب"، و"جلال الدين السيوطي" مؤلّف كتاب "المهذب فيما في

القرآن من المعرب"، كما نجد قبيل الإسلام مفردات أجنبية في شعر "حسان بن ثابت"، و "الأعشى ميمون"، و "المنخل البشكري"، و "عدي بن زيد العبادي" (2)

فلما نزل القرآن الكريم على الرسول، صلى الله عليه وسلم، وانتشر نور الإسلام وانبسط سلطانه على العالم المتمدن، في ذلك العصر اتسعت حضارة العرب.

أولاً: اللّغة واتساع الحضارة:

من الضرورة بمكان أن تواكب اللّغة اتساع الحضارة، لأنها هي الوعاء الذي يشتمل على ما يدخل في اللّغة من مفردات جديدة، ويبدو أنها اتخذت في بداية الأمر سبيل الترجمة العلمية أيام "خالد بن يزيد بن معاوية"، وذلك أنه كان مغرماً بالكيمياء، ثم تلاه "سالم" مولى "هشام بن عبد الملك"، فترجم كتاب رسائل "أرسطو" إلى "الإسكندر"، وترجم "ديوان المحاسبة" في تلك الفترة، ومن الملاحظ أن الترجمة كانت فردية أو شبه فردية أيام الأمويين (3).

وقد بقيت على هذا النسق حتى حلّ العصر العبّاسي، فانفتحت الأبواب على مصراعها للترجمة، فتدفقت كما يتدفق النهر العظيم، وقد شملت الترجمة علم الفلسفة والهندسة والطب والجغرافيا، كما نجد ذلك فيما نقل من كتب أرسطو، وكتاب "كليلة ودمنة"، وكتاب "المجسطي"، إلى غير ذلك من الكتب، التي لا تحصى، ولقد نتبع كثير من الباحثين مسيرة الترجمة ودرسوا أسبابها، ولعل "محمد بن إسحاق" المعروف "بابن النديم"، صاحب كتاب "الفهرست" المشهور، أول من قام بذلك، ثم نهج العلماء هذا النهج وتحديثوا عن ذلك أحاديث مفصلة، وليس من قصدنا الآن أن نفصل الحديث عن سبب النقل، فقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق حيث قلنا إن اتساع الحضارة لا بد له من اتساع اللّغة، والذي يهمننا الآن هو أن

نتذكّر، بأن هذه الترجمة الواسعة لا يمكن أن تتم، لو لم تكن اللّغة العربية لغة تملك من الغنى والقوّة ما لا يملكه إلاّ القليل من اللّغات.

ثانيا: هل الترجمة ممكنة أم مستحيّلة؟!

لقد أصبح من البديهي القول إن مرور عقود عديدة على ظهور أولى الدراسات اللّسانية الحديثة والمعاصرة، قد أبرز أهمية النظر في اللّغة وتحليل أنظمتها وما يرتبط بها من المعارف و العلوم حتى إن اللّسانيات أصبحت عمدة أساسية من عمد البحث و الدراسة (4).

ولم تسلم اللّسانيات من التفرقة بين مظهرها النظري والتطبيقي، فقد اهتمت اللّسانيات التطبيقية بإحياء علوم عديدة، ودفعت إلى إعادة النظر في بعضها، أو إعادة تقويم البعض الآخر، وأدخلت صياغة جديدة على طرق بحث القضايا اللّغوية القديمة، بأن جعلتها أكثر تنظيما (systematisation)، وأكثر شمولاً ودقّة، وهي في كل ذلك تسعى إلى أن تستفيد من نتائج البحث اللّساني النظري بمختلف فروعها من ناحية أولى، وإلى أن تؤكد استقلالها وتثبت ذاتيتها وتفردها في مناهجها وعدم خلوها من التنظير من ناحية ثانية.

والترجمة واحدة من هذه الظواهر اللّغوية التي تشملها عناية اللّسانيات التطبيقية الحديثة، وهي مهما تعددت تعريفاتها، لا تخرج إجمالاً عن كونها "عملية تواصل"، تحصل بتحويل علامات لغة إلى علامات لغة ثانية فهي تعني كل شكل من أشكال التوسط بين طرفين، أو أكثر، يستعمل كل واحد منها لغة تختلف عن لغة الطرف الآخر، فهي قناة وجسر في عملية التواصل بين مجموعتين لغويتين مختلفتين، سواء كان التواصل تخاطباً أم تراسلاً، تجارة ومعاملات، حرباً أم سلماً... إلخ، وهي أداة لا بدّ منها عند كل لقاء أو تماس بين أفراد مجموعتين

لغويتين ، أو أكثر ، ولذلك لا نستبعد أن أولى الترجمات كانت "فورية" شفوية مباشرة، لما ثبت لدى الجميع من أسبقية المشافهة ، ومن "ثانوية" الكتابة (6) ، وتأخرها في الزمن ، وفي مدى اللّجوء إليها ، وشيوع استعمالها ، ولئن وجدت نصوص مصرية قديمة محررة بلغتين تعود إلى آلاف السنين ، ولئن كان المترجمون في قصور الفراعنة يحظون بمكانة رفيعة ، ويحملون لقب الأمير ، ويتوارثون شرف المهنة توارث غيرهم شرف الانتماء إلى النبلاء والفراعنة الحاكمين (7) ، فإن ذلك لا يشكل إلا مرحلة معلومة سبقتها مراحل لا نعرف عنها شيئا، ولا نأمل في التعرف إليها كما لا نأمل أن نعرف حالة عديد اللّغات في مراحل سبقت مراحل تدوينها في وثائق باقية ، كما أنه لا شك في أن مترجمي الفراعنة كانوا يقومون بالترجمة الفورية الشفاهية ، وبالترجمة التحريرية في الوقت نفسه، مع غلبة النوع الأوّل على الثاني.

ولئن تعددت الترجمات من هذه اللّغة إلى تلك وتكاثرت عبر العصور ، فإن التنظير لقضايا الترجمة وما يحيط بها كان محدودا نادرا وظلّ يدور حول السّؤال التقليدي ، هل الترجمة ممكنة أم مستحيلة (8) ؟.

ومن نافلة القول إن العرب قد أسهموا بقسط وافر في تقدم العلوم، بما قاموا به من الترجمات في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، ولكن تنظيرهم لفعل الترجمة (l'activité traduisante) أو المقارنة بين لغتهم وبين غيرها من لغات الأقاليم الأخرى ، ظلت مقصورة على إشارات متفرقة وخاطفة ، عند هذا المؤلّف أو ذاك، في معرض حديثه عن هذا الموضوع أو غيره، ولم نجد ضمن هذه الإشارات حديثا عن الترجمة تحريرية كانت أم شفوية. على أننا نستثني الجاحظ الذي تميز في هذا الشأن تميزا واضحا عن غيره من الكتّاب إذ عرض للّغة عرضا عميقا طريفا يدل على مدى تنبئه لخصائص الظاهرة اللّغوية، ولعل

السبب في أنه من القلائل الذين أثاروا قضايا الترجمة إثارة مباشرة أو غير مباشرة يعود إلى أنه كان بلاغيا متأدبا ولم يكن نحويا مقعدا وإلى أنه كان يلحظ اللّغة في الاستعمال والإنجاز فكانت "المشافهة" أو اللّفظ السمة الأساسية لما دَوّن وكان « اعتماد التواصل بين طرفي الخطاب ... وبلوغ القصد من القول بضرب من التلقي المباشر ... والاستهلاك على عين المكان » (9) ، مرتكزة فيما لاحظ. يقول الأستاذ حمادي صمود: « انتبه الجاحظ إلى أن الفعل اللّغوي، مهما كان الحيز الذي ينتزل فيه، ويقطع النظر عن مقاصد منجزه، وغاياته، يقوم على ثلاثة عناصر رئيسية تمثل الحد الأدنى للبيان اللّغوي ، وهي المتكلم والسامع والكلام، ولئن لم نقف في مؤلفاته على صياغة نظرية مباشرة لهذا الاعتبار ، كما هو الشأن عند أرسطو مثلا، فإن كل تحليلاته اللّغوية، ومقاييسه البلاغية تركز على ما بين هذه العناصر من تلاحم وتفاعل » (10) .

ثالثا: المترجم والترجمان من منظور تراثي:

ينطلق أبو عثمان في آرائه حول الترجمة بوجهيها التحريري و الشفاهي، من أن للإنسان "قوة" وطاقة تعبيرية واحدة ، حتى إنه إذا تعددت اللّغات على لسانه، اضطر إلى توزيع هذه القوة بينها فنقص بيانه وفهمه وإفهامه فيها جميعها، وقصر عن تمام الكمال الذي قد يدركه في واحدة إذا هو اكتفى بها « واللّغتان إذا التقتا في اللّسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبها » (11) ، ويضيف في موضع آخر متحدثا عن الترجمان أنه: « متى وجدناه، الترجمان، أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما لأن كل واحدة من اللّغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها ، وكيف يكون تمكن اللّسان منهما مجتمعين فيه كتمكنه إذا انفرد بالواحدة ، وإنما له قوة واحدة فإن تكلم بلغة

واحدة استفرغت تلك القوة عليهما وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات» (12).

ولعل الذين تصدوا لهذين القولين وعالجهما بضروب من المعالجة والقراءة والتأويل، لم ينتبهوا إلى أنهما يهمان مترجم النصوص وترجمان الكلام، بل إن ما جاء في الحيوان يمكن عدّه من أكثر الاستقراءات تأليفاً وتكثيفاً لعملية الترجمة الشفوية، وما يكتنفها من التعقيد والعسر والتوتر.

واللغة ليست علامات مجردة تنقل بتحويل هذه العلامات إلى علامات أخرى، بل هي علامات ومعرفة بمقامات استعمالها، وبالرؤية المخصصة لدى المجموعة البشرية التي تستعملها للأشياء والكون والبشر والعلاقات.... الخ.

لذلك فإن "الضيم" الذي يتحدث عنه الجاحظ لا ينشأ من أثر توزيع القدرة على التعبير باللغة على ألسنة عديدة، بقدر ما ينشأ من عسر معرفة ضروب "المقامات" والمواضع التي تستعمل فيها العلامات اللغوية، والتي لا يكمل البلاغ إلا بتطابق "المقال" و"المقام" فيها، فتمكن المترجم والترجمان من لغات عديدة لا يضمن لهما حسن الترجمة ولا حتى القدرة عليها ما لم يصحب ذلك بمعرفة دقيقة بأوجه استعمال اللغات وهي مختلفة متباينة بين مجموعة لغوية وأخرى، وإلى هذا يشير الجاحظ في قوله: « اللغات إنما تشد وتعرس على المتكلم بها على قدر جهله بأماكنها التي وضعت فيها » (13) وهذا أس الترجمة مطلقاً والترجمة الشفوية خاصة.

ولقد وضع الجاحظ في كتاب الحيوان الشروط التي بها تكمل عملية الترجمة، وتحقق المبتغى منها على أكمل الوجوه في التواصل: « ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن

يكون أعلم الناس باللّغة المنقولة والمنقول إليها ، حتى يكون فيهما سواءا وغاية «⁽¹⁴⁾، فهو يشترط شروطا هي:

1- أن يكون عالما باللّغة المنقولة (Langue de départ) وباللّغة المنقول إليها (Langue cible) عارفا بهما معرفة جيدة.

2- أن يساوي بيانه علمه بالموضوع الذي يترجمه ، أي أن كلامه ينبغي أن يكون في وزن ما حصل له من العلم ، فتكون الترجمة تعبيراً عن ذلك العلم وتجسيدا له وتعزيزا ، وإلا كانت الترجمة ثرثرة وكلاما يدور ، وتحقيق هذا الشرط يجعل الترجمة، سواء كانت نصا أم كلاما تندرج ضمن ما يفهم ويفهم، حتى كأن اللّغة تتسحق كحاجز أمام اختلاف صور المعرفة وأشكالها.

على أن ما يلفت الانتباه في نصوص الجاحظ ، هو استعمال لفظ الترجمان دون المترجم ! وهو مصطلح مختلف فيه "قيل هو عربي أو معرب درغمان " . وجاء في لسان العرب « التُّرْجَمَانُ والتَّرْجَمَانُ : المفسر للّسان. وقد ترجمه وترجم عنه وترجمان هو من المثل التي لم يذكرها سيبويه. قال ابن جني: أما ترجمان فقد حكيت فيه تُرْجَمَان بضم أوله ومثاله فعللان كعترفان ودحمان وكذلك التاء أيضا فيمن فتحها أصلية وإن لم يكن في الكلام مثل جعفر لأنه قد يجوز مع الألف والنون من الأمثلة ما لولاهما لم يجز كعنفوان وخنديان ورهبان. ألا ترى أنه ليس في الكلام فعلو ولا فعلي ولا فيعل ؟»⁽¹⁵⁾

وبقطع النظر عما أورده صاحب اللّسان من قول ابن جني عن هذه الصيغة النادرة في تركيب الكلمة العربية، فإن الواضح هو أن الترجمان يفسر الكلام عند نقله من لغة إلى أخرى، أي أنه يعالجه بضرب من التأويل والتوضيح، حتى يصبح مفهوما في اللّغة المنقول إليها.

وجاء في تكملة المعاجم العربية: « ... ومن المعاني ترجمة الأحجية واللغز ففي المقرئ (503/1) في كلامه عن أحد الصوفية: وكان صالح الفكرة في حلّ التراجم. وعمل عمل الترجمان أي دليل السيام (أمري) ديب 143-203) ... »⁽¹⁶⁾ أي أن عمل الترجمان أعلق بتفهم المعنى المقصود من استعمال اللّغة والكلام منه بهما ، فهو يتمثل أساسا في نقل مضمون ملفوظ المتكلم إلى السامع الذي يتكلم لغة غير لغة الأول ، مثلما أن ترجمة الأحاجي تتمثل في الكشف عن معناها الخفي دون تشكيلها الملموس المباشر ، والمهم في كل هذا هو التنبيه على خصائص عمل الترجمان ، وعلى ما يمكن أن يميزه عن عمل المترجم في المعنى الضيق للكلمة ، وهذا التمييز هو عينه الذي ينطلق منه المختصون المعاصرون للتفريق بين ترجمة التحرير (Traduction)، التي يقوم بها المترجم (Traducteur)، وبين ترجمة المشافهة أو الترجمة الشفوية (Interprétation)، التي يؤديها الترجمان (interprète) (والجمع تراجمة وتراجم).

ومن الطريف أن لفظ الترجمان من المصطلحات التي استعارتها اللغات الأوروبية منذ القرن الثاني عشر ، وتذكر المعاجم الفرنسية أن الاستعارة تمت من العربيّة والتركية ، وكأنها مترددة في أصلها الحقيقي: وقد أعطى الترجمان مصطلحين اثنين هما:

1 - Drugement أو Trucheman التي أصبحت كتابته Truchement في القرن السابع عشر ، ويعني كل من يتحدث نيابة عن آخر ، ليشرح آراءه ويفسرها ، فكأنه ناطق باسمه أو ممثّل له، ثم تطور المصطلح ، ليبدل في الاستعمال العادي على الوساطة والوسيط.

2- Drogman المنحدر من التركية عن طريق الإغريقية البيزنطية dragoumanos وهو اسم مخصوص بالترجمة في بلاد المشرق (17) .

رابعاً: شروط ومقاييس المترجم:

إذا كان البعض يرى أنه من العسير أن نجد للترجمة تعريفاً جامعاً مانعاً، فحسبنا أن نقول إن الترجمة هي « نقل صورة أمينة كل الأمانة للأصل مع سلامة اللّغة العربية » (18) ولعل هذا يصدق على ترجمة الآثار العلمية، إذ يشترط فيها دقة الفهم، ووضوح الأسلوب، وإحكامه، واصطناع المصطلحات العربية المرادفة للمصطلح الأجنبي، وتحرير النصوص، وضبط أسماء الأعلام والمدن وتعريبها إذا كانت أسماء أجنبية، وردّها إلى أصلها العربي إذا كانت عربية مكتوبة برسمها الأجنبي ، أما الترجمة الأدبية فهي أصعب وأعسر من ترجمة الآثار العلمية والثقافية، ذلك أنّها تقتضي أن يكون المترجم من أدباء العربية و أصحاب الأساليب فيها، وأن يتقمص شخصية الكاتب الأجنبي وخياله وروحه ويعايش الأثر الذي يترجمه وخاصة إذا كان هذا الأثر من روائع الأدب العالمي.

ولا بدّ للمترجم وبخاصة في الآثار العلمية والثقافية ، أن يكون واسع الثقافة ملماً بالكثير من العلوم والمعارف واعياً بأسرار اللّغة التي ينقل عنها واللّغة التي ينقل إليها، مدركاً للفروق الدقيقة بين اللّغتين لا في معاني المفردات فقط، ولا في حقيقتها ومجازها، بل في الخصوصيات التي تستفاد من الهيئة التركيبية أيضاً ،حتى يستطيع الموازنة بين الكلام في اللّغتين ، وإلا كانت الترجمة قاصرة عن إفادة المعنى الأصلي، أو مخالفة لمعناه كلا أو بعضاً (19) .

وكذلك يشترط في المترجم أن يكون من أبناء اللّغة المنقول إليها، وهو مبدأ أقرّته هيئة اليونسكو⁽²⁰⁾ ، وينبغي أن تكون الترجمة مستوفية لجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن ، ويجب أيضا أن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل بحيث يمكن أن يستغني بها عنه وأن تحل محله.

ثم إنّه لا بدّ للمترجم أن ينتبه إلى الأمور التالية ويتداركها وهي:

1- ألا يلتزم الترجمة الحرفية فيفسد بذلك الأسلوب العربي، وليس معنى ذلك أن يغفل أي معنى أو ظلاً لمعنى ورد في الأصل الأجنبي، وإنما يراعي سلامة اللّغة العربية التي يكتب بها.

2 - إن الأصل في اللّغة العربية هو البدء بالفعل، ولا يقدم الإسم إلا إذا كان هناك سبب بلاغي يقتضي ذلك، فعبارة خرج محمد جملة تقريرية، أما محمد خرج فالغرض منها هو تأكيد أن محمدا هو الذي خرج وليس عليّا.

3 - تمتاز اللّغة العربية عن اللّغة الإنجليزية ، مثلا : بأن فيها جملا اسمية ، في حين أن اللّغة الإنجليزية لا تصح الجملة فيها إلا إذا كان فيها فعل وفاعل، ذلك أننا نترجم عبارة "الكتاب مفيد" فنقول: The book is useful.

4 - في كثير من الأحيان يكون الرابط بين الجمل في العربية رابطا ذهنيا، في حين أن الرابط في الإنجليزية ، مثلا : يكون بأدوات تصل الجمل بعضها ببعض.

5 - يسرف المحدثون في استعمال "قد" ، في حين أن قد إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق، وإذا دخلت على المضارع تفيد الاحتمال، وكذلك يستعملون "إن" في فاتحة الكلام وهي تفيد التوكيد ، في حين أن العبارة الأجنبية ليس فيها توكيد.

6 - يسرف المحدثون في استعمال ألفاظ أدخلتها الصحافة الحديثة غير مراعية للأسلوب العربي ، مثل الإسراف في استعمال كلمة "يشكل" فيقولون هذا يشكل خطرا على الإنسانية ، والأسلوب السليم المحكم يقول: هذا خطر على الإنسانية.

7 - يستعمل المترجمون المحدثون الأسلوب الفضايف ، وينسون القاعدة البلاغية العربية القائلة: إن كل ما يحذف من غير إخلال بالمعنى يكون أبلغ ، فيقولون مثلا: يحتوي الكتاب على فصول، و الأبلغ أن يقولوا: والكتاب فصول، ويقولون كذلك قام بزيارة فلان ويكفي أن نقول زار فلانا.

8 - ينسى المترجمون الجدد أن الحكمة تقتضي أن يختار المترجم الكلمة التي تتمشى مع السياق الأصلي ، ذلك أنه إذا كان يعرف لكلمة ما معنى أو معنيين لا يتمشيان مع السياق ، فلا شك أن لها معنى آخر لا يعرفه ، وأن الواجب يقتضيه أن يرجع إلى المعاجم ليعرف المعنى الذي يجله.

9 - يقع المترجمون في مزلق كثيرة، فلا يحررون النصوص التي أصلها عربي ويترجمونها عن الكتاب الأجنبي، وكذلك لا ينتبّهون من الأسماء التي أصلها عربي فيترجمونها حرفيا، ثم هم لا يتحرّون الدقة في معرفة المصطلحات العلمية التي اهتدى لها العرب ، فينحتون لها مصطلحات جديدة، وتراهم أحيانا يزيّدون على الأصل أو ينقصون أو يلخصون وهذا غير جائز.

وسأشير إلى ما ذكره العلماء من صعوبة ترجمة النصوص ونقلها من لغة إلى أخرى، وإلى حدّ يمكن للمترجم الماهر أن يبلغه فيما هدف إليه من ترجمة هذه النصوص ترجمة حرفية أو معنوية، وهل من الممكن أن يتغلب على كل هذه الصعوبات ؟ أو أنها تحول دون بلوغ الغاية المنشودة ؟

خامسا: الصعوبات التي تعترض سبيل المترجم:

لقد تحدث علماء اللّغة عن هذه القضية، وبي زوا تلك الصعوبات التي تعترض طريق المترجم في بحثه عن دلالة الألفاظ وصعوبة تحديدها ، ويمكننا حصر هذه الصعوبات التي أشاروا إليها في الآتي:

1 - صعوبة تحديد معاني الألفاظ بشكل عام، وفي النصوص الأدبية بشكل خاص، ذلك وكما يقول الأستاذ محمود السعران: « إن للكلمة في اللّغة غير المعنى القاموسي العام، وغير المعنى الذي قد يفهم من السياق، إichاءات وارتباطات نتجت عن الحياة المشتركة التي حياها أصحاب اللّغة، فعندما ننقل من لغة إلى أخرى فكيف نوفق في اصطياذ كلمات تعطي إichاءات الحياة الأخرى، وارتباطاتها (21) ويضرب على ذلك مثال هو لفظ الجلالة اللّهُ فيقول: « كنا ننظر في تفسير مارمادوك بكنول(22) للقرآن الكريم ورأيناه ذهب مذهباً خاصاً في نقل كلمة اللّهُ عز وجل إلى الإنجليزية فلفظ الجلالة يترجم عادة ب GOD ولكن بكنول لاحظ أن كلمة GOD لا تثير ذهن القارئ الإنجليزي ما تثيره كلمة "اللّهُ" في ذهن القارئ العربي، فكلمة GOD في الإنجليزية تؤنث ب Goddes وتجمع على Gods بينما "اللّهُ" وهو واحد لا شريك له، كلمة لا مثلى لها ولا جمع ولا مؤنث، فالتصور الذي تشير إليه تصور يقضي على الشرك، بينما كلمة God لا تقضي على هذا التصور ، ولم يجد بكنول في الإنجليزية كلمة تقابل كلمة "اللّهُ" في العربية، فاحتفظ بكلمة اللّهُ في الإنجليزية كما هي (23) .

2 - إن اللّغات تختلف في النظام الذي تخضع له الجمل في تركيب كلماتها وعلاقة كل كلمة بالأخرى، فللفعل مكان خاص من الجملة ، وللفاعل

مكان آخر، وللمفعول مكان ثالث وهكذا ، وقد يضطر المترجم إلى التقديم أو التأخير، وإلى عملية تنظيمية خاصة حتى تبدو ترجمته جارية على المنهج المألوف في اللّغة المترجم إليها⁽²⁴⁾.

3- ومن صعوبات الترجمة أيضا ، كل ما يتعلق بجمال الألفاظ

وموسيقاها، فقد يؤثر الكاتب لفظا على آخر ، لا لشيء سوى أن اللفظ له رنة رتيبة في أذن الكاتب والسامع، أو لأنه ينسجم مع ما سبقه من ألفاظ أو ما يليه منها، فتتكون من عباراته وجمله، سلسلة من الأصوات اللّغوية المنسجمة التي لا تنبو في الأذان والأسماع، وتلك هي الصفة التي تفتقدها في كل ترجمة ولاسيما في ترجمة الألفاظ العربية.

4- إن ما في اللّغة من مجازات وتشبيه، واستعارات وكناية، و أمثال

ودلالة الكلمات، إنما هي مستمدة من البيئة، ومن ثم فإنها تختلف من بيئة إلى أخرى، تختلف عنها في طبيعتها ونظام معيشتها، الأمر الذي تختلف بسببه نوعية هذه الأشياء من لغة إلى أخرى، فقد يتعارف أصحاب لغة من اللّغات على أنواع من المجازات، أو التشبيه والاستعارات، لا يتعارف عليها أصحاب لغة أخرى، أو يوجد لديهم من الأمثال، ودلالة بعض الكلمات بما فيها من الشمول أو التحديد، ما لا يوجد عند غيرهم، ولاشك أن في نقل مثل هذا إلى لغة أخرى فيه من الصعوبة ما لا يخفى، فإنه إذا نقل المعنى المراد فقد ذهب ببلاغة الكلام ورونقه، وإذا نقل لفظه قد يذهب بالمعنى ويكون مجالا للسخرية والاستهزاء⁽²⁵⁾.

أما الصعوبة بالنسبة للنصوص الأدبية فلأنها علاوة على ما ذكر تعتمد على التصوير والعاطفة، والتأثير والانفعال، إلى جانب ما يمكن أن تشتمل عليه من أفكار، ولا يكون الأدب أدبا إلا بخروج الكلمات عن دلالتها اللّغوية، وشحنها بفيض من الصور والأخيلة، ومترجم الأدب إذا لم ينقل لنا ما فيه من تصوير

رائع وأحاسيس توحى بخلجات الفؤاد، زيادة، على ما فيه من نواحي البلاغة والجمال، لاشك أنه يكون مخلا بقليل أو كثير على قدر ما استطاع ترجمته منها، وتحقيق مثل هذا في الترجمة على وجهه الصحيح في غاية من الصعوبة ، قد يتعذر معها في كثير من الأحيان الوفاء بمعنى الأصل وما فيه من مزايا ، ذلك أن من المعاني ما لا يزال في بطن الشاعر كما يقولون، يصعب العثور عليه إلا بعد بذل الجهد، وإلا بعد التعرف إلى قاموسه ونفسيته ومقدار احترامه لمذلولات الألفاظ، ومقدار جرأته في الخروج عليها⁽²⁶⁾ ، وهذا راجع إلى أن الشعراء كثيرا ما يومئون إيماء، ويأتون بالكلام الذي لو أراد مرید نقله لصعب عليه، وما أمكنه إلا بمبسوط من القول، وكثير من اللفظ⁽²⁷⁾ .

ومما تقدّم يتضح لنا أن الترجمة الحرفية بشروطها المتقدمة ، يكاد يكون وجودها شبه مستحيل في ترجمة النصوص الأدبية ، بعدما وضح من أقوال علماء اللّغة عدم وجود لغة تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها، هذا فضلا عما امتازت به اللّغة العربية من خصائص انفردت بها عن سائر اللّغات⁽²⁸⁾ من ذلك المرونة والدقة والعمق والاتساع في أن معاً، مما يجعل الترجمة منها إلى غيرها ، اشدّ عسرا وأصعب منالا ، وهو في الآن نفسه يبين لنا مدى صعوبة تحقق الترجمة، منها إلى الوافية بجميع أغراض الكلام ومعانيه، لصعوبة تحديد دلالات الألفاظ أولا، وصعوبة وجود ما يساويها في الدلالة من ألفاظ غيرها من اللّغات ثانيا.

سادسا: ثقافة المترجم اللّغوية:

يشترط في المترجم الجيد أن يكون واسع الثقافة ، ملماً بفروع المعرفة المختلفة، فضلا عن تمكنه من اللّغة الأجنبية التي ينقل منها وتمكنه أكثر وأكثر

من اللّغة العربية، وقد تميّز واقع الترجمة في بلادنا أن معظم المترجمين قد يجيدون اللّغة الأجنبية ولا يجيدون للأسف الشديد اللّغة العربية إجادتهم للغة الأجنبية.

والترجمة كما أسلفت فن عسير يقتضي الموهبة بالصقل والتدريب ، بل هو تذوق للغة المنقول منها واللّغة المنقول إليها، ثم إن الترجمة تعلم المترجم الصبر وسعة الحيلة ودقة التعبير وإحكامه وتخير الألفاظ المناسبة، وهو أمر بالغ الصعوبة، بل تعلّمه أحيانا كيف ينحت في كثير من الفهم والضوء ألفاظا لم يهتد إليها العرب، وكيف يعرّب مثلا أو قولاً مأثورا، لا يجد له مرادفا بالعربية، فيضطرّ إلى تعريبه على مألوف اللّغة العربية الفصيحة.

واللّغة كسائر الكائنات الحيّة، لا يمكن أن ترتقي وحدها، وإنّما ترتقي حين يعنى بها أصحابها، فيبدلون في سبيلها ما ينبغي أن يبذل من جهد وطاقة، وهذا البذل لا يمكن أن يقوم به إلاّ العلماء الذين يعرفون ما تعنيه اللّغة من مكانة، هي في الواقع ركن من أركان حياة الأُمَّة ، لأنّها هي الم رآة التي ينعكس فيها ما توصّل إليه أفرادها من مستوى اجتماعي واقتصادي وعلمي وفكري وسياسي، فنحن إذا أردنا أن نعرف مستوى أيّ أمة، فإنّ أول ما ينبغي أن نفعله أن ننظر في مفردات لغتها، فإنّنا، إذا فعلنا ذلك، سنجد في معاني تلك المفردات صورة متكاملة للمستوى الحضاري لتلك الأُمَّة.

من ذلك يتبيّن لنا تتبّه علما عزا كالأصمعي وأبي زيد الأنصاري و الكسائي وغيرهم من العلماء الذين بذلوا ما يملكون من جهد ، في التوجّه إلى م رابع اللّغة ليجمعوا شتاتها من تلك المنابع، حتى قيل عن الكسا ئي بأنّه أنفق خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه، وقيل عن أبي عمرو بن العلاء

بأن ما كتبه عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف، أما الأصرم عي فإن تاريخه مملوء بالقصص عن العرب في البادية، وما سمع منهم من لغة وشعر وقصص⁽²⁹⁾، ويعود سبب هذه العناية الشديدة باللّغة العربية إلى أمرين اثنين: أحدهما أنّ العربي يعتزّ بلغته أشدّ ا لاعتزاز، لاعتقاده أنّها أفضل لغات العالم، كما نجد ذلك في بعض ما قاله الجاحظ عن سائر اللّغات⁽³⁰⁾، ثم ازداد العربي اعتزازا بلغته بعد نزول القرآن، وانتشار لغة العرب بين كثير من الأمم.

والأمر الثاني شيوع اللّحن الشديد بين الناس لكثرة امتزاج العرب بغيرهم من الأمم ومصاهرتهم للأجانب، فنجد الأشراف يأخذون أبناءهم إلى البادية يترّبون فيها لينشأوا على الفصاحة، وقد زادت هذه العناية حتى اختلطوا بالأعاجم ... لذلك نجد الخلفاء يتّخذون العلماء كأصمعي وغيره لتربية أبنائهم على حفظ الشعر وروايته والإمام بأيام العرب ومآثرها ويسمّونهم المؤدّبين، وذكر أخبارهم يطول به المقام لأنها كثيرة مفصّلة.

لذلك كان المترجمون في العصر العباسي الأوّل يعرفون اللّغة العربية كما يعرفون بالإضافة إلى ذلك اللّغات التي يترجمون منها ، وكانوا يعتمدون على الحفظ والحافظة في استعمال الذخيرة اللفظية من اللّغة الأجنبية التي ينقلون عنها، فلم يكن متيسرا لديهم معجم يوناني عربي، أو معجم فارسي عربي، أو معجم سورياني عربي... وكان المترجم منهم يتصرّف في اختيار اللفظ المترجم وفقا لفهمه وذوقه وقدرته على إدراك المعنى المراد، ومقدرته في اللّغة العربية ذاتها، وخاصة في اشتقاقها وتصريفاتها.

ثم نشطت حركة الترجمة في أوائل القرن الماضي نشاطا كبيرا، وبدأ أعضاء البعثات العلمية الذين أوفدتهم مختلف الحكومات العربية إلى خارج

بلدانها وبخاصة فرنسا ، يعودون إلى مصر والشام والعراق ، ويتولون المناصب العلمية والثقافية في الدولة ، ويكلفون بترجمة كتب العلوم التي تخصصوا فيها ، وللشيخ رفاة الطهطاوي وتلاميذه ضلع كبير في هذا النشاط (31) .

وكانت مهمة هؤلاء أيسر ممّن سبقهم من المترجمين المستعربين في العصر العباسي، ذلك أنّهم كانوا عربا ، وكان بين أيديهم بعض المعاجم يستأنسون بها في اختيار اللفظ الملائم وإن كانت هذه المعاجم لا تخلو من سقطات وأخطاء.

سابعاً: بين المترجم والترجمان:

ولعله من الأفيد أن نرفع خطأ شائعاً يجعل عمل الترجمان مماثلاً لعمل المترجم ولا يختلف عنه إلا في فوريته، ذلك أن اتفاق العاملين في أنهما نقل من لغة إلى أخرى ، لا ينبغي أن يخفي تباين متطلبات الواحد منهما وظروفه عن متطلبات الثاني وظروفه تبايناً يجعلهما مختلفين، لأن أوجهها عديدة تفصل بينهما³²

1- ينطلق المترجم في عمله من نص مكتوب مغلق مكتمل، قديم أو حديث، يعرف صاحبه معرفة مباشرة أو عن طريق مطالعة آثاره ، أو لا يعرفه البتة لفاصل بينهما في الزمان والمكان، وهو في ترجمته حرّ الإرادة، ينهض بها متى أراد وفي أي مكان شاء، وقد يبدأها ويتخلى عنها ليعود إليها بعد مدة من الوقت تطول وتقصّر ، وقد لا يعود، ويعمد في ذلك إلى ضروب من معالجة النص، كأن يحلله بالاستعانة عليه بغيره من المعاجم والمراجع والمصادر، ونتيجة عمله تكون نصاً مكتملاً مغلقاً قد يعرضه للناس وقد لا يعرضه، بعد الفراغ منه مباشرة أو بعد مدة من الزمن، وقد يستهلك بعد نشره... وقد لا يستهلك أبداً.

أما التَرْجُمان فَيُطلق في عمله من ملفوظ شفوي يسمعه وينقله فوراً إلى اللّغة الثانية في المكان عينه ، وبحضور أطراف عملية التواصل الباث والمتقبل ، ومن هذا الفرق تتبع "أمور لا بد منها" حسب عبارة الجاحظ.

2 - الترجمان طرف في عملية التواصل ، يسعى بعمله إلى إثارة رد فعل من جانب المثقفي ، لأن التواصل تواصل مباشر ، وليس الأمر كذلك في عمل المترجم، الذي يجهل كل شيء عن قراءة ترجمته ، ولا يسعى إلى إثارة رد فعل منهم.

3 - الترجمة التحريرية مطالبة دائماً بأن تكون "وثيقة" للأصل، القضية الكبرى!، لفظاً ومعنى، وهما لا ينفك الواحد منهما عن الآخر أبداً ، ولا يتم أداء الواحد بمعزل عن الآخر (33) ، أما في الترجمة الشفوية الفورية فإن الكلمات تتلاشى، لأنها لا معنى لها من جهة تشكلها في وحدات الملفوظ بالقياس إلى القيمة المعنوية (valeur sémantique)، بل إن التجربة تثبت أن التعلق بالألفاظ قد يعوق الترجمان المبتدئ، ويحدّ من فعالية عمله.

4- يعتمد المترجم على إدراك بصريّ (perception visuelle)، فهو يشاهد النص المخطوط ويقّله، في حين يعتمد الترجمان على إدراك سمعي (Auditive perception)، وهو لذلك يقدر على الفصل بين الملفوظ وبين معناه، فالمترجم يحلل ويعالج حدثاً لغوياً (fait de langue)، في حين يحلّل الترجمان حدثاً كلامياً (fait de parler)، مما يتطلب أن يكون أكثر تنبّها لكل ما هو من غير اللّغة (extra linguistique) وما هو خارج عنها ، لا يخضع للتقطيع المألوف فيها (supra-segmental)

5- وهل ننسى البون الشاسع بين سرعة عمل الترجمان وسرعة عمل المترجم، فهي تفوقها بثلاثين مرة 30 حسب المختصّين (34) .

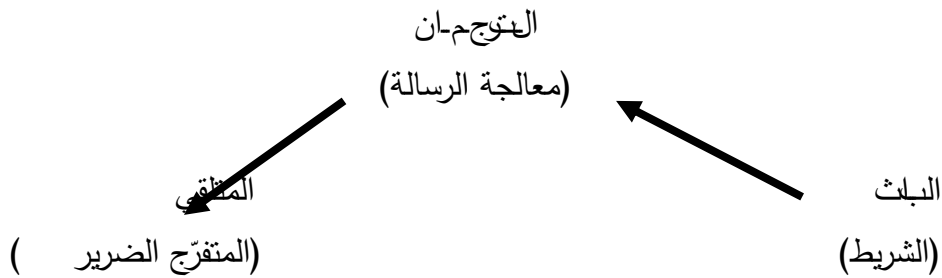
إنّ الترجمة الفورية ليست من قبيل التركيب وفكّ التركيب (codage-
 décodage) بصورة آلية أحادية، بل إنها تقتضي الفهم ،الذي لا يحصل إلا
 بمعرفة اللّغة وسبل عملها عند التواصل ، وبمعرفة موضوع الترجمة ، فالترجمان
 في عمله شبيه بكّ عندما تصحب كفيفا إلى إحدى قاعات السّينما، لمشاهدة
 شريط تغلب فيه المشاهدة المصوّرة الصّامتة ، أو التي تصحبها موسيقى على
 المشاهدة الحوارية فتضطرّ (أنت) إلى ترجمة الشريط إلى صديقك ، فأنت تشاهد
 الصور المتتالية وتحلّلها ، وتنقل معانيها ولا تصف حركات الممثلين في أدقّ
 دقائقها ومراحل أعمالهم المتنوّعة وهيأتهم المختلفة ، بل تحلّل المعلومات الخاصّة
 لديك، وتؤلّفها وتصوغها كلاما لتتقلها إلى سامعك الضرير.

فالإدراك في حالة المتفرّج المبصر يتمّ مباشرة، كما هو الشّأن في التواصل

العادي:



أما في حالة المتفرّج الكفيف ، فإنّ التواصل يتخذ شكل مثلث زواياه الباث
 والترجمان والمتلقي، وهي حال التواصل في الترجمة الفورية:



والترجمان ينقل ما قيل، ويقلص المعلومات الواردة في الملفوظ بعد تحليلها وتفهمها، دون أن يغيب عنه أنّ لكل مضمون معنوي (contenu sémantique) أسلوبا ينبغي أن يتفق مع أسلوب الملفوظ الأصلي، وهو لا يهتم بالألفاظ، لأن لها حقلا دلاليا واسعا شاسعا يتجاوز المعنى المباشر الذي يراد أداؤه، بل يعمد إلى استكناه معاني الألفاظ وإظهارها وتفسيرها، كأنه عازف موسيقى أمام نص السولفاج، أو المخرج المسرحي إزاء النص الذي يخرج للناس، أو كأنه أنت مع صديقك الكفيف في قاعة السينما، وهذه العملية، على سهولتها الظاهرة، معقدة متشعبة لأنها بؤرة ينصبّ فيها عديد العناصر ويعرض فيها عديد القضايا التي هي من مشمولات علوم عديدة كاللسانيات، ونظرية التواصل، والفلسفة في مجال علاقة الفكر باللّغة، وعلم النفس وما يهتمّ عمل خلايا المخ في العلوم الطبية وما إلى ذلك.

والترجمة الفورية نوعان:

1 - ترجمة آنية (interprétation simultanée) : وأثناءها يكون

الترجمان في غرفته الزجاجية المطلّة وجوبا على قاعة الاجتماع، يسمع كلام المتكلم من خلال سماعة على أذنيه، وينقل ما قيل عبر مصدر منتصب أمامه يتصل بسماعة المتلقي، فهو يسمع ويتكلم في الوقت ذاته ولا يستعين بأيّ تقييد كتابي.

2 - ترجمة متعاقبة (interprétation consécutive) وأثناءها الترجمان

يسمع كلام المتكلم، ويسجل تقييدات هي عبارة عن علامات وإشارات خاصة به تساعد على الترجمة (35) ثم يتوقّف المتكلم ليفسح المجال للترجمان، وهذا النوع لا يلتجأ إليه إلا في الاجتماعات المضيقّة، التي تعقد لدراسة القضايا الفنية المختصة، ومن مقتضياتها أن يكون الملفوظ مباشرا عفويا، بدرجة نقل وتكثر،

لأن عمل الترجمان يعسر حتى يقارب الاستحالة، إذا كان المتكلم يقرأ نصا كان أعدّه من قبل، وجاء ليسرده، لأنه لا يقدر على تتبع تطوّر أفكار المتكلم وتدرّجها وتعرجاتها ولطافتها ووضوحها أو ضمورها ، فتختلّ وظيفة معالجة الرسالة بالتحليل السريع والتفهّم ، وينعدم التوافق في نسق التصوّر (rythme de conception lisation) بين المتكلم والترجمان ، فيغضض المعنى ، و يشوّش الفهم، وتصبح التراكيب حواجز يصعب تخطّيها ، ولا يجد الترجمان إلا التعلّق ببعض الكلمات والجمل اليسيرة الفهم ... وأن يأمل في انتهاء القراءة ، ليضع حدًا لأدائه الرديء، وتلخّص سيلسكوفيتش عمل الترجمان في المحاور التالية:

1- الاستماع إلى دال لغوي، يحمل معنى وإدراك الرسالة (مجال اللّغة) وفهمها (مجال التفكير والتواصل) بالتحليل والتفسير.

2- نسيان الدال مباشرة وإراديا للاحتفاظ بالصورة العقلية للمدلول فقط (المفاهيم، الأفكار...).

3- إنتاج دال جديد في اللّغة المنقول إليها ينبغي أن يستجيب لضرورة مضاعفة ، هي أن يؤدّي كل الرسالة الأصلية ، وأن يكون ملائما للمتلقي (36) إنّ ثقافة المترجم والترجمان، على السواء، ميدان للدراسات حديث وخصب ، ويحتاج من لدن اللّغويين والدارسين والمترجمين والتراجمة العرب إلى عناية لا تخفى أهمّيّتها ، ولا الحاجة إليها، لما يفرضه علينا العصر الحديث عامة ، ووضعنا المخصوص، كمجموعة لغوية وبشرية ، من السعي إلى المسك بقضايا الاتصال والإبلاغ ومعرفتها وحذق فنونها حذقا يدرأ عنّا التخلّف والتأخّر في مجال ، هو من أكثر المجالات حيوية وخطورة.

الهوامش:

- (1) انظر: أحمد شوكت الشطي، "العربية لغة خلدتها القرآن"، ص 186.
- (2) لسترانج غي: بغداد في عهد الخلافة العباسية، 257.
- (3) انظر: أ. محمد عبد الغني حسن: فن الترجمة في الأدب العربي، ص 74.
(4) Cf: Walter von Wartburg: Problèmes et méthodes de la linguistique, P. 179
- (5) انظر مثلاً مقال: "اللسانيات التطبيقية" (Linguistique appliquée) في:
R. Galisson et D. caste: Dictionnaire de didactique des langues .
P-P: 34- 41
- (6) انظر: هاينز شلافر: "في العلاقة بين الشفوي والمكتوب"، ص 68.
- (7) مدني أمين: التاريخ العربي ومصادره، ج2، ص 337
Cf. Encyclopédie universalise. P. 432.
- (8) لعل أحسن ما كتب عن هذا الموضوع هو كتاب:
G.Mounin: les problèmes théoriques de la traduction . page 296
- (9) د. حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب ، ص 299.
- (10) نفسه: ص 182.
- (11) الجاحظ: البيان والديبين، ج1، ص 368.
- (12) الجاحظ: الحيوان: ج1، ص 76، 77.
- (13) المصدر السابق: ج5، ص 289.
- (14) نفسه: ج1، ص 76، 77.
- (15) ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص 66.
- (16) رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج2، ص 32، 33.
- (17) أ. عبد العزيز برهام: الفكر الإسلامي الحر وآثاره في النهضة...،
ص 30، 31.
- (18) د. رشيد الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي ...، ص 17.

- (19) انظر: محمد شاکر: القول الفصل في ترجمة القرآن، ص 20.
- (20) انظر: إبراهيم زكي خورشيد: "الأصول الفنية للترجمة"، ص 46.
- (21) علم اللغة...، ص 294.
- (22) هو مارمادوك وليام بكتول (1875-1936) ولد بلندن، وقصد نيوشاتل فتعلم الفرنسية، ثم انتقل إلى إيطاليا فأجاد اللغة الإيطالية ، وبعد ذلك رجع إلى إنجلترا فتعلم الألمانية والإسبانية ، ثم أرسل من قبل والدته إلى سوريا فتعلم العربية، ودرس عادات وأخلاق عرب سوريا ، ثم استدعاه اللورد كرومر عام 1904 إلى مصر ، حيث أقام مدة بها، كألّت بتصنيفه كتابين هما: "أبناء النيل" و"النساء المحجبات"، كما نشر مقالات عن الإسلام وصلاته بالنصرانية ، ولما رجع من تركيا، التي قصدتها في سفيرة من قبل، أشهر إسلامه، ودُعي إلى الهند حيث اشترك في إصدار مجلة الثقافة الإسلامية عام 1927، ومن مباحثه فيها: " الثقافة الإسلامية " والتربية الإسلامية" و"العرب وغيرهم في ترجمة القرآن".
- تولى منصب إمام المسلمين في لندن، وقضى ثلاث سنوات في ترجمة معاني القرآن، والتي راجعها، فيما بعد، مع بعض علماء مصر (انظر:د. نجيب العقيلي: المستشرقون، ج2، ص 512).
- (23) علم اللغة...، ص 295.
- (24) انظر: د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص 171.
- (25) انظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 23.
- (26) انظر: - إبراهيم سلامة: تيارات أدبية بين الشرق والغرب، ص 47.
- دلالة الألفاظ...، ص ص 174، 175.
- (27) انظر: محمد عطية الأبراشي: لغة العرب وكيف ننهض بها، ص 127.
- (28) يقول أحمد أمين، يرحمه الله، « في الحق إن اللغة العربية أرقى اللغات السامية كما يقرر دارسو تلك اللغات فلا تعادلها اللغة الآرامية ولا العبرية ولا

غيرها من هذا الفرع السامي ، وهي كذلك من أرقى لغات العالم، فهي تمتاز عن اللغات الآرية بكثرة مرونتها ، وسعة اشتقاقها ، فإذا قيس ما اشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص بما يقابلها من كلمة إفرنجية وما يشتق منها كانت اللّغة العربية في ذلك غالبا أوفر وأغنى « (ضحى الإسلام، ج1، ص289).

(29) نفسه.

(30) انظر على سبيل المثال: البيان والتبيين...، ج2 والحيوان ج1

(31) فترجم في العلوم الطبية إبراهيم النبراوي ومحمد علي البقلي ومحمد الدري، وترجم في الرياضيات والهندسة محمد بيومي ومحمود الفلكي، وترجم في العلوم العسكرية والفنون الحربية السيد صالح مجدي وأحمد عبيد ومحمدلاز.

(32) قليلة هي المؤلفات العربية عن موضوع الترجمة الفورية في تقديرنا الشخصي، أما في اللّغات الأخرى فالدراسات موزعة في بعض المجالات المختصة، وهي في أغلبها تعود بدايتها إلى أوائل الستينيات. ولعل أهم م ا كتب عن هذا الموضوع كتابا:

- Dorica Seleskovitch: 1- l'interprète dans les conférences internationales.

2- langages, langues et mémoire.

والكتاب الثاني فيه قائمة نقدية بالمراجع الخاصة بالترجمة الفورية ص 263-269.

(33) عن تقنيات الترجمة طالع:

- J.P. Vinay, J. Derbeluet : stylistique comparée du Français et de l'anglais.

- D. Seleskovitch : l'interprète .P15- 27.

(34) نفسه: ص 35.

(35) وهي غير الاختزال المعروف، كما يظنّ كثير من الناس.

(36) نفسه

مصادر ومراجع المحاضرة

أولاً: المصادر

- ابن منظور (جمال الدين): لسان العرب، ج 12، دار بيروت للطباعة والنشر، 1968.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):
1- البيان والتبيين، ج 1، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، د.ت.
- 2- الحيوان، الجزءان 1 و5، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط2، د.ت.
- عبد القادر الجرجاني: أسرار البلاغة، مطابع دار الكتاب العربي، ط 05، د.ت.

ثانياً: المراجع

أ- العربية :

- إبراهيم أنيس (د): دلالة الألفاظ، مطبعة لجنة البيان العربي، د.ت، د.ط.
- إبراهيم سلامة: تيارات أدبية بين الشرق والغرب، دار الثقافة، د.ت، د.ط.
- أحمد أمين (د): ضحى الإسلام، ج1، دار الفكر العربي: بيروت، ط 10.
- حمادي صمود (د): التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981.
- رشيد الجميلي (د): حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت، د.ط.

- عبد العزيز برهام: الفكر الإسلامي الحر وآثاره في النهضة العلمية الأوروبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب: الإسكندرية، 1962.
- محمد شاكر: القول الفصل في ترجمة القرآن، مطبعة النهضة، مصر. 1925
- محمد عبد الغني حسن: فن الترجمة في الأدب العربي، منشورات دار الهلال: الإسكندرية، د.ت، د.ط.
- محمد عطية الأبراشي: لغة العرب وكيف نهض بها، دار الكتاب العربي، د.ت، د.ط.
- محمود السعران (د): علم اللّغة، دار المعارف بمصر 1962.
- مدني أمين: التاريخ العربي ومصادره، ج2، دار الفكر، القاهرة، 1971.
- نجيب العقيلي (د): المستشرقون، ج 2، موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم منذ ألف عام حتى اليوم، دار المعارف: القاهرة، 1965.

II - المترجمة:

- رينهاث دوزي: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلّق عليه: د.محمد سليم النعيمي، ج2، دار الرشيد بغداد، 1980.
- لسترانج غي: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ترجمة: أ.أحمد فؤاد منعم، مطبعة بغداد، 1936.

III - الأجنبية:

- Dorica Seleskovitch:

- 1) langage langues et mémoire. Paris. lettres modernes. Minard. 1975.
 - 2) L'interprète dans les conférences internationales. Problèmes de langage et de communication – Paris-Minard. 1968.
- Encyclopédie universalise. Paris. Vol 16.
 - G. Mounin: les problèmes théoriques de la traduction. Ed. Gallimard. Paris. 1963.

- J. P. Vinay et J. Derbeluet: stylistique comparée du français et de l'anglais, Paris, didier. 1968.
- R. Gallisson et D. Caste: Dictionnaire de didactique des langues. Hachett. Paris. 1976.
- Walter Von Wartburg: Problèmes et méthodes de la linguistique. Paris, PUF. 1976.

ثالثاً: المقالات

- إبراهيم زكي خو رشيد: "الأصول الفنية للترجمة وأدواتها"، مجلة الفيصل، ع95، س 8 فبراير 1985.
- أحمد شوكت الشطي: "العربية لغة خلدتها القرآن"، مجلة اللسان العربي، السنة 6 يناير 1969
- هاينز شلافر: "في العلاقة بين الشفوي والمكتوب"، مجلة فكر وفق ع 1988/64

معضلات تكوين المترجم

د. محمد البشير الهاشمي مُغلي
كلية الآداب واللغات - جامعة منتوري قسنطينة

لئن كانت أهميّة التّرجمة موعلة في القدم حيث تعود آثارها الأولى إلى عام 8000 ق.م في عهد المملكة المصريّة القديمة التي عثر في إحدى مناطقها على كتابات بلغتين⁽¹⁾. ثم تزايد الاهتمام باستقراض الرّومان عناصر عديدة من التّفافة الإغريقية من طريق النّقل الذي أضحى لا مندوحة عنه في الغرب ابتداء من عام 300 ق.م. حتّى إذا احتكّ بالإسلام في رحاب الأندلس منذ القرن الثّاني عشر لم يأل في التّهل من معارف مدرسة طليطلة للمترجمين التي لم تن في نقل التّرجمات العربيّة للأعمال العلميّة والفلسفيّة اليونانية. ولئن مرّت عصور هامّة للتّرجمة عبر تاريخ البشريّة في حالتها السّلم والحرب وعرفت أوجهاً في العهد العبّاسي وازدهرت في المشرق بإنشاء دار الحكمة التي كانت تكافئ المترجم بوزنه ذهباً... فقد سمّي القرن العشرون بعصر التّرجمة⁽²⁾ أو عصر إعادة الإنتاج reproduction بينما كانت التّرجمة في القرن التّاسع عشر اتّصلاً في اتّجاه واحد

بين رجال الأدب البارزين والفلاسفة والعلماء وبين قرائهم من طلاب العلم في البلاد الأجنبية؛ كما كانت المعاملات التجارية تجري بلغة الأمة السائدة، وكانت الفرنسية، التي حلت محل اللاتينية، لغة الدبلوماسية، نلفي في غضون قرن الترجمة ما يسوغ بحق هذه التسمية التي خلعت عليه إذ أصبحت الاتفاقيات الدولية بين المنظمات الحكومية العامة والخاصة تُترجم الآن لصالح جميع الأطراف المعنية. وإنشاء الهيئات الدولية وتكوين الشركات متعددة الجنسيات صارت الترجمة تكتسي أهمية سياسية خاصة. (3) وما استخدام منظمة الأمم المتحدة لمئات المترجمين المتخصصين وتوظيف السوق الأوروبية المشتركة (EEC) لما لا يقل عن 1300 مترجم، وغيرهما من الهيئات الدولية والمحلية إلا دليل على مدى الخطورة المتزايدة لدور المترجم في عمليات التواصل والمناقشة والتقارب بين الشعوب والدول والأمم فضلا عن كون المهنة التي يحترفها هي من قديم ذات أبعاد إنسانية وحضارية، فإنها في الزمان ضرورة ملحة في عالم متسارع في النماء والتطور المذهل والتحوّلات الهائلة في شتى ميادين العلم والمعرفة والاتصال. فلا غنى عنها سيما في عصر الانفجار المعرفي والثورة الجينية وانتشار الأقمار الصناعية التي تصاغرت بها القرية الكونية.

وهل يعقل بحال أن يعزب في مضمار هذا التنامي الحضاري المتزايد أو أن يغيب في حقول الاكتشافات والاختراعات المناسبة من كل أنحاء العالم، تواصل أو تبادل للمعلومات والخبرات دون تخاطب وتلاخ لا يتمان على الإطلاق بمعزل عن الترجمة التي تتضاف إليها في غمرة تعدد اللغات أدوار عصرية نوعية هي العمدة في التمكين للتقدم العلمي والأس في النقل الأمين للبحوث والمبتكرات والركيزة في توصيل خامات المعارف وخمائر الفكر ولباب العلوم؟ كما تُعدّ بهذه المثابة أيضا عبارة المفاهيم والأفكار وقناة التعارف والتقارب بل والتكامل

ووسيلة التفاهم والاتصال بين شتى الفضاءات الحضارية والثقافية وبين المخابر العلمية المختلفة كما كانت من قبل وسيطاً بين الأديان والتجار وفي دواوين الملوك والسلاطين.

وهل لقلم رصين يروم شهرة أو تبليغ رسالة من وراء البحار دون أن يمتطي متن الترجمة؟ بل الترجمات المتعددة؟

أم هل لأي إنتاج أدبي أو علمي أو فني أو سينمائي أو غيره أن يعبر القارئات إلا بواسطة الترجمة؟ أم هل لوسائل الإعلام الحديثة من غنية عنها اليوم؟ أم هل من معنى للدبلجة دونها؟

إنّ الواقع التواصلي موقن بأن العولمة ذاتها لن تفلح باعتماد الأحادية اللغوية ولن تتخطى الحدود أو تخرق الحجب بمنأى عن الترجمة أو أن تقبع حبيسة المناطق اللغوية الواحدة دون أن تنفذ إلى الأقطار الأخرى اللهم إلا أن تنقلب إلى عولمة إقليمية منقوصة أو تكون شبيهة بالعولمة.

وما الترجمة الآلية التي ما انفكت تراود الفكر الابتكاري منذ عقود، وها هي تتجسد يوماً بعد يوم حتى أخذت مشاريع حوسبة الترجمة منذ مذكرة العالم الأمريكي وارن ويفر الذي كان نائباً لرئيس مؤسسة روكفلر بخصوص مشروعات تطوير الحاسوب في مجال الترجمة في عام 1949 م تتطور وتنبور سيما بعد انعقاد أول مؤتمر للترجمة الآلية في 1951 وإنشاء مشروع يوروترا : Eurotra المعروف للترجمة بين لغات المجموعة، إلى أن تعددت الشركات الخاصة المهتمة بالترجمة الآلية مثل سيستران Systran ووايدنر Weidner وألبس Alps ولوغوس Logos في الغرب وهايكاتس Hicats وأطلس Atlas ولامب وغيرها في اليابان..⁽⁴⁾ ما ذلك إلى دليل عريض على مدى اتساع آفاق واعدة لمستقبل

الترجمة بخصوصيات وأدوار جديدة لا تعفيها من شروطها التقليدية من الأمانة والدقة، وإن اقتضت استطراداً، في النصّ أو الفكرة. بل تتضاف إليها شرائط حديثة تملئها خصائص هذا العصر الموار ليس أقلها الوضعية والدقة المصاحبة للجائزة التي تستلزم الكفاءة العالية إلى جانب البعد العالمي أو طابع العولمة في نقل المعلومة والخبر والحدث.

وحسبنا من هذا العرض أن ندرك مبلغ أهمية الدور الحيوي الذي يُناط بالمترجم في مطلع الألفية الثالثة وهي حبلى بالإنجازات الحضارية والمفاجآت العلمية والانفجارات المعرفية المدهشة. وهو كما يلوح لا يخلو من حرص على الإيحاء إلى ضخامة مسؤولية تكوين المترجم ومدى تعاضم مهمة إعداده وتأهيله من أجل "أداء رسالته الخالدة خدمة للإنسانية جمعاء".⁽⁵⁾

فما المقصود بتكوين المترجم؟

وأى ترجمة نعني؟ إذ العلاقة بينهما وطيدة إلى حدّ أنّ تحديدنا لمفهوم الترجمة ينعكس بالضرورة على نوعية المترجم المرغوب فيه. فهل الترجمة فنّ؟ ففي هذه الحال يكون التّعويل الكلّي منصباً على عصامية قويّة ومهارات ذاتية ولا مجال حينئذٍ لتنمية القدرات بناء على ضروب التّدريب والممارسة؟ وفي ذلك يقول د. حسن عطية طمان : لو سلّمنا بأنّ الترجمة فنّ صرف . كفنّ الشعر مثلاً . انتفت أهمية التّدريب فأصبح لا قيمة له إنّ هو لم يُصادف شخصاً يمتلك الموهبة فمن غير المعقول أن يتدرب أحد على كتابة الشعر...⁽⁶⁾

على أنّ رأياً آخر يذهب إلى اعتبار "أنّ الترجمة كانت في السابق لا تخلو من فنّ دون شكّ. حتى إذا أنشئت أدوات الاختصاص في مجال كنوز اللّغة في العهود الأولى ومعاجم العصور الوسطى وبواكير القواميس ثنائية اللّغة أو متعدّدة

اللغات خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر وجاء حدث الإعلام الآلي في القرن العشرين، رأيت ما يساعد الترجمة على انتهاج الطريقة العلمية. ذلك أن الترجمة عند التأمل هي في آن واحد عمل تقني بقدر ما هي عمل تحريري أي أنها عملية رياضية للترميز وتفسير الرموز تدعمها عملية إعادة الإبداع الفني.

فلا غرو إذا كان من بين المنظرين المحدثين من أنصار الفن (مثل سافوري) من يهاجم الاتجاه العلمي (مثل نيدا) والقائلين بالعملية اللغوية المحضة (مثل فروف) أو مؤيدي العملية الغامضة التي يطلق عليها بالأسلوبية (مثل فيناي).

فهناك إذن ثنائية بين العلم والفن كما تتراءى للمنظرين. ولكن ممارس الترجمة يعلم أن التوفيق بينهما ليس بالأمر البعيد. مما جعل شتينير G-Steiner يتصور الترجمة كأنها "فن دقيق" (7).

وأما إذا اعتبرنا الترجمة علماً كما هو مقرّر في برامج كبريات مدارس الترجمة في العالم حيث تُفرد مادة التدريس بهذا الاصطلاح "علم الترجمة : Traductologie"⁽⁸⁾، وحيث إنّ الحديث عن الترجمة الميكانيكية قد تحوّل في أيامنا إلى الحديث عن الترجمة في عصر الذرة أو عن الترجمة الالكترونية وصارت العولمة تلجأ بحكم الاختصاصات الدقيقة والتسارع والجودة إلى استعمال الحواسيب أكثر فأكثر. فإن الأمر يستلزم إعداداً بيداغوجياً مبرمجاً في إطار تنظيمي متخصص تحكّمه جملة من الأسس والقواعد تضبط أساليب التعامل مع النصّ وأشكال الخطاب. وتحدّد موقع المترجم من عملية الاتصال التي تتمّ من طريق الترجمة بشتّى أضرابها التحريرية والفورية، الدلالية والاتصالية⁽⁹⁾ باختلاف الحقول المعرفية والعلمية. فضلا عن معايير تحليل النصّ وسائر الإجراءات التي

يمكن أن تقضي إلى ما قد يسمّى بـ(نظريّة التّرجمة) ⁽¹⁰⁾ التي جلى بعض جوانبها أمثال Cary و Peter Newmark و Maillot و arbelnel و Seleskovitch الذي تناول قضيّة التّرجمة من حيث الممارسة والتصوّرات وغيرهم. ذلك أنّ الصّراع بين التّرجمة الحرّة والتّرجمة الحرفية مازال قائماً وله أثره في تكوين المترجم والاتّجاهات العامّة لمدارس المترجمين في أيّ بلد.

وعليه وتبعاً لاقتضاء التحديدات التي لوّحنا إليها أعلاه يمكن علمياً النّظر في أدوات التّكوين وبرامجه والأهداف المرتسمة ومنهجية التّعليم والإعداد اللّغوي والتّخطيط للتّدريبات المؤهّلة للتّخصّص في الصّناعة.

قبل ذلك لا مندوحة من الإلماع إلى ماهية التّرجمة والإيماء إلى من هو

المترجم؟

طبيعة التّرجمة

لقد شاعت تعريفات اصطلاحية من أنّ التّرجمة هي النّقل من لغة إلى أخرى وإن كان يُعدّ في السّابق ضرباً من المستحيل أحياناً. ⁽¹¹⁾ لذلك ترى الجاحظ يقف بعمق على حقيقة الموازنة في العملية التّرجمية حين يؤكّد على هذا النّحو : "إنّ التّرجمان لا يؤدّي أبداً ما قال الحكيم" ⁽¹²⁾ وإذ يفصّل في انعدام الأداء يقول في أسباب حيلولة المطابقة : ". على خصائص معانيه وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته وخفّيات حدوده، ولا يقدر أن يوقّيه حقوقها ويؤدّي الأمانة فيها.. " ⁽¹³⁾ فهي بهذا الحصر والتّضييق أقرب إلى تفسير الكلام بلسان آخر. ⁽¹⁴⁾ أي أنّها إنن على هذا الأساس البيانيّ عمليّة إيضاح للكلام في قالب لغويّ آخر لتبليغ المراد. وإلى هذا يشير ابن النّديم في الفهرست بقوله عن كتاب كليله ودمنة : "فسره عبد الله بن المقفّع" أي ترجمه. ⁽¹⁵⁾

وباتّساع مجالات التّرجمة في أيّامنا فإنّ الضرورة تقتضي كما تجنح إلى ذلك أ. ج. رضوان، أن نعيد النّظر في تعريف التّرجمة سيّما أنّها لم تعد منصبّة على شعر الأقدمين بل ها هي تصبح تقنية خاصّة وإن أقرت بأنّ التّرجمة "المثلى" والتي توفّر في الوقت نفسه تكويناً سياسياً أفضل، لا تبحر المجال الأدبي لزاماً.⁽¹⁶⁾

وأحرص ما في شروط التّرجمة سلامة النّقل بأوجز لفظ ممكن وأبلغه قدر الطّاقة على اختلاف إشكاليّ ليس ها هنا مضربه. ونقتصر على ما يؤكّده في هذا التعريف: "التّرجمة تعني نقل الأفكار والأقوال من لغة إلى أخرى مع المحافظة على روح النصّ المنقول".⁽¹⁷⁾

إنّ تاريخ التّرجمة ليتراعى إلى أبعد الدّهور. بيد أنّ ما جاء في رواية سفر التكوين يعزوه إلى ذريّة نوح (س) الذين كانوا يتكلّمون لغة واحدة حتّى إذا عزموا على إقامة برج ابتغاء صعود السّماء استعلاء بابل أنزل الله عليهم عقاباً فشتّتهم وضعضع أعمدتهم وألقى على ألسنتهم البلبلة⁽¹⁸⁾، فأضحوا لا يفهمون تلاغيهم. وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

إِذْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ
السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ⁽¹⁹⁾

وفي تفسير البيضاوي : "قيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصّرح ببابل سُمّكه خمسة آلاف ذراع ليرصدّ أمر السّماء فأهبّ الله الرّيح فخرّ عليه وعلى قومه فهلكوا".⁽²⁰⁾ مذكّك الحين ويفعل اختلاف الألسنة نشأت الحاجة إلى التّرجمة إلى ثلاثة الأثافي لترميم التّواصل بين لغتين وبناء التفاهم بينهما، في حين إلى

العصر الذهبي للغة العالمية الواحدة التي سبقت الحادثة البابلية. (21) وهل من بلاغ ممكن لترجمة جيّدة ومفهومة بمنأى عن الوحدة الثقافية للمتخاطبين. (22) أو بالأحرى عن السياقات الثقافية الموحدة التي تستلزم بتعبير مالفينوسكي معاني مرجعية مشتركة للكلمات. (23) وهو أمر غير ميسور دائماً في الزّاهن وإن بدا من مطامح العولمة الثقافية الملوّح بها للألفية الجديدة.

ولئن كانت الترجمة حالة خاصّة لالتقاء لغويّ فشكّلت وساطة لغوية، فإنّ هذه العملية الرائعة والمعقدة جدّاً إنّما هي "اتّصال من الدرجة الثانية يرتبط من لغة إلى أخرى بانّصال من الدرجة الأولى تتّخذ موضوعاً. أي أنّ الترجمة تجعل الاتّصال في اللغة المصدر موضوعياً بحيث يشمل مضمون الرسالة التي تترجمها في اللغة الهدف.. إنّ ما بعد الاتّصال التّرجمي يجعل من الاتّصال الموضوع بالدرجة الأولى في اللغة المصدر، معطاة اجتماعية لغوية". (24)

إنّ التأمّل في عملية الترجمة يبصر بهذه الحقيقة وهي أنّنا لا نترجم عن لغة ما وإنّما ننقل إذ نترجم، عن كلام مؤلّف معيّن هو نفسه تعبير شخصيّ خاصّ عن لغة مشتركة بين مجموعة ما. وعليه فالمتّرجم يضطلع بمهمّة شبه مستحيلة إذ يتعيّن عليه في الوقت ذاته أن يحافظ على فردانية الكلام بقدر ما يعكسها ويضع البدائل لبعض عناصر اللغة. وهذا التّمرين لا نحسبه هيّنا سيّما أنّ الكلام يتشكّل من اللغة التي تتشكّل بدورها من عوامل غير لغوية تتعلّق بعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأجناس. ولما كانت اللغة لا تنفصل عن السياق الثقافي المتجدّرة فيه فإنّه ينبغي أن نتجاوز النّطاق الضيق لعلم الألسنة بحيث نضع اللغة في "محيط لغوي" (يسميه ميشونيك (H. Meschonic) " اللغة . الثقافة)... إنّ كلّ مترجم يعلم وإن كان مبتدئاً أنّه ليس بالوسع ترجمة أدنى جملة إذا كنّا لا ننصّر "سياقها" أي "وضعها". ومن غريب أنّ المترجم هذا المدقّق في

"وزن الكلمات" (لارباود Larbaud : ج 2) يتعيّن عليه أن يمتلك مخيلة غنيّة دون أن يقع مع ذلك في أسرها وسيطرتها. ويجب عليه أن يعلم كيف يضع نفسه في موضع المؤلّف لكي يفهم كلفة النصّ الذي سيعنى بنقله بقدر ما يضع نفسه في مكان قرائه، لأنّ ما يبدو واضحاً للمترجم وهو يمتلك النصّ الأصلي ليس بالضرورة كذلك بالنسبة إلى قارئ في اللّغة الهدف ليس في حيازته الأصل. ولذا يترتّب على المترجم أن يتفادى مسبّقا كلّ لبس أو غموض...".⁽²⁵⁾

تكوين المترجم :

ليست هذه الإطلالة على طبيعة التّرجمة بإشكالياتها المتعدّدة من قبيل الاستطراد، وإنّما أملتها ضرورة التّمهيد إلى إمكانية طرح بعض معضلات تكوين المترجم طرْحاً علمياً وواقعياً بقدر ما هو مكابِد يومياً في الميدان.

وحيث نثير قضية التّكوين يرتسم في حسابنا على الأقلّ أمران هامّان على

صعيدين:

1 . فعلى الصّعيد النّظري يتحتّم فحص شروط التّكوين من حيث الأدوات

والبرامج والأهداف.

2 . وعلى صعيد التّطبيق لا يتمّ التّكوين المنشود في إغضاء عن فحواه

من منهجيّة التّعليم والإعداد اللّغوي والتّخطيط للتّدرّيات المؤهّلة.

1 - شروط التكوين :

1-1/ أدوات التكوين :

ليس من غرضنا الزعم بتحديد ما عينيّاً في عجلة. وإتّما كلّ وكدنا أن نستلّف الانتباه إلى ضرورة الاستلّهام من ميثاق المترجم الصّادر عن أعمال المؤتمر الرّابع للفيدارلية العالميّة للمترجمين المنعقد بدوروفنيك عام 1963 لا سيّما الفقرات 4 إلى 7 تحصيلاً للتّوفيق بين متطلّبات التّأهيل المشروطة في هذه الوثيقة الرّسمية المعتمدة، وبين أدوات التّكوين المأمولة.

فقد نصّ ميثاق المترجم على ما يلي:

فقرة 4: يجب أن تكون كلّ ترجمة أمينةً تؤدّي بدقّة فكرة العمل الأصلي وشكله . علماً بأنّ هذه الأمانة تملّي على المترجم واجباً أخلاقياً وفي الوقت نفسه التزاماً قانونياً . .

فقرة 5: لا يجب الخلط مع ذلك بين ترجمة أمينة و ترجمة حرفية . ذلك أنّ أمانة التّرجمة لا تنفي تكييفاً ضرورياً للإشعار بالشّكل والمُناخ والمعنى العميق للعمل عبر لغة أخرى وبلد آخر .

فقرة 6: على المترجم أن يمتلك معرفة جيّدة باللّغة التي يترجم منها بقدر ما يُتقن تلك التي يترجم إليها .

فقرة 7: عليه أيضاً أن يمتلك ثقافة عامّة ومعرفة كافية بالمادّة موضوع التّرجمة وأن يمتنع عن ترجمة ما يخرج عن اختصاصه.⁽²⁶⁾

وحسبنا عمليّاً من هذه الفقرات أن نتصوّر حوصلّة لجملة الأدوات التّكوينية المطابقة التي تفتقر إلى تفصيل عصريّ محكم ودقيق. وهي تنصبّ أساساً كما تبدّى على ما يلي:

- أ - الأمانة في الترجمة بفرعيها الأخلاقي والقانوني، إذ التكوين كما اتضح تكوينان : أخلاقي ومهني ولا مناص.
- ب - الاهتمام بالشكل والمضمون.
- ج - أنماط الترجمة.
- د - ضرورة الزاد الثقافي وامتلاك المعارف العامة أو الثقافة.
- ي - الإتقان بواسطة اكتساب الخبرات والدربة على فنيات الترجمة.
- هـ - الاتجاه والتوجيه التخصصي.

وهل من جدال في أنه بافتقاد أحدث أدوات التكوين المؤهلة في عصرنا لإنماء الملكات المذكورة آنفاً والتي قد يستغرق التفصيل الدقيق فيها أعمالاً مؤتمراً متخصصاً، لن نظفر البتة بالمترجم المحترف إلا أن يكون هاوياً متعنثاً في الغالب.

1-2/ برامج التكوين:

يحسن الاعتماد في تسطيرها من قبل خبراء التدريس وقدماء الممارسين على أعرق المدارس العليا للترجمة في العالم. ولعل أشهرها وفي الوقت نفسه أقربها إلينا لغوياً وجغرافياً هي مدرسة جنيف التي تأسست في 1940. ومذاك وهي تعرف تطورات تحديثية ونوعية عالية مشهودة في مدى الاستقطاب الدولي الذي يحظى به خريجوها المرموقون.

وإذ نحيل في الملحق على نسخة مصورة من مخطط الدراسات الخاصة بشهادة الليسانس في الترجمة نجتزئ فيها لمجرد الإيحاء والإشارة على السنة الثانية لذوي اللغتين واللغات الثلاث والأربع لصفوف التدرج الجامعي.

والملاحظ اشتمالها على الجوانب التاريخية والمعاصرة لنظرية الترجمة والجوانب المنهجية في الترجمة بأنماطها وفي علم الترجمة. والجوانب الأخرى المتعددة والمتعلقة بالاقتصاد والقانون والعلوم والتكنولوجية والأدب؛ التحريرية منها والشفوية، اللغوية والإعلامية، الوثائقية والخاصة بالمؤتمرات وما إلى ذلك.

والمقام حائل دون الإفاضة في تفصيلها واصطلاحاتها. والجميل في البرمجة السويسرية الخبيرة أنها تمنح عدة اختيارات تكوينية للطالب بحسب اقتداره من حيث المؤهلات الذاتية ومدى التكيف مع حاجات السوق وتطوراته. فضلا عن إمكانية اكتساب البعد العالمي في التكوين التطبيقي أي في ميدان الممارسة.

1 - 3 / أهداف التكوين:

حان الوفاء بتبيان المقصود من المترجم. وما كنا لنتغاضى عنه بهذا التأخير إلا ليندرج طباقاً ضمن الأهداف المرتسمة للتكوين. ولاغرو أن تتفاوت الأهداف وتختلف بحسب الوضع الاجتماعي للمترجم، والنظرة العلمية والوظيفية التي نعملها تجاهه في كل عصر ومصر. فلطالما كان دور المترجم في القديم المتواضعاً متوارياً وثانويّاً أمام المؤلف حين كانت كلمة الترجمة تفيد مدلولاً "عدائياً" في اللغات الرومانية إذ كانت تُرادف بالمغالطة. كما ظلّ مفهومها شاحباً في الغرب باستثناء ألمانيا. ولاسيماً في اللاتينية. فقد كانت تعني (traducere) الأداء أو القيادة بواسطة (Conduire à travers) وهي مجاورة في الدلالة للعبارة الفرنسية (traduire en justice) أي الإحالة على القضاء. ثم جاءت كلمة "drogman" منحوتة من اللغتين الفرنسية والإنجليزية تعني "الترجمان الدليل" في

الشرق الأوسط. وبهذا الإطلاق المختزل الذي يفتاد القارئ من يده ليعبر به عوارض اللغة ليس إلا...

ثم تألق في القرن التاسع عشر حيث ألحق بالفنصليات العامة وكان يرتدي بزة مطرزة بالذهب مما ينم عن مبلغ أهميته آنذاك. إلا أنه سرعان ما يرتد في عين الرحالة الإنجليزي Sykes إلى مجرد "من يدل على الدببة" وهو يحلق بجموع السواح.

ويبلغ الانتقاص قديماً بالمترجمين إلى حدّ الارتياب في شأنهم والسخرية بهم فقد شبّه القديس جيروم مترجم الكتاب المقدّس بالأنثى. وفي آسيا كاد مترجم أن يتعرّض للإعدام لكونه أصبح ينطق بلسانين.⁽²⁷⁾ بما يذكّرنا بمقولة: انسان ذي وجهين. اصف إلى ذلك مقولة أخرى بالإيطالية: "traduttore traditore" التي تعطي بالعربية: "من ترجم فقد خان" لتكتمل مهانة المترجم. والمسكين ليس أحسن حالاً في القرن العشرين. وعلى هذا النحو يصفه Larbaud لاريو: "المترجم كائن مجهول: يجلس في المقعد الخلفي. يقتات من الصدقات. الخدمة شعاره. يتوارى بذكاء وتكتم. شريف متورّع. يعرف كيف يقاوم بشجاعة عفاريت الاصطلاحات وشياطين المعاني المتعاكسة. وباختصار، فهو يجتهد في الظهور وكأنه قديس مثل سيده القديس جيروم".⁽²⁸⁾

وفرق في تحديد الأهداف بين نظرة بوشكين Pouchkine إلى المترجمين كأنهم جياذ الإبدال⁽²⁹⁾ ونظرة السيّدة دي سطايل Mme de Staël إلى الترجمة كأنها تكرار للموسيقى بآلات مختلفة.⁽³⁰⁾

وأما عن قيمة الترجمة ومكانة المترجمين في المشرق فشان آخر. اسأل به خبيراً ينبئك عن عصرها الذهبي في الدولة العباسية⁽³¹⁾ وعن تكريم الخليفة

المأمون للمترجمين بما لا نظير له في غير حضارة الكتاب والقلم. وعن بيت
الحكمة وعطيّاتها وازدهارها.

وصفوة القول ماذا نتوخي في عالم الثورة الرابعة ونحن على مشارف
الألفية الثالثة، من تكوين المترجمين والتّراجمة؟ وما هي الأهداف من التّرجمة
أصلاً في تصوّرنا ومناهج تكويننا؟

ولعلّ مقتطفاً من كتاب أندرونيكوف Andronikoff يساعد في تلمّس
مواصفات التّرجمان وسمات شخصيّته التّكوينيّة، نترجمه للتأمّل والمناقشة؛ فهو
يصفه هكذا :

"إنّه جنس خاصّ من الألسنيّ الرّياضي الذي ينتقل من صيد الحيتان إلى
شرطة مكافحة الإجرام. ومن تسوية قطع الغيار إلى مفاوضات وقف القتال. يجب
أن يشعر بنفس الرّاحة وهو بصدد الاصطلاحات الفنيّة أو إزاء انعدام الدقّة
الدّبلوماسية وأن يجمع بين نفّس عضو البرلمان وصرامة المدرّس. يجب عليه أن
يوّدي المعنى والأسلوب وشكل الخطاب وطوله (أو حجمه). ينبغي أن يكون
متحدلقاً أو ملمحاً، فطناً أو مغامراً، مُضمراً أو مُطنباً.

يجب أن يكون مُسمعاً جيّداً أي أنّه يُنصت ويفهم ولو لم يدرك. طبعاً قد
يُغتفر للمندوب غموضه أو أن يكون غير مفهوم. لكن لن يُسمح للتّرجمان قلة
الوضوح. (...) هذا هو الألسني البهلوان الذي يلعب على خيط رهيف دون شبكة
الوقاية." (32)

ولا مرآة في أنّ الوعي بهذه الخصائص النوعية التي تكاد تكون استثنائية، مفضي بالضرورة إلى تصوّر عميق لأهداف الصنعة ووسائل بلوغها وممهّد كبير لمناهج اكتسابها.

2 - فحوى التكوين:

2-1 / منهجية التعليم :

لم يحدثنا مورخو الترجمة في القديم عن تدريس نظريّ مخصّص في النّقل والترجمة على نمط مقرّرات مناهج العصر. وإنّما كلّ التّركيز في التكوين كان منصباً على الممارسة والتّطبيق. ولعلّ بهذا الاتّجاه العمليّ الموروث أثراً في أنّ عمداء المترجمين والترجمة الدّوليين لا ينفكّون في الزّاهن عصاميّين أحياناً. (33) والسؤال الذي ينهض بهذا الصّد هو هل كان التّعليم منذ أن أنشئت أوّل مدرسة أوروبية للترجمة في عام 1930 بمانهايم، يسير وفق منهج تلقينيّ يقتصر على إملاء فنيّات الترجمة وقواعدها العامّة ويعوّد على الاعتماد على أدواتها المعجمية المختلفة ليكون الأساس في التّحصيل المنهجيّ الاستعارة أو الاقتراض؟ أم إنّه كان يمكّن الطالب الرّیض من عنصر الإبداع والابتكار في حقل المصطلحات خصوصاً، بحيث يتّجه إلى تفتيق ملكاته على توليد الكلمات المستحدثة néologismes وإقذاره على سدّ الفراغات والفجوات في هذه اللّغة أو تلك؟

وإذا تفصّينا منهجية التّكوين في إحدى كبريات مدارس التّرجمة العصرية في العالم ألفينا الهدف من تعليمها في الدّور الأوّل من تحضير اللّيسانس بمدرسة جينيف مثلاً هو تحديداً : "... بيان أنّ التّرجمة تعني فهم النصّ في لغة المصدر من أجل إعادة صياغته في اللّغة الهدف. وبذلك تعتمد المنهجية على محورين هما : الفهم والصّياغة." (34)

- ولقد شرح ن. شوماخر N. Schumacher أحد أساتذة الترجمة جلّ الأطوار المنهجية التي تتخلّل عملية الترجمة فقسّمها إلى ثلاثة أقسام:
- **القسم الأول** : يتمثل في طور الاستيعاب أو التمثّل Assimilation لتحديد النموذج الوظيفي الذي ينتمي إليه النصّ الأصلي (قصص، تقارير، مقالات...)
 - ثمّ يحقّه بعد ذلك بمعارفه الفكرية والثقافية والعاطفية كي يضعه في سياق معيّن.
 - **القسم الثاني**: هو طور المواجهة الحية بين مصادر اللّغة المصدر ومصادر اللّغة الهدف؛ لتجري، منظوراً إليها في مستوى وحدات الترجمة، على ثلاثة أصعدة (مُعجمية، نحوية، تعبيرية).
 - **القسم الثالث**: هو طور الاسترجاع والمقصود به ابتداءً تجميع شتى العناصر التي توفّرت بخوض أكبر الوحدات الترجمة الممكنة قبل اللّجوء نهاية المطاف إلى قراءة نقدية.⁽³⁵⁾

وباستعراض طرائق تعليم الترجمة عموماً يتّضح أنّها كانت عبر العصور في الجملة كما يقول الصّفدي (ت : 764 هـ) وإنّ تغير المسمّى : "وللترجمة في النقل طريقان : أحدهما طريق يوحنا ابن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كلّ كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدلّ عليه من المعنى، فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية تُرادفها في الدلالة على ذلك المعنى، فيثبتها وينقل إلى الأخرى، كذلك حتّى يأتي على جملة ما يريد تعريبه."⁽³⁶⁾

وهل هذه الطريفة إلّا المقابلة أو باصطلاح اليوم الترجمة الحرفية. ويصفها بـ"الرديئة" لوجهين: أحدهما أنّه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها.

الثاني: أنّ خواصّ التّركيب والنّسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً. وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات، وهي كثيرة في جميع اللّغات. (37)

وعن الطّريق الثّاني في التّعريب يقول هو : "طريق حنين بن إسحاق والجوهرى وغيرهما، وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللّغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها".³⁸

وهل هذه الطّريقة إلّا المطابقة أو باصطلاحنا الحديث التّرجمة التّفسيرية، ويصفها بالأجود إذ يقول : "ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب...". (39)

أضف إلى هذه الإشارات المنهجية التّعليمية العامّة الخطّ الإيديولوجي لسياستنا التّربوية أو قل لاتّجاه التّكوين التّرجمي عندنا. هل ستجري في هذا السّياق "تعبئة التّرجمة بهدف إعادة تأكيد الهوية الثقافية "الوطنية" وإعادة امتلاكها وإعادة فحصها بوصفها وسيلةً لتمييز الذات عن الآخر...".⁽⁴⁰⁾

2 - 2 / الإعداد اللّغوي:

يقول الجاحظ في شرائط التّرجمان : "ولا بدّ للتّرجمان من أن يكون بيانه في نفس التّرجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم النّاس باللّغة المنقولة والمنقول إليها حتّى يكون فيهما سواءً وغاية...".⁽⁴¹⁾

هذه الأعلمية اللّغوية على استواء في الوعاءين النّاقل والمنقول إليه هي ما يُعبّر عنه بالقدرة اللّغوية المشترطة في مؤهلات المترجم على تفوق في الاستخدام

وتميّز في نقل الآثار، "وما تتضمنه عملية النقل تلك من إيضاح للغوامض وفكّ للرموز وتحديد للمعاني وظلالها." (42)

وهي لا تخلو في مبادئها وفنّيّاتها من عناصر أربعة هي :

- دلالة المفردات : L'aspect sémantique
- الصرف المقارن : L'aspect morphologique
- التّركيب أو علم التّراكيب : L'aspect syntactique
- الأسلوب : L'aspect stylistique

ويجب على المترجم إذ يمتلك اللّغة الأجنبيّة أن تكون معرفته بها نقدية، على حين تكون معرفته بلغة الأمّ أو لغة الاستعمال الطّبيعي عنده كما يقول Savory، معرفةً عمليّة. (43)

ويحتاج كذلك إلى معرفة بنقد النّصوص الأدبيّة وغير الأدبيّة حيث يتحمّم عليه أن يقدر قيمة النّصّ النوعية قبل أن يتّخذ القرار الخاصّ بأسلوب تفسير ذلك النّصّ، ومن ثمّ ترجمته. وهذا يستدعي إلماماً بما كُتب في علم الأساليب الذي يقع بين علم اللّغة والنقد الأدبي كما في كتابات ياكوبسون (1960 Jakobson، 1966) وشببترز (1948 Spitzer). (44)

وإذا تعيّن على المترجم أن يكون ثنائي اللّغة bilingue على الأدنى، وإذا كانت اللّغة لا تتفصل عن الثقافة فإنّ الاقتضاء أن يكون المترجم سيّما من يُعنى بالنّصوص الأدبية، أيضاً ثنائي الثقافة bicultural لأنّ الأدب تجسيد للثقافة ونقل لها. (45)

وحتى لا نكون بمعزل عن التطوّر المتنامي فمن البديهي أن نشير إلى مدى أهميّة هذه المقترضات عينها بالنسبة إلى التّرجمة الإعلامية التي تستلزم

أيضا معرفة تامّة باللغتين المترجم منها وإليها وسعة اطلاع وثراء ثقافة، وإلا حدث تشويش في وصول الرسالة الإعلامية وعجز عن إيصال فحواها.⁽⁴⁶⁾

وتفاديا للخلط بين اللغوي أو الألسني والمترجم ينبغي أن نعلم أنّ الإعداد اللغوي ضروري إلى ابعده الحدود لكنّه مع ذلك لا يعوّض الترجمة بل لا يستغني عنها. ولقد نبّه أحد خبراء الترجمة وهو لادميرال إلى مغبّة الوقوع في التتظير اللغوي المفرط الذي اعتبره ضرباً من "الإرهاب" اللغوي ودعا إلى استخدام معارف علم اللّغة بفرعيها الدلالي والسميائي بهدف الإفضاء إلى منافذ تنير الطريق للمترجم بدلاً من أن تحشره في برج عاجي لبعض اللغويين التتظيريين. وعليه ينبغي التحلي بروح المتابعة النظرية التي لا تنفك عن إصغاء دائم للممارسة.⁽⁴⁷⁾

وكما تؤكد موسوعة الترجمة فقد لاحظ أساتذة هذه الصنعة غالباً، أن إتقان لغات كثيرة لا يستلزم بالضرورة إتقان فنّيات الترجمة. فبعض الطلبة الذين قد يُعبّرون في كلّ لغة بشكل مقبول هم أعجز من أن يوفّقوا في النقل من لغة إلى أخرى.⁽⁴⁸⁾

وفي الخلاصة ودون خوض في إشكالية الإعداد اللغوي للمترجم: هل ينبغي أن يتمّ من طريق الترجمة أم من طريق دراسة اللّغة وبيئتها الثقافيّة كي يتمكّن من ناصيتها ومن اختيار المقال المناسب للمقام؛ فلا محيص له من تربية الدّوق التّرجمي، ولا سبيل إليه دون التّدريب⁽⁴⁹⁾، واستفراغ القوّة في حذق الصنعة.

2 - 3/ التخطيط للتدريبات المؤهّلة:

تذهب كثير من الآراء إلى اعتبار الترجمة عامّة والترجمة الأدبية خاصّة كالعبريّة التي هي مزيج من إلهام وكذّ. بيد أنّ نسبة الإلهام فيها لا تتجاوز الاثنتين بالمائة (2%) على حين تكون نسبة الكذّ والعرق ثمانية وتسعين بالمائة

(98%)⁽⁵⁰⁾ مما يؤكد مبلغ أهمية تدريب مُحكمٍ مدروسٍ. فالدربةُ المخطّط لها والمران المبرمج له قمينان، إلى ذكاءٍ وجَدِّ ومُثابرةٍ، فضلاً عن توفر الأدوات التكوينية التي ألمعنا إليها آنفاً، ببلوغ الإجابة وتحصيل الإتقان وتنمية الملكات المتخصصة.

ومن أولي الخبرة الطويلة في الصنعة النقلية مَنْ مرَّحل تعليمياً للتدريب هذه المراحل الأربع: المحاولة الترجمة. مناقشة أخطاء المتدرب. تعزيز المحاولة. التعلّم للتمكّن. وتختزل في هذه الحروف الرّامزة (TEFL) للكلمات التالية: [Trial Error Feedback Learning].

وبهذا الوصف تكون الترجمة شبيهةً عملياً وفي حقل الممارسة بالمهارات المكتسبة من طريق التمرين والتدرّج والمحاولات المحفّزة.⁽⁵¹⁾

وفي هذا الميدان التطبيقي لا تعزيبُ عنا إشارة نبهة لخبير في تعليم الترجمة وتكوين المترجمين إلى مفارقة يطرحها في مجال حديثه عن المباينة بين الألسني والمترجم. لكنّ الذي يستلفتنا فيها هو دقّة الممايزة المنهجية في التكوين بين التدريب البيداغوجي على مدارج الجامعة وبين الممارسة في الحقل المهني، حيث يقول:

"عندما نعد إلى تدريس الترجمة نلجأ إلى التعريب والتعجيم، وهما ينطويان على تمارين جزئية وربما كانت سطحية في التقرير بمعايير خاصة إذ لا يتأتى اعتبارها كذلك ترجمات حقيقية. ولا أدلّ على ذلك بالفعل من أنّ صفحة الترجمة التعليمية حينما تكون اقتباساً منزوعاً في كُليّه أو في جُزئيّه من السياق تنتصب قناعاً يخفي جانباً من حقل البحث. وتصبح النصوص ذات استدلال

رجعي ضعيف جداً لا يسمح بتكوين مصطلحات. ومن صوب آخر، وبينما ينزع المترجم المحترف في ميدان الممارسة إلى أن يفضل الترجمة إلى لغته الأم، فإن التعاقب السريع لضروب التعريب والتعجيم يحمله على تنمية كفاءة مزدوجة بفعل أنّ مشاكل فكّ الرموز وتركيبها تُطرح بطرق مختلفة.

فالتعريب باعتباره إعادة بناء تحليلي انطلاقاً من وحدات دنيا للترجمة يلجأ إلى نحو إنتاجي. على حين أنّ التعجيم وهو بمثابة إعادة بناء تركيبية للجملة وحتى للفقرة، يلجأ إلى نحو استقبالي. وعليه فالترجمة التعليمية ليست سوى اختبار للمهارة يوظف في اختبار الكفاءة. إنّ هذه الغائية الخارجية مختلفة جداً عن الغائية الداخلية للترجمة : وهي أن تسمح للقارئ بالامتاع عن قراءة النصّ . المصدر. «(52)

ختاماً، كلّ المبتغى أن تكون الترجمة فناً يهدّبه العلم إمتاعاً وإبداعاً أو علماً يقوم على توظيف الفنّ دونما انبئات عن أساسياته وجذوره الضاربة في التاريخ. وذلك شأن آخر في بلوغها أسمى مراقبيها. وحبذا لو أنّها تتقلب فعلا إلى وسيلة للتفاعل الثقافي بين الأمم وأداة لحوار الحضارات دون أن تكسّر التّبيعة الثقافية. ولعلّها بهذه المطامح الإيجابية أن تكون عملاً غيرياً وتاريخياً متجدداً على الدوام.

البيبلوغرافيا والهوامش

1. بيتر نيومارك : اتجاهات في الترجمة. جوانب من نظرية الترجمة. ترجمة د. محمود إسماعيل صيني. دار المريخ للنشر. الرياض. 1406 هـ/1986 م. ج1. ص 13.
 2. نفسه. حسب إطلاق جمبلت (Jumpelt) 1961 وبنجامين (Benjamin). 1923.
 3. المرجع السابق. ص 14.
 4. انظر : د. محمود إسماعيل صيني : مقال "الترجمة الآلية" مجلة الفيصل. العدد 239. جمادى الأولى 1417 هـ/سبتمبر. أكتوبر 1996 م. الصادرة بالرياض. ص 30 . 31.
 5. الصديق سعدي : دروس في الترجمة. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر، 1999 م. ص 4.
 6. انظر مقاله : "المترجم : مؤهلاته وإعداده". الفيصل. العدد 239. ص 23.
 7. : Encyclopédie d la traduction. 2^e éd. O.P.U. Alger. 1996. p. 40 . Joelle Redouane
 8. انظر : Plans d'études de la licence en traduction de l'Ecole de traduction et d'interprétation publications de l'université de Genève 2000-2001.
- وفي إطلاق آخر : Transtologie كما لهاريس (1977 Harris).
9. الترجمة الاتصالية : هي أن يحاول المترجم أن يعطي لقراء اللغة الهدف نفس التأثير الذي يعطيه الأصل لقراء اللغة المصدر. والترجمة الدلالية: هي أن يحاول المترجم في حدود القيود النحوية والدلالية للغة الهدف أن يعيد تقديم المعنى السياقي الدقيق للمؤلف. انظر : اتجاهات في الترجمة. مرجع سبق ذكره. ص 50.

- 10 . نظرية الترجمة : توضّح لنا طرائق الترجمة المناسبة لأكبر عدد من أنواع نصوص الترجمة أو فنائها وتقدّم لنا كذلك إطار عمل من المبادئ والقواعد المحدودة المتعلقة بالترجمة. انظر : المرجع السابق. ص. 43.
- 11 . انظر : Les problèmes théoriques de la traductions. Gallimard. Mounin, G :Paris.1963.
- 12 . الجاحظ : كتاب الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون. دار الجيل. بيروت. 1413 هـ/1992 م. ج 1. ص 75.
- 13 . نفسه. ص 75 . 76.
- 14 . انظر : الجوهرى : الصحاح. ط 4. دار العلم للملايين. القاهرة. د. تا. 1928./5
- 15 . انظر : د. محمّد البشير مغلي : "إشكاليات ترجمة النصّ المقدّس" ورقة علميّة مقدّمة للملتقى الدولي السابع حول الترجمة والاختلاف. 6. 8 ماي 2001 وهران.
- 16 . انظر :
- Joelle Redouane : Stylistique comparée du Français et de l'Anglais. O.P.U. Alger. 1996. p.2.
- 17 . عبد العليم السيّد المنسي وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: الترجمة: أصولها ومبادئها وتطبيقاتها. دار المريخ. الرياض. 1408 هـ/1988 م. ص 11.
- انظر أيضا : د. جمال عبد الناصر ود. عبد الوهاب علوب : فنّ الترجمة: مختارات. دار الثقافة العربية. القاهرة. 1989 م.
- 18 . البلبلّة : اختلاط الألسنة وتفريق الآراء. وتبلبلت الألسنة : اختلطت. وبلبلهم بلبالا : هيّجهم. انظر : الرّاوي : مختار.
- القاموس : الدّار العربية للكتاب. الجماهيرية الليبية. 1392 . 1393 هـ/1983 .
- 1984 م. ص 61. وليس غريبا أن تشتقّ البلبلّة من حادثة بابل في اللّغة العربية

بل تحتفظ كلمة "babel" بالفرنسية والانجليزية بمعنى الهرج الذي لا يفهم معه كلام.

انظر : Joelle Redouane : Encyclopédie d la traduction, op-cit., p.3 :

19 . النحل : 26.

20 . أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (ناصر الدين

الشيرازي) مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع. بيروت. د.تا. 179./3

Joelle Redouane : Encyclopédie d la traduction, op-cit., p.3 . 21

المقصود هنا بثلاثة الأثافي اللّغة الثالثة الوسيطة بين لغتين مختلفتين : أي لغة النقل لهذه أو تلك لا على أنّها لغة ثالثة مستقلة وإلاّ استحال التّبليغ إن لم يكن بإحداهما إلى الأخرى.

22 . انظر :

R.H. Robins : Linguistique générale : introduction. trad. de Simone Delesalle et Paule Guivare'h. 2^e éd. A. Colin. Paris. 1973. p. 40-41.

Ibid. . 23

Ladmiral, J.R : Traduire:Théorèmes pour la traduction. Petite -24

144..bibliothèque Payot. Paris. 1979. p

J. Redouane : Encyclopédie d la traduction, op-cit., p.38. 25

26 . انظر :

Cf : Actes du IV^e congrés de la Fédération internationale des traducteurs. Dubrovnik. 1963. Oxford. Pergamon Press. 1967.

27 . انظر المرجع الأسبق بتصريف. ص 70 . . 71.

28 . نقلا عن المرجع نفسه. ص 72.

Chevaux changés aux relais . 29

30 . نفسه.

- 31 . انظر مثلاً : د. مريم سلامة كار : التّرجمة في العصر العباسي . مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في التّرجمة.
La traduction à l'époque abbasside. Ed. Didier. Paris. 1990 (série traductologie n° 6).
32 . انظر :
Andronikof, C : Servitudes et grandeurs de l'interprète ; in Babel, vol 8, n° 1. 1962. (Revue internationale de la traduction, Bonn).
33 . انظر :
J. Redouane : Encyclopédie de la traduction, op-cit., p.79.
34 . انظر :
école suisse, op-cit., p. 8-9. 'études de l' Voir Plans d
35 . انظر :
N. Schumacher : Analyse du processus de la traduction : conséquences méthodologiques. in Meta. Sept. 1973. pp. 308-314.
36 . انظر : الغيث المسجّم : 79/1 ذكره محمّد اليعلاوي في مختاراته (100 نصّ عربيّ). ط 4. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1997. ص 107 . 108.
نص رقم 71 : (طرق الترجمة).
37 . نفسه.
38 . نفسه.
39 . نفسه.
40 . ريشار جاكمون : مقال "التّرجمة والهيمنة الثقافية : حالة التّرجمة الفرنسية/العربية " مجلة النقد الأدبي "فصول" المجلّد الحادي عشر. العدد الثاني. القاهرة. صيف 1992. ص 49. بتصرّف قليل.
41 . انظر : كتاب الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون. دار الجيل. بيروت. 1413 هـ/1992 م. 76./1

42. جمال محمّد جابر : مقال "من هو مترجم النصّ الأدبي وما هي خصائصه"؟. مجلة كلية الدّعوة الإسلاميّة. العدد الخامس عشر. طرابلس. ليبيا. 1428 م ر/1998 افرنجي. ص. 329.
43. انظر :
- Savory, T.S. : The Art of Translation. Cape. Londres. 1957. p. 35.
44. انظر : اتجاهات في التّرجمة. مرجع سبق ذكره. ص 17 - 18.
45. "من هو مترجم النصّ الأدبي..." مقال سبق ذكره. ص. 330.
46. محمّد وليد سابق: مقال "التّرجمة الإعلاميّة" مجلة الفيصل. العدد 239. سبق ذكره. ص. 47.
47. انظر :
- Ladmiral : Théorème pour la traduction, op-cit., pp. 211-213.
- 48
- Joelle Redouane : Encyclopédie d la traduction, op-cit., p.43.
49. د. حسن عطية طمان : مقال "المترجم مؤهلاته وإعدادة" مجلة الفيصل. العدد المذكور. ص. 25.
50. انظر : مقال جمال محمّد جابر، المذكور. ص. 328.
51. المرجع الأسبق. ص. 23.
52. انظر : Ladmiral, p. 41.

دور الترجمة في الدراسات التاريخية وإسهامات بعض الجزائريين في كتابة التاريخ الوطني

أ. محمد الشريف سيدي موسى
قسم الترجمة كلية الآداب واللغات - جامعة الجزائر

Résumé

Rôle de la traduction dans les études historiques, et la contribution des traducteurs Algériens à l'écriture de l'histoire d'Algérie

La traduction dans les domaines des sciences sociales ou humaines a un rapport étroit et directe avec la société. En effet, la traduction se consacre à la politique, à l'histoire et sert même à la sauvegarde du patrimoine nationale.

Dans ce but, même que plusieurs traducteurs algériens en l'occurrence ont travaillé sur les différentes étapes de notre histoire, depuis l'antiquité jusqu'à la période contemporaine.

Parmi ces traducteurs, nous nous inclinons sur la mémoire de Hanafi Benaïssa sans oublié le travail remarquable effectué par Abou El Kacem Saad El Allah, Abou El Aid Doudou et Ismail El Arabi, ainsi que d'autres.

Leurs travail se caractérise à la traduction de plusieurs ouvrage et article à la langue arabe. Ainsi, tout historien ou chercheur trouvera une « matière première » qui lui servira à l'écriture de l'histoire de son pays.

Sidi Moussa Mohamed Cherif

يمكن اعتبار نهاية الدولة العربية في العهد الأموي بداية محتشمة للترجمة عند العرب والمسلمين، ثم انتشرت انتشارا واسعا في العهد العباسي و شملت أنواعا عديدة من الثقافة بعضها مقتبس من الهند و بعضها من الفرس و أكثرها من اليونان. وقد تناولت الترجمة آنذاك ضروبا عديدة من الإنتاج العقلي كالعلوم الرياضية والطبيعية و العلوم الاجتماعية (1)، وحينها كان المترجمون مهتمين بالنقل بواسطة طريقتين أساسيتين:

أ- الطريقة الأولى:

وهي أن ينظر المترجم إلى الكلمة المفردة من الكلمات الأعجمية وما تدل عليه من معنى فيثبتها وينقل إلى الأخرى، و كذلك يفعل حتى يأتي على الجملة وما يريد تعريبه، وهذه الطريقة رديئة لوجهين:

أحدهما: أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات الأعجمية(2).

والوجه الثاني: أن خواص هذا التركيب والنسب الإسنادية لا يطابق نظيرها من لغة لأخرى دائما، كما يقع الخلل أيضا من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات (3).

ب) الطريقة الثانية:

أما الطريقة الثانية في الترجمة هو أن يأتي المترجم بالجملة فيحصل معناها في ذهنه، ثم يعبر عنها من لغة لأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفها، وهذه الطريقة حسن استعمالها(4).

ومهما كان من الأمر فإنه في الحالتين كان المترجم يبذل جهودا لوحدته و يتصرف في النقل حسب اجتهاده. و لكن مع مرور الأزمنة و العصور وتطور العلوم وتَشَعُّبُهَا أصبح من الضروري وضع شروط محصلة لعمل المترجم التي في أغلبها تقوم على ما يلي(5):

1- وجوب ذكر اسم المؤلف من طرف المترجم حتى لا تظهر الكتب وهي لا تحمل اسم المؤلف، و عدم الاكتفاء بذكر أن الكاتب ترجم عن لغة أجنبية.

2- عدم إهمال أسماء الكتب بلغتها الأصلية بل يجب تثبيت عناوينه الأصلية

3- كما يستلزم نقل الكتب من لغة أجنبية إلى اللغة العربية إعادة الكثير من الألفاظ والمصطلحات إلى أصلها العربي نطقا وكتابة.

4- ضرورة انسجام المعاني وتناسب الكلمات و تناسق العبارات، و في بعض الأحيان يَعْهَدُ المترجم ببعض الكتب و المقالات التي قام بترجمتها و تصحيحها إلى مترجم آخر أو مترجمين آخرين لمراجعتها على الأصل، فيتوفر لدينا نص مترجم حسن خالي من الركاكة في الأسلوب و يجيد فيه صاحبه ترتيب الجمل و علاقة كل لفظ بالآخر و كل جملة بالتي تليها حتى تصل المعاني و تتسجم فيما بينها، و هذا يستلزم بالضرورة إلمام المترجم باللغة المنقول عنها واللغة المنقولة إليها(6).

وإضافة إلى هذه الشروط العامة، فإن المتصدي لترجمة أثر من الآثار في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وفي الدراسات والنصوص التاريخية على وجه

الخصوص، يجب أن يتوفر فيه شروط أخرى أراها بدورها ضرورية أهمها ما يلي:

- 1- أن يكون للمترجم في الدراسات و النصوص التاريخية، إلمام بموضوعه التاريخي المزمع ترجمته أو على الأقل أن تتوفر لديه خلفيات عن الموضوع في حد ذاته، و ذلك حتى يتمكن من الإحاطة بجميع أطرافه وعناصره و نظرياته و مصطلحاته. و هنا تطرح إشكالية التخصص بالبحاح.
- 2- يجب على المترجم في المجال التاريخي الابتعاد قدر الإمكان عن المحسنات البديعية وخاصة السجع حتى يأتي أسلوبه رصينا سهل التداول وحتى يتفادى الغموض و التعقيد.
- 3- و يبقى أن من أهم الشروط التي يتقيد بها المترجم في الدراسات التاريخية هي الأمانة في الترجمة على المعنى بالدرجة الأولى أكثر مما هي الأمانة على اللفظ، و كذا الأمانة في نقل الأحداث و الوقائع التاريخية كما جاءت في نصها الأصلي(7). و إذا أراد المترجم التدخل بالشرح والتعليق فله ذلك بشرط أن يكون في أسفل النص و في الهامش.

* إسهامات بعض المترجمين الجزائريين في كتابة التاريخ الوطني:

إن الترجمة في مختلف العلوم الاجتماعية و الإنسانية تتصل اتصالا مباشرا بحياة الشعوب و رفاهيتها و في علاقات الناس ببعضهم البعض، و تعالج الشؤون السياسية و المذهبية و تُعرّف بالجوانب التاريخية و الوطنية و تساهم إلى حد كبير في ربط الحاضر بالماضي، لا سيما و أن جمهور القراء فيها عظيم جدا و يتناول جميع طبقات المجتمع تقريبا. و من هذا المنطلق سعى العديد من المترجمين الجزائريين بالاهتمام بتاريخ الجزائر في مراحل وحقبه المختلفة من

القديم و الوسيط إلى الحديث و المعاصر، و ذلك عبر مقالات مترجمة في مجلات وصحف أو عن طريق ترجمة مؤلفات وكتب ونشرها والتعليق عليها.
أ- نماذج من مترجمي المقالات:

يمكن الإشادة في هذا الميدان بالأستاذ المترجم حنفي بن عيسى الذي نقل لنا العشرات من المقالات من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية عبر مجلات وصحف عديدة منذ فترة مبكرة غداة استرجاع الجزائر لسيادتها الوطنية. فتحت عنوان بارز هو "الجزائر أمة و شعبا" كان الأستاذ حنفي ابن عيسى يترجم مقالات الأستاذ مصطفى الأشرف عبر صفحات المجاهد الأسبوعي منذ العدد 307 بتاريخ 20 مارس 1966(8). و إلى غاية العدد 313 المؤرخ بـ 01 ماي من نفس السنة.

وابتداء من الأسبوع الثاني لشهر ماي شرع الأستاذ حنفي بن عيسى في ترجمة مقالات أخرى للسيد مصطفى الأشرف بمجلة المجاهد الأسبوعي دائما وجعلها تحت عنوان "عوامل الاحتلال النفسية" من العدد 314 المؤرخ بـ 08 ماي 1966 (9) إلى غاية 23 ماي من نفس الشهر.

وفي شهر جويلية نشر الأستاذ حنفي بن عيسى مقالين مترجمين عن الأستاذ مصطفى الأشرف، و كان الأول تحت عنوان "من زعماء المقاومة في المدن" و قد خصه للمقاومة السياسية التي خاضها الزعيم حمدان خوجة في بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر(10). ثم مقالا آخر بتاريخ 10/07/1966 في العدد 323 و عنوانه احتلال مدينة البليدة.

أما في شهر أوت فقام الأستاذ حنفي بن عيسى بنشر ثلاث مقالات أخرى مترجمة بنفس المجلة، و كان المقال الأول تحت عنوان "أخبار البايات في عهد

الاحتلال"، أما المقال الثاني فكان "المدن الجزائرية بين الازدهار والركود"، و
المقال الثالث "قسنطينة ترفع راية الجهاد" في العدد 330 (11).

وفي شهر سبتمبر من نفس السنة ترجم الأستاذ حنفي بن عيسى ثلاث
مقالات و نشرها دائما بمجلة المجاهد الأسبوعي عن الأستاذ مصطفى الأشرف،
و قد حمل المقال الأول عنوانا هو "مواقف البرجوازية القسنطينية في عهد
الاحتلال"(12). ثم "عريضة أهل قسنطينة ضد سياسة الاحتلال"، و آخر مقال
له في ذلك الشهر كان بتاريخ 1966/09/25 بعنوان "جذور النهضة الثقافية في
الجزائر".

ولم يتوقف السيد حنفي بن عيسى طيلة الشهور الأخرى الموالية عن حركة
النقل إلى الثقافة العربية والنشر بمجلة المجاهد الأسبوعي، و استمرّ في عمله
الدؤوب إلى غاية 04 ديسمبر سنة 1966، حيث نشر في ذلك التاريخ مقالات
مترجمة و مطوّلة تحت عنوان "ترحيل السكان و تجميعهم في المحتشدات
(13)".

وانتظرنا فترة طويلة حتى ظهر المترجم حنفي بن عيسى من جديد بمقالات
أخرى مترجمة عن السيد مصطفى الأشرف، و كان ذلك سنة 1971 على أعمدة
وصفحات نفس المجلة الأسبوعية و بعنوانين متنوعه نذكر منها "الفلاحون و
الاستعمار و الثورة". و "عواقب حرب 1871" في العدد 508 المؤرخ في 11
جويلية 1971.

ووجدنا الأستاذ حنفي بن عيسى ينشر مقالا آخر بمجلة الثقافة تحت
عنوان "صور من حياة الأمير خالد في شبابه" لصاحبه الدكتور محفوظ قداش
(14).

ومن الذين إجتهدوا واختصوا كذلك في ترجمة العديد من المقالات حول تاريخ الجزائر , نشير إلى الأستاذ علي تابلت الباحث و المترجم , و من أهم أعماله " ترجمة مقال "مذكرة سيدني سميث ضد النشاط البحري لدول المغرب " وقد نشره في مجلة الدراسات التاريخية في عددها السابع و الصادرة عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر سنة 1993 (15).

ويعتبر الأستاذ علي تابلت من المواظبين على نشر العديد من المقالات حول مواضيع متعددة و متعلقة بتاريخ الجزائر , عبر صفحات جريدة السلام اليومية , مثل مقالة " عبد القادر والجزائريون " المنقول عن دان زيجر رفائيل ذات يوم 18 جانفي 1991.

وبدوره الأستاذ محمد الشريف واشق ترجم مقالا بعنوان " قبل أن يبدأ الاستعمار سياسة فرق تسد " لصاحبه مايبير ألفوس من اللغة _الفرنسية و نشره بجريدة الشعب اليومية بتاريخ 29 / 04 / 1984 في العدد 544 (17).

ب) نماذج من مترجمي الكتب والمقالات :

أما عن الذين كان لهم دور وياغ في ميدان الترجمة ومزجوا بين ترجمة المقالات و المؤلفات التاريخية نشري إلى:
* المؤرخ أبو القاسم سعد الله, ترجم كتباً من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية هي:

- 1-كتاب الجزائر وأوروبا , لصاحبه جون وولف (18).
- 2-كتاب " حياة الأمير عبد القادر" لصاحبه شارل هنري شرشل الصادر عن الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر والتوزيع عام 1974 (19).
- 3- كتاب شعوب و قوميات، نُشر بالجزائر عام 1985.

وعن مقالاته المترجمة فهي عديدة، إذ سعى الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى نشرها عبر صحف و مجلات مختلفة، مثل مقاله "رياس البحر" لجون وولف، و بمجلة الدراسات التاريخية في عددها الثالث، عام 1987 (20).

ثم مقالا آخر بعنوان "بلاد البربر في عصر الأنوار" لصاحبه تومسون أن. و تم نشره بنفس المجلة في عددها العاشر الموافق لسنة 1997.

ولم يهمل الأستاذ سعد الله جريدة الشعب اليومية حيث نشر بها مقالا مترجما ومطولا بعنوان "نجم الشمال الإفريقي و جذوره الوطنية الجزائرية" لصاحبه إيمانويل اسيفان ، وقسم الأستاذ سعد الله هذا المقال إلى ست حلقات من 1987/02/29 و إلى غاية 1988 / 10 /05 في أعداد متباينة ومختلفة.

*وبدوره الأستاذ إسماعيل العربي أثرى المكتبة التاريخية بالعديد من المؤلفات المترجمة عن لغات أجنبية إلى اللغة العربية ، و المقالات التاريخية قدر عددها بحوالي تسعة كتب تاريخية أغلبها حول تاريخ الجزائر هي :
1-مذكرات الكولونيل سكوت الإنجليزي عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام 1841 والصادر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر سنة 1981 (21).

2-كتاب " العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الممتدة ما بين 1776 و 1816" لصاحبه راي اروين نشر بالمؤسسة الوطنية للكتاب عام 1984.

3- كتاب " مذكرات أسير الداوي ، قنصل أمريكا في المغرب " لصاحبه جيمس كانتكارث(22)

4-كتاب " مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر " (23).

5-كتاب "دراسات عربية عن تاريخ الجزائر خلال قرن من الاحتلال الفرنسي" لماسي وآخرين و نشر بالمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1980.

ولم يقتصر الأستاذ المرحوم إسماعيل العربي على التاريخ الوطني بل تعداه إلى ترجمة مؤلفات تتناول التاريخ العربي والإسلامي. من ذلك ترجمته لكتاب " الإسلام في مجده الأول" لموريس لومبار وتم نشره بالمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر عام 1984، ثم كتابين آخرين لمؤلف أمريكي هو واشنطن إيرفينج الأول "قصر الحمراء في الأدب والتاريخ". والكتاب الثاني بعنوان "غرناطة آخر معاقل الإسلام في الأندلس" ونشرته المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1988.

أما الكتاب الرابع فهو "الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا" لصاحبه جوزيف رينو. و لقد كانت دور نشر جزائرية وأخرى عربية هي التي أشرفت على نشر و طبع أعمال المرحوم الأستاذ إسماعيل العربي مثل: المطبعة التجارية ببيروت، دار الآفاق الجديدة ببيروت، دار الغرب الإسلامي، دار الرائد، وزارة الثقافة السورية، مطبعة البعث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات الجامعية والشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

أما الأستاذ أبو العيد دودو فيعد من رواد حركة الترجمة المختصين في الدراسات التاريخية. وفي مقدمتها تاريخ الجزائر وقدم أعمالا جلية نقلها من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية، أهمها ما يلي:

1-كتاب مذكرات تاريخية عن الجزائر، لصاحبه سيمون بفايفر، الصادر

بالجزائر عام 1974

- 2- كتاب قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837) " لصاحبه فنديلين شلوصر و طبع بالجزائر عام 1980(24).
- 3- كتاب ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا "لصاحبه هانريش فون مالتسان (25) .

- إضافة إلى العديد من المقالات نشر البعض منها في مجلة الأصالة والبعض الآخر في مجلتي المجاهد الأسبوعي والمجاهد الثقافي في مقدمته
- 1-هرمان هاوف و احتلال الجزائر , الاصلالة العدد الثالث اوت .1971
 - 2-كاتب ألماني يحكي عن الأمير عبد القادر , لصاحبه مارتيز مورتز , المجاهد الأسبوعي العدد 509 ,المؤرخ بتاريخ 1970/05/24 .
 - 3-صورة من التقاليد الجزائرية "لهانريش فون مالتسان ,ونشره بمجلة المجاهد الثقافي العدد الثاني أكتوبر 1967.

* و إذا انتقلت إلى العمل الذي قام به الدكتور العربي الزبييري أستاذ التاريخ بجامعة الجزائر , فهو عمل جليل في ميدان ترجمة المؤلفات والمقالات التاريخية وأهم أعماله هي :

- 1-مذكرات الحاج أحمد باي , الصادر بالجزائر عام 1973.
- 2- كتاب المرأة, لصاحبه حمدان بن عثمان خوجة , والصادر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في طبعة ثانية عام 1984. و يعتبر كتاب المرأة مصدرا هاما وأساسيا لدراسة أوضاع الجزائر في بداية الإحتلال الفرنسي، وما انجر عنه من انعكاسات سلبية عديدة على الجزائر والمجتمع الجزائري.

كما أسهم الدكتور الزبييري بجملة من المقالات نشر أغلبها في مجلة المجاهد الأسبوعي وترجمها على النحو التالي:

- 1-صفحات نابضة من تاريخنا المنسي, الرايس حميدو , لصاحبه دوفول أبير , العدد 619 , المؤرخ في 1972./07/02
- 2- الداى يدعو حميدو إلى مدينة الجزائر ,لنفس المؤلف , و نشره الدكتور العربي الزبيري في نفس المجلة في عددها 620, بتاريخ 09 /07/ 1972.
- 3- ثم مقال ثالث تحت عنوان "الجزائر تتحدى الباب العالي" في العدد 622 بتاريخ 1972 /07/23. و غيرها من الأعمال.

* و من جملة المؤرخين الجزائريين الذين ضربوا أسهما في ميدان ترجمات المؤلفات التاريخية كذلك نذكر الدكتور يحيى بوعزيز , أستاذ التاريخ الحديث و المعاصر بجامعة وهران، الذي قام بترجمة ونشر كتاب ضمنه " مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا و حكامها العسكريين بمليلة " ونقله من اللغة الإسبانية إلى اللغة العربية. وصاحب الكتاب هو دواليب إليز ميكل ونشره بديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر سنة 1986.

كما أسهم الدكتور عبد الحميد حاجيات أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة تلمسان بترجمة كتاب "المهدي بن تومرت" (26) لصاحبه الدكتور رشيد بورويبة. ثم وضع الدكتور حاجيات كذلك ترجمة لمقدمة كتاب " المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن " الذي قامت بتحقيقه الدكتورة ماريّا خيسوس بيغيرا وكان قدم له الدكتور محمود بوعياذ ونشر بالجزائر عام 1981.

زيادة على هذه العينات من إسهامات هؤلاء المؤرخين والمترجمين الجزائريين، آخرين ضربوا أسهما في الدراسات التاريخية، نذكر الأستاذ محمد بلقراد ورايح اسطنبولي اللذين ترجما كتاب الجزائر بين الماضي والحاضر (27)

ويجب الإشادة بمجهود الدكتور عبد الحميد زوزو، والسيد عبد العزيز بوباكير و توفيق المدني و غيرهم.

ورغم هذا الزخم من النصوص التاريخية المترجمة إلى اللغة العربية والمتعلقة بالتاريخ الوطني، يبقى أن المترجم للدراسات التاريخية يعاني كغيره مثل سائر المترجمين من صعوبات وعقبات.

*عقبات في طريق ترجمة الدراسات التاريخية:

- مما لا شك فيه أن هناك عقبات في طريق ترجمة الأعمال التاريخية وتعترض سبل النهوض بالترجمة في مقدمتها ما يلي : - ضعف مستوى اللغات الأجنبية لدى المترجم في حد ذاته و هو جانب من جوانب انخفاض المستوى العلمي و الثقافي بوجه عام في مناهج التعليم و لدى المتخرجين من الجامعات (28).

-عدم العناية الكافية برفع مستوى دراسة اللغة العربية ذاتها مما يحول دون التعبير بها تعبيرا سليما. - تفشي الأمية في البلاد و لسنا نعني بها أمية القراءة و الكتابة و إنما نشير كذلك إلى أمية المتعلمين الذين لم يتدربوا في المعاهد على حب الإطلاع. و المطالعة في غير الكتب المقررة و على تنمية قدراتهم على التعليم الذاتي , و اكتساب المعارف, و إذا لم يكن لدينا الجمهور القارئ فما جدوى أن يؤلف المؤلف أو ينقل المترجم عن لغة أخرى(29).

- ارتفاع ثمن الكتاب في الجزائر بوجه عام إلى درجة يتعذر فيها على أكثر المتقنين اقتناؤه ومطالعته.

- انعدام التخطيط لاختيار ما يترجم بحيث تغطي ناحية ثقافية على الأخرى، وهذا ما يلاحظ في وفرة بعض النصوص المترجمة في العديد من العلوم

والفنون وقتلتها في الدراسات التاريخية ولا سيما في تاريخ الجزائر الذي لا بد أن تتم ترجمة هذا التراث من اللغات الأجنبية إلى لغتنا العربية ول م تنقله من هذه اللغة إلى سائر اللغات العالمية.

- إيثار التأليف على الترجمة نظرا لضعف أجور المترجمين و عدم التقويم المادي و المعنوي.

هذه بعض الصعوبات التي تواجه المترجم في الجزائر وبالأخص في الأعمال التاريخية ولا بد لنا من تدليل هذه العقبات للارتقاء بفن الترجمة في شتى العلوم ولا سيما في الدراسات التاريخية على وجه الخصوص وذلك بوضع خطة مدروسة، و لإيجاد الحلول أقترح الآتي :

1- العناية بدراسة اللغة العربية و اللغات الأجنبية.

2- إنشاء المزيد من المعاهد التي تخرّج المختصين في ميدان الترجمة

(30)

3- تدعيم لجان الترجمة بالأعضاء الأكفاء و الاعتمادات المالية.

4- ضرورة تحديد المجالات التي توجه إليها جهود الترجمة، واختيار ما تستلزمه الحاجة لترجمته. وفي هذا المجال أركز على ترجمة النصوص والأعمال التاريخية المتعلقة بتاريخنا الوطني.

5- إنشاء مراكز لتوثيق الترجمة، أو هيئة رسمية يعهد إليها القيام بعمليات

الترجمة المتعددة في الآداب و العلوم الإنسانية بصفة عامة.

الخاتمة:

رغم قلة المترجمين الجزائريين لا سيما في الدراسات التاريخية، إلا أن هؤلاء قد بذلوا جهودا جبارة في ترجمة العديد من المؤلفات و المقالات من لغات أجنبية إلى اللغة العربية. و هم بذلك قد شاركوا مشاركة فعالة و قوية في حركة الترجمة و التعليق، كما استطاعوا التذليل من سائر العقبات و قدموا أعمالا جليلة امتازت بالدقة و الإخلاص. و أثروا المكتبة الجزائرية لا سيما التاريخية منها بالعديد من الدراسات. التي تتحدث عن فترات من تاريخنا الوطني و تضيئ بعض جوانبه الغامضة. و أعتقد أن من واجب كل من يتقن لغة أجنبية أن يشارك في إعادة كتابة تاريخ بلاده بغض النظر عن ميدان اختصاصه. ثم يقدم النصوص المكتوبة بهذه اللغة أو تلك للمؤرخ المختص لتقويمها و ربطها بقرانها التاريخية، ثم مقارنتها بغيرها من النصوص لمعرفة مدى صحتها و موافقتها للوقائع التاريخية. و من ثم تكون قد توفرت لدينا مصادر جديدة و تم اطلعنا على آراء الغير.

الهوامش:

- (1)- الدكتور محمد عوض، فن الترجمة، معهد البحوث و الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، مصر، 1969، ص. 18 و ما بعدها.
- (2)- الدكتور جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة و الحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، مصر، 1951، ص. 206.
- (3)- المرجع نفسه، ص. 207.
- (4)- المرجع نفسه.
- (5)- المرجع نفسه، ص. 208.
- (6)- محمد عوض، فن الترجمة، ص. 19، 24.
- (7)- أنظر مقدمة الدكتور أبو القاسم سعد الله على كتاب : حياة الأمير عبد القادر، لصاحبه شارل هنري شرشل، الصادر عن الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر عام 1974، ص. 5.

- (8)- أنظر: مصطفى الأشرف، الجزائر أمة و شعبا، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة المجاهد الأسبوعي، العدد 307، الجزائر، 20 مارس 1966.
- (9)- أنظر: مصطفى الأشرف، عوامل الاحتلال النفسية، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة المجاهد الأسبوعي، العدد 314، الجزائر، 08 ماي 1966.
- (10)- أنظر: مصطفى الأشرف، المقاومة السياسية لحمدان خوجة، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة المجاهد الأسبوعي، العدد 323، الجزائر، 10 جويلية 1966.
- (11)- أنظر: مصطفى الأشرف، قسنطينة ترفع راية الجهاد، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة المجاهد الأسبوعي، العدد 330، الجزائر، أوت 1966.
- (12)- أنظر: مصطفى الأشرف، مواقف البرجوازية القسنطينية ضد سياسة الإحتلال، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة المجاهد الأسبوعي، العدد 331، الجزائر، 04 سبتمبر 1966.
- (13)- أنظر: مصطفى الأشرف، ترحيل السكان و تجميعهم في المحتشدات، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة المجاهد الأسبوعي، العدد 344، الجزائر، 04 ديسمبر 1966.
- (14)- أنظر: محفوظ قداش، صور من حياة الأمير خالد في شبابه، ترجمة حنفي بن عيسى، مجلة الثقافة، العدد 13، الجزائر، فيفري / مارس 1973.
- (15)- أنظر: علي تابليت، مذكرة سيدني سميث ضد النشاط البحري لدول المغرب العربي، مجلة الدراسات التاريخية بمعهد التاريخ، العدد 7، الجزائر، 1993، ص. 167 و ما بعدها.
- (16)- أنظر: دان زيجر، عبد القادر و الجزائريون، ترجمة علي تابليت، جريدة السلام، العدد 64، الجزائر، جانفي 1991.

- (17)- أنظر: جريدة الشعب بتاريخ 1984/04/29 ، العدد 544. ترجمة برج عبد الرحمن، مجلة الثقافة، العدد 83، الجزائر، سبتمبر/أكتوبر 1984.
- (18)- أنظر: جون وولف، الجزائر و أوربا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986. إن الكتاب يمثل عصارة فكر وولف و حصيلة تجاربه في الدراسات التاريخية، لكنه لا يكاد يخرج عن المدرسة الفرنسية الاستعمارية عند التعرض إلى دراسة المجتمع -ع الجزائري. ورغم ذلك نجد في الكتاب ثروة كبيرة من المعلومات حول الجزائر في العهد العثماني.
- (19)- أنظر: جون وولف، رياس البحر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، مجلة الدراسات التاريخية بمعهد التاريخ، العدد 3 ، الجزائر، 1987، ص. 43 و ما بعدها. إن المؤلف قد جمع في هذا الكتاب وثائق أصلية يبدو أنه حصل عليها من الأمير نفسه، أو من عائلته مباشرة و أهم من ذلك هو أن كتابه كما يقول من إملاء الأمير نفسه، فهو حينئذ نوع من الترجمة الذاتية.
- (20)- أنظر: آن تومسون، بلاد البربر في عصر الأنوار، ترجمة أبو القاسم سعد الله، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، 1997، ص. 337 و ما بعدها.
- (21)- إن مذكرات الكولونيل عبارة عن ملاحظات شاهد عيان في المغرب و الجزائر، حيث سجل سكوت انطباعاته الحية عن الحوادث أولاً بأول. و إن الكاتب هو الأوروبي الوحيد الذي كتب بصدق عن المقاومة الجزائرية من الداخل.
- (22)- ترجم إسماعيل العربي هذا الكتاب من الإنجليزية إلى العربية و نشره بديوان المطبوعات الجامعية سنة 1982. يقدم المؤلف معلومات هامة حول العلاقات الجزائرية الأمريكية في الربع الأخير من القرن الثامن عشر.
- (23)- أنظر: وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، ترجمة إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982. إن هذا

الكتاب يضم حقائق و شهادات عن موقع مدينة الجزائر و امتدادها و تحصينها، و ضواحيها التي استكشفتها بعناية طبوغرافية، و يقدم صورة واضحة للعلاقات الجزائرية الأمريكية في تلك الفترة.

(24)- يقدم فاندالين شلوصر معلومات كثيرة و بنوع من التفصيل عن حياة بن زعمون و أحمد باي و أحمد بومزراق. و يذكر الشيء الكثير عن أوضاع مدينة قسنطينة أيام الحملة الأولى والثانية.

(25)- أنظر: هانريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا،

ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976.

(26)- أنظر: رشيد بورويبة، المهدي بن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات،

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

(27)- أنظر: أندري نوشي و آخرون، الجزائر بين الماضي و الحاضر، ترجمة

محمد بلغراد و رابح اسطنبولي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

(28)- أنظر: نبيل سليم، إشكالية الترجمة العربية و نقل التراث الإنساني، مجلة

المستقبل العربي، العدد 160، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، جوان

1992، ص. 88.

(29)- المرجع نفسه.

(30)- المرجع نفسه، ص. 89.

الترجمة والدلالة

أ. مطهري صفية

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة السانية "وهران"

نبذة تاريخية عن الترجمة

إن للترجمة دورا عظيما في التطور العلمي والثقافي، لأنها تساعد الأمم والشعوب على الاتصال ببعضها البعض وفي تبادل الثقافة كما تتبادل السلع، وعلى الاطلاع على حياة البلدان الأخرى وتاريخها وحضارتها وثقافتها وما أنجزته في ميادين الأدب والعلوم بثنتى أنواعها، وتعمل على مسايرة الأمة وإيصالها بالركب الحضاري والتكنولوجي، خصوصا وأنها تتناول دائرة واسعة من مجالات النشاط الإنساني، فمن لغة إلى لغة تترجم الأعمال الأدبية والفنية وكذا العلمية.

ويرجع تاريخ الترجمة إلى عهد ماض بعيد حيث عرفها العرب قديما وأولوها أهمية بالغة، فكانت المعرفة مطلبهم وغايتهم وكانت الترجمة وسيلتهم إلى

نقل هذه المعرفة، وكان اللسان العربي المبين أداة للتعبير والإفصاح والشرح والإيضاح.

تعود بداية الترجمة إلى عهد بني أمية على الرغم من انشغالهم بالفتوحات الإسلامية وإرساء أركان الدولة. فالأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية (ت85هـ) الذي أخفق في نيل الخلافة، انصرف إلى العلم حيث يقول ابن النديم في كتابه الفهرست: " كان خالد يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلا في نفسه وله همة ومحبة للعلوم. وخطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة" (1)

وكانت الكتب التي ترجمت في هذه الفترة تتعلق بالكيمياء لأن خالدا كان يعتقد بإمكان تحويل المعادن إلى ذهب، ومن أشهر المترجمين في العصر الأموي يعقوب الرهاوي، الذي ترجم الكثير من كتب الإلهيات اليونانية إلى العربية .

أما في العهد العباسي، فقد عرفت حركة الترجمة ازدهارا ملحوظا وذلك لعدة أسباب نذكر من بينها :

1- أن العرب لم يكونوا مهتمين من قبل بالفلسفة والعلوم وذلك لانشغالهم بالفتوحات الإسلامية وإرساء وتوطيد أركان الدولة، أما في هذه الفترة، ونتيجة احنكاكهم بغيرهم من الأمم عرفوا ما يسمى بالتحضر وأن الحضارة لا تقوم إلا على العلم، فمالوا إليه وجدوا في ترجمته.

2 - كثرة الجدل في عهد بني العباس وبين الفرق الدينية من المسلمين وبينهم وبين أصحاب الديانات الأخرى، مما جعلهم يترجمون الفلسفة اليونانية بصورة عامة ومنطق أرسطو بصورة خاصة وذلك لاتخاذهما وسيلة إلى دعم الرأي وإسناد الحجة .

وهكذا توالت حركة الترجمة. ولكن السؤال المطروح ما هي لغة الترجمة؟ علما أننا نعرف أن في ذلك العهد لم تكن هناك مجامع لغوية أو مكاتب تعريب أو دوائر معاجم وإنما كانت الجهود فردية ولم يكن بين الترجمة ووضع المصطلح وسطاء أو ثغرات، وإنما كان هناك ترابط وتلاحم وتكامل .

فالترجمة إذن تقتضي أمرين اثنين هما:

1- اللفظة الدقيقة لتدل على الأعيان والمعاني .

2- الجملة العلمية الصحيحة التي تساعد على إيضاح المعنى .

فإذا ما توفر هذان الشرطان كانت اللغة لغة العلم . ولكن هل اللفظة الدقيقة والجملة العلمية الصحيحة تكفيان للوصول إلى ترجمة علمية ؟ وعليه فكيف استطاع المترجمون في ذلك الزمن إيجاد المصطلح العلمي ؟ وما هي الطرائق المتبعة في ذلك ؟

الطرائق المتبعة.

إن الطرائق التي اتبعوها في إيجاد المصطلح هي : (2)

1- تحوير المعنى الأصلي للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمي

الجديد .

2- اشتقاق ألفاظ جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعاني

الجديدة .

3-تعريب كلمات أعجمية وعدّها صحيحة .

4-ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها .

وما تزال هذه الطرائق متبعة وصالحة في وضع المصطلحات للعلوم

الحديثة إلى يومنا هذا.

المشاكل التطبيقية في الترجمة .

إن الترجمة ليست عبارة عن نقل للمادة الصوتية وللمظهر المادي من الدليل اللغوي *signe linguistique* وهو الدال وإنما هي نقل للدلالة أو المعنى أو المدلول. وبالتالي يمكننا أن نطرح السؤال التالي : هل الدلالة قابلة للنقل ؟

وللإجابة على هذا السؤال الهام علينا أن نتحدث عن أهم المشاكل

التطبيقية لهذه القضية :

1-اختلاف المجال الدلالي للفظين يبدوان مترادفين في اللغتين.

ويشمل اختلاف المجال الدلالي *semantic range* ما يلي:

أ- اتساع مدلول كلمة ما في لغة ما وضيقة في اللغة الأخرى: ويتضح ذلك في مجال الألوان، حيث تمتد رقعة الألوان دون فاصل طبيعي، ولا حدود متدرجة من الأحمر حتى البنفسجي وأي فصل لابد أن يتسم بالتحكم، ولكل لغة طريقة خاصة في تقسيم الألوان، ونتيجة لذلك نجد أن بعض اللغات تعبر عن لونين بلفظ واحد، وبعضها يضع أكثر من لفظ لدرجات من اللون الواحد . فمن الأول لفظ الأزرق الذي كان يطلقه العرب القدماء على ما نسميه الآن بالأخضر والأزرق، وتشير كلمة *aoi* في اللغة اليابانية (3) إلى اللونين الأزرق والأخضر معا .

هذا بالنسبة للغة، أما بالنسبة للواقع فمن الملاحظ أن لون إشارات المرور في طوكيو أخضر زمردى يميل إلى الزرقة .
ب- استخدام الكلمة في أكثر من معنى وفي معنى واحد في لغة أخرى: وذلك مثل تعبير العرب عن الحمرة بألفاظ مثل : أرجوان للشديد الحمرة . وبهرمان لما دونه بشيء من الحمرة . والمفدم على المشبع بالحمرة . والمضرج دونه . والمورد بعده .

وكذلك احتواء بعض اللغات على لفظين للأخضر، أحدهما للنبات والآخر للملابس، أو على لفظين للأزرق، أحدهما لحبات الخرز وعقود الزينة، والآخر للأزهار .

وكذا بالنسبة لكلمة مكتبة في العربية التي يقابلها أكثر من كلمة يستخدم كل منها في حالة خاصة . من ذلك كلمة :

- أ- library التي تعني المكتبة التي يرتادها الجمهور .
- ب- و book tore أو book shop وتعني المكتبة التي تقوم ببيع الكتب .
- ج- و book collection وتعني المكتبة ذات الملكية الخاصة.

2- اختلاف التوزيع السياقي لكلمتين تبدوان مترادفتين .

يختلف هذا السياق عن السابق في أن اللفظين يعدان مترادفين في اللغتين في معناهما العام ولكنهما يختلفان في الاستعمال، أو في السياقات اللغوية المختلفة التي يردان فيها مثال ذلك :

- poor man : محتاج ماديا - فقير .
- poor boy : عند استحقاق الشفقة .
- poor box : صندوق الصدقات (تجمع فيه التبرعات لتوزع على الفقراء)

poor opinion : فكرة تافهة أو متواضعة .

poor health : صحة مريضة .

ولا يمكن لمقابلاتها في العربية أن تأتي في سياقات متطابقة؛ فلا يقال :
ياله من ولد فقير في موقف الشفقة، ولكن يقال: ياله من ولد مسكين.
ولا يقال: صحة فقيرة ولكن يقال: عيلة أو ليست على ما يرام.
ولا يقال: منزل فقير. ولكن يقال: منزل متواضع.
ولا يقال فكرة فقيرة. ولكن يقال: فكرة متواضعة.

ومما يدل على عدم تطابق الكلمتين في اللغتين أن كلمة: poor تقابل
كلمة good في مثل poor work=good work ، وتقابل rich في مثل rich
.poor man=man

3- الاستعمالات المجازية أو الدلالات المصاحبة.

وهذا أمر خاص بالأعمال الفنية الإبداعية إذ "القصد منه ليس الإبلاغ
وحده وإنما أسلوب الإبلاغ أيضاً، وفيها تتكاثر المعاني ويتعالق بعضها ببعض
ويتولد بعضها من بعض وتزدحم الدلالات فتكسبها من الكثافة ما يجعلها أحيانا
عصية على الإدراك أو غامضة تحتل عديد التأويلات، ولذلك فإن نقلها من لغة
إلى أخرى، فضلا عن فهمها يكون مشكلا. على أن لغة الخطاب نفسها لا تخلو
من قدر من الدلالات المصاحبة وإن قليلا حسب شروط الإبلاغ وملاساته
والغاية منه"(4) إن مثل هذه الاستعارات والمجازات إذن لا يمكن أن تطابق فيها
لغة من اللغات لغةً أخرى "من جميع جهاتها، بحدود صفاتها، في أسمائها
وأفعالها، وصروفها وتأليفها، وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها"(5) فهي لا
تصح أن تكون حرفية، وإلا بعد المعجم عن روح اللغة. ومن أمثلة ذلك: أن

الإنجليزي يعبر عن تقدم السن بـ evening of life ولا يصح أن تقابله في العربية
بعبارة مساء العمر لأن العرب يستخدمون مقابلاً مجازياً هو خريف العمر (6).
ونجد عبد القاهر الجرجاني منذ القديم قد وضع نظرية قسم فيها هذه
القضية إلى قسمين:

أ- الاستعارات غير المفيدة

ومن أمثلة ذلك أن العرب تعرف أجزاء الجسم في الإنسان والحيوان معرفة
تامة، وقد وضعت لكل جزء منها لفظاً خاصاً، فالشفة في الإنسان هي المشفر
للبيبر و الجحفلة للفرس. وهذه فروق ربما وجدت في غير لغة العرب وربما لم
توجد. ونجد بأن بعض الشعراء والرجاز قد استعملوا بعض هذه الألفاظ مكان
البعض الآخر متأثرين بالإنشاد والانفعال دون أن يهدف عملهم هذا إلى نكتة
بلاغية أو زيادة في تصوير.

فقد استعمل العجاج كلمة المرسن وهي للبعير ووصف بها أنف امرأة في
قوله:

فاحما ومرسنا مسرجا

واستعمل شاعر آخر كلمة الجحفل التي تعني شفة الفرس في وصف ناقته
بأن للماء صوتاً مسموعاً عند نزوله ما بين مشفرها وبين وريديها كأنه صوت مبرد
الحداد فقال (7):

تسمع للماء كصوت المسحل * بين وريديها وبين الجحفل**

إن مثل هذه الاستعمالات لا تعدو أن تكون توسعا في اللغة وليس من الضروري أن يكون في غير لغة العرب، بل هو خاصة من خواص اللغة العربية ولا يصح أن تنقل كما هي في لغة أخرى.

ب- الاستعارات المفيدة:

أما القسم الثاني فقد أسماه بالاستعارات المفيدة وذلك كأن تصف رجلا بأنه أسد أو طائرة بأنها عقاب أو نسر كما في قول شوقي :

أعقاب في عنان الجو لاح *** أم سحب فر من هوج الرياح

فهنا يجب النقل باللفظ ومراعاة الاستعارة، لأن نقل الاستعارة غير المفيدة بلفظها مجال للسخرية والضحك في حين أن نقل الاستعارة المفيدة بمعناها حرمان من نكتة بلاغية . ويؤكد عبد القاهر الجرجاني على هذه القضية بقوله : " فعرف اللغة وطرقها الخاصة يترجم بالمعنى، أما هذه الاستعارة المفيدة والتشبيه المفيد والكناية المفيدة فتنتقل كما هي من لغتها المترجم منها إلى اللغة المترجم إليها، نقلا لفظيا على طريق الاستعارة أو التشبيه أو المجاز وإلا فقدت جمالها وبلاغتها"
(8)

فالشعر كما يقال : " لا يستطيع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل ومتى حول تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه وصار كالكلام المنثور " (9) لأنه بحكم تعريفه لا يستطيع أن يترجم وليس يمكن إلا نقله transposition نقلا خلافا كما يقول جاكبسون .

إن عبد القاهر الجرجاني وهو فارسي الأصل وعلى دراية تامة باللغتين اتضحت له تلك المشاكل التي تصادف المترجمين وبالتالي حاول أن يضع لنا نهجا عاما يلتزمه المترجم ولا يحيد عنه.

وبالتالي فإن مثل هذه الاستعمالات الفنية تضيف قيمة زائدة على الدلالة المباشرة وتمثل مجموع القيم المعنوية المتصلة بالكلمة بناء على الاتساع في معناها. ومما لا ريب فيه أن المترجم لمثل هذه الأعمال الإبداعية والفنية من قصص وشعر يجد نفسه أمام صعوبات جمة تكلفه جهدا عظيما يتوزع بين النقل أحيانا والإبداع أحيانا أخرى من أجل إيصال تلك القيم الإبداعية إلى السامع أو القارئ .

4-الجرس الصوتي للألفاظ وموسيقاها.

إن للألفاظ نغمة موسيقية تجعل اللفظ ينسجم مع ما سبقه وما يليه من ألفاظ ولذا فقد يفضل الكاتب لفظا دون آخر فينتج عن ذلك سلسلة من الأصوات اللغوية المنسجمة وهذا ما هو مفقود في كل ترجمة ولا سيما في ترجمة الألفاظ العربية.

ولقد بلغ تفنن الأدباء والشعراء في تلك العناية اللفظية أن وضع لها المتأخرون من دارسي البلاغة قواعد ونظما، أو شكت أن تصبح علما مستقلا من علوم اللغة العربية، وهو ما يطلق عليه "البديع" ومن أشهر فنون البديع "الجناس" كقول رجل للمأمون يتظلم من عامل له: "يا أمير المؤمنين ما ترك لي فضة إلا فضها، ولا ذهباً إلا ذهب به، ولا غلة إلا غلها، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا عرضاً إلا عرض له، ولا ماشية إلا امتشها، ولا جليلا إلا أجلاه،" ويقال إن المأمون قد أعجب بفصاحته وقضى حاجته (10).

فكيف السبيل إذن إلى ترجمة مثل هذا الكلام وهو كثير في اللغة العربية، وأي موقف يمكن أن يلتزمه المترجم حين تعرض له مثل هذه المحسنات اللفظية التي استعملها الأدباء والشعراء لتزيين آدابهم وجعلها تتصف بالروعة والجمال.

إن مثل هذه القضية لا يمكن أن تعالجها وذلك لأن حلها يعتمد على السياق الذي ترد فيه الكلمة، وعلى الشحنة الإيحائية التي تحملها، وعلى الجرس الموسيقي الذي تؤديه، وعلى توافقها الصوتي مع ما يجاورها من كلمات وهذه مجالها الأسلوب أكثر من المعجم. أضف إلى ذلك أن المعاجم تركز على المعنى الرئيسي الذي يعد العامل الأساسي في الاتصال اللغوي لأنه يؤدي الوظيفة الأساسية للغة ويغفل المعنى الإيحائي والمعنى النفسي والمعنى الأسلوبي. (11)

5- هندسة الجملة.

إن اللغات تختلف في النظام الذي تخضع له الجمل في ترتيب كلماتها، وعلاقة كل كلمة بالأخرى، فللفعل مكان خاص من الجملة، وللفاعل مكان آخر، وللمفعول مكان ثالث وهكذا . وقد يضطر المترجم إلى التقديم والتأخير، وإلى عملية تنظيمية خاصة حتى تبدو ترجمته جارية على المنهج المألوف في اللغة المترجم إليها.

6- الفوارق الاجتماعية والثقافية بين لغتين .

إن دلالة الكلمة في كل لغة تكتسب من تجارب وأحداث اجتماعية كثيرة يمر بها الإنسان، وترتبط الكلمة في ذهن كل منا بتلك الأحداث ارتباطا وثيقا، فنتلون دلالتها بها، وتظل تلك الدلالة بالتجارب الخاصة للإنسان في حياته .

غير أن هناك قدرا مشتركا لدلالة الكلمات في كل بيئة هو الذي يكون على أساسه التعامل بالكلمات وعلى مستواه يكون التفاهم بين الأفراد.

أما إذا خرجت الكلمة من بيئتها إلى بيئة أخرى بمعنى ترجمت، احتاج حينها المترجم إلى التحلي بدرامية تامة تتعلق بالبلاغ المراد نقله أو ترجمته من لغة إلى لغة أخرى، وإلى جهد للحصول على ما يماثل تلك الكلمة أو يرادفها في دلالتها، لتؤدي في ذهن السامع الجديد في البيئة الجديدة الدلالة نفسها أو ما يقرب منها في بيئتها الأصلية.

وقد يكون إيجاد المقابل في اللغة الأخرى مستحيلا أو غير مطابق لأن المعنى يتضمن مجتمع اللغة وهو ذو نمط اجتماعي يجب أن يوصف باعتبار وظيفة اللغة في المجتمع .

ويكون ذلك الارتباط الاجتماعي والثقافي واضحا لمن يشتغل بالترجمة بين لغتين، حيث تتوقف دقة ترجمته على قدرة اللغتين إذ يجب أن تعكس الحياة الثقافية والاجتماعية " وكلما تقاربت الثقافتان وتطابقتا، كانت الترجمة دقيقة، وكلما تباعدتا وانفصلتا صعبت الترجمة واستحالت ".(12)

فكلمة مثل wife لا يمكن أن تترجم بكلمة واحدة في اللغة العربية المعاصرة لأن مقابلها في العربية قد يكون : المدام، الجماعة، الست، مراتي، زوجتي ؛ وقد يكون : عقيلته، حرمه، زوجته، الست، المدام عند التحدث عن الغير أو إلى الغير .

إن هذه الكلمات تعكس التفاوت الاجتماعي والثقافي بالإضافة إلى أنها قد تختلف في كيفية ملاءمتها في الجملة . فكلمة " مدام " تستعملها الطبقة الاجتماعية المثقفة الراقية .

ويبدو أثر العامل الثقافي والاجتماعي في تفاوت اللغات في اهتمامها بمجال دلالي دون آخر تبعاً لارتباطها بهذا المجال أو ذلك، وتبعاً لإحساسها بأهمية أحد الحقول اللغوية في البيئة المعينة أو عدم أهميته. (13)

7- التلطف في التعبير واللامساس.

يوجد في بعض اللغات كلمات ذات دلالات منفرة وذات حساسية لأنها ارتبطت ببعض المعاني التي لا يحسن التعبير عنها بصراحة فيتحايل عليها الناس ويستعمل بدلها ألفاظاً أخرى أقل صراحة أو ألفاظاً أجنبية عن اللغة رغبة في أن تصبح الصورة مغطاة بستار رقيق يخفي شيئاً من معالمها، ويقلل من وضوحها، فلا تخذش الحياء، ولا تبعث على النفور والاشمئزاز. ويسمى هذا النوع من الألفاظ المتروكة أو المقيدة الاستعمال بأنها ألفاظ اللامساس tabou . كما يسمى اللفظ المبدل عنها أنه من باب التلطف في التعبير euphémisme. (14)

وكثيراً ما ينتبه أصحاب المعاجم والمترجمون إلى هذه القضية، فيضعون اللفظ مقابل اللفظ الآخر دون أن يساوا بينهما في درجة التلطف أو اللامساس مما قد يوقع مستعمل المعجم في ورطة.

وخير مثال على ذلك الرسالة التي تلقاها أحمد أمين من أحد المستشرقين يمدحه فيها بغزارة علمه وثقوب فهمه فكتب إليه قائلاً: " قد استفدت كثيرا من خسارة فطنتكم " فاستعمل لفظا دون أن يتنبه إلى أنه من كلمات اللامساس في العربية نظرا لارتباطه بمعنى لا يحسن التصريح به . وإن كانت المعاجم العربية تصف العين الخسارة بأنها الجارية، وقد سميت بذلك لخبر مائها.

ومن أمثلة ذلك أيضا كلمة قرص (دواء) حيث تضع المعاجم في مقابلها كلمة pill دون أن تنبه إلى الحساسية في استعمال اللفظ الإنجليزي الآن . فبعد أن شاع استعمال كلمة pill في أقراص منع الحمل، صار محررو الصحف يخشون عبارة مثل the pill is safe , says dr. x... ويفضلون عليها كلمة tablet . (15)

وهكذا فإن الأعمال المترجمة تنقسم إلى قسمين:

1- ترجمة الأعمال العلمية.

إن دلالة الكلمات في النشاط العلمي تلتزم عادة حدودا لا تكاد تتعدها، فهي بين أصحاب الفكر متماثلة ومتقاربة في دلالتها، ولاسيما في مجال الظواهر الطبيعية والكونية . ولذا يقال إن ترجمة العلوم أيسر وأسهل لأن دلالة الألفاظ فيها محدودة مضبوطة، وليست محل جدل أو نزاع في غالب الأحيان، لأن أهم ما يهم صاحب العلم هو الفكرة والنظرة الموضوعية بعيدا كل البعد عن أي شعور أو عاطفة شخصية.

2- ترجمة الأعمال الأدبية.

إن الترجمة الأدبية هي أشد عسرا ومشكلتها تختلف عن مشكلة الترجمة العلمية، وقضية النص الأدبي شائكة لاتساع القول في ماهية الأدب وفهمه وتوظيفه حيث ارتبط هذا الأخير بالحياة الاجتماعية للإنسان الذي عبر عن مشاغله واهتماماته. وعليه فإن وجوده لم يعرف ركودا بل شهد نموا وتطورا، ويمثل هذا الاطراد عقبة إذا تصدى الباحث إلى الترجمة لأن المترجم عامة لا يمكنه ترجمة النص ما لم يدرك خصائص الخطاب التلفظي وفق ما تحدده سياقاته.

كما أن النص الأدبي يعتمد على التصوير والعاطفة، والتأثير والانفعال، ولا يكون الأدب أدبا إلا بخروج الكلمات عن دلالتها اللغوية المعجمية، وشحنها بالخيال والعاطفة، ومترجم الأدب لا يقتنع إلا بترجمة أدبية تبرز جمال النص المترجم كي يتذوق القارئ جمال النص الأصلي .

إن هذا لا يعني البتة أن ترجمة الآداب بمستحيلة أو فوق طاقة البشر وإنما تحتاج إلى جهد ودراية تامة وإتقان كبير للغتين لأن "لغة كل أمة وبخاصة اللغة الأدبية متحملة بعواطف خاصة قد لا تدركها الألفاظ، ولكن يدركها الأديب وحده . وكثيرا ما نقف أمام النص من النصوص وقفة المتردد الذي يتمنى لو أنه رأى الأديب فسأله عما أراد بهذا النص، ويود أن لو كان حيا ليسأله عما يريد، بل هو يرجع بذهنه مستعرضا ظروف الأديب، نافخا فيه الحياة من جديد ليسأله عما يريد. ذلك أن من المعاني ما لا يزال في بطن الشاعر كما يقولون لا نعثر عليه إلا بالجهد، وإلا بعد أن نتعرف على قاموسه ونفسيته، ومقدار احترامه لمدلولات الألفاظ، ومقدار جرأته في الخروج عليها." (16)

فإذا كان هذا هو الشأن بالنسبة للنصوص الأدبية فكيف يكون موقف المترجم اتجاه النصوص الدينية المقدسة التي لا يقف أثرها عند عاطفة عابرة، أو انفعال وقتي، بل هي تسيطر على القلوب والعقول، وتحاط بهالة من القداسة والطهر تسمو بها فوق مستوى الإنسان.

وهكذا فإن المشكلة الأساسية في عملية الترجمة بين لغتين هي محاولة إيجاد لفظ ما في لغة ما مطابق للفظ آخر في لغة أخرى . وهذا يستوجب تطابق اللغتين في التصنيف وفي الخلفيات الثقافية والاجتماعية، وفي مجازاتها واستعمالاتها اللغوية، وفي أخيلتها وتصوراتها وهو ما لا يمكن تحقيقه كلية أبدا، وإنما قد يتحقق جزء منه، لأن الاختلاف موجود بين الفرد والفرد من أبناء اللغة، بل بين الفرد ونفسه من موقف إلى موقف، ومن حالة إلى حالة، وبالتالي فإنه موجود بين اللهجة واللهجة، وبين اللغة واللغة. على خلاف أرسطو الذي كان يرى أن المعاني تتقابل تماما من لغة إلى لغة، بمعنى أن أي كلمة في لغة يمكن أن نجد لها مرادفا مطابقا في اللغة الأخرى.

الخاتمة.

إن للترجمة صلة وثيقة بالعلوم اللسانية دون استثناء، وعلم الدلالة هو ركيزته الأساسية . وإن كان قد حظي هذا العلم بالازدهار ووصل إلى ما وصل إليه في مجال التنظير والتطبيق على السواء، فهذا يعود إلى تقدم الدراسات اللغوية بمختلف أنواعها وإلى نشأة الألسنية علما مستقلا موضوعه اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

وخير ما أختتم به هو قول الجاحظ في كتابه الحيوان إذ يقول : " ولا بد للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية."

فالترجمة ليست مجرد عملية لغوية فحسب وإنما هي عملية تواصلية علمية حيناً وفنية حيناً فهي إذن كما يقول جورج مونان " علم وفن " والغاية منها هي " الوصول إلى أقرب معادل طبيعي للبلاغ في لغة الأصل " حسب رأي نيدا وأن أفضل ترجمة كما يقال هي تلك التي تنسي القارئ أنه يقرأ نصاً مترجماً.

الهوامش

- 1--الفهرست لابن النديم ص 303 ويراجع دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب لشحادة الخوري ص 22 .
- 2- يراجع المصطلحات العلمية في اللغة العربية لمصطفى الشهابي ص 28.
- 3- يراجع مجلة نوافذ العدد 7 ص 65.
- 4- الترجمة ونظرياتها إعداد مجموعة من الأساتذة ص 265 . ويراجع اللسانيات واللغة العربية لعبد القادر الفاسي الفهري ص 400 .
- 5- المقابسات لأبي حيان ص 71.
- 6- يراجع علم الدلالة لأحمد مختار عمر ص 256 .
- *- المسحل : اللجام .

- 7-يراجع أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص 23 .
- 8-المرجع السابق ص 32 .
- 9- كتاب الحيوان للجاحظ ص2 : 30 وما بعدها .
- 10-يراجع دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس ص 172 .
- 11- يراجع علم الدلالة لأحمد مختار عمر ص 38 .
- *- المعنى الإيحائي هو: ما يتعلق بالكلمات التي لها مقدرة خاصة على الإيحاء لشفافيتها حتى يظهر معناها كمواء القط، وصليل السيوف، وكالكلمات المنحوتة مثل صهصلق من سهل وصقل.
- *- المعنى النفسي هو: ما يشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد ويظهر ذلك في كتابات الأدباء والشعراء حيث تتعكس المعاني الذاتية النفسية بصورة واضحة .
- *-المعنى الأسلوبي هو: ما تحمله الكلمات من معنى وفق الظروف الاجتماعية والجغرافية لمستعملها مثل كلمة والدي، وبابا، وبابي، , papa , mon père .papy
- 12- المرجع السابق ص 268 .
- 13- المرجع السابق، الصفحة السابقة .
- 14- يراجع دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس ص 173 وعلم الدلالة لأحمد مختار عمر ص 265 .
- 15- يراجع علم الدلالة لأحمد مختار عمر ص 265 .
- 16- تيارات أدبية بين الشرق والغرب لإبراهيم سلامة ص47 .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية

شهادة شرفية

يتشرف المجلس الأعلى للغة العربية بتقديم هذه الشهادة عرفانا بالمجهودات التي حققتها مدرسة:

..... ولاية:

لتفوقها في مسابقة الإملاء والخط التي نظمها المجلس يوم 08 مايو 2005.

حرر بالجزائر في :

رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

المجلس الأعلى للغة العربية

شهادة تكريم

يتشرف المجلس الأعلى للغة العربية بتقديم هذه الشهادة

للتلميذ (ة) : قسم السنة السادسة أساسي

بمدرسة: ولاية:

لتفوقه في مهارتي الإملاء والخط في إطار المسابقة الوطنية التي نظمها المجلس يوم 08 مايو

2005.

حرر بالجزائر في :

رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

أهمية الترجمة وشروط إحيائها

الندوة الوطنية للترجمة
الجزائر يومي 17 - 18 جوان 2001

هدف هذه الندوة التعرف على وضعية الترجمة في بلادنا وأهمية العناية بها وتطويرها باعتبارها علما وصنعة، يحتاج إليها الباحثون والطلبة، ولا تستغني عنها دواوين الوزارات والشركات، في عالم يتنقل فيه رجال الأعمال والسواح بالآلاف، وتجتاز فيه الفضائيات والمعلوماتية كل الحواجز ولا تنتظر التأشيرات ...

وقد يكون من المفيد التأكيد على أن غيرتنا واعتزازنا بلغتنا العربية الوطنية والرسمية، لا يتعارض مطلقا مع احترام اللغات الأخرى، والحث على تعلمها، فإن " كل لسان بانسان " ...

فإذا اقتنعنا بأن من تعلم لغة قوم أمن شرهم، فإنه بالإمكان أن نضيف، بأنه قد يستفيد مما عندهم من خير، في عصر الأعمار الصناعية والذكاء الاصطناعي، وشبكات الاتصال العابرة للقارات، وما وصلت إليه العلوم والآداب والفنون الجميلة من تقدم مذهل، يحدث معظمه خارج حدودنا ...

فقرة من كلمة د. محمد العربي ولد خليفة
رئيس المجلس الأعلى للغة العربية
في افتتاح الندوة